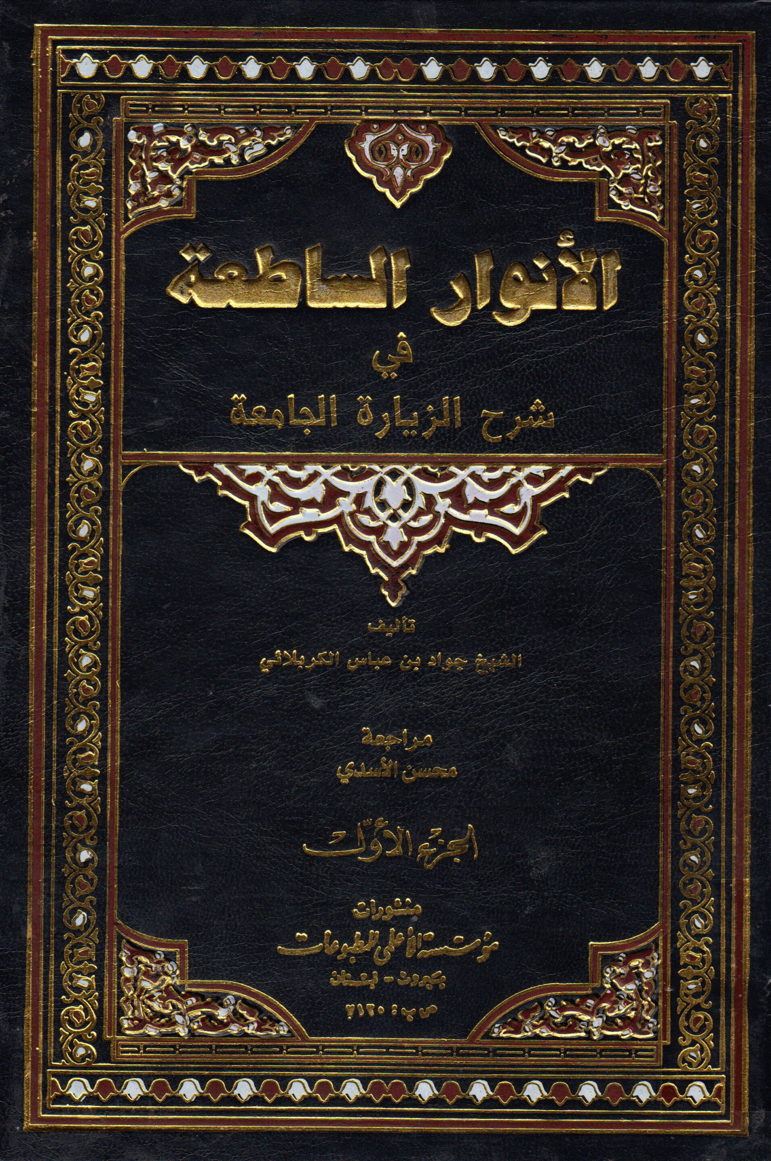

الأنوار الساطعة
في
شرح الزيارة الجامعة
تأليف
الشيخ جواد بن عباس الكربلائي
مراجعة
محسن الأسدي
الجزء الأول
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب: ٧١٢٠



الأنوار الساطعة

في

شرح الزيارة الجامعة

١

الأنوار الساطعة

في

شرح الزيارة الجامعة

تأليف

الشيخ جواد بن عباس الكربلائي

مراجعة

محسن الأسدي

الجزء الأوّل

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص ب: ٧١٢٠

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

Published by Alaalami Library

Beirut- Lebanon po. Box 7120
Tel -- Fax: 450427
E-mail: alaalami@yahoo.com.



بيروت ـ شارع المطار ـ قرب كلية الهندسة
مفرق سنتر زعرور ـ ص ب : ١١/٧١٢٠
هاتف: ٤٥٠٤٢٦ ـ فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧



الإهداء:

الحمدُ لله ربّ العالمين وصلى الله على محمّد وأهل بيته الطّاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

لا أرى أحداً أولى لاهدائي هذه الوجيزة من سيّدي ومولاي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ومن أهل بيته الأطهار ساداتي وموالِيَّ، وأئمتي أئمة الهدى، ومصابيح الدّجى، وولاة الدين، ومن الطّهرة الطاهرة سيدة النساء فاطمة الزهراء، صلوات الله عليهم أجمعين، ولا سيّما سيّدي ومولاي صاحب الولاية الكبرى أمير المؤمنين، صلوات الله عليه، الّذي قال في حقّه أخوه وابن عمّه الرسولُ الأعظم صلى الله عليه وآله: «مَن سرّه أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي؛ فليوال عليّاً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنّهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً. وويل للمكذّبين بفضلهم من أُمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالَهم شفاعتي»[1].

ثم إليك يا صاحب العصر والزّمان، ويا خليفة الرحمن، ويا

---

١ ـ أخرجه الحافظ أبو نعيم في حلية الاولياء ج ١ ص٨٦.

شريك القرآن، ويامعزّ الأولياء، ويامذلّ الأعداء: ﴿يا أيّـها العـزيزُ مسّنا وأهلَنا الضّرُّ وجئنا ببضاعة مزجاة فأوفِ لنا الكيلَ وتصدّق علينا إنّ الله يجزي المـتصدّقين﴾. أهـديك كـتابي هـذا، وهـو بـضاعتي المزجاة، وصحائف ولائي الخالص، وعقيدتي في ولايتكم، التي هي ولاية الله تعالى. فتفضّل عليّ بالقبول، وما هو في فـضلكم إلّا رشحة من بحر لجيّ، فأحسن إليّ سيّدي إنّ الله يحبّ المحسنين.

جواد بن عباس الكربلائي

الزّيارة وسندها :

عن تهذيب الشيخ الطوسي ـ رضوان الله عليه ـ والفقيه للصدوق ـ رضوان الله عليه ـ: روىٰ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه قال: حدثنا علي بن أحمد بن موسىٰ والحسين بن إبراهيم بن أحمد الكاتب قالا: حدثنا محمد بن أبي عبدالله الكوفي عن محمد بن إسماعيل البرمكي (روىٰ محمد بن إسماعيل البرمكي ـ الفقيه) قال: حدثنا موسىٰ بن عبدالله النخعي قال: قلت لعلي بن محمد بن علي بن موسىٰ ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: علّمني يابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرتُ واحداً منكم.

فقال: (إذا صرتَ إلى الباب، فقف واشهد الشهادتين وأنت علىٰ غسل، فإذا دخلتَ (ورأيتَ القبر ـ الفقيه ـ) فقف وقل: الله أكبر، الله أكبر، ثلاثين مرّةً، ثمّ امش قليلاً، وعليك السكينة والوقار، وقارب بين خطاك، ثم قف وكبّر الله عزّوجل ثلاثين مرّةً، ثم اُدن من القبر، وكبّر الله أربعين تكبيرةً تمام المائة تكبيرة، ثمّ قل:

السّلام عليكم ياأهل بيت النّبوّة، ومعدن (موضع) الرّسالة، ومختلف

الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن الرّحمة، وخزّان العلم، ومنتهى الحلم، وأُصول الكرم، وقادة الأُمم، وأولياء النّعم، وعناصر الأبرار، ودعائم الأخيار، وساسة العباد، وأركان البلاد، وأبواب الإيمان، وأُمناء الرّحمن، وسلالة النبيين، وصفوة المرسلين، وعترة خيرة ربِّ العالمين، ورحمة الله وبركاته. السّلام علىٰ أئمّة الهدىٰ، ومصابيح الدّجىٰ، وأعلام التّقىٰ، وذوي النّهىٰ، وأُولي الحجىٰ، وكهف الورىٰ، وورثة الأنبياء، والمثل الأعلىٰ، والدّعوة الحسنىٰ، وحجج الله علىٰ أهل الدّنيا والآخرة والأُولىٰ، ورحمة الله وبركاته. السّلام علىٰ محالّ معرفة الله، ومساكن بركة الله، ومعادن حكمة الله، وحفظة سرّ الله، وحملة كتاب الله، وأوصياء نبيّ الله، وذرّية رسول الله ﷺ، ورحمة الله وبركاته. السّلام علىٰ الدّعاة الى الله، والأدلّاء علىٰ مرضاة الله، والمستقرّين في أمر الله، والتّامّين في محبّة الله، والمخلصين في توحيد الله، والمظهرين لأمر الله ونهيه، وعباده المكرمين الّذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، ورحمة الله وبركاته. السّلام على الأئمّة الدّعاة، والقادة الهداة، والسّادة الولاة، والذّادة الحماة، وأهل الذّكر، وأُولي الأمر، وبقيّة الله وخيرته، وحزبه، وعيبة علمه، وحجّته، وصراطه، ونوره، وبرهانه، ورحمة الله وبركاته. أشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، كما شهد الله لنفسه، وشهدت له ملائكته، وأُولو العلم من خلقه، لا إله إلّا هو العزيز الحكيم. وأشهد أنّ محمّداً عبده المنتجب، ورسوله المرتضى، أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون وأشهد أنّكم الأئمّة الرّاشدون، المهديّون، المعصومون، المكرّمون، المقرّبون، المتّقون، الصادقون (المصطفون) المطيعون لله، القوّامون بأمره، العاملون بإرادته، الفائزون بكرامته، اصطفاكم بعلمه، وارتضاكم لغيبه، واختاركم لسرّه، واجتباكم بقدرته، واعزّكم بهداه، وخصّكم ببرهانه، وانتجبكم لنوره، وأيّدكم بروحه، ورضيكم خلفاء في أرضه، وحججاً على بريّته، وأنصاراً لدينه، وحفظة لسرّه، وخزنة لعلمه، ومستودعاً لحكمته، وتراجمة لوحيه، وأركاناً لتوحيده، وشهداء على خلقه واعلاماً

لعباده، ومناراً في بلاده، وأدلّاء على صراطه. عصمكم الله من الزّلل، وامنكم من الفتن، وطهّركم من الدّنس، وأذهب عنكم الرّجس، وطهّركم تطهيراً، فعظّمتم جلاله، وأكبرتم شأنه ومجدتم كرمه، وأدمتم ذكره، ووكّدتم ميثاقه، وأحكمتم عقد طاعته، ونصحتم له في السرّ والعلانية، ودعوتم إلى سبيله بالحكمة، والموعظة الحسنة، وبذلتم أنفسكم في مرضاته، وصبرتم على ما أصابكم في جنبه، وأقمتم الصلوة وآتيم الزّكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم في الله حقَّ جهاده، حتّى أعلنتم دعوته، وبيّنتم فرائضه، وأقمتم حدوده، ونشرتم شرايع أحكامه، وسننتم سنّته، وصرتم في ذلك منه إلى الرّضا، وسلمتم له القضاء، وصدّقتم مَن رسله من مضى، فالراغب عنكم مارق، واللّازم لكم لاحق، والمقصّر في حقّكم زاهق، والحقّ معكم وفيكم ومنكم وإليكم وأنتم أهله، ومعدنه، وميراث النّبوّة عندكم، واياب الخلق إليكم، وحسابهم عليكم، وفصل الخطاب عندكم، وآيات الله لديكم، وعزائمه فيكم، ونوره وبرهانه عندكم، وأمره إليكم. مَن والاكم فقد والى الله، ومَن عاداكم فقد عاد الله، ومَن أحبّكم فقد أحبّ الله، ومَن أبغضكم فقد أبغض الله، ومَن اعتصم بكم فقد اعتصم بالله. أنتم الصّراط الأقوم، وشهداء دار الفناء، وشفعاء دار البقاء، والرحمة الموصولة، والآية المخزونة، والأمانة المحفوظة، والباب المبتلى به النّاس. مَن أتاكم نجا، ومَن لم يأتكم هلك. إلى الله تدعون، وعليه تدلّون، وبه تؤمنون، وله تسلمون، وبأمره تعملون، والى سبيله ترشدون، وبقوله تحكمون. سعد مَن والاكم، وهلك مَن عاداكم، وخاب مَن جحدكم، وضلّ مَن فارقكم، وفاز مَن تمسّك بكم، وأمن من لجأ إليكم، وسلم من صدّقكم، وهدي مَن اعتصم بكم. مَن اتّبعكم فالجنّة مأواه، ومَن خالفكم فالنّار مثواه، ومَن جحدكم كافر، ومَن حاربكم مشرك، ومَن ردّ عليكم في أسفل درك الجحيم. أشهد أنّ هذا سابق لكم فيما مضى، وجار لكم فيما بقي، وأنّ أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة، طابت، وطهرت، بعضها من بعض، خلقكم الله أنواراً، فجعلكم بعرشه محدقين، حتّى منّ

علينا بكم، فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فجعل صلاتنا عليكم، وما خصّنا به من ولايتكم طيباً لخلقنا، وطهارة لأنفسنا، وتزكية لنا، وكفّارة لذنوبنا وكنّا عنده مسلّمين بفضلكم، ومعروفين بتصديقنا ايّاكم، فبلغ الله بكم أشرف محلّ المكرّمين، وأعلى منازل المقرّبين، وأرفع درجات المرسلين، حيث لا يلحقه لاحق، ولا يفوقه فائق، ولا يسبقه سابق، ولا يطمع في إدراكه طامع، وحتّى لا يبقى ملك مقرّب، ولا نبيّ مرسل، ولا صدّيق، ولا شهيد، ولا عالم، ولا جاهل، ولا دنيّ ولا فاضل، ولا مؤمن صالح، ولا فاجر طالح، ولا جبّار عنيد، ولا شيطان مريد، ولا خلق فيما بين ذلك شهيد، إلّا عرّفهم جلالة أمركم، وعظم خطركم، وكبر شأنكم، وتمام نوركم، وصدق مقاعدكم، وثبات مقامكم، وشرف محلّكم، ومنزلتكم عنده، وكرامتكم عليه، وخاصّتكم لديه، وقرب منزلتكم منه، بأبي أنتم وأمّي وأهلي ومالي وأُسرتي. أُشهد الله وأشهدكم أنّي مؤمن بكم، وبما آمنتم به، كافر بعدوّكم، وبما كفرتم به، مستبصر بشأنكم، وبضلالة مَن خالفكم موال لكم، ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم، ومعادٍ لهم، سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم، محقق لما حقّقتم، مبطل لما أبطلتم، مطيع لكم، عارف بحقّكم، مقرّ بفضلكم، محتمل لعلمكم، محتجب بذمّتكم، معترف بكم، مؤمن بايابكم، مصدّق برجعتكم، منتظر لأمركم مرتقب لدولتكم، آخذ بقولكم، عامل بأمركم، مستجير بكم، زائر لكم، عائذ بقبوركم، مستشفع إلى الله عزّوجلّ بكم، ومتقرّب بكم إليه، ومقدّمكم أمام طلبتي، وحوائجي، وإرادتي في كلّ أحوالي وأموري، مؤمن بسرّكم، وعلانيتكم، وشاهدكم وغائبكم، وأوّلكم، وآخركم، ومفوّض في ذلك كلّه إليكم، ومسلّم فيه معكم، وقلبي لكم مسلّم، ورأيي لكم تبع، ونصرتي لكم معدّة، حتّى يحيي الله تعالى دينه بكم، ويردّكم في أيّامه، ويظهركم لعدله، ويمكّنكم في أرضه. فمعكم معكم لا مع غيركم، آمنتُ بكم، وتولّيت آخركم بما تولّيتُ به أوّلكم، وبرئت إلى الله عزّوجلّ من اعدائكم، ومن الجبت، والطّاغوت، والشياطين

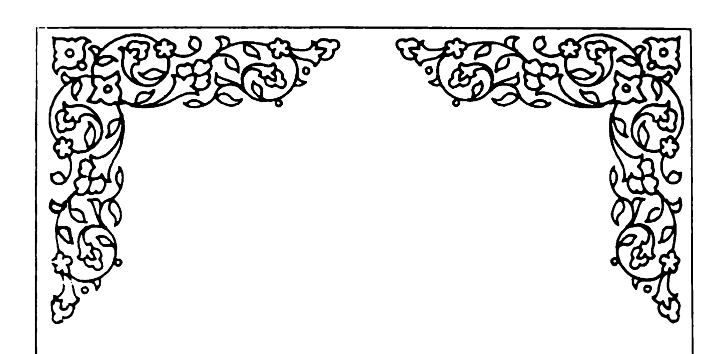
وحزبهم الظّالمين لكم، الجاحدين لحقّكم، والمارقين من ولايتكم، والغاصبين لإرثكم الشّاكّين فيكم، المنحرفين عنكم، ومن كلّ وليجة دونكم، وكلّ مطاع سواكم، ومن الأئمة الّذين يدعون إلى النّار. فثبّتني الله أبداً ما حييت على موالاتكم، ومحبّتكم ودينكم، ووفّقني لطاعتكم، ورزقني شفاعتكم، وجعلني من خيار مواليكم التّابعين لما دعوتم إليه، وجعلني ممّن يقتصّ آثاركم، ويسلك سبيلكم، ويهتدي بهداكم ويُحشر في زمرتكم، ويكرّ في رجعتكم، ويملك في دولتكم ويشرّف في عافيتكم ويمكّن في أيّامكم وتقرّ عينه غداً برؤيتكم. بأبي أنتم وأمّي ونفسي وأهلي ومالي وأسرتي . مَن أراد الله بدأ بكم، ومَن وحّده قبل عنكم، ومَن قصده توجه بكم، مواليّ لا أحصي ثناءكم، ولا أبلغ من المدح كنهكم، ومن الوصف قدركم. وأنتم نور الأخيار، وهداة الأبرار، وحجج الجبّار، بكم فتح الله، وبكم يختم، وبكم ينزّل الغيث، وبكم يمسك السّماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، وبكم ينفّس الهمّ، ويكشف الضرّ. وعندكم ما نزلت به رسلُهُ، وهبطت به ملائكتُهُ، وإلى جدّكم (وإن كانت الزيارة لأمير المؤمنين فقل: وإلى أخيك) بعث الرّوح الأمين. آتاكم الله مالم يؤتِ أحداً من العالمين. طأطأ كلُّ شريف لشرفكم وبخع كلّ متكبّر لطاعتكم. وخضع كلّ جبّار لفضلكم، وذلّ كلّ شيء لكم، وأشرقت الأرض بنوركم، وفاز الفائزون بولايتكم، بكم يُسلك إلى ارضوان وعلى مَن جحد ولايتكم غضب الرّحمن. بأبي أنتم وأمّي ونفسي وأهلي ومالي، ذكركم في الذّاكرين، وأسماؤكم في الأسماء، وأجسادكم في الأجساد، وأرواحكم في الأرواح، وأنفسكم في النّفوس، وآثاركم في الآثار، وقبوركم في القبور. فما أحلى أسماءكم، وأكرم أنفسكم، وأعظم شأنكم، وأجلّ خطركم وأوفى عهدكم، وأصدق وعدكم! كلامكم نور، وأمركم رشد، ووصيّتكم التّقوى، وفعلكم الخير، وعادتكم الإحسان، وسجيّتكم الكرم، وشأنكم الحقّ والصّدق والرّفق، وقولكم حكم وحتم، ورأيكم علم وحلم وحزم. إن ذكر الخير كنتم أوّله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه. بأبي أنتم وأمّي

ونفسي، كيف أصف حسن ثنائكم، وأحصي جميل بلائكم؟!، وبكم أخرجنا الله من الذّل، وفرّج عنا غمرات الكروب، وأنقذنا من شفا جرف الهلكات، ومن النّار. بأبي أنتم وأمّي ونفسي، بموالاتكم علّمنا الله معالم ديننا، وأصلح ما كان فسد من دنيانا، وبموالاتكم تمّت الكلمة، وعظمت النّعمة، وائتلف الفرقة وبموالاتكم تقبل الطّاعة المفترضة، ولكم المودّة الواجبة، والدرجات الرفيعة، والمقام المحمود، والمكان المعلوم عند الله عزَّ وجلَّ، والجاه العظيم، والشّأن الكبير، والشّفاعة المقبولة. ربّنا آمنّا بما أنزلت واتّبعنا الرّسول فاكتبنا مع الشّاهدين. ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب. سبحان ربّنا إن كان وعد ربّنا لمفعولاً. ياوليّ الله إنّ بيني وبين الله عزَّوجلَّ ذنوباً لا يأتي عليها إلّا رضاكم. فبحقّ من ائتمنكم على سرّه، واسترعاكم أمر خلقه، وقرن طاعتكم بطاعته لمّا استوهبتم ذنوبي، وكنتم شفعائي. فإنّي لكم مطيع؛ مَن أطاعكم فقد أطاع الله، ومَن عصاكم فقد عصى الله، ومَن أحبّكم فقد أحبّ الله، ومَن أبغضكم فقد أبغض الله. اللّهم إنّي لو وجدت شفعاء أقرب إليك من محمد وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار؛ لجعلتهم شفعائي. فبحقّهم الّذي أوجبت لهم عليك. أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقّهم وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم، إنّك أرحم الرّاحمين. وصلّى الله على محمّد وآله الطّاهرين وسلّم كثيراً. وحسبنا الله ونعم الوكيل).

زيارة الوداع

إذا أردتَ الانصراف فقل:

السّلام عليكم سلام مودّع لا سئم، ولا قالٍ ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنّه حميد مجيد. سلام وليٍّ غير راغب عنكم، ولا مستبدل بكم ولا مؤثر عليكم ولا منحرف عنكم ولا زاهد في قربكم، لا جعله الله آخر العهد من زيارة قبوركم، وإتيان مشاهدكم، والسّلام عليكم، وحشرني الله في زمرتكم، وأوردني حوضكم، وجعلني في حزبكم، وأرضاكم عنّي، ومكّنني في دولتكم، وأحياني في رجعتكم، وملّكني في أيّامكم، وشكر سعيي لكم وغفر ذنبي بشفاعتكم، وأقال عثرتي بمحبّتكم، وأعلى كعبي بموالاتكم، وشرّفني بطاعتكم، وأعزّني بهداكم، وجعلني ممّن ينقلب مفلحاً منجحاً غانماً سالماً معافىً غنيّاً فائزاً برضوان الله وفضله وكفايته، بأفضل ما ينقلب به أحد من زوّاركم، ومواليكم، ومحبّيكم، وشيعتكم، ورزقني الله العود ثمّ العود ثمّ العود أبداً ما أبقاني ربّي بنيّة صادقة، وإيمان وتقوى وإخبات، ورزق واسع حلال طيب. اللّهم لا تجعله آخر العهد من زيارتهم وذكرهم، والصلاة عليهم، وأوجب لي المغفرة والخير والرّحمة والبركة والفوز، والنّور والإيمان وحسن الإجابة كما أوجبت لأوليائك العارفين بحقّهم، الموجبين طاعتهم، والرّاغبين في زيارتهم، المتقرّبين إليك وإليهم. بأبي أنتم وأمّي ونفسي ومالي وأهلي اجعلوني في همّكم، وصيّروني في حزبكم، وأدخلوني في شفاعتكم، واذكروني عند ربّكم. اللّهم صلّ على محمّد وآل محمّد وأبلغ أرواحهم وأجسادهم منّي السلام والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته).



الولاية



الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمّد وآله الطّاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

أمّا بعد، فهذه رسالة وجيزة في بيان معنى الولاية بحسب الحقيقة، وما لها من الأقسام والأحكام والشّؤون، وبيان كيفيّة السلوك، وتحصيل المعارف الإلهيّة. قدّمناها على شرحنا للزيارة الجامعة الكبيرة؛ لعظيم أهمّيتها ومدخليّتها في الشرح.

نسأل الله تعالى أن ينفع المؤمنين بها، وأن ينفعنا بها في الدّارين بمحمّد وآله الطّاهرين.

الولاية لغةً واصطلاحاً:

الولاية لغة بكسر الواو هي بمعنى الإمارة والتولية والسلطان وبالفتح فهي بمعنى المحبّة، وقد يقال: إنّها مأخوذة من الوَلي[١] بمعنى القرب وسيأتي تحقيقها.

وأمّا بحسب الاصطلاح فهي حقيقة كلّية وصفة إلّهيّة وشأن من الشؤون الذّاتيّة، التي تقتضي الظهور «والله هو الولي الحميد».

توضيحه: نذكر أوّلاً بعض الأحاديث المتعلّقة بها. فنقول: في توحيد الصدوق بإسناده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ الله نورٌ لا ظلمة فيه وعلمٌ لا جهل فيه وحياةٌ لا موت فيه[٢].

وفيه بإسناده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لم يزل الله جلّ وعزّ ربّنا، والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم، وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور، قال: قلت: فلم يزل الله متكلماً؟ قال: إنّ الكلام صفة محدثة ليست بأزليّة، كان الله عزّوجلّ ولا متكلّم[٣].

أقول: قوله عليه السلام: «والقدرة ذاته ولا مقدور» ظاهر في أنّ ذاته المقدسة قادرة، والقدرة الّتي هي من أسمائه تعالى تقتضي مقدوراً لتظهر فيه، فالقدرة الذّاتيّة له تعالى ـ بما لها من المعنى المناسب للذات المقدسة المذكور في محله، وسيأتي معنى

---

١ ـ بسكون اللّام.
٢ ـ التوحيد ص١٨٣.
٣ ـ التوحيد ص١٣٩.

القدرة الذاتيّة في تحقيق معنى الاسم قريباً ـ اقتضت الظهور، فهي أي القدرة حقيقة كلّية، أي غير محدودة بحدّ، وكلّيتها ككلية الولاية الإلهية المطلقة، الّتي سيأتي بيانها، فهي من صفاته تعالى.

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام ـ كما في النهج ـ: «وليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود» فقوله عليه السلام هذا يشير الى كلية صفاته تعالى بمعنى عدم الحدّ لها فالقدرة اقتضاؤها هو التصرّف والإمارة والتّولية والسلطنة، وهذا معنى اقتضائها الظهور المقتضي لخلق المقدور المشار إليه بقوله: فلمّا أحدث الأشياء إلى قوله «والقدرة على المقدور».

فظهر مما ذكر معنى قولهم: «الولاية حقيقة كلية الخ» فالذّات المقدّسة لمّا كانت قادرة عالمة، وكانت في خفاء عن الظهور، فأحبّت الذّات المقدسة أن تعرف، فخلق الخلق أي الأشياء؛ لكي تظهر تلك الصفات فتعرف بها.

بيان قربه تعالى للأشياء:

فصل: في سريان حكم الولاية في الأشياء.

الولاية يظهر حكمها في جميع الأشياء من الواجب والممكن، فهي رفيقة الوجود، تدور معه حيثما دار، وكما أنّ الوجود بحسب الظهور له درجات متشتّتة، ومراتب متفاوتة بالكمال والنقص، والشدّة والضعف، ويحمل عليها بالتشكيك، فكذلك الولاية، فإنّها بعدما كانت بمعنى القرب، فلها درجات متفاوتة، ومراتب مختلفة بالكمال والنقص، والشدّة والضعف، تحمل عليها بالتشكيك.

فصل: في أقسام القرب في الواجب والممكن.

الولاية التي هي بمعنى القرب، تلاحظ تارة بالنسبة إلى الله تعالى بلحاظ قُربهِ تعالى بالخلق، وأخرى بلحاظ قرب الخلق إليه تعالى، والأولى ذاتية له تعالى،

والثانية قد تكون عطائية كالولاية الثابتة للأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأخرى تكون كسبيّة كالثابتة للأولياء المقتفين آثارهم.

أما الأولى الذّاتية، ففي توحيد الصدوق، بإسناده عن عبدالرحمن بن الحجاج، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ فقال: «استوى من كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء» لم يبعد منه بعيد، ولم يقرب منه قريب، استوى من كل شيء[1].

فقربه تعالى بالنسبة إلى كلّ شيء على نسق واحد، وهو تعالى قريب بها بل لا أقرب منه بها، فهو مع كلّ شيء بالمعيّة القيوميّة، لا بمقارنة.

وليعلم أنّ القرب لمّا كان أمراً إضافيّاً نسبيّاً، والنسبة دائماً بين شيئين، فالحقّ المتعال ـ جلّ شأنه ـ قريب من الأشياء، والأشياء قريبة منه تعالى، ولكنّ قربَهُ تعالى إلى الأشياء إضافة إشراقيّة محصّلة للمضاف إليه، نظير إشراق الشمس الموجب لوجود النور في مقابلها، لا إضافة مقوليّة متوقفة على وجود الطرفين، ويسمّى هذا القرب بقرب الخلّاقية له تعالى، والمخلوقيّة للأشياء، وليس بين الخالق والمخلوق شيء.

ونعم ما قيل من أنّه لو ذهبت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته، ما دلّتك الدلالة العقليّة والنقليّة من الآيات وغيرها إلّا على أنّ خالق النملة هو فاطر النخلة، وانّه تعالى استوى مع كل شيء جليلاً كان أم حقيراً، عظيماً كان أم صغيراً، وهذا القرب والولاية الإلهيّة الثابتة له تعالى بالنسبة إلى جميع الأشياء ليس مناط صحة اطلاق الولاية على أحد من الخلق، بدعوى أنّ قُربه إلى عبده يستلزم قرب عبده إليه، وهذا ملاك الولاية، فانّها مندفعة لما عرفت أنّ هذا القرب من آثار إلوهيّته وخلاقيّته، ومن لوازم وجوده البحت غير المحدود، المستلزم لقهّاريّته ومالكيّته كما حقق في محله.

---

١ ـ التوحيد ص٣١٥.

بل تحقق الولاية لأحد يتوقف على تحقق قربه، أي قرب العبد منه تعالى، بماله من المعنى من الايمان، إلى ان ينتهي إلى رفع الحجب بين العبد والرب تعالى وسيأتي بيانه.

أما الولاية الثانية أعني قرب العبد إلى الرّب. فقد علمتَ أنّ الولاية كالوجود، لها درجات، فكما ان الوجود على القول بكونه مشككاً اذا تنزّل فربما يبلغ في النزول إلى مرتبة تنتفي أوصافه، وتختفي آثاره وأحكامه، حتّى يسلب اسمه. ويزول عنه رسمه، بحيث يكون اطلاقه على مثل المتصرمات كالأصوات والحركات، والقوة المحضة الهيولانيّة بضرب من المسامحة والعناية. فكذلك الولاية إذا نزلت وانتهت في النزول يزول حكمها، ويسلب عنها اسمها. فلا يقال للغواسق والظلمانيّات كالاحجار والأمدار والفسقة والفجّار أولياء الله، فإن هؤلاء قد نزلوا إلى مرتبة من البعد المعنوي عنه تعالى، بحيث انقهر نور الوجود وأوصافه، وغلبته ظلمة العدم وأحكامه، فإذا أريد أن يصير بعضها الممكن القابل للقرب إليه تعالى قرباً معنوياً منه تعالى، فلا بدّ له من أن يخرج وجوده الضعيف عن ذلك المسكن المبعد عنه تعالى، بأن يتنوّر بنور الايمان، ليظهر أحكام الوجود عليه، ويغلب أوصافه، ويصير مظهراً لصفات الجمال واللطف، وحينئذ يتصف بالولاية؛ لتحقق ملاكها وهو القرب المعنوي إليه تعالى. نعم، وحينئذ يكون اتصافه بالولاية على تفاوت درجاتها واختلاف مراتبها، التي سنشير إليها قريباً إن شاء الله.

أقسام الولاية:

ظهر أن الولاية الثابتة للعبد التي هي بمعنى القرب تتحقق بالقرب الإيماني والمعنوي بالنسبة إليه تعالى، وهي على أقسام:

فصل: في بيان أقسام الولاية، وبيان ملاك اختلاف مراتبها:

إن الولاية قد تنقسم إلى المطلقة والمقيّدة؛ لأنها من حيث هي هي صفة إلهيّة مطلقة ثابتة للذات الربوبيّة المقدّسة، بمقتضى ذاته المقدّسة، كما علمت مما سبق، ولكنّها من حيث استنادها إلى الأنبياء والأولياء، كل على حسب قربهم منه تعالى، تكون مقيّدة، ومعلوم أن المقيد متقوم بالمطلق، والمطلق ظاهر في المقيّد. فالولاية الثابتة للأنبياء والأولياء جزئيّات الولاية المطلقة الإلهيّة، فالأنبياء والأولياء (أي الأئمة عليهم السلام) لهم القرب إلى الأشياء بالولاية الإلهية، حيث إن ولايتهم مظاهر الولاية الإلهيّة، وجزئيات للولاية الإلهيّة، فلها من الآثار من السلطنة والتولية ما للولاية الإلهيّة منها كما لا يخفى، وإليه يشير ما في بصائر الدرجات، من قوله عليه السلام «ولايتنا ولاية الله تعالى» وهذا نظير ما قيل من أنّ نبوة الأنبياء جزئيات النبوة المطلقة المحمدية صلى الله عليه وآله كما سيأتي بيانه.

فصل: في تقسيم آخر لها، بالنسبة الى ولاية الأنبياء والأولياء: وهي تنقسم الى **العامة والخاصة.**

أما الولاية الأُولى: فهي التي تعمّ المؤمنين بأصنافهم، وتشمل كلّ مَن آمن بالله تعالىٰ وعمل صالحاً بمراتبهم، كما قال الله تعالىٰ: ﴿**الله وليّ الَّذين آمنوا يخرجهم من الظّلمات الىٰ النّور**﴾[1] فإنّ الإيمان له مراتب ودرجات:

منها: اعتقاد جازم ثابت مطابق للواقع من دون برهان كاعتقاد المقلّد المصيب، فإنه ليس مستنداً ومأخوذاً من البرهان، وإنّما استناده الىٰ مخبر صادق، وقد حصل له القطع بصدقه.

ومنها: أن يتصوّر الأمر أمر التوحيد والدين علىٰ ما هو عليه، ولكنّه مستند الى البرهان المفيد للقطع وهذا أقوىٰ وأرفع من الأول، كإيمان أصحاب الفكر وأهل النظر، وكلاهما مرتبة علم اليقين.

---

١ ـ البقرة : ٢٥٦.

ومنها: العلم الشهودي الإشراقي المطابق للواقع المعبّر عنه بالكشف الصحيح، وهذا أقوىٰ من المرتبتين السابقتين، كإيمان أهل السلوك وأصحاب الكشوف، وتكون مرتبته عين اليقين. وكل هؤلاء أولياء الله تعالىٰ، والله تعالىٰ وليّهم، وتتفاوت درجاتهم علىٰ حسب درجات إيمانهم، وهؤلاء وإن كانوا قد خرجوا بإيمانهم عن الشرك الجلي، وحصل لهم القرب المعنوي بالنسبة إليه تعالىٰ، إلّا أنهم لا تخلّص لهم عن الشرك الخفي، كما يتضح عند وضوح الولاية الخاصّة.

وأما الولاية الثانية: أعني الولاية الخاصة، فهي تختص بالسالكين عند فنائهم في الحقّ، بالمعنى الآتي ذكره، وبقائهم به تعالى علماً شهوداً وحالاً، لا علماً فقط، وهؤلاء أصحاب القلوب، وأهل الله الفانين في ذاته، الباقين ببقائه، صاحبي قرب الفرائض. وإليهم اشير في قوله تعالى: **﴿ألا انّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**[1] وفي قوله تعالى في الحديث القدسي: أوليائي تحت قبابي، وهؤلاء هم الذين نضّوا[2] جلباب البشريّة وخلعوها، وتجاوزوا عن قدس الجبروت، ودخلوا في قدس اللّاهوت، وهم الموحّدون حقاً.

وبعبارة أخرى: الولاية الخاصة عبارة عن فناء العبد في الحق ذاتاً وصفة وفعلاً، المعبّر عنه في كلمات بعضهم بالمحق عن الأول، وبالطمس عن الثاني، وبالمحو عن الثالث، وبها يحصل التوحيد الذاتي والصفاتي والافعالي، بل والتوحيد الاثري، وهؤلاء حقيقتهم يشار إليهم من قوله تعالى **﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنيّ الحميد﴾**[3] هذا بلحاظ فنائهم في الأمور الثلاثة.

---

١ ـ يونس: ٦٢.

٢ ـ نضّ القربة من شدة الملي: انشقت.

٣ ـ فاطر: ١٥.

ويشار إلى بقائهم به تعالى من قوله تعالى: ﴿إن الله يمسك السموات والارض أن تزولا﴾[١] وقوله تعالى: ﴿هو الحيّ القيّوم﴾[٢] فالولي الخاص هو الفاني فيه تعالى الباقي به.

فصل: المراد من الفناء في الله تعالى.

ليس المراد بالفناء انعدام عين العبد مطلقاً، وانمياثه في الذات، بل المراد منه فناء الجهة البشرية في الجهة الرّبانيّة، فإنّ العبد ،مبدءٌ لأفعاله وصفاته، قبل الاتصاف بمقام الولاية من حيث البشرية، فما يفعله يسنده إلى نفسه، وإن حصل له مقامات الولاية العامّة السابقة، وهذا هو الشرك الخفي، الذي لا تخلص له قبل اتّصافه بالولاية الخاصّة، وأما بعد اتصاف العبد بالولاية الخاصّة وإن كان مبدءً لأفعاله وصفاته، إلا أنه من حيث الجهة الرّبانيّة لا البشريّة، فهذه الولاية تصحح النسبة، فقبل الولاية كان العبد يسند الفعل إلى نفسه، ويرى نفسه مبدئاً له، وبعدها يسنده إلى الجهة الربوبيّة. ويكون الفاعل هو الله تعالى ويرى العبد حينئذ هذا التوحيد الأفعالي، ويرى نفسه مبدئاً للفعل أي مظهراً له، فالفاعل هو الله تعالى، إلّا انّه يظهر فعله في عبده بلحاظ الجهة الربانيّة، وإليه يشير ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: قلعتُ باب خيبر بقوة ربانيّة أي بالجهة الرّبانيّة، وورد في الحديث المشهور: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي به يسمع، وبصره الذي به يبصر».

فصل: الطريق الموصل إلى الولاية الخاصة في الجملة.

وهي إنما تحصل بالتوجه التّام إلى حضرة الحقّ المطلق المتعالى سبحانه، إذ بهذا التوجه يقوي الجهة الحقيّة، والجنبة الإلهية، التي تلي الرب تبارك وتعالى، فتغلب هذه الجهة الجهة الخلقيّة، وهذا التوجّه يزيد ويشتدّ إلى أن تقهر الجهة الربوبيّة والحقّيّة الجهة الخلقيّة وتفنيها من أصلها، ويحصل عند ذلك الفناء التام.

---

١ ـ فاطر: ٤١.

٢ ـ البقرة: ٢٥٥.

ولعمري إنّ الآيات والأحاديث الدالة على لزوم الإخلاص في العبادة، ولزوم التوجه إليه، وأن لا يغفل العبد عن ربّه، كثيرة جدّاً، كلّها دالّة على لزوم هذا التوجه التّام. وما ذكره علماء السلوك من لزوم المراقبة والمواظبة وأمثالهما، كلّها ترجع إلى هذا التوجه التّام، وقد مثّلوا لكون التوجه إليه موجباً للفناء عن النفس، والبقاء بالرب، بالقطعة من الحديدة المجاورة للنّار، فإنها بسبب المجاورة والاستعداد لقبول الصفات النّاريّة، والقابلية المختفية فيها، فانها تتسخّن قليلاً قليلاً، إلى أن يحصل منها ما يحصل من النّار من الإحراق والإضاءة وغيرها، وقبل ذلك كان ظلمة كدرة.

وهكذا الروح الإنسانيّة والنفس الناطقة القدسيّة، القابلة للخلافة الإلهية والوجود الحقاني بالتصفية والتسوية، كما أشير إلى هذه الروح بقوله تعالى: ﴿**فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**﴾ فالتوجه التام في الإنسان بمنزلة المجاورة الدائميّة للحديدة مع النّار، فيوجب هذا التوجه إمحاء الجهة الخلقية والبشرية، وظهور الجهة الربانية، فكما أن النّار بمجاورة الحديدة لها اثّرت فيها، بحيث أذهبت جميع آثارها من الظلمة والكدورة، وظهرت فيها بآثارها، بحيث صارت الحديدة ناراً بآثارها، مع أن الحديدة حديدة، والنّار هي النّار، من دون حلول ولا اتحاد، بل ظهور آثار النار فيها، فكذلك الإنسان بالتوجه التام إليه تعالى تذهب أوّلاً آثاره الخلقيّة من المحجوبية والظلمة والجهل بحقائق الأُمور، وتظهر فيه آثار الربوبية من أنوار جماله وجلاله، بما لها من الحقائق والمعارف.

ثم لا يخفى أن هذا التمثيل إنما هو من باب ضيق مجال التعبير، وفقد العبارة الوافية ببيان المراد، وليس المثال منطبقاً على المقصود على ما ينبغي، ومؤدياً للمطلوب كما هو حقّه، فهو مقرّب من جهة، ومبعّد من جهة، بل من وجوه. فلا بدّ للّبيب العارف فهم جهة التشبيه، والوصول إلى المطلب بدون الوقوع في الجهات المبعّدة.

وأما وجه أن المثال غير منطبق على المقصود تماماً، وكما ينبغي، هو أنّ الحديدة والنار موجودان عرضيّان، والطولية بينهما إنّما هي في وصف الحرارة، وما يتبعها من الصفات والآثار، كما لا يخفى هذا، وأمّا المخلوق أيّاً كان إنساناً أو ملكاً أو غيرهما، فنفس ذاته ووجوده من أفعاله تعالى وآثاره، وأثر الشيء ليس بشيء في قباله، فأثر الشمس ليس شمساً، وأثر النّار ليس ناراً، واثر السراج ليس سراجاً، وصوت الإنسان ليس إنساناً، فيتخيّل أنّه ـ أي الأثر ـ شيء وليس بشيء.

وإلى ما ذكر من أن الإنسان وغيره من افعاله تعالى وآثاره وهو ليس بشيء، يشير ما ورد في أصول الكافي، عن الإمام الصادق عليه السلام في باب صحة إطلاق الشيء على الله تعالى: «وأنه شيء بحقيقة الشيئيّة» فمعناه أن غيره تعالى ليس شيئاً موجوداً على الحقيقة، بل بنحو الأثر والفيء.

وتوضيحه: أنه قد ثبت في محلّه أن ذاته تعالى صرف الحقيقة الأصليّة النورية الواحدة بالواحدة الحقّة الحقيقية الإطلاقيّة، التي لا مقابل لها أصلاً، ولا حدّ لها أصلاً، وهي الحياة الأزليّة التي لا ثاني لها. أما أنّه لا مقابل له؛ لأنَّ المقابل لا يقبل المقابل، فيستلزم كونه محدوداً، مع أنّه تعالى لا حدّ له، كما قال عليه السلام في جواب من قال: أتوهّمه؟ قال: «نعم غير معقول ولا محدود» وبه يعرف أنه لا ثاني له بمثله، مضافاً إلى انّه كلّما فرض له ثانياً كان نفسه بعينه ولذلك قيل: فما ثمّة شريك له تعالى اصلًا، بل هو لفظ، أي لفظ الشريك ظهر تحته العدم، فأنكرته المعرفة بتوحيد الله الوجودي، أي من عرفه تعالى بالتوحيد الوجودي الواقعي الخارجي الجزئي الذي هو معنون مفهوم الوجود ومحكيّه، والّذي ليس له حدّ ولا مقابل ولا ثاني، كما حقق في محلّه، فهذه المعرفة تنكر أن يكون له ـ أي لهذا الوجود البحت ـ شريك لا في الخارج، ولا في الذهن، فالمفهوم من لفظ الشريك هو العدم، لا أنَّ هناك موجوداً هو الشريك المنفي، بل ليس شيء وانما هو العدم.

وكيف كان، فوجود الممكنات باسرها آثار النور الحقيقي وأفعاله، وذوات

الممكنات صرف الفقر والربط بممسك السموات والأرض، وقيّوم الكلّ، لا أنها أشياء لها الربط، بل هي نفس الربط، «ما للتراب وربّ الأرباب» ضرورة أنه لو كانت الممكنات أشياء، لها الربط بالحقّ، وكان معنى الخلق هو ايجاد الربط بينهما، لاستلزم قدم الأشياء، وتعدد القديم، تعالى القديم عنه علوّاً كبيراً. ويدل أيضاً على هذا الفناء الحاصل بالتوجه إليه تعالى، بحيث يوجب فناء آثار البشرية وظهور آثار الربوبيّة، ما ورد في الحديث القدسي: «عبدي أطعني تكن مثلي تقل للشيء كن فيكون».

ومن المعلوم بالضرورة أنه لا يراد منه أن العبد يصير ربّاً حقيقة وذاتاً، بل المراد ظهور آثار الربوبية فيه، بحيث يكون اختيار العبد اختيار الربّ، فلا محالة إذا قال: كن لشيء، فإنما قاله الربّ بلسان عبده، ولم يكن للعبد حينئذٍ جهة البشرية، بحيث يكون مبدئاً للأفعال، كما تقدم في المثال المتقدم، فان الحديدة المحماة تفعل أثر النار مع أنّها ليست بنار، بل لمّا نفت عنها الظلمة والكدورة، وظهرت فيها آثار النار، صارت تعمل عمل النار، وبالجملة، الفناء المذكور بما له من المعنى يوجب لأن يتعيّن العبد بتعيّنات إلهيّة وصفات ربّانيّة، كما أن الحديدة تعبّنت بتعيّنات النار، فالعبد بعد فنائه عن نفسه، وعن الجهات البشريّة يتعيّن فيه التعيّنات الإلهيّة، وتظهر فيه الصفات الربوبيّة، وهي البقاء بالله تعالى وتظهر صفاته وأفعاله فيه.

في بيان ما تحصل به الولاية:

ثم إن هذا التوجه التام يحتاج إلى أمر آخر، وهو المحبّة.

فاعلم انه تعالى جعل محبّته كامنة في قلوب عباده، وذلك أنّه تعالى جعل النفس الناطقة محبّة، وطالبة للجميل والجمال والكامل والكمال، وهذا أمر فطري يجده الإنسان في نفسه. وأما كونها كامنة في الإنسان بالنسبة إليه تعالى فلأجل أن

ذاته المقدّسة لما كانت أجمل من كلّ جميل، وأكمل من كلّ كامل بل جمال كلّ جميل، وكمال كلّ كامل رشحة من بحر جماله وكماله كما حقق في محله. قال بعض العارفين: إنّ كلّ جمال رشح من بحر جماله، وكلّ كمال ظلّ كماله، فهو الحقيقة وما عداه مجازاته، وهو السرّ وما سواه إشراقاته، وهو الأصل وما وراءه فروعه. وما اليق بالمقام! وما أحسن ما قيل ـ قول الشاعر:

أرأيت حسن الروض في اصاله	أرأيت بدر التّم عند كماله
أرأيت كأساً شيب صفو شمولها	أرأيت روضاً خيل خيل شماله
أرأيت طيب العيش في عهد الصبى	أرأيت عيش الصبّ ليل وصاله
أرأيت رائحة الخزامى سحرة	فغمت[1] خياشيم العليل الواله
هذا وذاك وكلّ شيء رائق	أخذ التجمّل من فروع جماله
ملكَ القلوبَ بأسرها في أسره	شغفاً وسدّ عقولَنا بعقاله

والمحبة مهما كانت، وفي أي عبد كانت، إنما تصير فعلية إذا تعلقت بالجميل والجمال، وهذا بعد دركه، وبعد المعرفة به. وإلّا تكون كامنة بالنسبة إلى هذا الجميل المخفيّ.

فالعبد إذا لم تحصل له المعرفة به تعالى، تكون محبته بالنسبة إليه تعالى كامنة، فلا بد لمن أراد الوصول إلى الفناء المذكور عن النفس من تحصيل المحبّة به تعالى، وطريق تحصيلها مذكور عند علماء السلوك، ومَن أراد الاطلاع إليها فليراجع مثل كتاب الشوق والمحبّة من المحجّة البيضاء في إحياء الاحياء للمحدث الكاشاني رضوان الله عليه، وإجماله أنه لا تظهر هذه المحبة بالنسبة إليه تعالى إلّا بالإجتناب عن المحارم، وعمّا يضادّها ويناقضها، قال الله تعالى: ﴿فإن الله يحبّ المتّقين﴾[2]

---

١ ـ فغم الطيب فلانا: ملأ خياشيمه.

٢ ـ آل عمران: ٧٦.

﴿انّ اكرمكم عند الله اتقاكم﴾[1] ﴿قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله﴾[2] هذا وقد ثبت في محله أن محبته تعالى لعبده توجب كشف الحجب عن قلب العبد، فإذا انكشفت الحجب ورأى جمال ربّه تعالى، فلا محالة يحبّه، ويكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿والّذين آمنوا أشدّ حبّاً لله﴾[3] فتحصل أن التّقوى سبب لحبّ الله تعالى لعبده، ومحبته تعالى له سبب لكشف الحجب، وكشفها سبب لحبّ العبد لله تعالى، وإذا اشتدّ الحبّ إلى النهاية ـ ولا نهاية له، إذ لا نهاية لظهور جماله ـ فقد تحقّق الوصل والفناء المذكور، رزقنا الله تعالى ذلك. فالمحبّة أي محبّة العبد له تعالى، كأنّها بمنزلة المركب للوصول إليه تعالى، والتقوى الموجب لها بنحو ما عرفت هو الزّاد كما لا يخفى.

النبوة والرسالة والولاية:

فصل: في معنى النّبوة والولاية والفرق بينهما.

قال بعض الأعلام: إن الولاية الخاصّة بالمعنى المتقدم، وبالمعنى الّذي نوضحه قريباً دائرتها أتمّ وأكبر من دائرة النبوّة التشريعيّة، ولذلك انختمت النّبوة، والولاية دائمة، وأيضاً جعل الولي اسماً من أسماء الله تعالى، دون النّبي، وسيجيء وجه ذلك.

وأما بيان أن الولاية باقية دون النبوة والرّسالة التشريعيتين هو: أن الرسالة والنّبوة التشريعيتين لمّا كانتا من الصفات الكونيّة الزّمانيّة فلا محالة تنقطعان بانقطاع زمان النبوة والرّسالة، وسيجيء في الفرق بين النّبوة التشريعية والتعريفيّة ان النبوة التشريعيّة التي هي النبوّة المنضمّ إليها التبليغ والتعليم ويسمّى بالرسالة

---

١ ـ الحجرات: ١٣.

٢ ـ آل عمران: ٣١.

٣ ـ البقرة: ١٦٥.

حينئذ تكون موقّتة بزمان التبليغ، فاذا انقضى زمانه انقطعت الرسالة لا محالة. وأما الولاية فلمّا عرفت أنها صفة إلهيّة، وشأن من الشؤون الذاتيّة، التي تقتضي الظهور، فهي لا محالة دائمة لا تنقطع أبداً؛ لأن هذه الولاية أثر من الصفات الذاتيّة، من القدرة والعلم ونحوهما، فلا محالة تكون دائمة، وبهذا اللحاظ يكون الولي اسماً من أسمائه تعالى دون النبوة والرسالة، ثم إنه لا يمكن الوصول لأحد من الأنبياء وغيرهم إلى الحضرة الالهيّة إلّا بالولاية التي هي باطن النبوة، وسجيء معنى كونها باطن النبوة.

فصل: النبوة والرسالة قسمان: تعريفيّتان وتشريعيّتان.

اعلم أن النبوّة على قسمين: تعريفي وتشريعي.

أمّا الأوّل: فحاصله أنّ النبوّة التعريفية هي الانباء عن المعارف الإلهيّة بملاك الفناء في الحق، وسيجيء بيانه. فهي بهذا المعنى ثابتة للأولياء، وباقية ببقاء الولاية، أي لم تنقطع ما دامت الدنيا باقية، وعند انقطاعها ينتقل الأمر إلى الآخرة، ولمّا كانت الولاية أكبر حيطة من النبوة التشريعية وباطناً لها، فلا محالة شملت الأنبياء والأولياء جميعاً فالأنبياء أولياء حال كونهم فانين في الحق، باقين به، منبئين عن الغيب وأسراره.

لما علمت أن الولي هو الذي فنى في الحق تعالى، وعند هذا الفناء يطّلع على الحقائق والمعارف الإلهيّة فينبئ عنها عند بقائه ثانياً، أي بعد الفناء. وكذلك النبيّ؛ لأنه من حيث ولايته، يطّلع على الحقائق والمعارف، فتكون بهذا اللحاظ نبوّته تعريفيّة، فينبئ عنها، أي عن المعارف والحقائق. فإذا أمر بالتبليغ فالنبوة تشريعية، وهذا المقام ـ أي مقام الولاية ـ كمقام النبوة اختصاص إلهيّ غير كسبي. وبعبارة أخرى: النبوّة التعريفية الملازمة للولاية الإلهيّة من مواهبه تعالى.

فصل: صاحب الولاية قسمان:

إعلم أنّ صاحب الولاية على قسمين في غير الأنبياء والأئمة عليهم السلام:

القسم الأوّل: مَن حصلت له الولاية بنهاية السفر الأوّل، الذي هو السفر من الخلق إلى الحقّ، وذلك السفر يحصل بإزالة التعشّق عن المظاهر والاغيار، والخلاص من القيود والأستار، والعبور من المنازل والمقامات، والحصول على المراتب والدرجات حصولاً يقينيّاً، بنحو علم اليقين، ويستلزم هذا السفر الاتصاف بصفات أولياء الله تعالى، ولكن ليس هذا المقام مقام الوصل، ومقام الوليّ المطلق، فلا يتوهم العارف غير الواصل والمشاهد بقوة استعداده للغيوب، والمتّصف بالصفات الحميدة والاخلاق المرضيّة، غير السالك طريق الحق بالفناء عن الافعال والصفات والذات، المتحقق بمقام قرب النوافل والفرائض، إنّه وليّ واصل؛ لأن هذا الوصل المشار إليه سابقاً وصل علمي، أو شهود قلبي بإلغاء القيودات، فهو غير واصل في الحقيقة؛ لكونه بعد في حجاب العلم والشهود، وقد قيل: العلم هو الحجاب الأكبر.

نعم، إذا كان الكشف الشهودي موجباً لفناء الشاهد في المشهود، ومحو العابد في المعبود، فهو ولي واصل، إلّا أن هذا يلحق بالقسم الثاني:

القسم الثاني: هو السالك طريق الحق بالفناء عن الافعال والصفات والذات، المتحقق بمقام قرب النوافل والفرائض، والذي انمحى رسمه، وزال عنه اسمه، فتجلى الحق له.

وبعبارة أخرى أن أولياء الله هم الذين تطهّروا من الصفات النّفسية، وتنزّهوا عن الخيالات الوهميّة، وتخلّصوا عن القيود الجزئيّة، وأدّوا أمانة وجودات الافعال والصفات والذات الى من هو مالكها بالذات، وهو المبدء المتعال، فعند فنائهم عن أنفسهم، وبقائهم بالحق يتّصفون بالولاية، ويحصل لهم ما هو غاية آمال العارفين.

فصل: في ذكر حديث شريف فيه بيان أحوال أولياء الله تعالى.

في المحكي عن المجلد السابع عشر من بحار الأنوار، عن أنس بن مالك[1] قال:

---

١ ـ البحار ج ٧٧ ص ١٨١ ـ المطبوع جديداً.

قالوا: يا رسول الله ﷺ مَن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟

فقال صلى الله عليه وآله: الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، فاهتمّوا بآجلها حين اهتمّ الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم، فما عرض لهم منها عارض إلّا رفضوه، ولا خادعهم من رفعتها خادع إلّا وضعوه، خلقت الدنيا عندهم فما يجدّدونها، وخربت بينهم فما يعمّرونها، ومللت في صدروهم فما يحبّونها، بل يهدمونها فيبنون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، نظروا إلى اهلها صرعى، قد حلّت بهم المثلات، فما يرون أماناً دون ما يرجون، ولا خوفاً دون ما يحذرون.

ولاية النبي والإمام:

فصل: في بيان أن النبوة والولاية لهما اعتباران الإطلاق والتقييد، والعام والخاص، وبيان معنى ولاية النبي ﷺ والإمام عليه السلام.

يتبيّن في هذا الفصل ـ وهو أهمّ الفصول ـ معنى ولاية الله تعالى الحاصلة للنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، التي بها يمتازون عمّا سواهم ولا يكون أحد في مستواهم.

فنقول: إن النبوة والولاية مطلقة أي عامّة، ومقيّدة أي خاصّة. بيانه: أن أصل النبوة والولاية من حيث هي صفة إلهيّة كما علمت سابقاً تكون مطلقة. ومن حيث استنادها إلى الأنبياء والأولياء تكون مقيّدة، والمقيّد متقوّم بالمطلق، أي أنها لما كانت صفة إلهيّة، فهي الأصل، وتكون مطلقة. والمطلق ـ أي هذا الأصل ـ ظاهر في المقيّد، فنبوة الأنبياء كلّهم من حيث إنّهم مظاهر لها هي جزئيات النبوة المطلقة، وولاية الأولياء جزئيات الولاية المطلقة، بمعنى أن النبوة والولاية لمّا كانتا صفة إلهيّة، وهي من حيث هي صفة له تعالى، ليس لها حدّ محدود، ولا نعت موجود، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في صفاته تعالى، فهي لا محالة مطلقة، ولكنّها باعتبار

ظهورها في النبي والولي، فلا محالة تكون مقيدة، قائمة بالولي، فإن الظّهور في الخلق مقيّد لا محالة، وأثر للمطلق، ومتقوم به كما علمت.

وتوضيح المرام في هذا الكلام: أن النبوة المطلقة هي النبوة الحقيقية، الحاصلة في الأزل، الباقية في الأبد، حيث إنّها صفة إلهيّة، قائمة بالحقيقة المحمدية ﷺ ولسانها بهذا اللّحاظ قوله ﷺ: «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطّين» هذا باعتبار الأصل، وأما باعتبار ظهوره في الخلق، لسانه قوله ﷺ «حلال محمّد صلى الله عليه وآله حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمّد صلى الله عليه وآله حرام إلى يوم القيامة» حيث إنّه في هذه النبوة لم يعتبر إلّا الاطلاق وما هو شأن تلك الصفة الإلهيّة.

ومعلوم أنه لم يحد بحدّ، فلا محالة تكون مطلقة، وحاصلها: أنه لما كانت هذه النبوة صفة إلهيّة، ظهرت في النبي الأعظم ﷺ فلا محالة تكون حقيقتها هي اطلاع النبي المخصوص بها ـ وهو النبي الأعظم ﷺ ـ على استعداد جميع الموجودات بحسب ذواتها وماهيّاتها، ويلزمه إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، الذي يطلبه بلسان استعداده من حيث الإنباء الذاتي والتعليم الحقيقي الأزلي، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وآتيناكم من كلّ ما سألتموه﴾[1] (والله العالم). وصاحب هذا المقام هو الموسوم بالخليفة الأعظم، وقطب الأقطاب، والإنسان الكبير، وآدم الحقيقي، المعبّر عنه بالقلم الأعلى، والعقل الأوّل، والروح الأعظم. وفي الأحاديث الآتية دلالة على ثبوت هذه العناوين لصاحب هذا المقام، وتقدم أن باطن هذه النبوة الولاية المطلقة، وهي عبارة عن حصول مجموع هذه الكمالات بحسب الباطن في الأزل، وبقائها إلى الأبد، وترجع حقيقتها إلى فناء العبد في الحق، وبقائه به. وبهذا الفناء يصير مظهراً للصفة الإلهيّة بإطلاقها، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «أنا وعليّ من نور واحد، أو من

---

١ ـ إبراهيم : ٣٤.

شجرة واحدة» وهذه النبوة والولاية توءمان ثابتتان له ﷺ بلحاظ الواقع ونفس الأمر، غير قابلتين للزوال ما دام لله تعالى عناية في الخلق، وله تعالى ظهور فيه، هذا بالنسبة إلى النبوة والولاية المطلقة.

أما الكلام في النبوة والولاية المقيدة:

النبوة والولاية المطلقة قد علمت أنها صفة إلهيّة ظهرت في النبيّ ﷺ وهي مطلقة، أي لم يلحظ فيه النبيّ، بل هو فان عن نفسه، وباق بربّه، فليس له ﷺ شأن غير الشأن الإلهي، ولكن قد تلاحظ هذه النبوة باعتبار قيامها بالنبي الأعظم ﷺ ومن حيث إنه ﷺ صاحبها، وقائم بها، فله ﷺ حينئذ بلحاظ هذا المقام الإلهي الاخبار عن الحقائق الإلهيّة، أي بيان معرفة ذات الحقّ وصفاته وأحكامه، فبهذا اللحاظ قد علمت أنها نبوة تعريفيّة، فإن ضمّ معه تبليغ الأحكام والتأديب بالأخلاق، وتعليم الحكمة، والقيام بالسياسة، فهي النبوة التشريعيّة وتختص بالرسالة، وتسمى هذه أيضاً بالنبوة المقيّدة بقسميها من التعريفي والتشريعي، بلحاظ إضافتها اليه ﷺ الموجبة لخروج هذه الصّفة الإلهيّة عن الإطلاق، واعمالها في الخلق الموجب للتقيد، كما لا يخفى.

وقس عليها بلحاظ الأخبار عن الحقائق الإلهيّة الولاية المقيّدة، فإن الولاية لما كانت باطن النبوة، فلا محالة تدور معها، إلا أنها تمتاز عن النبوة بظهورها في الولي الأعظم، منحازة عن النبوة التشريعية فالولاية هي الأصل، وهي الباطن، قد تجامع مع النبوة، أي النبوة التشريعية المختصة به ﷺ كما في النبيّ الأعظم ﷺ، دون النبوّة التعريفيّة، فإنها قد علمت باقية ببقاء الولاية، وقد علمت أن الولاية باقية غير منقطعة.

ولذا قال بعض الأعاظم: إن الولاية لما كانت صفة إلهيّة ـ كما تقدم ـ فهي غير منقطعة أزلاً وأبداً، ولا يمكن الوصول لأحد من الأنبياء وغيرهم إلى الحضرة الإلهية إلا بالولاية، التي هي باطن النبوّة، وهي تجامع مطلقاً مع النبوّة التعريفيّة كما

لا يخفىٰ.

فصل: في بيان مصاديق الولاية المطلقة والمقيدة زيادة علىٰ ما مرّ.

فلمّا عرفت أن الولاية المطلقة التي هي باطن النبوة، فهي من حيث جامعيّتها الاسم الأعظم، إذ كونها صفة إلهيّة وشأناً إلهيّاً، فلا محالة تكون جامعة لجميع أسمائه وصفاته، فلا محالة هي الاسم الأعظم.

وكيف كان، فهي بهذه المرتبة لخاتم الأنبياء ﷺ وحيث إن الولي المطلق الالٓهي له مقام البيان والتعريف، والشرح والتبيين بالنسبة إلى الذات والصفات والأفعال الإلهيّة، فلا محالة يكون مقامه ـ أي الولي ـ مقام الظهور والاظهار لتلك المعارف، كما سيأتي بيانه من الأحاديث. ولا ريب في أن الظهور والاظهار لها منه عليه السلام إنما هو بالولاية، فلا محالة تكون الولاية من حيث ظهورها في الشهادة، وفي مقام الظهور بتمامها لخاتم الأولياء عليهم السلام فصاحب هذه الولاية من حيث الجامعية للاسم الأعظم، كما كانت للنبي الأعظم، ومن حيث الظهور والإظهار التام، كما كانت للولي، يكون واسطة بين الحق تعالىٰ وبين جميع الأنبياء والأولياء، والىٰ هذه المرتبة ومالها من الآثار، تشير الأحاديث الآتية في الشرح، من أنه ﷺ كان نبيّاً وآدم بين الماء والطين، وكذا من قوله عليه السلام كنت وليّاً وآدم بين الماء والطّين. وما ورد أيضاً من أنه ﷺ بعث وهو روح إلى الانبياء، وهم أرواح، فدعاهم الى التوحيد وسيأتي الحديث بلفظه.

وما دلّ من أن أمير المؤمنين عليه السلام معلّم الملائكة، وكذا الأئمة عليهم السلام حيث إنهم سبّحوا وهللّوا وقدّسوا فهللّت الملائكة، وهكذا في البواقي، فإنها ناظرة الىٰ ثبوت هذه المرتبة لهم عليهم السلام.

ثم إنه من أمعن النظر في جواز كون الملك ـ كجبرئيل مثلاً ـ واسطة بين الحق والأنبياء، لا يصعب عليه قبول كون خاتم الولاية الذي هو مظهر الاسم الجامع، وأعلىٰ من الملائكة بمراتب ـ كما سيأتي أحاديثه وبيانه ـ واسطة بينهم وبين الحق

تعالىٰ، ثم أن ختم الولاية أولاً يكون للنبي الأعظم، حيث انها باطن نبوّته ﷺ ثم للوصي المعظم، حيث إنه عليه السلام نفسه ﷺ وروحه، كما تقدمت الإشارة اليه، والله العالم بحقائق الأُمور.

فصل: في بيان المراد من خاتم الأولياء حيثما تحققت.

المراد بخاتم الأولياء ليس من لا يكون بعده وليّ في الزمان، بل المراد بـه مـن يكون أعلىٰ مراتب الولاية، وأقصىٰ درجات القرب مقاماً له، بحيث لا يكون من هو أقرب منه الى الله تعالىٰ، ولا يكون فوق مرتبته في الولاية والقرب مرتبة، وهذه هي الولاية الخاصّة، التي تختص بأهل الله تعالىٰ، الفانين في ذات الله الباقين ببقائه، صاحبي قرب الفرائض، وستأتي الأحاديث المتكثّرة المتواترة، بل وفوق التواتـر، الدّالة علىٰ أن هذه المرتبة مختصّة بمحمّد وآله الطـاهرين عليهم السلام فـانتظرها في شرح قوله عليه السلام: المقرّبون، وشرح قوله: لو وجدت شفعاء أقرب إليك الخ.

تقسيم آخر للولاية:

وهو أن الولاية الخاصة بالمعنى المذكور، وخاتم الولاية بـالمعنى المـذكور قـد يكون صاحبها واجداً لها، بحيث تكون الولاية مقاماً له، أي ثابتاً غير زائـل أزلاً وأبداً، كما تقدم. وقد تكون حالاً، أي توجد من ذلك القرب الحـقيقي له في آنـات دون آنات.

وقد يراد من كونها مقاماً أن الولاية الخاصة التي تكون مقاماً لصاحبها، هي التي تكون لمن كان وجوده فانياً فيه تعالىٰ، بحيث ليس له أنيّه أبداً فلا ظهور فيه إلا ظهوره تعالىٰ، فلا محالة تكون آثاره عليه السلام آثاره تعالىٰ كما تقدم.

فالولاية أي القرب الحقيقي مقام له، أي غير زائل، لعـدم وجـود له في قـباله تعالىٰ، ولا وجود له، إلا أنه مظهر له تعالىٰ، كما أُشير اليه في قوله عليه السلام: «لا فرق بينك

وبينها إلا أنهم عبادك فتقها ورتقها بيدك» الدعاء وسيأتي في الشرح شرحه. هذا في بيان المراد من كونها مقاماً لصاحبها.

وأما كونها حالاً، فمعناه أن الولي إذا لم يفنِ وجوده في وجوده تعالىٰ، بل كان وجوده وجوداً فرقيّاً، وفي عالم الفرق، لا في عالم الجمع، فلا محالة لا يكون القرب الحقيقي ذات الولي، ولا حقيقته هذا القرب، بل له وجود فرقي، يعرض له القرب، ويسمى القرب العارضي بالحال فولايته حاليّة، لا مقاميّة فهو مقرب إليه تعالىٰ بالقرب العارضي الحالي، لا الحقيقي المقامي فالأولىٰ أي الولاية المقاميّة تختصّ بمحمد ﷺ وبالمحمديّن من أوصيائه وورثته بالتابعيّة له ﷺ.

وأمّا الأنبياء السابقون وأوصياؤهم ان حصلت لهم الولاية بمعنى القرب، فانّما حصلت لهم علىٰ أن يكون حالاً لهم، لا أن يكون مقاماً. قيل: يدل علىٰ هذا رؤية النبي الأعظم ﷺ كبراءهم من أولي العزم منهم كلّاً منهم في فلك مخصوص، أما بمرتبة النفسانيّة أو العقلانيّة، هذا مع أن النفس والعقل وعقولها القدسية الكائنة بها، إنما هم أولياء الله تعالىٰ بالولاية العامة التي علمت معناها، أنها تعم المؤمنين بأصنافهم، وتقدمت أقسامها، لا الخاصة لما علمت من أن وجودات الولي المتّصف بالولاية الخاصة إنما هي وجودات حقّاني جمعي إلهي. وهذا بخلاف وجود أولئك الأنبياء، فإن وجوداتهم وجودات فرقيّة؛ لِمّا علمتَ من أن كلاً منهم كان في فلك مخصوص، وأين هذا ممّن هو فانٍ عن الوجود وباقٍ بوجود المعبود؟ فظهر فيه ما كان له تعالىٰ من الإطلاق في الوجود، والآثار كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فكلامنا في بيان خاتم الولاية، التي تكون له الولاية مقاماً بالمعنىٰ المتقدم، لا حالاً بالمعنيين المتقدمين. والحاصل أن الولايةَ الخاصة هي الولاية المحمّدية والمحمّديّين صلوات الله عليهم أجمعين.

تقسيم آخر للولاية المحمّدية:

لا ريب في أنه تعالىٰ متجلّ بأسمائه، فأيّ عبد تجلىٰ الله في حقيقته وقلبه باسمه، صار قريباً منه تعالىٰ، فإذا كان التجلّي بجميع الأسماء، فلا محالة يكون العبد أقرب، وإذا كان ببعض الأسماء، فالقرب علىٰ حسبه، فالفناء الحاصل للعبد إنما هو بتجلّي الأسماء فيه كمّاً وكيفاً، فحينئذ قد تكون الولاية الخاصة، التي عرفت معناها مقيّدة باسم من الأسماء وحدّ من حدودها، وقد تكون مطلقة عن الحدود، ومعراة عن القيود، بأن تكون جامعة لظهورات جميع الأسماء والصفات، واجدة لأنحاء تجلّيات الذات، فعليه فالولاية المحمدية ﷺ قسمان مطلقة وكلّية من حيث كلّية روحه، المسمىٰ بالعقل الأول، ومن حيث جامعيّته لجميع الظهورات كما علمت، والثاني مقيّدة وجزئيّة من روحه الجزئيّة المدبّرة لجسده ﷺ.

وبعبارة أُخرىٰ: الولاية المطلقة لم يلاحظ فيها اعمالها في الخلق بل تلاحظ علىٰ اطلاقها. وأما المقيّدة فهي بلحاظ اعمالها في مظاهرها الخلقيّة فاعلاً، وهو روحه الجزئيّة المقدّسة ﷺ وانفعالاً وهو جسده ﷺ أو سائر متعلقات ذلك الاسم. ثم أن لكل من المطلقة والمقيّدة درجات، أما المقيّدة فدرجاتها بالعدّة، أي بالكيفيّة المختصّة بهذا الاسم، والكيفيّة هي الحقيقة المعدّة باختلاف مراتبها، للتصرف في الخلق، وأما المطلقة فدرجاتها بالشدّة حيث إنها لم يلاحظ فيها إلا نفسها، فهي من حيث كونها مطلقة وغير محدودة بحدّ، فلا محالة تكون ذا شدّة، ولشدّتها مراتب غير متناهية، كما لا يخفىٰ.

واعلم أن ختم الولاية المحمدية ﷺ المطلقة مختصّة به ﷺ وبأوصيائه الكرام.

وأما ختم الولاية المحمدية المقيّدة فقيل: إنه يمكن حصولها لعالم من علماء أمّته ﷺ بأن يكون هذا العالم خاتماً لولايته المقيّدة، كسلمان رضي الله عنه وأشباهه.

تقسيم آخر للولاية:

قد تطلق الولاية المطلقة على الولاية العامّة، التي تعمّ المؤمنين، وقد تقدم بيانها، وقد تطلق الولاية المحمدية على الولاية الخاصّة.

وبعبارة أُخرىٰ: أن الولاية المقيّدة التي هي تجلّ خاص بالاسم الخاص، قد تسمىٰ بالولاية الخاصّة، في قبال الولاية المطلقة العامة، التي تكون للمؤمنين علىٰ اختلافهم. فلا تغفل في موارد إطلاقات الولاية.

فصل:

قد تقدم أن الولاية صفة الهيّة، وشأن من الشؤون الذاتيّة، التي تقتضي الظهور، وقد أشار إليه بقوله تعالىٰ: **﴿وهو الوليّ الحميد﴾** فقوله تعالىٰ: الولي، إشارة إلىٰ ولايته تعالىٰ، وصفته الإلهيّة، وقد علمت معنىٰ اقتضائها للظهور، وعلمت أيضاً أن هذه الولاية التي مرجعها إلى القرب، إمّا يلاحظ بلحاظ قربه تعالىٰ إلى الأشياء، وإما بلحاظ قرب العبد إليه تعالى، والثاني هو القرب الحاصل للعباد، الموجب لكونهم أولياءَه تعالىٰ علىٰ حسب درجاتهم وقد تقدمت أقسامها. وأما الأول، وهو قربه تعالىٰ إلى الأشياء، فهو صفة عامة بالقياس إلى ما سوى الله، لاستواء نسبته تعالىٰ إلى الأشياء، كما تقدم عن موسىٰ بن جعفر عليه السلام استوىٰ علىٰ كلّ شيء فليس شيء أقرب اليه من شيء.

إذا علمت هذا فنقول: إن هذه الصّفة الإلهيّة والشأن الذاتي لها اعتباران: اعتبار بالنسبة الى الذات المقدّسة، فهي بهذا الاعتبار قائمة بذاته تعالىٰ، حيث إنها من شؤون الذات، واسم له جامع للأسماء. واعتبار بالنسبة إلى الأشياء، فهي بهذا الاعتبار لها صورة تكون مظهراً لتلك الصفة الذاتية، والشأن الإلهي والاسم الجامع، وهي أن هذه الصورة عامة شاملة لجميع ما سوى الله تعالىٰ، ومعنىٰ شمولها له أنها ـ أي هذه الصورة ـ هي صورة جميع ما سوى الله تعالىٰ، وليست هذه الصورة

بهذا المعنىٰ سوى العين الثابتة المحمدية وبعبارة أُخرىٰ أن تلك الصورة الشاملة لجميع ما سوى الله، هي مظهر للاسم الإلهي الجامع لجميع الأسماء، وهي بعينها الحقيقة المحمدية ﷺ فالحقيقة المحمدية صورة ذلك الاسم الجامع الالٰهي، فهنا اسمان: الوليّ المشار إليه في قوله تعالىٰ: ﴿وهو الوليّ الحميد﴾ وهو الاسم الجامع لجميع الأسماء، والثاني ـ أي المظهر ـ الله ـ أي سائر الأسماء الإلهية، التي هي شؤون لهذا الاسم الجامع أي الولي.

فاسم الولي باطن اسم الله لجامعيّته، و ـ الله ـ مقام ظهور إلوهيّته تعالىٰ بالأسماء المتمايزة المختلفة مفهوماً المتّحدة مصداقاً. فالولاية الكائنة في اسم الولي باطن الالهيّة وهي سرّ المستسر، والسرّ المقنّع بالسرّ، والالٓهية التي أُشير اليها بـ ـ الله ـ باطن الحقيقةالمحمدية ﷺ فالولاية باطن الحقيقة المحمدية ﷺ والحقيقة المحمدية ﷺ بصورتها ظاهر الولي، وظاهر الالوهيّة وصورتها، ومعلوم أن الظاهر عين الباطن، والباطن عين الظاهر، والاثنينيّة بالتمايز العقلي، وأما في الوجود فهما متحدان.

فالصورة المحمديّة ﷺ وحقيقتها حيث إنها واحدة، وهي ظهور تلك الأسماء أي ظهور ـ الله ـ والالهيّة وظهور الولي الجامع لها، والصورة الواحدة لا تكون صورة للمتمايزين في العرض، فالاسمان في طول الترتيب، واسم الولي باطن اسم الله تعالىٰ؛ لأن الولاية أخفىٰ من الالهيّة، لأن الالهيّة هي ظهور الأسماء بآثارها في الخلق بحقيقة هي الولاية التي هي خفيّة في الالهيّة وباطن لها، وعلمت أنها سرّ المستتر، والحقيقة المحمدية ﷺ ظاهرهما وتلك الحقيقة المحمدية صورة للاسمين، أي الولي ـ والالهيّة أو ـ الله ـ.

فظهر مما ذكر: أن الحقيقة المحمدية ﷺ مظهر للولاية المطلقة الالهيّة، التي ظهرت بأوصاف كماله، ونعوت جماله، وهي النبوة المطلقة الجامعة للتعريف والتشريع.

وبعبارة أُخرىٰ: أن الحقيقة المحمدية هي الولاية المطلقة الالٓهيّة، التي ظهرت

بأوصاف كماله، ونعوت جماله، وعلمت أنّها النبوّة الجامعة للتعريف والتشريع، ومن المعلوم أن ظهور الشيء كشفه بوجه، وحجابه بوجه، فمعنىٰ ظهورها بأوصاف كماله، ان الولاية الالٓهيّة تستّرت بالنبوة، واختفىٰ فيها كما تقدم، وظهرت بأوصافه فيها.

ولعمري لو لم تختف الولاية الالٓهيّة فيها، أي في النبوة، ولم يعم في ذلك العماء، ولم يكتس ذلك الكساء، وظهرت بذاته الساذجة الصرفة؛ لاحترقت الحقيقة المحمدية ﷺ، وباحتراقها احترقت السموات والأرض وما بينهما، فإنها أي الحقيقة المحمدية ﷺ محتدى السموات والأرضين ومرجعهما، وما به وجودهما، فإذا لم يكن في الوجود إلا الله الواحد القهّار، والىٰ هذه النكتة يشير قوله تعالىٰ: لولاك لما خلقت الأفلاك، أي لاضمحلّت واحترقت.

وكيف كان، فهناك الذات الربوبيّة والصفة الجامعة لجميع الأسماء، وهي الولاية الالٓهية، وهي باطن الالوهيّة وهذه الأمور بما لها من المراتب في الوجود ظاهرة في الحقيقة المحمدية ﷺ.

في مظاهر الولاية المحمدية ﷺ:

اعلم أن الولاية المحمدية اجتمعت في النبي الأعظم ﷺ مع النبوّة والرسالة إذ علمت أنها باطنها، فهو ﷺ بلحاظ الجامعيّة يكون أفضل ممن تكون فيه الولاية فقط، هذا في الرسول الأعظم ﷺ فقط، وأما بعده ﷺ فقد ظهرت الولاية المطلقة الالٓهيّة المحمدية ﷺ بخصوص الولاية، منحازة عن النبوّة التشريعية والرسالة، فصارت ولي الله وخليفة رسول الله ﷺ فالولي بنعت الولاية الكائنة للنبي ﷺ استحق الخلافة للنبي ﷺ ثم هكذا ظهرت كلّ يوم في شأن من شؤونه وفي كلّ مظهر من الأولياء والأئمة عليهم السلام واحد بعد واحد بنعت من نعوت ذلك الشأن،

فصارت حجج الله وخلفاء رسول الله ﷺ الىٰ أن ظهرت بجميع أوصاف ذلك الشأن، فصارت قائمهم ومظهر أوصافهم.

وكلّهم نور واحد، وحقيقة واحدة، واختلافهم في ظهور أوصاف حقيقتهم الأصليّة، وهي الولاية المطلقة المحمدية، كما ورد أوّلنا محمّد، وأوسطنا محمّد، وآخرنا محمّد، وكلّنا محمّد.

وبعبارة أُخرىٰ: أنه قد علمت أنّ الولاية صفة الهيّة وشأن من شؤون الذاتيّه وصورتها ومظهرها، شاملة لجميع ما سوى الله، وليست إلا العين الثابتة المحمدية ﷺ وهي عين واحدة ثابتة في علم الغيب الالٰهي، وإنّما تختلف ظهوراتها العلمية فهي في ذلك الموطن.

وإن شئت توضيحه فاسمع ما يقال لك لتصوّر ذلك فنقول: أنت قد تعقل المقدار، المراد من المقدار تعقل ماهيّة من الماهيّات مبهمة مثلاً بعقلك المجرد، فيصير ذلك المعنىٰ صورة عقليّة مجردة بلا تقدّر وتشكّل، ثمّ تتخيّل ذلك المعنى المجرد الكلي بقوتك الخياليّة، فيصير ذلك المعنى المجرّد صورة مقداريّة فاكتسىٰ المعنى المجرد بالصورة المقداريّة بسبب التخيّل، وهذا المتقدّر بالصورة هو عين ذلك المعنى المجرد العقلي، ولست تضيف إليه شيئاً، ولا تسقط منه شيئاً فالمعنى الواحد ظهر مرّة مجردة كلية، ومرّة مجردة جزئيّة، وليس بينهما اختلاف إلا بالشأن والظهور، فاجعل ما ذكرناه مرقاة لمعرفة كون العين الواحدة أعياناً متعددة بلا اختلاف في الذات والعوارض.

وفي المقام أن العين الثابتة المحمدية عين أوصيائه وخلفائه، فإذا كانت الولاية واحدة والعين واحدة، ولا اختلاف إلا في الظهور بالأوصاف الذاتية الكامنة الموجبة لاختلاف الشؤون في المظاهر المتعددة بلا ايجاب، لتحقّق الاختلاف الذاتي، فصدق حينئذ قوله ﷺ: «أولنا محمد، وآخرنا محمد، وأوسطنا محمد، وكلّنا محمد».

وحينئذ يرتفع ما يتوهّم من التناقض في قولنا تارة: إن خاتم الولاية المحمدية

أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وتارة: هو المهدي الموجود الموعود المنتظر عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف؛ لأنّهما، بل لأنّهم عليهم السلام نور واحد بالسنخ، وإنما الاختلاف بالشئون والظهورات، علىٰ حسب اقتضاء الحكمة البالغة.

فظهر أنّ ما في خاتم الولاية المحمدية، أعني أمير المؤمنين عليه السلام أو المهدي عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف، أو أحدهم عليهم السلام هي الحقيقة النورية المحمديّة، التي كانت أولاً لنفسه الشريفة صلى الله عليه وآله مع النبوة، والتي خلعت لباس النبوة، واكتست كساء الولاية، وظهرت في صورة أوصيائه والمعصومين.

فإن شئت قلت: أمير المؤمنين عليه السلام وإن شئت قلت: في أيّ من الأئمة المعصومين، إلا أن قائمهم أولىٰ بذلك لظهور جميع الأوصاف فيه عليه السلام.

فصل: في ذكر الأحاديث الواردة في الباب وتطبيقها عليهم عليهم السلام، وبيان أن المراد بالأنوار القاهرة هم محمّد والأئمة عليهم السلام.

قال بعض الأعاظم: لو كان لما ذكره الحكماء الإسلاميّون من القول بالعقول الطولية، والأنوار القاهرة، والعقول العرضيّة المتكافئة، المعبّر عنها بالمثل النوريّة محمل صحيح ـ ومستند قويم، فإن الكبراء منهم كالمحقق الطوسي قدس سره قال في متن التجريد: «وأما العقل فلم يثبت دليل علىٰ امتناعه، وأدلة وجوده مدخولة»، أي أنه لم يثبت بالعقل امتناع القول بوجود العقول الطوليّة والأنوار القاهرة، وغيرها مما ذكر، وإن كانت أدلة وجودها المذكورة عند القوم مدخولة أي يمكن الإشكال عليها، فلا يمكن الاعتماد عليها.

وكيف كان، فلو كان لما ذكروه محمل صحيح لكان حقيقاً أن يقال: إنّ النور المحمدي صلى الله عليه وآله الظاهر في خاتم الأنبياء وأمير المؤمنين عليه السلام وسيدة النساء عليها السلام والأئمة المعصومين عليهم السلام متحد بحسب الحقيقة مع تلك الأنوار القاهرة الأعلين، وما هو في سائر الأنبياء وأوصيائهم متحد مع الأنوار العرضيّة والمثل النورية علىٰ حسب مراتبهم، وتدبّر في الأحاديث المرويّة في المجلد الأول من كتاب أُصول الكافي.

وسيجيء في طي الشرح ذكرها في مواردها مع شرحها، ولكن نذكر منها هاهنا تبرّكاً.

فمنها: ما ورد في باب أنّ الأئمة عليهم السلام نور الله عزّوجل، عن أبي خالد الكابلي، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿**فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا**﴾ فقال: «يا أبا خالد النور والله نور الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله الىٰ يوم القيامة، وهم والله نور الله الذي أُنزل، وهم والله نور الله في السموات والأرض، والله ياأبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشّمس المضيئة بالنهار، وهم والله ينوّرون قلوب المؤمنين، ويحجب الله تعالىٰ نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم، والله ياأبا خالد لا يحبّنا عبد ويتولّانا حتىٰ يطهّر الله قلبه، ولا يطهر الله قلب عبد حتىٰ يسلّم لنا، ويكون سلماً لنا، فإذا كان سلماً لنا سلّمه الله من شديد الحساب، وآمنه من فزع يوم القيامة الأكبر».

ومنها: ما في باب خلقه النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين قبل خلق السموات والأرض: ما عن محمّد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة، فقال عليه السلام: يامحمّد إن الله تبارك وتعالىٰ لم يزل متفرّداً بوحدانيّته، ثم خلق محمّداً وعليّاً وفاطمة فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها، وأجرىٰ طاعتهم عليها، وفوّض أمورها إليهم، فهم يحلّون ما يشاؤون، ويحرّمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلّا أن يشاء الله تبارك وتعالىٰ، ثم قال: يامحمد هذه الدّيانة التي مَن تقدمها مرق، ومَن تخلّف عنها محق، ومَن لزمها لحق، خذها إليك يامحمّد[1].

ومنها: ما عن المفضّل قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: كيف كنتم حيث كنتم في الأظلّة؟ فقال: يامفضّل كنّا عند ربّنا ليس عنده أحد غيرنا، في ظلّة خضراء نسبحه

---

١ ـ الكافي ج ١ ص ٤٤١.

ونقدّسه ونهلّله ونمجّده، وما من ملك مقرّب ولا ذي روح غيرنا حتىٰ بدا له في خلق الأشياء، فخلق ما شاء، كيف شاء من الملائكة وغيرهم، ثم أنهىٰ علم ذلك إلينا.

ومنها: ما عن محمد بن عبد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الذي نوّرت منه الأنوار، وأجرىٰ فيه من نوره الذي نوّرت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمّداً وعليّاً، فلم يزالا نورين أوّلين إذ لا شيء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهّرين في الأصلاب الطاهرة، حتّىٰ افترقا في أطهر طاهرين في عبدالله وأبي طالب عليهما السلام.

ومنها: ما عن جابر بن يزيد قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا جابر إنّ الله أول ما خلق خلق محمّداً وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله، قلت: وما الأشباح؟ قال عليه السلام: ظلّ النور أبدان نوريّة بلا أرواح، وكان مؤيّداً بروح واحدة، وهي روح القدس، فبه كان يعبد الله وعترته، ولذلك خلقهم حلماء، علماء، بررة أصفياء، يعبدون الله بالصلاة والصوم والسجود والتسبيح والتهليل، ويصلّون الصلوات ويحجّون ويصومون.

أقول: وسيجيء ما في الزيارة الجامعة من قوله عليه السلام:

وإنّ أرواحكم ونوركم واحدة، طابت وطهرت بعضها من بعض، خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين، حتّىٰ منّ علينا بكم فجعلكم .. وسيجيء شرحها، وفيه شرح هذه الأحاديث فانتظر.

ثم إنّه لو تأمّل أحد فيما ذكرناه من أول هذه الفصول إلى هنا، وتدبّر في تلك الروايات ومثلها، وفي تلك الجمل الواردة في الزيارة؛ للزيارة لوجدها منطبقة علىٰ حقائقهم وأنوارهم عليهم السلام، وسيجيء الكلام في التطبيق في طيّ الشرح إن شاء الله

تعالىٰ.

فصل: في بيان مراتب النبوّة في الجملة.

إنّ المبعوث الى الخلق قد يكون من غير تشريع وكتاب من الله تعالىٰ، وتارة بتشريع وكتاب منه سبحانه، فلا محالة انقسم النبي الى المرسل وغيره، فالمرسلون أعلىٰ مرتبة من غيرهم لجمعهم بين المراتب الثلاث: الولاية والنبوة والرسالة، ثم مرتبة الأنبياء لجمعهم بين المرتبتين الولاية والنبوة وستجيء الأحاديث في هذا الباب في محلّه.

ثم إنه قد علمت فيما سبق أنّ للنبوة والولاية مراتب، وأعلاها للنبي المعظم ﷺ والأئمة عليهم السلام، ثم اعلم أنّ المرسلين وإن كانوا أعلى من النبيين غير المرسلين، إلّا أنّ مقام الولاية الكائنة فيهم كلّ بحسب درجاته أعلىٰ من مرتبة نبوّتهم، ونبوتهم أعلىٰ من مرتبة رسالتهم؛ لأنّ ولايتهم جهة حقيّتهم وفنائهم فيه تعالىٰ، ونبوتهم جهة ملكيّتهم، إذ بها تحصل لهم المناسبة بعالم الملائكة فيأخذون الوحي منهم، ورسالتهم جهة بشريّتهم المناسب للعالم الإنساني، فمقام النبوة برزخ بين الولاية والرسالة، يعني أنها فوق الولاية ودون الرسالة. وسيجيء مزيد توضيح لهذا في طيّ الشرح إن شاء الله تعالىٰ.

فصل: في تحقيق المراد من الاسم.

أقول: قد تكرر ذكر الاسم في الآيات والأحاديث وكلمات القوم فلابدّ من توضيح المراد منه فنقول: قال بعض الأعاظم[1] ما حاصله: إن الاسم في عرف المحققين عبارة عن الذات المأخوذة مع بعض الشؤون والاعتبارات والحيثيّات، فإن للحق سبحانه وتعالىٰ بحسب قوله: ﴿**كلّ يوم هو في شأن**﴾[2] شؤوناً ذاتيّة ومراتب غيبيّة، يحصل له بحسب كلّ منها اسم أو صفة حقيقة أو إضافيّة أو سلبيّة،

---

١ ـ في تفسير آية الكرسي لملا صدرا ص٤٢.

٢ ـ الرحمن : ٢٩.

ولكلّ منها نوع من الوجود حتّى السلوب، فإنها مما يعرضها الوجود من وجه، كما إذا تمثّل في ذهن من الأذهان، أو يكون له مصداق ينتزع منه إذا قيس الى الأمر المسلوب.

والفرق بين الاسم والصّفة في اعتبار العقل كالفرق بين المركب والبسيط، إذ الذات معتبرة في مفهوم الاسم دون مفهوم الصفة؛ لأن الاسم إمّا من السمّو أي العلو، أي ما به علوّ الذات والمسمّىٰ وظهوره، فلا محالة حينئذ يكون الاسم منظوراً بلحاظ الذات لا مطلقاً، وكذا لو كان من السمّة أي العلامة فإنها تعلم الذات كما لا يخفىٰ، وهذا بخلاف الصفة فإنها تلاحظ بما هي مجرد عارض من دون نظر إلى الذات.

وقد يقال الاسم للصفة ـ وجه الاطلاق ـ إنّ الذات مشتركة بين الأسماء كلّها أي ملحوظ بوحدتها فيها، والتكثّر في الأسماء بسبب تكثّر الصفات أي الشؤون العارضة والمفاهيم المتكثّرة فهي توجب تكثراً في الاسم، وذلك التكثّر في الصفات إنما يكون باعتبار مراتبه الغيبيّة التي هي مفاتيح الغيب.

وبعبارة أخرىٰ: إنّ تكثّر الصفات إنما هي عكوس وأظلال لما اقتضته الذات منها، وهي أي الصفات معان غيبيّة معقولة في عين الوجود الحقّ لا بنحو التكثر في الذات تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، بل بمعنى أنّ الذات الإلهية بحيث لو وجدت في العقل فرضاً، أو أمكن أن يلحظها الذهن، لكان ينتزع منها هذه المعاني ويصفها بها، فهو أي الذات في نفس الأمر مصداق لهذه المعاني من دون حاجة إلىٰ تحقق صفة في ذاته، وهذا معنىٰ قوله عليه السلام: «يستحقها» أي الأسماء والصفات كما سيجيء حديثه وشرحه.

وهذا أيضاً مراد المحققين من قولهم: إن صفاته عين ذاته، وهذا أيضاً معنىٰ كلام أمير المؤمنين وإمام الموحدين عليه السلام كما في نهج البلاغة:

«وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الاخلاص نفي الصفات عنه».

أي كمال توحيده نفي الصفات المتكثّرة بمفهوماتها والعارضة في الذهن عنه تعالىٰ، وإن استحق الذات إيّاها بالنحو الذي ذكرناه، ولتوضيح المقام مجال آخر في محله.

وبعبارة أُخرىٰ أنّ ذاته المقدّسة تستحق هذه الأسماء والصفات بالنحو المذكور، وهو تعالىٰ بهذا الاستحقاق الذاتي قد تتجلىٰ ذاته تعالىٰ بصفة من الصفات، فيسمىٰ باسم خاص من ذلك التجلي، وهي تجلّ إلهي، وهي برزخ بين المعان المعقولة في غيب الوجود الحق المشار اليه آنفاً وبين تعيّنات شؤونه وتجلّياته وليست بموجودات عينيّة، والأسماء الملفوظة هي أسماء هذه الأسماء المعنويّة.

فصل: وقد يطلق الاسم على الموجودات العينيّة باعتبار كونها مظاهر لتلك الأسماء التي هي معان غيبيّة، وذلك لاتحادهما في المفهوم، وإن اختلفا في الوجوب والإمكان؛ مثلاً للعلم حقيقة ذاتية هي كونه عين هويّة الحق الأول، وله حقيقة أسمائية هي معنىٰ عقلي انتزاعي من شؤون الحق وتجلّياته، وله حقيقة إمكانية هي ذوات العقلاء، فكلّ واحد من العقول المجردة عند المحققين اسم عليم من مراتب اسم الله العليم، وهكذا القياس في جميع الأسماء.

فصل: في بيان لزوم وجود الولي مطلقاً في الخلق.

قال بعض الأعاظم[١]:

اعلم أنه لما اقتضىٰ حكم السلطنة الواجبة للذات الأزليّة والصفات العلّيّة، التي هي الولاية الإلهيّة، والتي اقتضت الظهور بذاتها علىٰ ما مرّ بيانه، أي اقتضت بسط مملكة الإلوهيّة، ونشر لواء الربوبيّة بإظهار الخلائق، وتحقيق الحقائق،

---

١ ـ تفسير سورة البقرة لملا صدرا ص٣٠٢.

وتسخير الأشياء، وإمضاء الأمور، وتدبير الممالك، وإمداد الدهور، وحفظ مراتب الوجود، ورفع مناصب الشهود، وكان مباشرة هذا الأمر من الذات القديمة بغير واسطة بعيداً جدّاً؛ لبعد المناسبة بين عزّة القدم وذلّة الحدوث، كما دلّت عليه أحاديث سيأتي ذكرها.

حكم الحكيم سبحانه بتخليف نائب ينوب عنه في التعرّف والولاية والحفظ والرعاية، وله أي للنائب وجه الى القدم يستمدّ به من الحقّ سبحانه، ووجه الى الحدوث يمدّ به الخلق.

فجعل سبحانه ذلك النائب علىٰ صورة خليفة يخلف عنه في التصرف، وخلع عليه جميع أسمائه وصفاته، ومكّنه في مسند الخلافة بإلقاء مقادير الأمور اليه، وإحالة حكم الجمهور عليه، وتنفيذ تصرّفاته في خزائن ملكه وملكوته، وتسخير الخلائق لحُكمِهِ وجبروته، وسمّاه إنساناً لإمكان وقوع الأنس بينه وبين الخلق برابطة الجنسيّة وواسطة الأنسيّة، وجعل له بحكم اسمه ـ الظاهر والباطن ـ حقيقة باطنة وصورة ظاهرة؛ ليتمكن بهما من التصرف في الملك والملكوت فحقيقته الباطنة هي الروح الأعظم، وهو الأمر الذي يستحق به الإنسان الخلافة، والنفس الكلية وزيرهُ وترجمانه، والطبيعة الكلية عامله ورئيسه، وجعل العملة له من القوى الطبيعية، وكذلك الىٰ آخر الروحانيات جنوده وخدمه.

وأما صورته الظاهرة:

فصورة العالم من العرش الى الفرش، وما بينهما من البسائط والمركبات، فهذا هو الانسان الكبير الذي يشير اليه قول المحققين: إن العالم إنسان كبير. هذا بلحاظ كونه خليفة الله في السماء والأرض والظهور كلّه. وأما قولهم ـ الإنسان عالم كبير ـ أرادوا به أنواع البشر وهو خليفة الله في أرضه بالقوّة للكلّ وبالفعل للكمّلين.

وكيف كان فخليفة الله في الأرض والسّماء هو الإنسان الكبير، المشار إليه

بصورتيه الظاهرية والباطنيّة، والإنسان البشري نسخة منتخبة من الإنسان الكبير الإلهي ونسبته إليه نسبة الولد الصغير من الوالد الكبير، وهذا الإنسان الكبير بصورتيه هو الحقيقة المحمدية، ومظاهرها العلوية وسائر الأئمة عليهم السلام وهم بوجودهم الحقيقيّة المحمدية هو الانسان الكبير بوجودهم البشرية نسخة منتخبة من حقيقتهم المحمدية، والافراد الكملين من البشر أولادهم المعنوية ولذا قال صلى الله عليه وآله: «أنا وعلي أبوا هذه الأمّة»، ثمّ أنّ لهذه النسخة المنتخبة أعني الانسان البشري له أيضاً حقيقة باطنية وصورة ظاهرية، أما حقيقته الباطنية فالروح الجزئي المنفوخ فيه من الروح الأعظم، والعقل الجزئي، والنفس والطبيعة الجزئيّتان، وأما صورته الظاهرة فنسخة منتخبة من صورة العالم، فيها من كلّ جزء من أجزاء العالم لطيفها وكثيفها قسط ونصيب فسبحانه من صانع جمع الكلّ في واحد كما قيل:

ليس من الله بمستنكر   أن يجمع العالم في واحد

وصورة كلّ شخص إنساني نتيجة صورة آدم وحوّاء عليهما السلام، ومعناه نتيجة الروح الأعظم والنفس الكلّية اللذين هما أيضاً آدم كلي وحواء كليّة، ومن هذا يصح أن يقال لبعض مَن كمّل أولادهما حقيقة.

وإني وإن كنتُ ابن آدم صورة   فلي فيه معنىً شاهد بأُبوتي

أقول: هذا بحسب النوع من أفراد البشر الكمّلين، وأما النبيّ الأعظم والأئمة عليهم السلام. فهم في عين كونهم بوجودهم البشري نسخة منتخبة من الانسان الكبير إلا أنهم لمقام كونهم عند الربّ، وأنهم مظاهرهُ تعالىٰ، وأنّهم حقائق أسمائه الحسنىٰ تبارك وتعالىٰ، فهم في عين ظهورهم في النسخة المنتخبة لم يحتجبوا من الحقيقة الكلية المسماة بالحقيقة المحمدية والإنسان الكبير.

فهم بشراشر وجوداتهم الظاهرة والباطنة، متصرّفون في العوالم كلّها بقدرته

تعالىٰ، وبالروح القدسي، والروح الأعظم، والنور الإلهي.

فنسختهم البشرية المنتخبة من الإنسان الكبير بالمعنىٰ المتقدم غير النسخة المنتخبة لسائر الكمّلين فإن غيرهم محجوبون عن الإنسان الكبير وحقيقته، وهذا بخلافهم عليهم السلام نعم للأنبياء أيضاً نصيب مما لهم عليهم السلام بحسب درجاتهم في الولاية الإلهيّة كما لا يخفىٰ.

فصل: في بيان أنّ صاحب الولاية الإلهيّة مظهر لشؤونه تعالىٰ بسبب الولاية الإلهيّة وهو النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام فاعلم: أن لصاحب الولاية الإلهية شؤوناً كثيرة وهو مظهرها، وتلك الشؤون شؤون الولاية الإلهيّة وهي كثيرة قد ذكرت في الأخبار، وحيث إن الزيارة الجامعة الكبيرة الآتي شرحها جامعة لبيانها، فنحن نسأل الله تعالىٰ أن يوفّقنا لشرحها، وشرح تلك الشؤون بمحمد وآله الطاهرين عليهم السلام.

ثم اعلم أنّ الولاية الإلهية ثابتة للنبيّ الأعظم وللأئمة عليه وعليهم السلام بالنحو الأتم الأكمل، وأما لغيرهم من الأنبياء والأوصياء فلكلّ بحسب درجته ومقامه قال تعالىٰ: **﴿تلك الرسل فضّلنا بعضهم علىٰ بعض﴾**. وأما غير الأنبياء والأوصياء مِن سائر البشر فلهم الترقي الىٰ مقام الولاية الإلهيّة كلّ بحسب ما يسّر الله تعالىٰ له، وبحسب سيره وعبوديّته.

بيان ذلك: أنّ للإنسان الكلي صورة من عالم الشهادة المحسوسة، وروحاً من عالم الغيب الملكوتي، وسرّاً مستعداً لقبول فيض النور الإلهي بلا واسطة، كما في النبي الأعظم والأئمة عليهم السلام أو مع الواسطة كما في ساير الأنبياء وسايرالكمّلين، فإنهم يصلون الىٰ ذلك النور بواسطتهم عليهم السلام كما سيأتي بيانه في الشرح.

وكيف كان فبالتربية يترقى الإنسان من عالم الشهادة الىٰ عالم الغيب وهو

الملكوت، وبسرّ المتابعة وخصوصياتها لصاحب الحقيقة المحمدية ﷺ يترقىٰ من عالم الملكوت إلىٰ عالم الجبروت والعظموت، وهو غيب الغيوب المشار اليه في قوله عليه السلام: «وتصل إلىٰ معدن العظمة» كما في دعاء الشعبانيّة، فيشاهد بنور الله المستفاد من سرّ المتابعة أنوار الجمال والجلال، فيكون في خلافة الله الحقّ عالم الغيب والشهادة بحسب مرتبة ظهور سرّ المتابعة، وكيف كان فكما أن الله تعالى عالم الغيب والشهادة فلا يظهر علىٰ غيبه أحداً ـ أي الغيب المخصوص وهو غيب الغيوب ـ أحداً ـ يعني من الملائكة. إلا من ارتضىٰ من رسول يعني من النبي الأعظم والأئمة عليهم السلام، أو من الإنسان المتابع لهم في جميع العوالم الىٰ أن يصل إلىٰ ذلك النور، فهو أيضاً يظهر علىٰ غيبه بقدر سرّ المتابعة، ولوجود هذا الاستعداد والسرّ الإلهي المكنون في الإنسان استحق الخلافة الإلهيّة، وهذا السرّ هو السرّ المكنون الذي علمه الله تعالىٰ فيه ولم يعلمه في الملائكة كما قال تعالىٰ: ﴿إنّي أعلم ما لا تعلمون﴾ إذ الملائكة ليس لهم الترقي الىٰ تلك الحضرة أي حضرة النور الإلهي الغيبي، بل لكلّ منهم مقام معلوم لا يتعداه كما قال تعالىٰ: ﴿وما منّا إلّا له مقام معلوم﴾.

فنقول: ينبغي لنا أن نعلم أنّ استعداداً فينا لأمر عظيم، وفينا شأن عظيم جسيم منه تعالىٰ ليس للملائكة به علم، وهو سرّ الخلافة الكائن في الإنسان، فينبغي أن لا نتغافل عن هذه السعادة، ولا نتقاعد عن هذه السيادة، بل نسعىٰ في طلبها حقّ السعاية بالمتابعة لحقائق أنوار الولاية المحمدية وآله الطاهرين بقدم العبودية لله تعالىٰ والإطاعة والتسليم لهم صلوات الله عليهم، ونشكره تعالىٰ حيث قبلنا بفضله وكرمه، وحسن عنايته في حقّنا بأن جعلنا قابلاً للوصول الىٰ جنابه، وللتخلّع بخلع الخلافة الإلهيّة بحسب لطفه وعنايته رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

تحصيل معرفته تعالى:

ثم أنه لا بأس بشرح حال الإنسان الواصل، وما بـه وصـله وسـلوكه اليـه تعالىٰ الىٰ أن يصل ويتّصف بولاية الله تعالىٰ فيتم الكلام فيه في فصول.

الفصل الأول: اعلم أنّ معرفة الذات تعالىٰ وتقدس من أضيق المعارف مجالاً، وأعسرها مسلكاً ومقالاً، وأشدها على الفكر منالاً، وأبعدها عن قبول الذكـر، لا يظفر منها ملوك الآخرة إلا باليسير كالكبريت الأحمر؛ ولذلك لا يشتمل القـرآن منها إلا علىٰ رموز وإشارات، ويرجع أكثرها لأهل الفكر والعـقل إلىٰ التـقديس والتنزيه المطلق وسلب النـقائص مـطلقاً، كـقوله تـعالىٰ: **﴿ليس كـمثله شـيء﴾** وكسورة الإخلاص، أو الى التعظيم المطلق كقوله تعالىٰ: **﴿سبحان ربك ربّ العزة عمّا يصفون﴾** وكقوله تعالىٰ: **﴿بديع السموات والأرض﴾** هذا بالنسبة الىٰ معرفة الذات المقدّسة.

ثم إنّ ما يمكن من المعرفة بها للإنسان بالنحو المجـاز مـن الشرع لتـحصيلها، هو أن يعلم أن وراء هذه المتحيّزات بـل المـمكنات مـوجوداً قـديماً قـادراً ـ أي واجباً بالذات صانعاً للعالم ـ وذلك بالنظر الىٰ حقيقة الوجود المعلوم بـوجه مـا ـ وأن له فرداً موجوداً بذاته، وإلّا لزم تقدم الشيء علىٰ نـفسه، أو وجـود المـمكن من غير سبب ـ إذ جميع الممكنات في حكـم ممكـن واحـد ـ في خـلوّ ذاتـه عـما يوجب الاتصاف بالوجود ـ فبملاحظة خلوّ ذات المـمكن وعـريه عـن طـبيعة الوجود ذاتاً واقتضاءً واستلزاماً، وبملاحظة استحالة كون المحال قابلاً للـوجود ـ يحكم العقل الصافي عن المحذورات والأمراض النفسانيّة بوجود القـيوم المسـتغني عمّا سواه.

كما قال الله تعالىٰ: **﴿الله لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم﴾** وقال تعالىٰ: **﴿شهد الله أنّه لا**

إله إلّا هو﴾[١] وقال تعالىٰ: ﴿أولم يكف بربّك أنّه علىٰ كلّ شيء شهيد﴾[٢] وبالنظر الى العالم، وطبايع الحركات والمتحركات ودقائق الصنع العجيب، والنظم الغريب في الممكنات كما أرشده الله في القرآن ـ وليس فوق بيان الله وبيان رسوله بيان ـ فقال تعالىٰ: ﴿أَلم نجعل الأرض مهاداً * والجبال أوتاداً * ... وجنّات ألفافاً﴾[٣] وقال الله تعالىٰ: ﴿إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنّهار ... لقوم يعقلون﴾[٤] وقال الله تعالىٰ: ﴿أَلم تروا كيف خلق اللهُ سبعَ سمواتٍ طباقاً * وجعل القمر فيهنّ نوراً ... ويخرجكم إخراجاً﴾[٥].

وليس يخفىٰ علىٰ مَن له أدنىٰ مسكة إذا تأمّل بأدنىٰ فكرة في مضمون هذه الآيات، وأدار نظره علىٰ خلق السموات والأرض، وعجائب فطرة الحيوان والنبات، فضلاً عن خلقة الآدمي الكامل بالكمال العلمي والعملي، إن هذا الأمر العجيب، والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره، وفاعل يحكمه، بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره، ومصروفةً بمقتضىٰ تدبيره، ولذلك قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿أفي الله شكّ فاطرِ السموات والأرض﴾[٦].

فَمَن غفل عن هذا كان راكباً علىٰ متن الجهل وناكباً[٧] عن نهج العقل.

وأما معرفة الصفات صفاته تعالىٰ فالمجال فيه أفسح، ونطاق النطق فيها أوسع؛ ولذلك أكثر آيات القرآن مشتمل علىٰ ذكرها وتفصيلها كالعلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والكلام والحكمة وغيرها، ثم إنّ في هذا القسم أيضاً غموضاً

---

١ ـ آل عمران : ١٨.
٢ ـ فصلت : ٥٣.
٣ ـ النبإ : ٦ ـ ١٦.
٤ ـ البقرة : ١٦٤ .
٥ ـ نوح : ١٥ ـ ١٨ .
٦ ـ فاطر : ١٠.
٧ ـ نكب عنه : عدل .

شديداً على العقول الضعيفة، وتعسّراً على الأفهام القاصرة من جهة إدراك الصفات التشبيهيّة كالسمع والبصر والمحبّة والابتلاء والماكرة، وهذا مما لا يعرفه إلّا الراسخون في العلم، وأما غيرهم فلا بد لهم من التسليم للراسخين في العلم من الأئمة عليهم السلام أو ممن منحوهُ علم ذلك، والايمان بواقع هذه الأمور، لئلا يقع في العقيدة علىٰ خلاف واقعها فيصير مانعاً عن سلوكه اليه تعالىٰ ولهذا ذكرناها هنا.

ومجمله: أنّ الصفات إما سلبيّة وحاصلها: أن يعلم أنه تعالى مجرّد مقدس عن جميع ضروب التركيب في أيّ ظرف كان؛ لأن التركيب يستلزم الإمكان، وينافي الوجوب والواجب تعالى كما أنه واجب الوجود بالذات ـ بحسب الواقع ـ فكذلك هو واجب الوجود في جميع الشؤون والجهات والأوعية، والنشأة الذهنية والخارجية، فيتقدّس عن الكثرة والتركيب ـ ولو من الأجزاء المحمولة ـ ويلازم أيضاً الوحدة ولو في العقل، أي لا يمكن تعقل التجزئة بالنسبة اليه تعالىٰ عقلاً، علىٰ أنه تعالىٰ يتعاظم أن يدخل في وهم أو عقل؛ ليتصرّف فيه الذهن بالتحليل والتقسيم.

وإما ثبوتيّة: وهو أن يعلم أنّ الموجود الواجب تعالىٰ نسبته الىٰ جميع الممكنات نسبة واحدة لا يعجز عن بعض دون بعض، ومَن عرفه هكذا يعلم أنه قادر علىٰ جميع الممكنات، وعلىٰ أيّ نظام وترتيب كان ـ ثم إن من رأىٰ وعلم أن هذا النظام أبدع النظامات وأحكمها وأحسنها ـ كما حقق وبرهن عليه في محله ـ يعلم أنه تعالىٰ مريد، وأن إرادته علىٰ وجه الحكمة والجزم لا علىٰ نهج الجزاف والتردد، ويعلم أنّ إرادته أجلّ من الاختيار والجبر جميعاً، فيعلم أنّ فاعليته علىٰ سبيل العناية الأزليّة المسماة بالعلم التام المقدم على الايجاد الذي هو أيضاً من مراتب علمه المسمىٰ بالرضا، ولهذا الكلام بيان وتوضيح في محله فمَن أراده فليراجع مظانه.

وأما معرفة الأفعال فبحر متسع أكنافه، وإن كان لا تنال بالاستقصاء أطرافه إذ ليس في الوجود إلا الله وصفاته وأفعاله، فكلّ ما سواه تعالىٰ فعله وجوده، وهذا

غامض المنال جدّاً إلّا للواصلين، والقرآن الكريم مشتمل على الجليّ منها، الواقع في عالم الشهادة كذكر السموات والكواكب والجبال والبحار ،والسحاب، والأمـطار، وسائر أسباب الحيوان والنّبات، وهي التي ظهرت للحسّ فلو أنّ أحداً أمعن النظر في هذه الأمور التي هي أفعاله تبارك وتعالىٰ، وتفكر في آثار حكمته فيها وقدرته، وظهر له منها عظمته تعالىٰ، فحينئذ يتمكن له أن يرىٰ بـبصيرته القـلبية وعـقله أفعاله تعالىٰ التي ليست محسوسة. فإنّ أشرف صنايع الله وأفعاله وأعجبها وأدلّها علىٰ جلالته وعظمته ما لا يظهر للحسّ، بل هي من عالم الملكوت وهي المـلائكة والروحانيّات والروح والقلب والنـفس فـإنها جمـيعاً خـارجهعـن عـالم المـلك والشهادة.

ثم إنّ من أداني عالم الملكوت، الملائكة الموكّلة بعالم الأرضين، ثم الأدنىٰ منهم هم الجن والشياطين المسلّطة علىٰ جنس الانس. ومن أعـالي المـلائكة وأعـالي سكان عالم الملكوت، الملائكة السماويّة، وأعلىٰ منهم الكروبيّون وهم العاكفون في حظيرة القدس، لا التفات لهـم الىٰ هـذا العـالم، بـل لا التـفات لهم الىٰ غـير الله لاستغراقهم بجلال الحضرة الربوبية وجمالها، وهم مـن أهـل الفـناء في التـوحيد، ويقال لهم الملائكة المهيمـة، ولا يستبعد أن يكون في عباد الله من يشغله مـطالعة جلال الله عن الالتفات الىٰ نفسه فضلاً عن غيره.

وكيف كان فهؤلاء الملائكة كلهم من أفعاله تعالىٰ، وإليها يشير ما في الصحيفة السجادية علىٰ منشيها آلاف الثناء والتحيّة في الدعاء الأول فراجعه.

وفي الأحاديث ما يشير الىٰ ما ذكرناه مفصلاً، وسيأتي في طيّ الشرح بعضها.

ومـنها: ما روي عن رسول الله ﷺ : أنّ لله أرضاً بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً هي مثل أيام الدنيا ثلاثون مرّة مشحونة خـلقاً، لا يـعلمون أنّ الله يعصىٰ في الأرض، ولا يعلمون أنّ الله خلق آدم وإبليس.

هذا ولكن أكثر الخلق إدراكهم مقصور علىٰ عالم الحسّ والتخيّل مع أنهما من

نتائج عالم الملكوت، وهو القشر الأقصىٰ من اللّب الأصفىٰ.

وحاصل الكلام في معرفة أفعاله تعالى أنّ مَن يؤمن بأنّ الله علىٰ كلّ شيء قدير، وما سواه ممكن محدث، والممكن بما هو ممكن محض القوّة والفاقة، فلا يجوز أن يكون سبباً لإخراج الشيء من القوة الى الفعل، وإلّا لكان للعدم شركة في إفادة الوجود، وهو فطريّ الفساد عند ذوي البصيرة والسداد. فيكون قدرة الله تعالىٰ عامة شاملة لجميع الذرات العلويّه والسِفليّه : لأن منشأ الافتقار عامّ فلا تأثير للوسائط؛ لأنها كلها مسخّرات ومعدّات لا موجبات كما حقق في محلّه. فهذا هو التوحيد في الأفعال.

وهذا لا ينافي صدور الأفعال عن اختيارنا ومشيّتنا؛ لأنّ اختيارنا ومشيتنا في عين كونهما قائمين بنا، فهما تحت اختياره تعالىٰ ومشيّته فهو المالك لما ملّكنا، والقادر علىٰ ما أقدرنا والشائي لما شئنا ولمشيّتنا قال تعالىٰ: ﴿وما تشاءون إلّا أن يشاء الله﴾[1] فنسبة الفعل الىٰ مشيّتنا وإن كانت وجدانيّة ـ وإلّا لكنّا مجبورين وهو باطل بالضرورة كما لا يخفىٰ ـ إلّا أنه مع ذلك ينسب الفعل اليه تعالىٰ أولاً وبالذات، ثمّ إلينا بالعرض، وهذه النسبة العرضيّة كافية في إثبات كوننا غير مجبورين، وأيضاً لسنا مفوّضين بحيث لا أثر لإرادته ومشيّته تعالىٰ في أفعالنا، كيف، وقد علمت أن الفعل منسوب اليه تعالىٰ بالذات، وهذا كاف في إثبات كوننا غير مفوّضين وغير خارجين عن قدرته تعالىٰ، ولهذا الكلام بيان أوسع مذكور وسيأتي في محله.

ثم إنه إنما ذكرنا هذه المراتب من الخلق لأجل أنه مَن لم يجاوز هذه الدرجة، لا يعرف من القرآن ولا من المعارف الإلهيّة، ولا من التوحيد وأقسامه الذي هو غاية المعارف ونهاية السلوك شيئاً، فغير المتجاوز منها لا يعرف منها إلا ما له إليه نسبة القشر الأخير من الجوز والبشرة، بل الثوب من الإنسان، فأين هذا من المعارف

---

١ ـ الإنسان : ٣٠.

الاهيّة؟!

ثم إنه لابد للسالك اليه تعالىٰ من المعرفة بهذه المعارف الثلاث: معرفة الذات والصفات والأفعال، فالعلم بها فريضة لطالب المعرفة الإلهية عن طريقها الصحيح؛ لئلا يقع في الانحراف فيصدّه عن الوصول والمقصد.

ثم إنه لابدّ للعارف السالك أيضاً من معرفة الإيمان بالملائكة والكتب الإلهية والنبي والولي الوصي؛ ليزداد بصيرة في سلوكه ويتقوّى فيه ولا ينحرف. ومعرفة هؤلاء مذكورة في محلّه.

ثمّ إنه قد حقّق في محله وسيجيء في طيّ الشرح أنّ ألذّ اللّذّات اللّذّة الحاصلة من معرفته تعالىٰ، كيف لا والعارف ينظر الىٰ جماله الكريم الذي هو أجمل من كلّ جميل!

فصل: قد علمتَ في مباحث الولاية أن الولاية بمعنى القرب وهي على أقسام:

أخصّها الولاية الخاصة وهي الحقيقة المحمدية ﷺ وهي بمكان من القرب بحيث لا أقرب منه إليه تعالى وهي المسمات بالعقل الأوّل، والقلم الأعلى، والعقل القرآني في مقام وجودها الصوري التجردي هذا بلحاظ القرب إليه تعالى.

وأمّا بالنسبة إلى النهاية في عالم الخلق والنزول إلى عالم البشرية فهو المسمّى بمحمد بن عبدالله ﷺ وخاتم الأنبياء عند ظهورها البشري الجسماني، وفي المحكيّ عن المناقب لابن شهرآشوب أنه قال ﷺ: «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطّين» وقال ﷺ : «أنا سيد ولد آدم، وصاحب اللواء، وفاتح باب الشفاعة يوم القيامة» وهذه الحقيقة بجميع مراتبها الظاهرية والباطنية تكون في مقام الحضور والوصل والمشاهدة، الذي هو بغية كلّ نبيّ وولي. ثم أقرب الأولياء إليه سلفاً وخلفاً بحسب التابعيّة الحقيقية المطلقة هو الحقيقة العلوية المسمى في البداية بالنفس الكليّة الأوّليّة، واللوح المحفوظ لما أفاده وكتبه القلمُ الأعلى.

وأمّ الكتاب الحافظ للمعاني التفصيليّة الفائضة عليه بتوسط الروح الأعظم

المحمدي، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وإنَّهُ في أمِّ الكتابِ لدينا لَعليٌّ حكيمٌ﴾[١] وسيأتي بيانه وهو العقل الفرقاني؛ وذلك عند وجوده التجردي، وهو في النهاية الخلق علي ابن أبي طالب عليه السلام عند وجوده البشري الجسماني، ثم الأقرب فالاقرب من العقول والنفوس الكلّية بعد العقل الأول، والنفس الأولى الظاهرة في صورة الأنبياء والمرسلين سابقاً، وصور الأولياء أي الأئمة المعصومين لاحقاً عليهم السلام ثم إن الأئمة ملحقون ـ كما تقدم ـ بالحقيقة العلوية في العوالم والمقامات كلّها.

ثم اعلم أن هذه الحقائق بما لها من المراتب هم المقرّبون لديه تعالى كلّ بحسبه، لايضاهيهم أحد إلّا الحكماء والعلماء، الذين منازلهم دون منازل الأنبياء والأولياء، وهذا لامطلقاً، بل إذا اقتبسوا أنوار علومهم من مشكاة النبوّة والولاية، وإلّا فليسوا من الحكماء والعلماء في شيء إلّا بالمجاز؛ وذلك لأن الوصول إلى الله تعالى، ونيل روح الوجود من المنبع الحقيقي لا يمكن إلّا باتّباع الأنبياء والأولياء أي الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين.

والوجه فيه أن العقل لا يهتدي إلى الله تعالى اهتداءً تطمئن به القلوب، ويرتفع عن صاحبه الريب والشك، ولا سبيل له في معرفة الحق إلّا بأن ينظر في الممكنات، ويستدل بها على مُوجِدها وهو الحق تعالى. ثم على وحدته ووجوبه وعلمه وقدرته، ولا يعلم من صفاته الثبوتيّة إلّا هذا القدر ومن صفاته التقديسيّة أنه ليس بجسم ولا جسماني ولا زماني ولا مكاني وأمثال ذلك. ومن المعلوم أنّه ليس هذا الاستدلال إلا من وراء الحجب لا المشاهدة، إذ لا يحضر عنده إلّا مفهومات ذهنيّة، ومعقولات ثانية لا تسمن ولا تغني من جوع. وهذا بعينه كمن أراد أن يستغني بمفهوم الحلاوة عن السكّر، وبمفهوم السلطنة عن السلطان.

فأصحاب العقول كلّهم كالّذين قال الله تعالى فيهم **﴿أولئك يُنادون من مكان**

---

١ ـ الزخرف: ٤.

بعيد﴾[1] لأنهم يجعلون الحقّ بعيداً عن أنفسهم، ويكتفون عن ذات الحـق الأوّل، ومشاهدة الذوات المقدسة العقلية، وملاقات حقائق أهل الجـبروت والمـلكوت القاطنين في طبقات الوجود بمفهومات ذهنيّة وحكايات مثاليّة. ومعلوم أنهم مـع حالهم هذا، لا يجري لهم طريق الاستدلال إلّا في الذهنيّات والكلّيات التي هي طور العقل. وأما الأمور التي هي وراء طور العقل من أحوال الآخرة وأحكام البرازخ، فيثبت فيها ويقف من غير أن يهتدي إليها إلّا باتّباع الشريعة.

والحاصل أن الحقّ تعالى وجوده ليس بمفهوم الوجود، بـل هـو المـعنون بـه والمحكى عنه، والوجود الخارجي الحقيقي غير موصوف بما يتّصف به المفهوم مـن الكليّة والجزئيّة والإطلاق والتقييد وغيرها، بل إنّما نتوهمه غير معقول ولا محدود، بل شيء مثبت موجود غير مقيد لا مبطل ولا معدود، خارج عـن الحـدين حـدّ التعطيل والتشبيه، وكذا أوصافه وأسماؤه وآثاره ولها حقائق، وكذا العقول المفارقة والنفوس الكلّية، وحقائق الأولياء، وحقائق الموجودات كلّها من أفعاله وآثـاره، فالمعرفة به تعالى وبشؤونه لا يكون بطريق العقل، إذ ليس له إلّا انتزاع المفهوم في كل أمر، وأين هذا من واقعه، فواقعه لا يصل الإنسان إليه إلا بمتابعة الشرع الأنور، وبالتخلق بالأخلاق الإلهية لترتفع الحجب عن القلب، فتتّضح فيه هـذه الامـور، وسيأتي توضيحه قريباً.

فظهر أن الوصول إلى المعارف والحقائق الإلٰهيّة لا يكون بطريق العقل، بل لابدّ من متابعة صاحب الشرع، وإنما العقل هو الحجة الباطنة، أقيم في الإنسان لقـبول حجّة الظاهر وهم الرسل والأئمة ﷺ ولتمييز الحق من الباطل كما لا يخفى، والعقل كما في الخبر كالسراج وسط البيت يستضاء به؛ لتتميزّ الأشياء الحقة مـن البـاطل منها فتدبّر.

فصل: إعلم أن تشخيص الطريق الموصل إلى المعرفة، وإلى مـقام الوصـل في

١ـ فصلت : ٤٤.

غاية الصعوبة، فلا يكاد يوجد إلّا بعد التخلّص من وساوس الشيطان الرّجيم، وهذا لا يكون إلّا بالاستقامة على طريق الحق بالعلم الصحيح، والعمل الصالح. والمراد من العلم هو العلم الربوبي المتعلق بمعرفة ذاته وصفاته وأفعاله، وكتبه ورسله، وحقيقة الملائكة والشياطين وعلم القلب وأحواله، وكيفيّة سلوك العبد من الدنيا إلى الآخرة، ومن الخلق إلى الحقّ، ويعلم طريق تخلّصه عن إضلال الشياطين، شياطين الجن والانس، ويهيئ نفسه بان يستعد لقبول إلهام الملك، بعد تشخيص الفرق بين إلهام الملك ووسوسة الشياطين فهذه هي أصل العلوم الايمانيّة التي بها يمكن للإنسان أن يجاهد ضد أحزاب الشيطان؛ وهي أصل الصراط المستقيم المدعو من الله تعالى في كلّ صلاة مرتين، وهذا هو الدين دين التوحيد المسلوك لنبيّنا وسائر الأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام. وسيأتي في شرح قوله عليه السلام وصراطه، الآيات والأحاديث المبيّنة للصراط المستقيم، وأنه ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

والمراد من العمل مع أنه فنون كثيرة هو سلامة القلب عن كدروة الشهوة وغشاوة الغضب، فمرجع جميع فنون العمل إلى هذا، ولا شيء للإنسان بعد المعرفة أنفع من سلامة القلب من الكدورات والغواشي، قال تعالى: **﴿يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون * إلا مَن أتى الله بقلبٍ سليم﴾**[1] وهذه المرتبة أعني سلامة القلب هي الّتي أمر الله تعالى خليله عليه السلام بقوله **﴿إذ قال له أسلم قال أسلمت لرّب العالمين﴾**[2] وإليه يشير قوله تعالى: **﴿فَمَن أسلم فأؤلئك تحرّوا رَشَداً﴾**[3] فكلّ مَن سلم قلبه فقد فاز بدرجة الإسلام الحقيقي، وهذه أيضاً مما لا تتيسّر إلّا بتوفيق الله، حسبما قدّر له في الأزل أن يكون من جملة الأخيار، آمنا من سخط الجبّار كما قال تعالى: **﴿ما كان الله**

---

١ ـ الشعراء: ٨٨، ٨٩.
٢ ـ البقرة: ١٣١.
٣ ـ الجن: ١٤.

لِيذر المؤمنينَ على ما أنتم عليه حتى يَمِيزَ الخبيثَ مِنَ الطَّيب﴾[١]. وكيف كان فالمؤمن الحقيقي من تتميّز خُبثيّته الجسمانية الشيطانية عن طينته الروحانية الملكية، فيزيل الخباثة الظاهريّة والباطنيّة عن ظاهره وباطنه كما قال تعالى: **﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾**[٢] ويتجلّى بالطينة الروحانيّة الملكيّة فينور بنور المعرفة. ثم إنه سيجيء في الشرح الاحاديث المفسّرة لسلامة القلب فانتظر.

فصل: قد علمت من مطاوي ما تقدم أن الوصول إلى معرفته تعالى، والى سائر المعارف، والى السعادة الأبدية منوطة بأمرين.

أحدهما: الاطلاع على الحقائق والمعقولات بالعلوم الكلّية الإلهيّة.

وثانيهما: الاتصاف بالصفات المحسّنات، والتنزّه عن القيود والمضائق السفليّات بالآراء العلميّة.

ومن المعلوم أنّ الإنسان بطبعه الأولي المشار إليه بقوله تعالىٰ: **﴿وخُلق الإنسان ضعيفاً﴾**[٣] يكون ضعيفاً بنفسه، وخالياً عن هذه الأمور، وجاهلاً بها كما صرّح به أيضاً قوله تعالىٰ: **﴿والله أخرجكم من بطون أمّهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾**[٤] فلا يمكنه العلم بها لضعفه وجهله، فلا محالة من أن تفاض تلك الأمور عليه من الله تعالىٰ بتوسط الملائكة والرسل.

وبعبارة أُخرىٰ: انه ليس كلّ واحد من الناس ممن تيسّر له التفطن بالكمالات والاتصال بعالم العلويّات والملكوت إلّا بتأييد منه تعالىٰ، وبالروح القدس المتصل بالفيض العلوي، وبحيث يعلم الأشياء بإلهام غيبي ومدد سماوي.

وهذا الإنسان الكذائي هو النبيّ أو الولي، وما يقبله بحسب صفاء باطنه،

---

١ ـ آل عمران: ١٧٩.

٢ ـ الأنعام: ١٢٠.

٣ ـ النساء: ٢٨.

٤ ـ النحل: ٧٨.

وإشراق روحه عن الملك الملقي إليه المعارف، أو عنه تعالىٰ بلا واسطة، كما كان للنبي الأعظم ﷺ هو الوحي بالنسبة الى الأنبياء، وهو الإلهام بالنسبة الى الأولياء أي الأئمة عليهم السلام وسيجيء الفرق بينهما فيما بعد.

فظهر وثبت مما ذكر أنه لابد لهداية الخلق وإرشادهم الىٰ طريق النجاة، وإيصالهم الى المعاد من وجود متوسط بينهم وبين الله تبارك وتعالىٰ، يأخذ هذا الوجود المتوسط منه تعالى العلوم والكمالات من تعليم بشري ويوصلها إليهم كما أشار إليه قوله تعالىٰ: ﴿ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾[1] وقوله: لفي ضلال إشارة إلىٰ ضعفه الذاتي، وجهله بالمعارف الذي نتيجته الضلال والله العالم.

هذا ولو أخذ كلّ إنسان علمه من إنسان آخر من غير أن ينتهي الى الوحي والإلهام؛ لأدىٰ ذلك الىٰ غير النهاية المحمودة، فلابد من الانتهاء الىٰ من يأخذ العلوم والكمالات من معدن اللاهوت بلا تعلّم ولا تقليد وستأتي الأخبار الدالة علىٰ هذا في الشرح، مضافاً الىٰ أنّه لو لم ينته الى الوحي، لأدّىٰ أمر الكمالات والسعادات المأخوذة من العقول البشرية الى الهرج والمرج والمعاندة والتّضاد؛ لاختلاف الاستظهارات من العقلاء كما هو المشاهد من الفلاسفة غير الملتزمين بشرع، كما لا يخفىٰ علىٰ من راجع أحوالهم.

فلابدّ حينئذ من الاحتياج في الهداية الى السعادة الأبدية والكمالات، والوصول إليه تعالىٰ الى النبي ﷺ وهدايته، وإلى الأولياء المنصوبين من قبله العالمين بعلمه كما لا يخفىٰ.

فصل: ثم إنّه لا يتوهم أحد أنّ النبي ﷺ يكون علمه عن الملك الموحىٰ إليه علىٰ سبيل التقليد هيهات! فإنّ العلم التقليدي ليس علماً في الحقيقة إذ العلم هو

---

١ ـ الجمعة: ٢.

اليقين كيف لا يكون كذلك وقد قال الله تعالىٰ في حقّ نبيّه ﷺ: **﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله علىٰ بصيرة أنا ومن اتبعني﴾**[1]؟ فأخبر الله تعالىٰ أن دعوته ﷺ تكون علىٰ بصيرة ويقين، وقال أيضاً: **﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾**[2] ـ فعبّر عن القرآن الموحىٰ إليه ﷺ بالنور، وقال تعالىٰ في حقّه ﷺ: **﴿لقد رأىٰ من آيات ربّه الكبرىٰ﴾**[3] فأخبر أنّه ﷺ رأىٰ من الآيات رؤية قلبيّة تساوق عين اليقين.

هذا وقد ثبت في العلوم الإلهيّة أنّ القلب الساذج غير المنطبع بالرين والمادة، لو تخلّى عن احتجابه بالبدن وقواه، ولم يتعلق بالدنيا، ولم يخلد إليها لاتّصل بالمبادئ العالية والملائكة المقرّبين، وتكون علومه عن يقين لظفره بالمبادئ والأسباب، بسبب اتصال نفسه القدسيّة بالملائكة من نحو جبرئيل عليه السلام أو اتصاله بروح القدس الذي ورد أنه خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل عليهما السلام كما ورد في حقّ نبيّنا ﷺ، أو اتصاله بالله تعالىٰ بدون واسطة أحد، كما كان هذا لخصوص نبيّنا ﷺ وستأتي الأحاديث الواردة في هذا الباب، وبيان هذه الخصيصة له ﷺ في طي الشرح.

وكيف كان فعلوم الأنبياء خصوصاً نبيّنا ﷺ تكون بنحو اليقين، ولولا ذلك لما كان لمتابعته وجه، لحصول الظن والتقليد بغيره أيضاً، ولما حصل اليقين بل ولا الاطمينان بصدق قوله كما لا يخفىٰ.

فصل: في بيان شرح الإنسان بما هو إنسان، وبيان كيفية صيرورته إنساناً كاملاً وهي في ضمن أمور.

الأول: إعلم أنّ الموجود إما فوق التمام، وهو الذي يفضل عن وجوده وجود غيره، ويفيض علىٰ غيره لفرط كماله، ويكون في جميع شؤونه فوق التام، أي لا

---

١ ـ يوسف: ١٠٨.

٢ ـ المائدة: ١٥.

٣ ـ النجم: ١٨.

يكون فيه ما بالقوة، بل جميع شؤونه بالتمام وفوق التمام، وهو واجب الوجود جلّ جلاله وليس المراد من أنه يفضل من وجوده وجود غيره، ومن الإفاضة علىٰ غيره خروج شيء منه علىٰ غيره، بل ما حققه العلماء الراسخون من أنّه بديع الأمور والسموات والأرض لفرط جوده وسخائه وكرمه، وتوضيحه موكول الىٰ محله.

وإما يكون هو التمام، وهو الذي يوجد له كلّما يمكن له في أول الكون، وبحسب الفطرة الأُولىٰ من غير انتظار.

قيل: وهو الأنوار المجردة القاهرة القاطنة في حظيرة القدس، أعني العقول الفعّالة، قيل: وهي كلمات الله التامات المشار إليها في الأدعية المأثورة عنهم عليهم السلام.

وإما يكون هو المستكفي وهو الناقص، الذي لا يحتاج في تمامه وكماله إلىٰ أمر مباين عنه خارج عن أسبابه الذاتية ومقوّماته، قيل هو كالنفوس الفلكيّة المستكفية في خروجها عمّا بالقوة إلى الفعل في حركاتها الشوقيّة بمبادئها الذاتيّة العقليّة.

وبعبارة أُخرىٰ: إنّ كمالاتها حاصلة عن ذاتياتها العقلية، ولا تحتاج الىٰ غير ذاتها، بل هو مستكف في كماله بذاتيّاته، وقد يقال هو نفوس الأنبياء أيضاً لاسيما خاتمهم صلى الله عليه وآله حيث لم يحتج في تكميل نفسه القدسية الىٰ معلم خارج بشري بل يكاد زيت نفسه يضيء بنور ربّه ولو لم تمسسه نار التعليم البشري لغاية لطفه وذكائه.

أقول: كون نفس النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله من المستكفي مطلقاً محل تأمل أمّا بالنسبة إلىٰ روحه المقدسة فلدلالة كثير من الأخبار علىٰ أنه صلى الله عليه وآله مؤيّد بروح القدس والروح الذي هو أعظم من جبرئيل وميكائيل، وسيجيء بيانه فهو صلى الله عليه وآله خارج موضوعاً عن الأرواح والموجودات، بل حقيقته فوق التامّ السابق ذكره كما لا يخفىٰ.

وأما بالنسبة الىٰ بدنه المقدس فيمكن أن يكون من المستكفي إلّا أنه لا كسائر المستكفين، حيث إنّ جهاته البشرية أيضاً تكون كمالاتها بذلك الروح القدس، ولها خصائص ليست لغيره، وهكذا آله الطاهرون من الأئمة الطاهرين وبنته الطاهرة

فاطمة الزهراء سلام الله عليها.

والحاصل أنه وآله عليه وعليهم السلام وإن كانوا من المستكفين من الجهات البشرية إلّا أنّ لهم خصائص تخصّهم وليست لغيرهم.

وإمّا يكون هو الناقص وهو ما يحتاج الىٰ غيره في كماله اللايق بحاله، ولا يوجد له في أول الفطرة ما يستكمل به بنفسه.

وبعبارة أُخرىٰ: الناقص هو الذي نقص عن الكمال، وله بحسب ذاته وبالقوة استعداد الكمال بالفعل، ولكن يحتاج في ذلك إلىٰ من يكمله من معلّم خارجي، وهذا كالنفوس البشرية المعبر عنها في كلماتهم بالنفوس السفليّة التي هي كلماته السفلىٰ.

فقال بعضهم في بيان مصاديق ما ذكر: إنّ العقول المقدسة عن الأجرام هي كلمات الله التامّة العليا، والنفوس المدبرة للسماويّات هي كلماته الوسطىٰ، والنفوس السفلية هي كلماته السفلىٰ، وأما ما هو فوق التمام فهو واجب الوجود جلّ شأنه العزيز.

أقول: ولتحقيق هذه الأمور مقام آخر وإنما ذكرنا هذا التقسيم ليعلم أنّ النفوس البشرية غالباً تكون من الناقص، المحتاج في كماله إلىٰ غيره، وليس له إلّا الاستعداد الذاتي بالإمكان والقوّة للترقّي فالكلام يقع في شرح حال هذا الإنسان الناقص، وبيان كيفيّة صيرورته إنساناً كاملاً.

الأمر الثاني: اعلم أنّ للإنسان نشآت فالأُولىٰ منها النشأة العنصرية فإن عناصره إذا صفت، وامتزجت مزاجاً قريباً من الاعتدال جدّاً، وسلكت طريقاً إلىٰ الكمال أكثر مما سلكه الكائن من النبات والحيوان، وقطعت من القوس العروجيّة أكبر مما قطعته سائر النفوس، فيحنئذ اختصّت من الواهب جلّ وعلا بالنفس الناطقة والمستخدمة لسائر القوى النباتية والحيوانية، فإن زيادة الكمال علىٰ حسب زيادة الصفاء والاعتدال، فإذا بلغت المواد بأمزجتها غاية الاستعداد،

وتوسطت غاية التوسّط من الأطراف الممعنة في التضاد، فاعتدلت وتشبّهت بالسبع الشداد الخالية عن التفاسد، البعيدة عن الأضداد، فحينئذ استحقت من واهبها الجواد لقبول فيض، أكمل وجوهر أعلىٰ وأشرف من هذه النفوس والصور، فحينئذ قبلت من التأثير الإلّهي ما قبله الجرم السماوي والعرش الرحماني من قوة روحانيّة مدركة للكلّيات العقليّات بذاتها، والجزئيّات الحسيّات بقواها وآلاتها، وصارت متصرفة في المعاني سالكة الىٰ سبيل الله الحق الأكبر.

والىٰ هذا الاعتدال والاستعداد يشير ما رواه الفيض الكاشاني في الكلمات المكنونة قال: روي في كتاب الغرر والدرر أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سُئل عن العالم العلوي، فقال: صور عارية عن المواد، خالية عن القوة والاستعداد، تجلّىٰ لها ربّها فأشرقت، وطالعها فتلألأت، وألقىٰ في هويّتها مثاله، فأظهر عنها أفعاله، وخلق الانسان ذا نفس ناطقة إن ذكّاها بالعلم والعمل فقد شابهت جواهر أوائل عللها، وإذا اِعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد.

وفيه روي: أنّ بعض اليهود اِجتاز به وهو يتكلم مع جماعة فقال له: يابن أبي طالب لو أنّك تعلّمت الفلسفة لكان يكون منك شأن من الشأن فقال عليه السلام: وما تعني بالفلسفة؟ أليس من اعتدل طباعه صفا مزاجه، ومن صفا مزاجه قوىٰ أثر النفس فيه، ومن قوىٰ أثر النفس فيه سما الىٰ ما يرتقيه، ومن سما الىٰ ما يرتقيه فقد تخلق بالأخلاق النفسانيّة، فقد صار موجوداً بما هو إنسان دون أن يكون موجوداً بما هو حيوان، ومن صار موجوداً بما هو إنسان فقد دخل في الباب الملكي الصوري، وليس له عن هذه الغاية مفرّ، فقال اليهودي: الله أكبر يابن أبي طالب لقد نطقت الفلسفة جميعها في هذه الكلمات رضي الله عنك.

أقول: ولعل الحديث المعروف من أن العقل السليم في البدن السليم يشير الىٰ هذا الاعتدال والتسوية في المزاج، فإن له دخلاً عظيماً في قوة العقل وكمال الإنسان، هذا وقد عبّر في القرآن المجيد عن تعديل المزاج المذكور بالتسوية، تشبّهاً بتسوية

جوهر المرآة وتصقيل وجهها علىٰ وجه يقبل العكس، وعبّر فيه عن إفاضة نور النفس عليها بالنفخ في قوله تعالىٰ: ﴿فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي﴾[1] فالنطفة الانسانيّة عند تمام الاستواء والاعتدال يستحق باستعدادها نفساً يدبرها، ويفيض عليها الروح البشري من جود الجواد الحق الواهب لكل مستحق ما يستحقه، فالتصفية فيها عبارة عن الأفاعيل والاحالات المرددة لأصل النطفة في الأطوار السالكة بها الىٰ صفة الاستواء والاعتدال.

ولها (أي للروح الانساني) نشأة أُخرىٰ وهي النشأة الروحية الإنسانيّة وهو أنه يمكن أن تعلم النشأة الثانية للروح الإنسانيّة، فإنه عند تسوية صفات النفس وتعديل ملكاتها وأخلاقها في أوان الأربعين يستحق لفيضان الروح الإلّهي الذي هو من أمر الله وكلمته، والروح الإلّهي الأمري غير الروح البشري النفساني كما ستجيء: الاشارة اليه فيما بعد.

ثم إن إطلاق التسوية والنفخ والروح في كل نشأة وطور بمعنىٰ آخر، إلا أن النشئات متحاذية متطابقة تطابق الظاهر مع الباطن والبدن مع النفس.

وكيف كان فالنفس البشري الانساني في الحقيقة نور من أنوار الله المعنوية من الله مشرقها ومغربها الىٰ هذا القالب المظلم، أي النشأة الأُولىٰ التي مرّ ذكرها آنفاً وقد حدّها الحكماء حدّاً بحسب الاسم بأنها كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة من جهة ما يدرك الأمور الكلّية ويفعل الأفعال الفكريّة ولها نشأت أخرىٰ ستعرفها فيما يأتي.

الأمر الثالث: اذا عرفت حدّها المذكور فأعلم أنها جوهرة روحانيّة حيّة بذاتها، فإذا قارنت جسماً من الأجسام صيّرته مثلها كالصورة الناريّة فإنها جوهرة حارّة فإذا جاورت جسماً من الأجسام صيّرته حارّاً مثلها، وظهر مما ذكر أيضاً أن للنفس قوّتين علّامة وعمّالة.

---

١ ـ الحجر: ٢٩.

فهنا أمران:

الأول: اِعلم أن لها قوة فعالة بقوّتها العلامة وبسببها، فهو بقوّتها العلامة تفعل، بأن تنزع رسوم المعلومات من هيولاها وتصوّرها، كملك الموت ينزع الأرواح من الأجساد، ويصعد بها الىٰ عالم الآخرة فيكون ذات جوهرها لتلك الصورة كالهيولا، وهي فيها كالصورة وبقوتها الفعالة يخرج الصور التي في فكرها وينقشها في الهيولا الجسمانيّة كالمادة البدنيّة لها، فيكون الجسم عند ذلك مصنوعاً لها آلة في سائر أفاعيلها.

الثاني: أعني قوة العلامة وهي التي تقبل النفس بها صور المعارف والمعقولات فما فوقها ويتعلّمها، وكلّ من تعلم علماً فإن صورة المعلوم كانت أولاً في نفسه بالقوة، فإذا تعلّمه صارت فيها بالفعل، والتعلّم ليس إلّا سلوك الطريق من القوة الى الفعل، والتعليم ليس سوى الدلالة على الطريق، والأُستاذون هم الأدلّة وتعليمهم هو الدلالة والهداية الى الصراط المستقيم الى المطلوب المدلول عليه.

فثبت أنّ للنفس باعتبار ما يخصّها من القبول عمّا فوقها، والفعل فيما دونها قوّتين علّامة وفعّالة فبالأُولىٰ تدرك التصورات والتصديقات، ويعتقد الحق والباطل فيما يدرك ويعقل ويسمّىٰ بالعقل النظري، قيل وهو من ملائكة جانب اليمين. وبالثانية يستنبط الصناعات الانسانيّة ويعتقد القبيح والجميل فيما يترك ويفعل ويسمّىٰ بالعقل العملي. قيل: وهو من ملائكة جانب الشمال، وقد يقال إنه أُشير إليهما في الكتاب الإلٰهي: **﴿وجاءت كلّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيد﴾**[1] وبالسائق يستعمل الفكر والرويّة في الأفعال والصنايع مختارة للخير أو ما يظنّ خيراً، أوّلها الجربزة والبلاهة والتوسّط بينهما المسمّىٰ بالحكمة وهي من الأخلاق، والاشتراك لفظي بينها وبين الحكمة التي هي من العلوم الكلّية المنقسمة الى الحكمتين، فإنها كلّما

---

١ ـ سورة ق : ٢١.

كانت أكثر كانت أفضل.

وبعبارة أُخرىٰ: إنّ الحكمة الكلّية غير الحكمة العمليّة بالعقل العملي فإن الثانية يكون حسنها في التوسط دون الأطراف، وهذا بخلاف الأُولىٰ فإنها كلّما كانت أكثر كانت أفضل وتوضيحه أكثر مما ذكر مذكور في محلّه.

وهذه القوة أي العقل العملي مطيعة للأُولىٰ أي النظري مستمدّة منها في كثير من الأمور، ويكون الرأي الكلّي عند النظري، والرأي الجزئي عند العملي المعدّ نحو المعلول.

فصل: قد تقدم أنّ للإنسان صورة من عالم الشهادة المحسوسة، وروحاً من عالم الغيب الملكوتي، وسرّاً مستعداً لقبول فيض النور الإلٰهي، فبالتربية يترقّىٰ من عالم الشهادة الىٰ عالم الغيب وهو الملكوت، وبسرّ المتابعة وخصوصيّاتها يترقىٰ من عالم الملكوت الىٰ عالم الجبروت والعظموت وهو غيب الغيوب، قال عليه السلام فتصل الىٰ معدن العظمة.

والسرّ في ذلك أنّ الإنسان الكامل لما كان غاية سلسلة الأكوان وخليفة الله، لكونه أبدع ما في عالم الإمكان، فيكون علمه لمعة من نور علم الله كما أنّ وجوده مرآة لشمس وجود الله ففي قوله تعالىٰ: **﴿إنّي أعلم غيب السموات﴾** بعد قوله تعالىٰ: **﴿فلمّا أنبأهم بأسمائهم﴾** إيماء لطيف بأن آدم من شأنه أن يعلم غيب السموات والأرض، ومن شأنه أن يقول: «إنّي أعلم ذلك» لإعطاء نشأته علم ذلك، والىٰ هذه الحقيقة الإنسانية يشير قوله تعالىٰ: **﴿وأعلم ما تُبدون وما كنتم تكتُمون﴾**[1] فإنه لعلّه إشارة الىٰ أنّ حقيقة الإنسان صورة علم الله وهو كتاب جامع ونسخة مجموعة لظاهر الملك وباطن الملكوت.

والملائكة المدبّرة أي أرواح العالم ومكنوناته، وظواهرهم أي الانسان اجرام

---

١ ـ البقرة: ٣٣.

العالم وشهاداته.

وببيان آخر: أنّ الانسان الكامل حيث ابتدأ وجوده كان من أدنى الأشياء أي من تراب وماء مهين، وقد أنشأه الله مستعداً لأن ينتهي الىٰ أعلى المقامات، فلابد من مروره علىٰ سائر الدرجات الكائنة في الممكنات من الباطن والظاهر عند أداء الأمانات. ولابد له من بلوغه الى الغاية، وغاية كل شيء لا تظهر إلّا عند بلوغ ذلك الشيء الىٰ تلك الغاية، وغاية كل شيء غيب ذلك الشيء، وقد ثبت في محله أنّ الإنسان الكامل غاية ما في الأرض والسماء بحسب الأجناس والدرجات فهو إذاً غيب السموات والأرض كما هو ظاهرهما، والله تعالىٰ عالم به قبل خلقه وبلوغه الىٰ مقام قرب أو أدنىٰ، فهو غاية وجود الأكوان وثمرة شجرة الأفلاك والأركان، بل صفوة عالم الإمكان والمصداق الحقيقي لهذا محمد وآله الطاهرون كما لا يخفىٰ وسيجيء في الشرح بيانه.

فصل: اِعلم أنّ العوالم بكثرتها تجمعها عوالم ثلاثة: عالم الدنيا، وعالم الآخرة وعالم العقل، والمدارك الإنسانيّة ثلاثة، والإنسان بحسب غلبة كل واحد منها يقع في عالم من هذه العوالم والنشأت، فبالحسّ يقع في العالم الدنياويّ وبه ينال الصور الحسّية الكائنة الفاسدة الملذّة والمولمة، بحسب الملائمة والمنافرة. وبالقوة الباطنيّة الجزئيّة يقع في النشأة الثانية التي هي عالم الصور الأُخرويّة المنقسمة الى الجنة والجحيم، وبالقوة الباطنية العقليّة تقع في النشأة الثالثة التي هي عالم الصور العقليّة الالٰهيّة، قيل: وهي العقول الإفلاطونيّة.

فالناس أصناف ثلاثة:

- أهل الدنيا وهم أهل الحسّ، كالأنعام والبهائم أو أضلّ سبيلاً كما قال تعالىٰ: **﴿أُولئك كالأنعام بل هم أضلّ﴾**[1].

---

١ ـ الأعراف: ١٧٩.

● أهل الآخرة، وهم الصلحاء وأهل الاعتقادات التقليديّة الظنيّة الخياليّة أي أهل الحقّ الثابت لهم بالحجة دون الشهود كما تقدمت الإشارة إليه.

● أهل الله وهم العرفاء بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بالنحو الشهودي، ولكلّ هذه المراتب أحوال وأحكام قد ذكرت في محلّها كما لا يخفىٰ.

فالإنسان الكامل وأهل الله هو القابل لأن يتجلّى الحق في مرآة قلبه بعلم مستأنف منه تعالىٰ، وهذا لا يكون لغير الإنسان الكامل قال تعالىٰ: **﴿سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّىٰ يتبيّن لهم أنّه الحقّ أولم يكفِ بربّك أنّه علىٰ كلِ شيءٍ شهيد﴾**[1] وقال تعالىٰ: **﴿وفي أنفسكم أفلا تُبصرون﴾**[2] فإنّ الإنسان الكامل إنما يصير قابلاً ولائقاً لقرب الحق بواسطة معرفته وشهوده القلبي له تعالىٰ، لا لجهات أُخرىٰ تكون فيه فما للتراب وربّ الأرباب.

فصل: في معرفة النفس، وأنها أساس الإيمان والتوحيد.

اِعلم أنّ المتحصّل من البراهين القطعيّة أنّ أقرب الطرق إلىٰ معرفته تعالىٰ هو طريق معرفة النفس، ومجملهُ هو الإعراض عن غير الله تعالىٰ، والتوجه التام إليه تعالىٰ، وتفصيله أنّه دلّت آيات قرآنيّة علىٰ كون معرفة النفس هي الطريق الىٰ معرفته تعالىٰ فمنها قوله تعالىٰ: **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّىٰ يتبيّن لهم أنّه الحقّ﴾** ومنها قوله تعالىٰ: **﴿ولا تكونوا كالّذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أُولئك هم الفاسقون﴾**[3].

وهذه الآية كعكس النقيض لقوله ﷺ في الحديث المشهور بين الفريقين «مَن عرف نفسه عرف ربّه» فإن قوله **﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾** نقيضة بحسب المعنىٰ ذكروا الله فذكرهم أنفسهم فإن الذكر نقيض النسيان، ثم إنّ عكس هذا النقيض هو

---

١ ـ فصلت : ٥٣.

٢ ـ الذاريات : ٢١.

٣ ـ الحشر : ١٩.

ذكرهم أنفسهم ذكر الله، وهذا مساوق لمعرفتهم أنفسهم معرفة الله ومنها قوله تعالىٰ: ﴿عليكم أنفسكم لا يضرّكم مَن ضلّ إذا اِهتديتم﴾[١] وأما الأخبار، ففي المحكّي عن كتاب الغرر والدرر صفحة ٨٤ للآمدي من الكلمات القصار لعليّ عليه السلام ما يبلغ نيّفاً وعشرين حديثاً في معرفة النفس.

ففيها عنه عليه السلام أنه قال:

□ الكيّس مَن عرف نفسه، وأخلص أعماله، وقال عليه السلام: المعرفة بالنفس أنفع المعرفتين.

□ العارف من عرف نفسه فأعتقها ونزّهها عن كلّ ما يبعّدها.

□ أعظم الجهل ـ جهل الإنسان أمر نفسه.

□ أعظم الحكمة معرفة الإنسان نفسه.

□ أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربّه.

□ أفضل العقل معرفة الإنسان نفسه، فمَن عرف نفسه عقل، ومَن جهلها ضلّ.

□ عجبت لمن ينشد ضالّته وقد أضلّ نفسه فلا يطلبها.

□ عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربّه.

□ غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه.

□ كيف يعرف غيره من يجهل نفسه.

□ كفىٰ بالمرء معرفة أن يعرف نفسه.

□ مَن عرف نفسه تجرّد.

□ مَن عرف نفسه جاهدها.

□ مَن جهل نفسه أهملها.

□ مَن عرف نفسه عرف ربّه.

---

١ ـ المائدة: ١٠٥.

□ مَن عرف نفسه جلّ أمره.

□ مَن جهل نفسه كان بغيره أجهل.

□ مَن عرف نفسه كان بغيره أعرف.

□ مَن عرف نفسه فقد انتهىٰ إلىٰ غاية كلّ معرفة وعلم.

□ مَن لم يعرف نفسه بَعُدَ عن سبيل النجاة، وخبط في الضلال والجهالات.

□ معرفة النفس أنفع المعارف.

□ الفوز الأكبر مَن ظفر بمعرفة النفس.

□ لا تجهل نفسك فإنّ الجاهل معرفة نفسه كجاهل كلّ شيء.

ثم إنّه لا تصغ الىٰ من قال بأن المراد استحالة معرفة النفس لتعليقها بمعرفة الرّب وهو مستحيل. فمعرفة النفس أيضاً مستحيلة، فإنّه يدفعه قوله «أعرفكم بنفسه أعرفكم بربّه»، فإنه ﷺ رتّب معرفته تعالىٰ علىٰ معرفة النفس بنحو القضية الموجبة، فأثبت معرفة الرب علىٰ معرفة النفس، وهذا يأبىٰ حمله على النفي كما لا يخفىٰ.

نعم إنّ المعرفة الفكريّة أي التفكر في الذات تعالىٰ مستحيلة، وأما المعرفة الشهوديّة بالمعنى الذي يأتي بيانه فلا. ومع التسليم فإنما المستحيل معرفته تعالىٰ بمعنى الإحاطة التامة بكنهه تعالىٰ، وأما المعرفة بقدر الطاقة الإمكانيّة فغير مستحيلة.

وبالجملة فكون معرفة النفس أفضل الطرق، وأقربها إلى الكمال مما لا ينبغي الرّيب فيه، وإنما الكلام في كيفية هذا المسير.

فنقول: قد ذكر العلماء العارفون أنّ المستفاد من الآية المباركة وهي قوله تعالىٰ: ﴿سنريهم آياتنا﴾ أنّ تحصيل معرفته تعالىٰ علىٰ وجهين:

الأول : هو السير الآفاقي **والثاني**: السير الأنفسي.

أمّا الأول: فجمله هو التفكر والتدبر والاعتبار بالموجودات الآفاقيّة الخارجية

عن النفس من صنايع الله تعالىٰ، وآياته في السماء والأرض؛ ليورث ذلك يقيناً بالله وأسمائه وأفعاله لأنها آثار وأدلّة، والعلم بالدليل يوجب العلم بالمدلول بالضّرورة، هذا ولكن الظاهر بل الحق أنّ السير الآفاقي وحده لا يوجب معرفة حقيقة ولا عبادة حقيقة؛ لأن إيجاب الموجودات الآفاقيّة للمعرفة إنما هو بكونها آثاراً وآيات.

وهذه كما ترىٰ لا توجب إلّا علماً حصوليّاً بوجود الصانع تعالىٰ وصفاته، وهذا العلم ينحل الىٰ قضيّة ذات موضوع ومحمول واقع عليها، والقضيّة إنما هي من المفاهيم الحاصلة في النفس والتي يتعلق بها التصديق في الذهن، وهذا قصارىٰ ما يحصل من العلم بوجوده تعالىٰ من التفكر في الآيات الآفاقيّة، مع أنّه قد ثبت في محلّه أنّ الحقّ سبحانه وتعالىٰ قد قام البرهان من نحو قوله ﷺ: بل هو شيء بحقيقة الشيئية، وقوله ﷺ: هو شيء مثبت موجود، علىٰ أنّه سبحانه وجود محض لا مهيّة له، فيستحيل دخوله في الذهن لاستلزام ذلك مهيّة خالية في نفسها عن الوجودين، موجودة تارة بوجود خارجي وأُخرىٰ بوجود ذهني وهي مفقودة هاهنا، فكلّ ما وصفه الذهن وتصوّره واجباً، وحكم عليه بمحمولاته من الأسماء والصفات فهو غيره سبحانه البتة، والىٰ ذلك يشير ما في توحيد الصدوق مسنداً عن عبدالأعلىٰ عن الصادق ﷺ في حديث: «ومَن زعم أنّه يعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال فهو مشرك؛ لأن الحجاب والصورة والمثال غيره وإنّما هو واحد موحّد، فكيف يوحّد من زعم أنه عرفه بغيره، إنما عرف الله مَن عرفه بالله فمَن لم يعرفه به فليس يعرفه إنما يعرف غيره، ليس بين الخالق والمخلوق شيء، والله خالق الأشياء لا من شيء، يسمىٰ بأسمائه، فهو غير أسمائه والأسماء غيره والموصوف غير الوصف. فمن زعم أنّه يؤمن بما لا يعرف فهو ضالّ عن المعرفة، لا يدرك مخلوق شيئاً إلّا بالله، ولا تدرك معرفة الله إلّا بالله، والله خلّو من خلقه، وخلقه خلّو منه» الحديث (التوحيد ص١٤٣).

وقوله ﷺ: «واحد موحّد» يراد منه أنّه تعالىٰ واحد محض لا كثرة فيه، ولا

يمكن تصوّره في الذهن، وقوله عليه السلام: «إنما عرف الله من عرفه بالله» أي عرف الله بالله كما قال عليه السلام: «يامن دلّ علىٰ ذاته بذاته»، وقال عليه السلام في دعاء أبي حمزة: «بك عرفتك».

وكيف كان فالطرق العقليّة والنّظر في الآيات الآفاقي حيث إنه طريق عقلي لا يوجب معرفته تعالىٰ بالحقيقة، بل إنما توجب علماً حصوليّاً؛ لوجوده تعالىٰ فقط وهذا بخلاف حصول معرفته تعالىٰ بطريق معرفة النفس، فإنّه منتج معرفته تعالىٰ معرفة حقيقيّة.

وحاصله أن يوجّه الإنسان وجهه للحق سبحانه، وينقطع عن كلّ صارف وشاغل عن نفسه الىٰ نفسه حتّىٰ يشاهد نفسه كما هي، وهي محتاجة الى الحقّ سبحانه ومَن هذا شأنه، لا تنفكّ مشاهدته عن مشاهدة مقوّمه.

وبعبارة أُخرىٰ: إذا أمعن النظر في توجهه الىٰ خالقه، مشفوعاً بمشاهدة نفسه، محتاجة فقيرة لا قوام ولا وجود لها إلّا بمقوّمها، فلا محالة يشاهد قلباً مقوّماً وهو الحقّ سبحانه، فإذا شاهد الحق سبجانه عرفه معرفة ضروريّة، ثم عرف نفسه به حقيقة؛ لكونها قائمة الذات به سبحانه، ثمّ يعرف كل شيء به تعالىٰ.

والىٰ هذا يشير ما في تحف العقول عن الصادق عليه السلام في كلامه في وصف المحبّة لأهل البيت في حديث: «من زعم أنه يعرف الله بتوهم القلوب فهو مشرك ومَن زعم أنّه يعرف الله بالاسم دون المعنىٰ فقد أقرّ بالطعن؛ لأن الاسم محدث، ومن زعم أنه يعبد الاسم والمعنىٰ فقد جعل مع الله شريكاً، ومَن زعم أنه يعبد (المعنىٰ) بالصفة لا بالإدراك فقد أحال علىٰ غائب، ومَن زعم أنه يعبد الصفة والموصوف فقد أبطل التوحيد؛ لأن الصفة غير الموصوف، ومن زعم أنه يضيف الموصوف إلى الصفة فقد صغّر بالكبير، وما قدروا الله حقّ قدره..

قيل له : فكيف سبيل التوحيد؟ قال عليه السلام: «باب البحث ممكن وطلب المخرج موجود، إنّ معرفة عين الشاهد قبل صفته، ومعرفة صفة الغائب قبل عينه».

قيل: وكيف تعرف عين الشاهد قبل صفته؟ قال عليه السلام: «تعرفه وتعلم علمه،

وتعرف نفسك به، ولا تعرف نفسك بنفسك من نفسك، وتعلم أنّ ما فيه له وبه كما قالوا ليوسف: ﴿إنّك لأنت يوسف قال: أنا يوسف وهذا أخي﴾ فعرفوه به ولم يعرفوه بغيره، ولا أثبتوه من أنفسهم بتوهم القلوب» الخبر ـ وحاصل الرواية وهي من غرر الروايات أنّه عليه السلام مثّل معرفته تعالىٰ بالله بمعرفة أُخوة يوسف بيوسف حيث إنّه لمّا نظروا إليه فعرفوه به لا بغيره.

والعارف الحقيقي هو الذي ينظر إليه تعالىٰ من علائمه اليقينيّة. فإنّ له تعالىٰ علائم أُشير إليها بقوله عليه السلام وتعلم علمه بفتح اللام ـ بمعنى العلامة، أي تعلم علائمه تعالىٰ وهي المظاهر اليقينيّة، من كونه تعالىٰ حيّاً بحياة حقيقيّة أزليّة وأبديّة. وكونه تعالىٰ خالق كلّ شيء ومالكه، وأنّ كلّ شيء موجود به فالنظر في هذه الصفات الإلهيّة التي ليست لسواه، يعطي الناظر معرفة بموصوفها وهو الذات المقدسة الظاهرة في هذه الصفات الربوبيّة فقوله عليه السلام تعرفُه أي بالواحدانيّة وهذا معرفة عقليّة. ثمّ أردفه بقوله وتعلم علمه. أي تعلم علماً حضوريّاً بعلائمه وجدانيّاً.

فإذا علمت أنّه الخالق لكلّ شيء، وأنّ كلّ شيء موجود به فقد عرفت نفسك به، وحينئذ لا تعرف نفسك بنفسك من نفسك بل تعرفها به تعالىٰ، وتعلم أنّ ما في نفسك من الوجود والآثار فإنّما هي له تعالىٰ وبه تعالىٰ فقوله كما قالوا ليوسف أي إنّ أُخوة يوسف نظروا إلىٰ يوسف فعرفوه به لا بغيره، ولا أثبتوه من أنفسهم بتوهم القلوب بل عرفوه بالنظر اليه فبه عرفوه. وكذلك العارف ينظر الىٰ علائم الله تعالىٰ وتجلياته بالقلب فيعرفه به تعالىٰ لا بغيره وهذه معرفة حقيقية.

والحاصل: أنّ طريق معرفة النفس هي الموصلة إلىٰ هذه الغاية، وهي أقرب الطرق؛ وذلك بالانقطاع عن غير الله، والتوجه إلى الله سبحانه بالاشتغال بمعرفة النفس.

توضيحه: انّ المتحصّل من الخبر عن موسىٰ بن جعفر عليه السلام من قوله عليه السلام: «ليس بينه وبين خلقه حجاب إلّا خلقه، فقد احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير

ستر مستور»[١] الخبر، إنّه لا مانع للعبد بينه وبين معرفة الله تعالىٰ إلّا نفس العبد. وللعبد وجهان: وجه اليه تعالىٰ ووجه إلىٰ نفسه وما يستلزمها من الآثار المترتبة عليها في الوجود، وإذا انصرف العبد عن الوجه النفساني وأعرض عنها واشتغل بنفسه أي بالوجه الإلهي والربّاني من التوبة أي الرجوع اليه تعالىٰ والإنابة والمحاسبة والمراقبة والصمت والجوع والخلوة والسهر، وجاهد بالأعمال والعبادات الواجبة أو المستحبّة المأثورة. وأيّده بالفكر والاعتبار حتىٰ يورث ذلك انقطاعاً حقيقيّاً بسببها عن النفس ـ فيراها محض الفقر والاحتياج في جميع الشؤون الىٰ بارئه سبحانه ـ والىٰ الله تعالىٰ بالتوجيه التام الى الحق سبحانه فحينئذ يطلع من الغيب طالع في قلبه، ويتعقّبه شيء من النفحات الالٰهيّة والجذبات الربّانيّة، ويوجب حبّاً وإشراقاً، وهذا هو الذكر الحقيقي القلبي، ثم لا يزال بارق يلمع وجذبة تطلع، وشوق يدفع حتىٰ يتمكّن سلطان الحب في القلب، ويستولي الذكر علىٰ النفس، فيجمع الله حينئذ الشمل ويختم الأمر، وأن إلىٰ ربك المنتهىٰ.

وحينئذ تحصل المعرفة به تعالىٰ حسب ما أفاض الله علىٰ قلبه من تجلياته الذاتية الصفاتية والأفعاليّة، كلّ علىٰ حسب ظرفه وما يستحقّه، ولا يعلم أحد حاله إلّا الله تعالىٰ فأولياؤه تحت قبائه لا يعرفهم غيره، رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

ثم إنّ اللازم لهذا السالك ـ السائر في تحصيل معرفته تعالىٰ ـ المراقبة التامة وحاصلها: أنّه لابدّ له من أن لا ينسى المقصد آناً، وأن يعرف من الطريق مقدار ما يعتبر منه، وأن يحمل من الزاد قدر ما يحتاج إليه، فلو نسىٰ مقصده آناً مّا هام علىٰ وجهه حيران، وضلّ ضلالاً بعيداً، ولو ألهاه الطريق ومشاهدته وما فيه بطل السير، وحصل الوقوف، ولو زاد حمل الزاد على الكفاف اللازم تعوق السعي وفات

---

١ ـ التوحيد ص ١٧٩.

المقصد، والله المستعان.

فصل: في تحصيل معرفته تعالىٰ بنحو آخر.

إعلم: أنّ الطرق الموصلة إلى الحقّ تعالىٰ ومعرفته، تارة تتحقق بدوام الذكر وهو علىٰ أقسام بحسب الكمّ والكيف، وبحسب الأشخاص، وطريقه صعب جدّاً؛ لغموض تشخيص المانع في نفس السّالك، ثم تشخيص الذكر والورد المختص به لازالة مانعه، ثم تشخيص مقدار الذكر كمّاً وكيفاً، ثم تتميم العمل بلا معارض، ثم إدامة النتيجة بلا موجب لحبطها ولذا قلّ من وصل الى المعرفة من هذا الطريق ولم يعقه عائق، وتفصيله موكول الىٰ محلّه.

وأُخرىٰ بمعرفة النّفس الّتي تقدّم ذكرها آنفاً، وسيأتي في الشرح كلام بعض الأكابر بنحو الاختصار في كيفية تحصيل معرفة النّفس المترتّبة عليها معرفة الرّب، وهذا الطريق كسابقه في الصعوبة وإنّ أصرّ عليها بعض الأكابر، بل ربما إدّعىٰ بعضهم بانحصار الطريق فيها ولكن فيه ما لا يخفىٰ.

وثالثة بالسير إليه تعالىٰ بالمحبّة، وسيأتي في الشّرح الإشارة إليه، ولكن نذكر هنا هذا الطريق بنحو الإجمال وهو تلخيص ما ذكره بعض الأعاظم وحاصله أنّ أسعد الخلائق في الآخرة أقواهم حبّاً لله تعالى، وأشدّهم شوقاً للقائه قال تعالىٰ: ﴿والّذين آمنوا أشدّ حبّاً لله﴾[1] فإنّ معنى الآخرة هو القدوم على الله كما صرّح به كثير من أخبار البعث والنشر بل والآيات القرآنيّة مثل قوله تعالىٰ: ﴿ياأيّها الإنسان إنّك كادحٌ إلىٰ ربّك كدحاً فملاقيه﴾[2] وبعد القدوم يدرك سعادة لقائه، وما أعظم نعيم المحبّ المستهتر إذا قدم علىٰ محبوبه بعد طول شوقه، وتمكّن من دوام مشاهدته أبد الآباد من غير مزاحم ومكّدر ومنغّص، ورقيب وخوف الانقطاع إلّا أنّ هذا النعيم علىٰ قدر الحبّ واستيلائه وشدّته!

---

١ ـ البقرة: ١٦٥.

٢ ـ الانشقاق: ٦.

ثم إنّ المؤمن وإن كان لا يخلو من محبّة ما في الجملة كما أنّ عبادته لا تخلو من معرفة مّا في الجملة، وإلّا لم يكن مؤمناً عابداً له تعالىٰ، ولكن نيل تلك السعادة الأبديّة لا يكون إلّا بشدة الحبّ والشوق إليه تعالىٰ كما لا يخفىٰ. ولا تحصل هذه المحبّة الشديدة إلّا بأمرين:

الأول: قطع العلائق وإخراج حبّ الدنيا وما فيها من القلب كما في أخبار داودعليه السلام في حديث طويل: ولا ينال هذا إلّا من رفض الدنيا، ولم يشتغل قلبه بشيء منها. وفي سفينة البحار نقلاً عن الكافي: سُئل علي بن الحسين عليهما السلام: أيّ الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما من عمل بعد معرفة الله ومعرفة رسوله أفضل من بغض الدنيا (ذكره في مادة دنا).

وكيف كان فبقدر ما يُشغل القلب بغير الله ينقص منه حبّ الله، ويفرغ إناء قلبه من ذكره الله بقدر اشتغاله بغيره؛ لأن قلب كلّ أحد واحد قال تعالىٰ: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾[١] ومعلوم أنّ الكفر عبارة عن امتلاء القلب بمحبّة الباطل، وكلّ ما سوى الله باطل دون وجهه الكريم قال تعالى: ﴿قل الله ثم ذرهم﴾[٢] وقد روي عنه صلى الله عليه وآله: أحسن كلمة قالتها العرب كلمة لبيد:

ألّا كلّ شيء ما خلا الله باطل وكلّ نعيم لا محالة زائل

والحبّ التام هو الحبّ لله والمحبة لله عند من امتلأ قلبه من محبة الله تعالى قال عليه السلام: «اللّهمّ املأ قلبي حبّاً لك».

ثم إنّ الخلوص لا يكاد يكون لقلب العبد، إلّا إذ اشتدّ حبّه فإنّه (أي شدّة الحب) يحرق ما سواه تعالىٰ في القلب، ومعنى الإخلاص هو أن يخلص قلبه لله، فهذا القلب يتمكّن من أن يعبد الله تعالىٰ مخلصاً وخالصاً لا غيره، ولعله اليه يشير

---

١ ـ الأحزاب: ٤.
٢ ـ الأنعام: ٩١.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَن قال لا إله إلّا الله مخلصاً وجبت له الجنّة»، فخلوص القلب لله تعالىٰ بالمحبّة، بأن يكون بحيث لا يبقىٰ فيه شركة لغير الله تعالىٰ، ومَن هذا حاله فالدّنيا سجنه؛ لأنّها مانعة له عن مشاهدة محبوبه، وموته خلاصه من السجن وقدومه علىٰ محبوبه.

فمحصّل الكلام: أنّ القلب كإناء لا يمتلأ من المحبّة له تعالىٰ إلّا إذا أخرج منه حبّ الدنيا، فحصول المحبّة التامة موقوفة علىٰ قطع العلائق، وإخراج حبّ الدنيا.

الثاني: في تحصيل المحبّة وقوّتها وتمكّنها في القلب، هو قوة المعرفة لله تعالىٰ واتّساعها واستيلاؤها على القلب، وحصول المعرفة في القلب بعد تطهيره من الشواغل، فالمعرفة بمنزلة وضع البذر في الأرض بعد تطهيرها من الحشيش، فيتولد من هذا النور شجرة المحبّة والمعرفة، نعم لابدّ من العمل الصالح فإنّه يرفع القلب الذي فيه المعرفة، وعن هذا القلب المليء بالمعرفة يصعد الكلم الطّيب، ومنه يرفع العمل الصالح قال تعالىٰ: ﴿**إليه يصعد الكلم الطّيب والعمل الصالح يرفعه**﴾[1].

والعمل الصالح يطهّر القلب أولاً من الدنيا، ثم هو مؤثّر في إدامة طهارته وستأتي أحاديث كثيرة دالّة علىٰ دخالة العمل الصالح في تثبيت الإيمان واليقين في القلب وفي تطهيره.

ثم إنّ أصل الطهارة ـ أي إزالة الحجب والأقذار عن القلب. والصفاء أي تصقيل القلب بإزالة الكدورات والصفات الرذيلة والتعلقات الماديّة ـ لما كان أمراً عدمياً أي يرجع الى الإزالة كما علمت فلا محالة لا يُرادان لنفسهما بل لهذه المعرفة.

والحاصل: أنّ الطهارة والصفاء لابدّ منهما في القلب؛ لقابلية القلب وتمكّنه من حصول المعرفة فيه، هذا كما أن العلم المتعلق بكيفية العمل إنما يراد للعمل الصالح، فالعمل الصالح يتحقق في ظرف العلم الصحيح، فلا يخلو العمل من العلم فهو أي

---

١ ـ فاطر: ١٠.

العلم الأول والآخر، فكذلك الطهارة والصفاء في القلب إنما يرادان لحصول المعرفة فهي في ظرف تحققهما متحققة كما لا يخفىٰ.

فتحصّل مما ذكر: أنّ المحبة الشديدة، التي هي العامل الوحيد لحصول المعرفة به تعالىٰ؛ أي حصول لقائه ومشاهدة جماله وجلاله، لا تحصل إلّا بقطع العلائق، وبالمعرفة أي النظر في آيات الآفاق والأنفس، فإنه الموصل الىٰ تلك المعرفة من لقائه ومشاهدته تعالىٰ، فظهر أنّ هذه المعرفة المتوقفة عليها المحبّة، غير المعرفة التي تتوقف المعرفة عليها فلا تغفل.

وهذه المعرفة هي التدبر والتفكر في بدائع الفطرة والاعتبار منها، والنظر في آيات الآفاق والأنفس التي هي خارجة عن حدّ الحصر، إذ النجاة من العذاب الدائم قد علمت انها موقوفة علىٰ حبّ الله تعالىٰ وعدم الاشتراك فيه وهذا متوقف علىٰ هذه المعرفة الحاصلة من هذه التدبرات فهي كالمقدمة التي لا يتم الواجب إلّا بها فهي واجبة علىٰ كل مسلم طالب للمعرفة ومسلمة.

التدبر في آيات الله:

فصل: اِعلم: أنّ التدبر في الآيات الالٰهية علىٰ أقسام علىٰ حسب درجات المتدبّرين.

الأول: أن ينظر إلىٰ نور الوجود قال تعالىٰ: ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾[1]، فينظر الىٰ نوره وأنه منتشر في أهوية ماهيات الممكنات، المنبسط علىٰ سطوح هياكل الممكنات، ثم يعرف من حقيقته المطلقة، التي هي أجلىٰ من كلّ متصور وأول كلّ تصور، تقدمه علىٰ كلّ شيء له ماهية غير الوجود، حتىٰ ينكشف له ما هو نفس حقيقة الوجود المحض المجرد عن كلّ موضوع ومحلّ، والمستغني عن كلّ سبب

---

١ ـ النور: ٣٥.

فاعلي أو غائي أو مقوم فصلي أو مقسم أو مشخّص أو صوري أو مـاديّ، فـتراه مستغنياً عن هذه كلّها لأنها تنافي أوليته وتقدمه جلّ وعلا.

فيعلم أنه بسيط الحقيقة من كلّ الوجوه، غنّي عما سواه مفتقرٌ إليه ما سواه رفعاً للدور والتسلسل، فيعلم من هذا أيضاً أنّ صفاته الكمالية عين ذاته والجميع أمـر واحد، فلا تكثّر في الواجب بالذات فيكون الباري آحدي الذات والصفات جميعاً، فتكون خالقيته بما هو ذاته ووجوده، ومنه يعلم أنّ فعله تعالىٰ واحد قال تـعالىٰ: ﴿وما أمرنا إلّا واحدة﴾ وهؤلاء الواصلون الىٰ هذه النعمة العظيمة هم السـابقون الذين درجتهم درجة العقول القادسة والملائكة المهيّمة، فإن أول معرفتهم لله تعالىٰ وبه يعرفون غيره كما قال تعالىٰ إشارة الىٰ حالهم: ﴿أولم يكف بربّك أنّه علىٰ كلّ شيء شهيد﴾[1] وإليه يشير قول بعضهم لمّا قيل له: بم عرفت ربّك؟ فقال: عرفت ربّي بربّي، ولولا ربّي ما عرفت ربّي، وقال عليه السلام في دعاء أبي حمزة: بك عرفتك ولولا أنت لم أدر ما أنت.

ولعمري إنّ الطريق الأعلىٰ، والمشرب الأصفىٰ عن شوب الإشراك هـو هـذا الطريق أعني الاستشهاد بالحق علىٰ سائر الخلق كما هو الواقع، فإن الموجود أوّلاً هو الذي يستشهد به علىٰ وجود الحادث، وكيف كان فإن وجود الموجودات رشح وتبع لوجوده تعالىٰ، فينبغي أن يكون المعلوم المشهود علىٰ وفق الواقع المـوجود، وهذه الطريقة طريقة الصديقين الذين يعرفون بنور الحق ما سواه، ولا يسـتدلّون علىٰ نور الوجود بهذا الظلام، ولا علىٰ صباح الفطرة بليالي هذه الأجسـام، إلّا أنّ هذا الطريق غامض دقيق، والكلام فيه خارج عن فهم أكثر الخلائق فالأولىٰ إحالة الكلام فيه إلىٰ محلّه وأهله.

الثاني: ما هو دون المرتبة السابقة، وهو أن ينظر في حـقائق المـمكنات مـن

---

١ ـ فصلت : ٥٣.

جيث كونه الموجود المفارق عن المـادة، ولواحقها[١] في الوجـود والتـعقّل، وذلك كالأنوار المفارقة التي هي غير مفتقرة الىٰ علة مقارنة؛ لما ثبت في محله أنّها إنّما تتقوم ذاتها وماهيتها مما يتقوم به وجوده، وذلك لما تقرر هناك أنّ (لم هو) و (ما هـو) في البسائط المفارقة شيء واحد، والمعرفة بها تسمىٰ علماً إلهـيّاً، والعـالمون بـه هـم الحكماء الإلهيّون؛ لأن غاية معرفتهم وحـكمتهم هـو الوصـول الى الحـق الأول، ومجاورته من الملكوت الأعلىٰ والأنوار القاهرة والمفارقة.

والنتيجة المطلوبة من هذين الأمرين هي معرفة الباري تعالىٰ إلّا أنّ في الأول منهما حصلت المعرفة من غير توسط شيء من المخلوقات بل بذاته لذاته، والثـاني حصلت بتوسط معرفة العقول المفارقة بل وبتوسط معرفة النفس، التي هي مرقات لمعرفة الرب كما تقدم آنفاً، فإن مَن عرف النفس بما هي هي عرفها بما هي في الحقيقة من العقول المفارقة، وعلمت في السابق أنّ التعليم والتعلّم يرجع الىٰ ظهور مـا في حقيقة النفس الإنسانيّة والكليّة الإلهية، التي من العقول المفارقة والعقل الفعال كما حقق في محلّه.

ثم قد يقال ـ في تقريب هذا الطريق ـ بيان آخر وهو: أنه لما كانت تلك العقول المفارقة أفعاله تعالىٰ، ويلحق بها النفس الكلية والملائكة المدبّرة، فلا محالة يكون أول نظرهم وأول معرفتهم بـالأفعال أي بهـذه العـقول والنـفوس والمـلائكة، ثم يترقّون منه إلىٰ صفات الله، ثم إلىٰ ذاته، فالله سبحانه ومعرفته غاية أفكارهم إلّا أنه بتوسط تلك الأمور، وهذا بخلاف الأولين فإنه تعالىٰ كان فاعلَ أفكارهم، فـإنهم بعد ما نظروا في الحق بما هو نور ونور الوجود، وعلموا الأشياء به تعالىٰ، فالفاعل لأفكارهم أي أفكارهم التي علموا بها غيره تعالىٰ، هو الله تـعالىٰ فـإنهم عـلموا الأشياء به تعالىٰ كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فالذي يشير الىٰ حـال هـؤلاء أي الطـبقة الثـانية قـوله تـعالىٰ:

﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتىٰ يتبيّن لهم أنّه الحق**﴾[١] ومثله آيات أُخر، وتقدم أنّ هذا الطريق هو الأسهل على الأكثرين والأوسع على السالكين دون الأول فإنه غامض جدّاً، ولذا وقعت دعوة القرآن إليه أكثر، وذلك في الآيات التي أمرت بالتدبر والتفكر في بدائع الفطرة والاعتبار والنظر في آيات الآفاق والأنفس، وقد تقدم بيانه في الجملة.

الثالث: ما هو دون المرتبتين وهو أن ينظر فيما يقبل الفساد والتغيير والحركة والزمان، بحيث يكون موضوع نظرهم وعلمهم الأجسام الطبيعية والفلكية والعنصرية من هذه الحيثيّة المذكورة، وعلمهم الحاصل من هذا النظر يسمىٰ علماً طبيعياً، وهم الحكماء الطبيعيون الذين يصلون الىٰ معرفة الله تعالىٰ، والاعتقاد بوجود ذاته وصفاته وأفعاله من طريق الحركة وعوارضها، وقد يقال: إنّ هذا الطريق هو طريق الخليل ﷺ علىٰ ما حكى الله عنه بقوله: ﴿**فلما جنّ عليه الليل رأىٰ كوكباً قال هذا ربّي**﴾[٢] وتفصيله موكول الىٰ محله.

القوّتان النظرية والعملية:

في تكميل القوة النظرية، وتعديل القوة العملية الموجبتين للتخلق بالأخلاق الالهية وللقابلية لأن يشرق نور المعرفة في القلب، فنقول: قال بعض الأعاظم ما ملخّصه في مقدمة وأمور.

أما المقدمة وهي: أنّ للإنسان هويّة مجرّدة عن الاحياز والأمكنة، وهي لطيفة ملكوتيّة، وكلمة روحانيّة مضافة إلى الحق، فائضة بأمره من غير وساطة المواد واستعدادها إلّا بالعرض كما حقق في محله، وهذه هي المشار إليها بقولنا: إنا وهي

---

١ ـ فصلت: ٥٣.

٢ ـ الأنعام: ٧٦.

الجوهر الباقي منّا إلىٰ يوم الحشر والحساب، مع اضمحلال الأجزاء البدنية، وهي المحشورة الىٰ ربّها عند القيامة بالبدن الأُخروي المماثل لهذا البدن بل عينه؛ لأن هوية البدن وتشخّصه إنما هي بالنفس في مدة بقاء الكون، وإن تبدلت الأعضاء بالاستحالات الحاصلة من الحرارات الغريزية الطبيعيّة، والغريبة الداخلة والمطيفة بالبدن الخارجة.

وبالجملة حقيقة الانسان ليست إلّا ذاته المجرّدة، وكلّ ذات إنما يكون هلاكها في نقصها وضعفها وآفتها ومجاورة ضدّها، ويكون بقاؤها في كمالها وقوتها وصحتها ومجاورة أشباهها في الكمال والصحة، هذا وقد ثبت في محله أنّ لكلّ شيء كمالاً خاصاً يخصه لذاته، فكمال القوة الشهوية نيل المشتهيات واللذائذ الحسّية، وكمال القوة الغضبيّة الظفر بالانتقام، وكمال القوة الحسّية إدراك المحسوسات، وكمال القوة المتخيّلة تصوير المتمثّلات، وكمال الواهمة الظنون والرجاء.

وأما الأمر الأول: فنقول: وحيث علمت أنّ لكلّ شيء كمالاً يخصّه فنقول: إنّ للنفس الانسانية في ذاتها كمالاً يخصّها ولها قوتان، إحداهما: العاقلة النظرية وهي بهذه القوة متوجه الى الحقّ الأول، وثانيهما: العاملة المحركة للبدن المتوجهة إليه.

فكمال النفس بحسب قوتها النظرية إنّما هو بمعرفة حقايق الأشياء، وكلّياتها والمبادئ القصوىٰ في الوجود.

وبالجملة معرفة الحق الأول بما له من صفات جماله، ونعوت جلاله، وكيفية صدور أفعاله عنه ورجوعها إليه، ومعرفة كونه تعالىٰ غاية الأشياء الذي تتوجّه اليه الموجودات في بقائها، كما يبتدي منه في حدوثها الىٰ غير ذلك من المعارف الحقة التي كانت مستعدة لها أولاً عند كونها هيولانيّة الذات، ثم يحصل لها بسبب حصول المقدمات صورها علىٰ نحو البرهان الدائم اليقيني. ثم ستصير المشاهدة إياها فائضة من الحقّ الأول، ثم تصير متصلة بها منخرطة في سلكها مستغرقة في شهود مبدئها ومعادها، بحيث لا يلتفت الىٰ ذاتها العارفة به تعالىٰ فضلاً عن غيرها، بل

الاضمحلال في المعروف يذهلها عن كلّ شيء حتىٰ عن ذاتها وعن عرفانها لمبدئها، فاليقين الأول أي الصور الحاصلة بنحو البرهان الدائم اليقيني هو العلم أي علم اليقين، والثاني أي مشاهدتها فائضة من الحق الأول هو العين أي عين اليقين، والثالث أي الاتصال بها والاستغراق في شهود مبدئها هو الحق أي حق اليقين، فهذا هو كمال النفس بحسب قوتها النظرية.

ثم إنّه لا شبهة في أنه لا يحصل هذا الكمال إلّا بسبق معرفة الحقائق والعلم بالمعقولات، ولا شبهة أيضاً في أنّ كتاب الله تعالىٰ مشتمل علىٰ كلّها كما ستأتي الإشارة إليه، ولا شك أيضاً في أنّ حصول المعارف والعلوم متوقف علىٰ وساطة الرسول، ووساطته إنما تحصل بإنزال القرآن، فقوله تعالىٰ: ﴿وأنزلنا معهم الكتاب﴾[1] إشارة الىٰ ما تستكمل به القوة النظرية، ولا شك أيضاً في أن حصولها وتحصيلها من القرآن إنما هو ببيان النبي ﷺ والوصي عليه السلام تلك المعارف لنا وبتصديقنا لهم ولقولهم، وإنّ باتباعهم عليهم السلام قولاً وعملاً وحالاً وسلوكاً تحصل تلك المعارف لنا، ونتصف بها حقيقة وسيجيء قريباً كيفية المتابعة الموجبة لحصولها إن شاء الله تعالىٰ. هذا بلحاظ كمالها بحسب القوة النظرية.

وأما كمالها بحسب القوة العملية فنقول: إنّ النفس لما كانت في أول نشأتها ناقصة ضعيفة القوام بذاتها، فلا محالة تحتاج في استكمالها بالكمال الذي قد سبق ذكره ـ وسيجيء توضيحه ـ الىٰ مادة بدنيّة تفيض وتستفيد بواسطة الآلة الجسمانية، ومشاعِرِه الإدراكية الخمسة مبادئ ادراكاتها التصورية والتصديقية من الأوليات الحاصلة من المشاركات والمبائنات بين ما يقع الاحساس بها من المحسوسات الجسمانيّة.

وبعبارة أُخرىٰ: أنّ النفس لما تعلّقت بالبدن كانت ضعيفة الذات في دركها

---

١ ـ الحديد: ٢٥.

المعارف، بل لم تكنّ الأنفسُ الاستعداد، إلّا أنه تعالىٰ جعل لها آلات جسمانيّة من اليد والرجل، وإمكان التحريك والتحرّك بنحو من القيام والركوع والسجود وقضاء الحوائج، وأن يفعل الأفاعيل المهمّة بأعضائها الظاهريّة، وجعل لها أيضاً بقدرته الكاملة مشاعر من الحواس الخمس من البصر والسمع والشمّ واللمس والذوق، فإن هذه المشاعر تدرك بها النفس أموراً ظاهرية؛ لتستنتج منها أموراً معنوية عقلية.

فمنها: يبصر ببصره المبصرات المتنوّعة بأنواع كثيرة، التي هي مظاهر لحكمته تعالىٰ، فيستنتج منها أموراً معقولة من علم صانعها وحكمته وقدرته وأمثالها، ومنها: أنه يسمع بأُذُنه ما يتعقل به أموراً هي من الأوليات من نحو دركه الأشياء بمفرداتها وتصورها بانفرادها فيكون مبادي تصوّرية، ومن دركه التصديقات الأولية من أنّ الواحد نصف الاثنين، ومن أنّ الاثنين زوج وأنّ النقضين لا يجتمعان ولا يرتفعان وأمثال ذلك، وهذه المبادي الإدراكيّة تكون من المشاركات بين الأمور المعقولة بالعقل النظري وبين المحسوسات بالحواس الظاهرية كالسمع والبصر.

فمدركاتها تكون بلحاظ الدرك النفسي بمعونة العقل الجزئي الكائن فيه يكون ملحقاً بالأمور المعقولة، وبلحاظ اقتباسها من الأمور المادّية المحسوسة بالحواس الظاهرية تكون من الجسمانيات والمباينات بعضها عن بعض أو أنّ أولياته تكون حاصلة من الأمور الجسمانية المشاركة بعضها مع بعض كإدراكه أنّ الأربعة زوج حيث إدراكها من المصاديق الكائنة لكل أربعة من أفراد أنواع الموجودات، أو هي حاصلة من الأمور الجسمانية المتبانية كإدراكه أنّ المثلين لا يجتمعان لا بالعقل بل مما يراه من المتماثلين في الخارج، وأنهما لا يجتمعان فالمشاركات والمتباينات كلّها تكون مما يقع من الاحساس بها من المحسوسات الجسمانيّة.

وكيف كان فتكون النفس في أول الاستكمال محتاجة لى البدن، وإلىٰ قواه من

المشاعر الخمس علىٰ الوجه المذكور، وبفقدان بعضها يفقد علماً وكمالاً، ولذا قيل: من فقد حسّاً فقد علماً.

تتمة:

ثمّ اعلم: أنّ البدن جسم مركب من عناصر متضادة كما ذكرت في محلّه، فللبدن بحسب كلّ من تلك العناصر المتضادة أضداد يجب الاحتراز منها في مدة بقائها؛ ليتمكن من الكمال والاستكمال، بيانه: أنه أي البدن في أول التكون قليل المقدار صغير الجسم لكون كلّ بدن حاصلاً من مثله في النوع بفضلة تحصل منه، وفضلة الشيء لا يمكن أن تساويه بل هو أقلّ وأصغر، فلهذا الوجه ولوجوه أُخر مذكورة في مقامه لابدّ من أن يكون في أول الحداثة قليل المقدار غير تامّ الخلقة، وتكون تماميته وترقيه في الجسم بورود الجسم الشبيه به قليلاً قليلاً في مدة حياته وهو الغذاء، وطلبه للغذاء إنما يكون بالشهوة كما لا يخفىٰ، والشهوة لابدّ لها من إدراك سابق يدرك الغذاء.

لأن كلّ جسم لا يصلح للتغذي إذ ربما يكون سمّاً قاتلاً أو مضرّاً، فيحتاج الإنسان حينئذ الىٰ قوة ما يدرك بها المصلح عن المفسد في الأجسام الغذائية، ولابدّ من أن يكون مدركاً بإدراك جزئي من الحواس الظاهرة، ولا يكفيه الإدراك الكلّي، لأن ذلك الإدراك لا يعيّن المصداق المصلح ولا يميزه من المفسد، بل لابدّ من الإدراك الجزئي الظاهري لأجل التمييز الخارجي، ولابدّ أن يكون مدركاً بإدراك جزئي من الحواس الباطنة لأجل الحفظ والذكر، فإنه لولا دركه بالقوة الحافظة والذاكرة في ذهنه بالنسبة الىٰ بعض المصاديق دون بعض، لاشتبه عليه التمييز في بعض المصاديق.

إذ ربما لا يكون في كلّ جسم ما يشهد كونه ملائماً أو منافياً في كلّ وقت، فلابدّ

له من قوة باطنة حافظة وذاكرة ليميّز بهما أولاً الملائم والمنافي فيحفظه في ذكره فيصرف في الغذاء في وقت احتياجه، وإن لم يشهد حينئذ كونه ملائماً أو متنافياً بل يتّكل على الحافظة والذاكرة كما هو ديدننا كما لا يخفىٰ.

الأمر الثاني: أنّ المتحصّل مما ذكر أنّ استكمال النفس متوقف علىٰ بقاء البدن مدة، وبقاء البدن متوقّف علىٰ قوىٰ ثلاث لأمور ثلاثة:

الأول: قوة العلم للتمييز بين المصلح والمفسد.

والثاني: قوة الغضب لدفع المفسدة.

والثالث: قوة الشهوة لجلب المنفعة.

هذا وقد علمت أنّ مباشرة النفس لهذه القوى الثلاث لاستكمالها من باب الضرورة، وهي الكون في البدن وبقاؤها ببقاء البدن مدّة، وليست هذه المباشرة هي الكمال المطلوب منها، بل كمالها في التجرد عنها، وإنما احتاج اليها؛ لكونها موجودة في البدن لأجل الاستكمال، فهي مرتبطة بالبدن في أيام بقائها في الدنيا.

ثم إنّ كمالها الحاصل لها في الدنيا وفي مدة بقائها في البدن إنما هو باتّصافها بالأمر المتوسط من هذه القوى الثلاث أعني العلم والغضب والشهوة فإنها وإن ابتلت في الدنيا وفي البدن بصحبة الأخسّاء من الأضداد، إلّا أن المبتلىٰ بصحبة الأخساء من الأضداد ومادام اشتغاله بها وعدم الخلاص عنها، إذا اتصف بالتوسط بين الأضداد ـ كما سيجيء بيانه قريباً ـ فهو حينئذ بمنزلة الخلوّ عنها، وهذا كالماء الفاتر فإنّه بمنزلة الخالي عن الحرارة والبرودة اللتين هما طرفاه من الإفراط والتفريط.

وكيف كان فكمال النفس عند استقلالها بالقوى الثلاث، واستعمالها إيّاها إنما هو توسّطها بين الإفراط والتفريط فيها أي في تلك القوى الثلاث.

ونتيجة هذا التوسط هو أن لا ينفعل عنها ولا يطاوعها في مآربها، بل يستعملها علىٰ هيئة الاستعلاء عليها لا الانقهار منها، وهذه النتيجة إنما تحصل بالتوسط فيها بالنحو المذكور وإليه يشير ما عن الغرر والدرر لآية الله الامدي عن

أمير المؤمنين عليه السلام : «أعدىٰ عدو للمرء غضبه وشهوته، فمَن ملكهما عظمت درجته وبلغ غايته» فقوله عليه السلام فمن ملكهما هو أن لا ينفعل بهما ولا يطاوعهما بل يستعملهما علىٰ هيئة الاستعلاء عليهما التي هي معنىٰ ملكهما كما لا يخفىٰ.

الأمر الثالث: في بيان كيفية تحصيل حال التوسط في القوى الثلاث فنقول: أمّا قوة العلم أي استعمال الحواسّ الظاهرة الخمسة والباطنة في أمور الدنيا غير العاقلة النظرية فهي عبارة عن توسطها واعتدالها ويسمّىٰ بالحكمة قال تعالىٰ: ﴿**ومن يؤتَ الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً**﴾[1] وهي أي الحكمة معنىٰ قوة العلم المتوسطة في العقل العملي، وهي غير العلم العقلي بحقائق الأشياء بالقوة النظرية، فإنها كلّما كانت أوفر كانت، أفضل وهذا بخلاف قوة العلم في العقل العملي فإن إفراط هذه القوّة يسمىٰ بالجربزة وهي المكر والخديعة، وتفريطها هي البلاهة والسفاهة وكلا الطرفين مذمومان والممدوح منها هي الحكمة وتفصيلها موكول الىٰ محلّه من كتب الأخلاق.

وأما قوّة الغضب: فتوسطها واعتدالها الشجاعة وهي فضيلة كالجود، وكلا جانبيها التهور من طرف الإفراط، والجبن من طرف التفريط رذيلتان كما أن طرفي الجود كالبخل والإسراف مذمومان لقوله تعالىٰ: ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلىٰ عنقك ولا تبسطها كلّ البسط**﴾[2] وقوله تعالىٰ: ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً**﴾[3].

وأما قوّة الشهوة: فتوسّطها واعتدالها هو العفّة، وطرفاها الشره من طرف الإفراط، والخمود من طرف التفريط رذيلتان، ثمّ إنه من تركيب هذه القوى الثلاث، وامتزاج أوساطها الثلاثة تحصل قوة أُخرىٰ لها توسط هي الفضيلة المعبر

---

١ ـ البقرة: ٢٦٩.
٢ ـ الاسراء: ٢٩.
٣ ـ الفرقان: ٦٧.

عنها بالعدالة، ولها طرفان مذمومان فإفراطها الظلم وتفريطها الانظلام. وقد يقال: إنّ العدالة ليس لها طرف الإفراط والتفريط بل له ضدّ واحد وهو الجور، والظلم والانظلام من مصاديق الجور فعلاً وانفعالاً، كما لا يخفىٰ.

فهذه الصفات الأربع أُصول الفضائل العلمية، وأطرافها الثمانية هي الرذائل، ومجموعها حسن الخلق، إذا صارت ملكة ينوط بها خلاص الإنسان من ذمائم الأخلاق الموجب لسخط الباري وغضب الخلّاق، والتعذّب بالاحتراق بالجحيم، بسبب الانحراف عن العدالة المعبّر عنها بالصراط المستقيم. فخير الأمور في هذا العالم أوسطها.

ثم إنه كما أنّ نفس الطريق المستقيم ليست مقصوداً، بل جوازها يؤدّي الى المقصود، فكذلك حسن الخلق ليس كمالاً بل الاتّصاف به يورث الخلاص من الجحيم، وإنما الكمال الحقيقي والمقصود الأصلي هو معرفة الحق الأول، وما يليه من الصفات الجمالية والأفعال الإلٰهيّة التي، تكمل بها النفس وتقرّ بمشاهدتها العين السليمة من الأمراض الباطنية.

ومن المعلوم أنّ قيام الناس بالقسط واعتدال نفوسهم إنما تجمعها وتؤديها الأخلاق الحسنة وإليه الإشارة في قوله تعالىٰ: **﴿ونفسٍ وما سوّاها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح مَن زكّاها * وقد خاب من دسّاها﴾**[1] وقد صحّ عنه ﷺ من الفريقين انه ﷺ قال: «بعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق» وقال ﷺ: «أفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً» والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدّاً.

وكما أنّ للحسن الظاهر أركاناً كالعين والأنف والفم والخدّ، ولا يوصف الظاهر بالحسن ما لم يحسن جميعها، فكذلك للنفس التي هي باطن الإنسان وجه الى الخلق ووجه الى الحقّ، ووجهها الذي يلي الحقّ هو جهة وحدتها وبساطتها، ووجهها

---

١ ـ الشمس: ٧ ـ ١٠.

الذي يلي الخلق جهة تركيبها من الأخلاق. وللأخلاق أركان وأُصول فلابدّ من حسن جميعها حتىٰ يحسن الخلق ولهذا جاء في الأدعية النبويّة: «اللّهم حسّن خلقي» هذا طلب منه تعالىٰ لحسن الوجه العملي التدبيري إذ بحسن الخلق يحسن العمل ويقع علىٰ أحسن التدبير كما أنّ قوله ﷺ المعروف: «اللّهم أرني الأشياء كما هي» طلب منه تعالىٰ لحسن الوجه العملي الشهودي، إذ بمشاهدة الأشياء كما هي، يحصل حسن العلم بها بدون حجاب موجب للاشتباه كما لا يخفىٰ.

هذا بعض الكلام في أُصول الأخلاق وتمييز الحسنة منها من الرذيلة، وأما كيفية تحصيلها فهي موكولة إلىٰ مظانّها، إلّا أنّا نذكر إشارة إليها وهي: أنه مَن فعل فعلاً، أو تكلم كلاماً، أو عمل عملاً صالحاً، أو اقترف معصية فلا محالة يحصل منه أثر في النفس، ويحدث فيها منه حال وكيفية نفسانية هي ضرب من الصور والنقوش، وإذا تكرّرت الأفاعيل وتكثّرت الأقاويل استحكمت الآثار في النفس فصارت ملكات بعد ما كانت أحوالاً، ولولا هذا لم يعلم الإنسان الحِرف والصنايع، ولم ينجع التأديب والتهذيب في الإنسان وخصوصاً في الأطفال، فإن في تأديبهم وتمرينهم على الأعمال فائدة تامة في استحكام الكمالات والعلوم والأخلاق في نفوسهم.

وكيف كان فرسوخ الهيئات، وتأكد الصفات الحاصلة من تكرّر الأعمال الحسنة أو السيّئة الذي يسمّى بالملكة مما لا خفاء فيه، وقد ذكر علماء الأخلاق هذا الطريق مفصلاً فمَن أراد الاطلاع الأكثر فليراجعه، فلابد لمن أراد ذلك من الالتزام بالأعمال الموجبة لرسوخ الملكات الحميدة في النفس، وزوال الصفات الرذيلة عنها، والإطاعة للشيخ الكامل والاستاذ الحاذق في هذا الفن كما لا يخفىٰ.

الثواب والعقاب:

اعلم أنّ المستفاد من قوله تعالىٰ: ﴿هل تُجزون إلّا ما كنتم تعملون﴾[١] وقوله تعالىٰ: ﴿وأن ليس للإنسان إلّا ما سعىٰ * وأنّ سعيه سوف يُرىٰ﴾[٢] وقوله تعالىٰ: ﴿يوم تجدُ كلّ نفس ما عملت من خير محضراً﴾[٣] وغيرها هو: أنّ الثواب والعقاب في دار الآخرة إنما يكونان بنفس الأعمال والأخلاق الحسنة أو السيّئة لا بشيء آخر يترتب عليها فالملذّ والمؤلم والنعمة والنقمة والجنة والنار في دار القرار هي نفس صور الأعمال والآثار كما دلّ عليه قوله ﷺ: «إنّما هي أعمالكم ردّت عليكم» وقوله ﷺ: «إنّ الجنة قيعان وإنّ غراسها سبحان الله» ويشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿يستعجلونك بالعذاب وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين﴾[٤].

فالعقوبات الالهية الواصلة الى المجرمين كما أنها ليست من باب الانتقام الواقع عليهم من منتقم منفصل مباين يوقع الآلام والشدائد عليهم، ويوصل المكاره والمحن إليهم، فكذلك ليست الآلام والمكاره خارجة عن ذاتهم وصفاتهم فيترتّب عليها، بل الأعمال القبيحة الواقعة منهم في الدنيا بواسطة ما في ضمائرهم ونيّاتهم صارت ملكة راسخة في نفوسهم، وانحرفت بسببها فطرتهم الأصليّة، توجب هذه الملكات الرذيلة الراسخة في نفوسهم تصورات باطلة، وأفكاراً مؤلمة موحشة موجودة بوجود أخروي يناسبها فتطلع علىٰ أفئدتهم ما كان مستكنّاً فيها، ولو تيسّر للشقي الفاجر أن يشاهد باطنه في الدنيا بنور البصيرة ليراه مشحوناً بأصناف السباع والشياطين وأنواع الوحوش والهوام، وقد مثّلت هذه لغضبه وشهوته وحقده وحسده وعجبه ورياه ومكره وحيلته، ثم هي التي لا تزال تفترسه وتنهشه

---

١ ـ النمل : ٩٠.

٢ ـ النجم : ٣٩ ـ ٤٠.

٣ ـ آل عمران : ٣٠.

٤ ـ العنكبوت : ٥٤.

إلّا أنه محجوب عن مشاهدتها، فإذا رفع هذا الحجاب، وانكشف الغطاء، ووضع في قبره عاينها وقد تمثّلت بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيها، وأول ما يقع بصر أحدهم علىٰ صورة عمله المطابقة إياه يرىٰ بعينه العقارب والحيّات قد أحدقت به، وإنّما هي صفاته الحاضرة الآن قد انكشفت له صورتها فيقول: **﴿ياليت بيني وبينكَ بُعدَ المشرقين فبئس القرين﴾**[1].

ويريد أن يهرب عنها وأنّىٰ يتصور لأحد أن يهرب عن نفسه ولازم نفسه. وعلىٰ هذا القياس حكم الأعمال الحسنة الواقعة من أهل السعادة الأُخرويّة المتصورة في القيامة بصورة ملذّة حسان من حور وغلمان وجنّة ورضوان، فإن حقيقة تلك الصور هي موجودة معه مختفية في باطنه، وإنما تصير حاضرة مشهودة له يوم القيمة بواسطة رفع الحجاب لقوله تعالىٰ: **﴿فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾**[2].

أقول: هذا خلاصة ما ذكره القوم في معنى الآيات المتقدمات، ولكن لا يخفىٰ أنه لا يوجب إنحصار الملذّات والمؤلمات في النفوس دون الخارج، فإنه خلاف ضرورة ظاهر القرآن بل الحق أنّ الملذّ والمؤلم يوم القيامة روحي كما ذكر، وخارجي كما هو صريح الآيات الدالة عليه كالأحاديث أيضاً قال تعالىٰ: **﴿فاتّقوا النار الّتي وقودها النّاس والحجارة أُعدّت للكافرين﴾**[3] فقوله تعالىٰ: والحجارة ظاهر في العذاب الخارجي.

وفي النهج قال عليه السلام «فكيف إذا كان بين طابقين من نار، ضجيع حجر وقرينَ شيطان»[4] فقوله: ضجيع حجر يومئ الى العذاب الخارجي، وقوله عليه السلام: وقرين

---

١ ـ الزخرف: ٣٨.
٢ ـ السجدة: ١٧.
٣ ـ البقرة: ٢٤.
٤ ـ نهج البلاغة ـ خطبة ١٨٣.

شيطان، يؤمئ الىٰ ما ذكر من العذاب النفساني، وكذلك الكلام في الجنّة ونـعيمها فان فيها قسمين من النعم المعنوية والنعم الخارجية ولعـلّه سـيجي في الشرح مـا يوضح ذلك.

وكيف كان فالنفوس الإنسانية واقعة يوم القيامة تحت نوع من أنواع الجنس السبعية والبهيمية أو الشيطانية أو الملكيّة وتحشر معه، ولكلّ جنس مـنها أنـواع كثيرة كما أنّ لكلّ نوع منها أفراداً غير محصورة، وهـذه الأجـناس الأربـعة مـن النفوس، اثنتان منها عمليتان شريرتان حاصلتان من تكرر الأعمال السيّئة وهما السبعية والبهيميّة، واثنتان منها علميّتان حاصلتان من تكـرر الأفكـار العـلمية إحداهما شريرة وهي الشيطانيّة والأخرىٰ خيّرة وهي الملكيّة، وقد عـلمت فـيما تقدم الحدّ الوسط الممدوح منها.

ثم اعلم: أنّ الإنسان قد اصطحب في عـالمه ونـظام خـلقته شـوائب أربـعاً، واجتمعت عليه أربعة أوصاف: أي السبعيّة والبهيميّة والشيطانيّة والملكيّة، فـهو من حيث تسلط كلّ منها عليه يفعل أفعال نوع تكون تلك الصـفة لازمـة لذاتـه ناشئة عن حقيقته الىٰ أن تغلب عليه إحدىٰ هذه الخصال والصـفات، بأن يـصير خلقاً له وملكة راسخة في نفسه صعبة الزوال، فـيكون الإنسـان في آخـر الأمـر ومنتهى العمر، حكمه حكم ذلك النوع بل تنقلب حقيقته يوم الآخـر إلىٰ حـقيقة ذلك، وتكون صورته عند الحشر بعينها صورته أي صورة ذلك النوع.

يدل علىٰ هذا ما في المحكي عنه صلى الله عليه وآله: «يحشر الناس علىٰ وجوه مختلفة»[1] وفي حديث طويل بسنده المتصل إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «فإن كان لله وليّاً أتاه أطيب الناس ريحاً، وأحبّهم منظراً، وأحسنهم رياشاً فقال: أبشر بـروح وريحـان وجنّة ونعيم، ومقدمك خير مقدم، فيقول له: مَن أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، ثم قال عليه السلام: وإذا كان لربّه عدوّاً فإنه يأتيه أقبح من خلق زياً، وأنـتنه ريحاً، فـيقول:

---

١ ـ التفسير لملا صدرا ص ٢٨٤.

أبشر بنزل من حميم وتصلية جحيم»[١].

وفي حديث آخر عن الامام أبي عبدالله عليه السلام يقول: «أنا رأيك الحسن الذي كنت عليه، وعملك الصالح الذي كنت تعمله»[٢] فقوله عليه السلام: أنا رأيك الحسن إشارة الى القوة العلمية الملكية، وقوله: وعملك الصالح، إشارة الى القوة العملية الصالحة وقد تقدم بيانه.

ويدل عليه أيضاً ما عن أبي عبدالله عليه السلام حيث قال في حديث طويل: إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج معه مثال يقدمه أمامه، كلّما رأى المؤمن هولاً من أهوال يوم القيامة قال له المثال: لا تفزع ولا تحزن، وأبشر بالسرور والكرامة من الله عزّوجلّ، حتىٰ يقف بين يدي الله عزوجل فيحاسبه حساباً يسيراً، ويأمر به الى الجنة، والمثال أمامه فيقول له المؤمن: يرحمك الله نعم الخارج خرجت معي من قبري، وما زلت تبشّرني بالسرور والكرامة من الله حتىٰ رأيت ذلك فيقول: مَن أنت؟ فيقول: أنا السرور الذي كنت أدخلت علىٰ أخيك المؤمن في الدنيا خلقني الله عزّوجل منك لأُبشّرك[٣].

وروي عن طريق العامة عنه صلى الله عليه وآله: أنّ بعض الناس يحشر علىٰ صورة تحسن عندها القردة والخنازير.

وأحسن حديث روي في المقام ما رواه في معاني الأخبار بإسناده عن قيس بن عاصم قال: وفدت مع جماعة من بني تميم الى النبي صلى الله عليه وآله فدخلت عليه، وعنده الصلصال بن الدلهمس فقلت: يانبيَّ الله عِظنا موعظة ننتفع بها فإنا قوم نـغير[٤] في البرّية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ياقيس إنّ مع العزّ ذلاً، وإنّ مع الحياة موتاً، وإنّ مع

---

١ ـ أُنظر الكافي ج٣ ص٢٣٢، باب أن الميت يمثل له ماله وولده وعمله عن موته، وأمالي الطوسي ج٣ ص٢٢٢.

٢ ـ انظر الكافي ج٣ ص٢٤٢ ـ كتاب الجنائز.

٣ ـ انظر الكافي ج٢ ص١٩٠، كتاب الايمان والكفر، باب إدخال السرور على المؤمنين.

٤ ـ أغار: ذهب في الأرض.

الدنيا آخرة، وإنّ لكلّ شيء حسيباً، وعلىٰ كلّ شيء رقيباً، وإنّ لكلّ حسنة ثواباً، ولكلّ سيّئة عقاباً، ولكلّ أجل كتاباً، وأنّه لابدّ لك يا قيس من قرين يدفن معك، وهو حيّ وتدفن معه وأنت ميّت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ثم لا يحشر إلّا معك ولا تبعث إلّا معه، ولا تسأل إلّا عنه، ولا تجعله إلّا صالحاً، فإنه إن صلح آنستَ به، وإن فسد لا تستوحش إلّا منه وهو فعلك.

فقلت: يانبيّ الله أحبّ أن يكون هذا الكلام في أبيات من شعر، نفخر به علىٰ من يلقانا من العرب، وندخره فأمر النبيّ ﷺ من يأتيه بحسان قال: فأقبلت أُفكر فيما أشبه هذه العظة من الشعر فأستتب[1] لي، «وفي نسخة: فاستبان لي» القول قبل مجيء حسان فقلت: يارسول الله قد حضرتني أبيات أحسبها توافق ما تريد، فقال النبيّ ﷺ: قل ياقيس، فقلت:

تخيّر قريناً من فعالك إنما	قرين الفتىٰ في القبر ما كان يفعل
ولابدّ بعد الموت من أن تعده	ليوم ينادى المرء فيه فيقبل
فإن كنت مشغولاً بشيء فلا تكن	بغير الذي يرضىٰ به الله تشغل
فلن يصحب الإنسان من بعد موته	ومن قبله إلّا الذي كان يعمل
ألّا إنما الإنسان ضيف لأهله	يقيم قليلاً بينهم ثمّ يرحل[2]

إذا علمت هذا فاعلم: أنّ الإنسان بذاته طالب للكمال والكامل كما تقدم، ومعلوم أنّ الكمال الأتمّ والتمام بل وفوق التمام هو الواجب تعالىٰ والحق الأول، فكلّ موجود يطلبه بغريزة شوقه، فكلّ يشتاق إليه ويعشقه، بل انّ لكلّ من الموجودات عشقاً وشوقاً إليه تعالىٰ إراديّاً كان أو طبيعياً، ولذا قيل بسريان العشق في جميع الموجودات علىٰ تفاوت طبقاتها، وأثبتوا لكلّ منها شعوراً وعلماً

---

١ ـ استتبّ الأمر: استقام واطّرد واستمرّ.

٢ ـ انظر معاني الأخبار ص ٢٣١.

مستدلّين لهذا بقوله تعالىٰ: ﴿ولكلّ وجهة هو موّليها﴾[١] وقوله تعالىٰ: ﴿وإن من شيء إلّا يسبح بحمده﴾[٢].

فكلّ موجود بحسب ذاته يطلب الوصول إليه تعالىٰ بنار الشوق والعشق، فهو تعالىٰ غاية الغايات كما هو مبدأ المبادئ، فكلّ من كان أقرب إليه تعالىٰ فلا محالة يكون أشبه به تعالىٰ صفة فلا محالة يكون ملتذّاً بمعرفته تعالىٰ ومظهراً لصفاته.

وقد علمت فيما تقدم: أنّ الولاية الخاصّة المحمدية المطلقة هي التي ظهرت بأوصاف كماله تعالىٰ ونعوت جماله، وهي الجامعة الأسماء الإلٰهيّة، وهي باطن الإلوهية، وهي في النبي ﷺ تكون مع الرسالة، وفي الوصي تكون منحازة اليه كما تقدم، وحيث إنّ صاحبها فانٍ عن نفسه وباق بربّه، فلا محالة تكون الولاية الكائنة فيه بأوصافها ولاية الله تعالىٰ كما سيأتي التصريح بها من الأحاديث.

ولا ريب أنّ حقيقة هذه الولايَة الإلهيّة لا يمكن الإحاطة بها ذاتاً، بل هي مختصة بهم عليهم السلام وهم عليهم السلام حيث إنها حقيقتهم يعلمونها بالعلم الحضوري، وإنما الممكن بيان آثارها لا بحقيقتها، بل بمقدار ما يمكن تفهيمها لغيرهم، ويمكن أن يدركها غيرهم، فالأخبار والأدعية والزيارات مشحونة ببيانها، وأحسن كلام اشتمل عليها وبيّنها هو الزيارة الجامعة الكبيرة التي يكون هذا الشرح لبيانها وبيان معانيها ورموزها بحسب ما يمنح الله تعالىٰ فهمها.

ثم إنّ ما تقدم من شرح الولاية في الجملة، إنما كان لأجل بيان موضوع الولاية الإلهيّة وهو حقيقتهم القدسية (صلوات الله عليهم أجمعين) ليتضح الأمر موضوعاً وحكماً فلا تغفل.

ثم اعلم: أنّ مَن ظفر بمعرفة الله تعالىٰ، والنظر إلىٰ وجهه الكريم، والمطالعة لجمال الحضرة الربوبية، وشهد الأسرار والأمور الالهية يعلم ويرىٰ أنها ألذّ اللذّات

---

١ ـ البقرة: ١٤٨.

٢ ـ الاسراء: ٤٤.

الباطنيّة من الرياسة والحكومة، كيف لا تكون كذلك ، وهـذه اللـذات البـاطنية المادّية محفوفة بمكاره، ومحدودة بزمان معين موجب لنقص في اللذة للعلم بزوالها، فأين هذه من اللذة بمعرفته تعالىٰ التي هي خالصة من كلّ نقص وزوال؟! ولأجل هذا ترى العارف بها يؤثر التفرد عن الخلق، والخلوة مـع الحـقّ بـالتبتل والفكـر والذكر علىٰ الدوام وبترك الرياسات، البـاطلة لعـلمه بـفنائها ويسـتحقر الخـلق الطالبين لها.

ثم إنه في تفرده مضافاً إلىٰ لذّاته يشـتغل بـالالتذاذ بـالحكمة والمـعرفة بـالله، ومطالعة صفات جلاله وجماله ويرىٰ بقلبه ملكوت أفعاله، ونظام مملكته من أعلىٰ عليين الىٰ أسفل سافلين، ثم إنه يلتذّ بها دائماً لا يقطعها الموت، فإنه لا يهـدم محـل المعارف الالهـية أعـني الروح الذي هـو أمـر نـوراني سماوي بـل يـصفيها لزوال موجبات المكّدرات بالموت كما لا يخفىٰ.

وإلىٰ ما ذكر يشير مافي روضة الكافي مسنداً عن جميل بـن درّاج، عـن أبي عبدالله عليه السلام: لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عزّوجلّ، ما مدّوا أعينهم الىٰ ما متع به الأعداء من زهرة الحيوة الدنيا ونعيمها، وكانت دنياهم أقـل عـندهم ممـا يطأون بأرجلهم، ولنعّموا بمعرفته عـزّوجلّ، وتـلذّذوا بهـا تـلذّذ مَـن لم يـزل في روضات الجنان مع أوليـاء الله. إنّ مـعرفة الله عـزّوجلّ أنس مـن كـلّ وحشـة، وصاحب من كلّ وحدة ونور من كل ظلمة، وقوة من كلّ ضعف، وشفاء من كـلّ سقم.

ثم قال عليه السلام: قد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير، وتضيّق عليهم الأرض برحبها، فما يردّهم عما هم عليه شيء مما هم فيه من غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم، ولا أذىً مما نقموا منهم إلّا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، فاسألوا ربّكم درجاتهم، واصبروا علىٰ نوائب دهركم تدركوا سعيهم[1] (روضة رواية ٣٤٧).

---

١ ـ الكافي، رواية ٣٤٧.

علامات وأحوال أولياء الله:

ثم إنّه للعارف الكامل والولي لله تعالىٰ علامات وخواص، فلابدّ من الإشارة إليها إجمالاً، فإنها كالميزان في تشخيص صحة السير وعدمها، فإن الخطرات كما قيل كثيرة في السير إليه تعالىٰ، ولهذا قد ذكروا لصحّته علامات يُعرف بها السير الصحيح، فنقول: إنّ لأحوال أولياء الله تعالىٰ وهم المؤمنون حقاً أموراً منها :

١ ـ ما ذكره الله تعالىٰ بقوله: **﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلىٰ ربّهم يتوكلون﴾**[1] فإن معناه والله العالم أنّ المؤمن الحقيقي والعارف اليقيني الذي كتب الله بقلم العناية في قلبه الايمان، وأيّده بروح منه، فهو علىٰ نور من ربّه، فإذا ذكر الله وجل قلبه، فإن وجل القلب عند سماع ذكر الله من خصوصيّة المعرفة والحكمة بالله وصفاته وأفعاله، إذ الحكمة هي النور المنبسط الايماني الذي قذف الله، في قلوبهم، ومن شأن نور الإيمان أن يرقّ القلب، ويصفيه عن كدورات صفات النفس وظلمتها، ويلين قسوته فتلين الىٰ ذكر الله ويحنّ شوقاً إلىٰ الله.

قيل: وهذا حال أهل البدايات، أمّا حال أهل النهايات فهي الطمأنينة والسكون بالذكر، لقوله تعالىٰ: **﴿الّذين آمنوا وتطمئنّ قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب﴾**[2] وفي المحكي عنه ﷺ: «إنّ أحبّ القلوب إلىٰ الله أصلبها في دين الله، وأصفاها عن الذنوب، وأرقّها على الإخوان، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً» فجعل ﷺ من شروط الإيمان الحاصل في القلب ازدياده من سماع القرآن وتلاوته، لاشتماله علىٰ ذكر الله والمعارف الالهيّة والوجه فيه؛ أنّ الايمان الحقيقي هو النور الواقع في القلوب بقدر انفتاح روزنة القلوب من أنوار تجلّي شموس صفاته

---

١ ـ الأنفال : ٢.

٢ ـ الرعد : ٢٨.

وحقائق أفعاله للقلوب المشتاقة، فيكون وجوه قلوبهم الخالية من دنس حبّ الدنيا بسبب ذلك النور الىٰ ربّها وحبيبها ناظرة، فإنّ الإيمان يجرّ بعضه إلىٰ بعض وبالمعرفة تكتسب المعرفة، فحينئذ كلّما تليت علىٰ أصحابها الآيات أو تلوها أو ذكر الله أو ذكروه، زاد انفتاح روزنتها بقدر صدقها وشوقها ومناسبتها، فيزيد فيها نور الايمان، فيزدادوا إيماناً مع إيمانهم وعلىٰ ربّهم يتوكّلون، لا على الدنيا وأهلها. فإنّ مَن شاهد جمال الحق وجلاله بنور الايمان فقد استغرق في بحر سطوات جلاله، فيكون توكلهم عليه لا علىٰ غيره.

وإلىٰ ما ذكر يشير ما في الكافي مسنداً عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ليس شيء إلّا وله حدّ، قال: قلت: جعلت فداك فما حدّ التوكل؟ قال: اليقين، قلت: فما حدّ اليقين؟ قال: ألّا تخاف مع الله شيئاً[1].

ومنها: ما وصفهم الله تعالىٰ بقوله: ﴿**وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم مُلاقوا ربّهم**﴾[2] فقوله تعالىٰ: إنّهم ملاقوا ربّهم، بيان العلة لعدم طردهم، وهي أنّهم ملاقوا ربّهم، فهم بإيمانهم بلغوا درجة الملائكة المقربين، الذين يلاقون ربهم من فوقهم لا واسطة بينهم وبين ربّهم، وذلك لارتقائهم عن عالم الطبيعة بجناحي العلم والعمل الىٰ جوار الله تعالىٰ، وهذا معنىٰ ملاقاة ربّهم من فوقهم، ثمّ إنه قد يتوهم أنّ معنىٰ أنّهم ملاقوا ربّهم، أنّي لا أطردهم؛ لأن حسابهم على الله حينما يلاقوه يوم القيمة. فأين هذا من بلوغهم الىٰ درجة الملائكة الذين يلاقون ربّهم؟ ولكنه مدفوع بأن اسم الفاعل ظاهر في المتلبس بالمبدإ، فقوله: ﴿**إنّهم ملاقوا ربّهم**﴾ أي انّهم متلبّسون بلقائه تعالىٰ بالفعل، وهذا هو حال الملائكة المجرّدين في عالم المادة والطبيعة كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فمن وجد في نفسه أنه ملاق ربّه بالعظمة والكبرياء والجبروت،

ورأىٰ نفسه تحت سطوته خاشعاً خاضعاً ذليلاً مسكيناً مستكيناً فقيراً خائفاً وجلاً، فقد صحّ سيره، وهدي الىٰ صراط مستقيم، قال أمير المؤمنين عليه السلام في أوصاف المتقين: «عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم».

ومنها: ما ذكره تعالىٰ: **﴿إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾**[1] مخاطباً إبليسَ اللعين الذي استثناهم عن إغوائه بقوله كما حكى الله تعالىٰ عنه: **﴿إلّا عبادك منهم المخلَصين﴾**[2].

وكيف كان فمَن وصل الىٰ معرفته تعالىٰ بنور المشاهدة، ووصل الىٰ قربه بحقّ اليقين يرىٰ نفسه في حصنه تعالىٰ وفي كهفه، بحيث يرىٰ نفسه مصوناً عن وساوس الشيطان بالعصمة الإلهية فلا يكاد يرىٰ لنفسه مطاوعة لوساوس الشيطان، بل هو بنفسه المعصومة المنورة بنور المعرفة والمشاهدة، يدفع وساوسه ويطرده، ويغلب عليه كما ذكرت عن بعض أولياء الله عند محاربته الشيطان (لعنه الله).

ومنها: ما وصفهم الله تعالىٰ بقوله تعالىٰ: **﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً...﴾** الىٰ آخر السورة[3] فإنه تعالىٰ ذكر فيها صفات عديدة لهم، فالمؤمن العارف الواصل يرىٰ هذه الصفات في نفسه، فلا يخلو منها، فكأنّها صارت طبيعة له راسخة في قلبه.

ومنها: ما أشار اليه قوله تعالىٰ: **﴿إلّا من أتىٰ الله بقلبٍ سليم﴾**[4] وهذه الصفة عمدة الصفات وتجمع سائرها؛ لأن الأصل في جميع الصفات والخيرات هو سلامة الصدر من الغلّ والغش والدغل، والحسد والبغض والكبر، والحرص والطمع والمكر، والزنا والخديعة والنفاق وما أشبهها من الخصال المذمومة، التي أكثرها

---

١ ـ الحجر : ٤٢.
٢ ـ الحجر : ٤٠.
٣ ـ الفرقان : ٦٣ ـ ٧٧.
٤ ـ الشعراء : ٨٩.

ينشأ من التشبّه بأهل العلم في الزي والمنطق من غير عرفان، وطلب الترفّع من غير استيهال، وهو بذر النفاق والعناد ومادة السيّئات، هذا معنىٰ سلامة القلب بحسب الظاهر. وفي تفسير نور الثقلين عن اصول الكافي مسنداً عن سفيان بن عينية قال: «سألته عن قول الله عزوجل: إلّا من أتىٰ الله بقلب سليم، قال: السليم الذي يلقىٰ ربّه وليس فيه أحد سواه، قال: وكلّ قلب فيه شرك أو شكّ فهو ساقط، وإنما أرادوا بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم الى الآخرة»[١].

وبإسناده إلى الحسن بن الجهم عن أبي الحسن عليه السلام قال: التواضع أن تعطي الناس ما تحب أن تعطاه[٢].

أقول: هذا التواضع من آثار القلب السليم.

وفيه وفي آخر قال: قلت: ما حدّ التواضع الذي إذا فعله العبد كان متواضعاً؟ فقال: التواضع درجات منها أن يعرف المرء قدر نفسه، فينزلها منزلتها بقلب سليم، لا يحبّ أن يأتي إلىٰ أحد إلّا مثل ما يؤتىٰ إليه، إن رأىٰ سيئة درأها بالحسنة، كاظم الغيظ، عاف عن الناس، والله يحب المحسنين[٣].

وفيه عن المجمع روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: هو القلب الذي سلم من حبّ الدنيا. ويؤيّده قول النبي صلى الله عليه وآله حبّ الدنيا رأس كل خطيئة[٤].

وفيه عن مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: «صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم»[٥] لأن سلامة القلب من الهواجس المذكورات، تخلص النية لله تعالىٰ في الأمور كلّها، قال الله تعالىٰ: ﴿**يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلّا من أتىٰ الله بقلب**

---

١ ـ تفسير الثقلين، ج ٤ ص٥٧.
٢ ـ المصدر نفسه، ص٥٨.
٣ ـ المصدر نفسه، ص٥٨.
٤ ـ المصدر نفسه، ص٥٨.
٥ ـ المصدر نفسه، ص٥٨.

سليم﴾[١].

أقول: إتيانه تعالىٰ بقلب سليم يعمّ الحشر، والرجوع إليه تعالىٰ يوم القيامة، أو التوجه إليه فعلاً بالإخلاص بواسطة سلامة قلبه كما لا يخفىٰ.

ومنها: الخوف والخشية كما في قوله تعالى: **﴿وهم من خشيته مشفقون﴾**[٢] وقوله تعالىٰ: **﴿إنّما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ﴾**[٣].

أقول: إنّ من أهمّ صفات أولياء الله تعالى الخشية منه تعالىٰ. وقد جاء في تفسير نور الثقلين عن أصول الكافي مسنداً عن صالح بن حمزة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إن من العبادة شدة الخوف من الله عزّوجل لقول الله عزّوجل: **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾**[٤].

وفيه عن روضة الكافي مسنداً عن أبي حمزة قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: وما العلم بالله والعمل إلّا إلفان مؤتلفان، فمَن عرف الله خافه، وحثّه الخوف على العمل بطاعة الله، وإنّ أرباب العلم وأتباعهم الذين عرفوا الله، فعملوا له ورغبوا إليه، وقد قال الله: **﴿إنّما يخشى الله من عباده العلماء﴾**[٥].

وفيه عن المجمع روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: يعني بالعلماء مَن صدّق قوله فعله، ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم. وفي الحديث: أعلمكم بالله أخوفكم منه[٦].

وفيه عن مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: ودليل الخشية التعظيم لله، والتمسّك بخالص الطاعة وأوامره، والخوف والحذر ودليلهما العلم قال الله تعالىٰ:

---

١ ـ الشعراء: ٨٨، ٨٩.
٢ ـ الأنبياء: ٢٨.
٣ ـ فاطر: ٢٨.
٤ ـ تفسير نور الثقلين، ج ٤ ص ٣٥٩.
٥ ـ المصدر نفسه.
٦ ـ المصدر نفسه.

﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[١].

وفيه عن مصباح شيخ الطائفة ﷺ في دعاء يوم الأربعاء: اللّـهم أشـدّ خـلقك خشية لك أعلمهم بك، وأفضل خلقك لك عملاً أخوفهم لك، لا علم إلّا خشيتك، ولا حكم إلّا الايمان بك، ليس لمن لم يخشك علم، ولا لمن لم يؤمن بك حكم[٢].

أقول: العلم بالله تعالىٰ وبعظمته وظهورها في القلب يوجب الخشية منه تعالىٰ، فإنه تعالىٰ كما هو جميل ذو الإكرام فكذلك هو عظيم جليل ذو الجلال، فالمعرفة به تعالى التي هي المراد من العلم به توجب الخشية منه، وليست الخشية هي الخوف من عقابه للمعصية، بل هي من آثار ظهور عظمته تعالىٰ في القلب، وهي المـعرفة والعلم به تعالىٰ كما لا يخفىٰ.

أقول: هذه بعض آثار الأولياء وعلاماتهم من حيث الملكات الحسنة الراسخة في القلب المستلزمة للعمل الصالح وهي إنما تصدر من القلب الصافي من الموانع ومن الصفات الرذيلة والحجب القلبية المانعة عن الوصول الى الحقّ والحقيقة.

وبعبارة أُخرىٰ: إنّ القلب إذا ارتفع عنه غبار الهيئات المانعة والطمع والرين في عالم الحواس ومعدن الوسواس، فلا محالة يصير صافياً منها، فله أهلية أن يصدر منه العمل الصالح القابل لأن يرفعه الله تعالىٰ إليه.

وأما علاماتهم من حيث العلم والمعرفة القلبيّة فنقول:

اِعلم: أنّ غاية قصود العارفين، وثمرة وجودهم هو الايمان والمعرفة والعرفان بالله تعالىٰ وصفاته وملائكته وأفعاله وكتبه ورسله، وهذه المعارف كما ينبغي هـي الغاية القصوىٰ والثمرة العليا من وجود إنسان كامل في مدة بقائه.

ولا ريب أنه لا يكاد تحصل هذه المعارف إلّا لمن سلك في الصراط المسـتقيم،

---

١ ـ تفسير نور الثقلين، ج ٤ ص ٣٦٠.

٢ ـ المصدر نفسه .

الذي يطلبه الطالب منه تعالىٰ في قوله: إهدنا الصراط المستقيم، وهذا هو الصراط الّذي سلكه جميع الأنبياء والمرسلين وأوليائه الطاهرين الأئمة المعصومين قال تعالىٰ: ﴿وهذا صراط ربّك مستقيماً فاتّبعوه﴾[1] وقال تعالىٰ: ﴿شرع لكم من الدين ما وصّىٰ به نوحاً والّذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ﴾[2].

وهذا الطريق هو الصراط الذي لا يتطرق إليه نسخ ولا تغيير، ولا فيه تخالف ولا تناقض؛ لكونه من عند الله وبتوفيقه وإلهامه، ولايسلكه السالكون عن تقليد ولا عن تعصب، أو اتباع الآباء أو الأساتيد؛ لأجل فرط العقيدة بهم، أو لملازمة الأهوية التابعة لهواهم، فإن هذه كلّها تنافي السير في الصراط المستقيم ضرورة انّ هذا الطريق وهذا المسلك هو مسلك التوحيد، الذي سلكه أفضل الأنبياء عليهم السلام ومتابعوه من الأئمة عليهم السلام المشار إليهم في قوله تعالىٰ: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله علىٰ بصيرة أنا ومَن اتبعني﴾[3].

وقد فسر ومن اتبعني بالأئمة عليهم السلام وهذا أيضاً طريق شيعتهم، وهو الطريق المستقيم الذي أمر الله نبيّه أن يعلّم الناس سلوكهم ويهديهم إليه ويأمرهم باتباعه، ونهاهم عن سلوك غيره في قوله تعالىٰ: ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبلَ فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾[4] وسيجيء في الشرح أنّ هذا السبيل هو ولاية الأئمة عليهم السلام التي هي ولاية الله وولاية رسوله صلى الله عليه وآله.

إذن لابدّ من السير في الصراط والسبيل المستقيم، الذي بيّنه الله تعالىٰ ورسولُه والأئمة عليهم السلام لأنّ استقامة الطريق تفضي بسالكه إلى المقصد في أقرب زمان، ولابدّ للسالك من أن يتحرىٰ أقرب الطرق فإنه أسهلها مسلكاً، وأقربها وصولاً، وهو

---

١ ـ الانعام: ١٢٦.
٢ ـ الشورىٰ: ١٣.

الذي لا عوائق فيه ولا عوج له، فلذلك ينبغي للقاصدين إلى الله بعد تصفية نفوسهم من درن الشهوات، والراغبين في نعيم الآخرة في دار السلام الذين يريدون الصعود الىٰ ملكوت السموات، والدخول في زمرة الملائكة بالولادة الثانية أن يتحرّوا أقرب الطرق إليه وأسهلها مسلكاً وأوثقها اعتماداً، كما قال تعالىٰ: **﴿فمَن أسلم فأولئك تحرّوا رشدا﴾**[1].

واِعلم: أنّ حاصل علامات العلماء بالله ومجامع نعوتهم أنهم منبعثون من موت الجهالة متنبّهون من رقدة الغفلة، عارفون بحقائق الأشياء، مشاهدون حساب يوم الدين، هم قوم تستوي عندهم الأماكن والأزمان، وتغاير الأمور وتصاريف الأحوال، فقد صارت الأيام كلّها عندهم عيداً واحداً وجمعة واحدة، وصارت الأماكن كلّها مسجداً واحداً، والجهات كلّها محراباً واحداً، وذلك لخروجهم بعقولهم الصافية وأذهانهم العالية عن مطمورة عالم الزمان والمكان، وتوجهت قلوبهم شطر الحقّ، وتولت ذواتهم وجه الله، فصارت حركاتهم كلّها عبادة وسكناتهم كلّها طاعة له.

واستوىٰ عندهم مدح المادحين وذم الذامين، لا تأخذهم في الله لومة لائم، وهم قوامون بالقسط شهداء لله بالحق، وهم علىٰ صلواتهم دائمون تحققوا بقوله تعالىٰ: **﴿فأينما تولّوا فثمّ وجه الله﴾**[2] **﴿لكيلا تأسوا علىٰ ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم﴾**[3] وصار دعاؤهم مستجاباً، لأنهم لا يسألون إلّا ما يكون، ولا يكون إلّا ما قد كان في سابق العلم، فقلوبهم في راحة من التعلق بالأسباب، وأرواحهم فارغة من التكلّف بما لا يعني، ونفوسهم ساكنة عن الوسواس، وأبدانهم في راحة من أنفسهم، والناس منهم في راحة وأمان، لا يريدون لأحد سوءاً، ولا يضمرون لأحد

---

١ ـ الجنّ : ١٤ .

٢ ـ البقرة : ١١٥ .

٣ ـ الحديد : ٢٣ .

شرّاً عدواً كان أو صديقاً؛ وذلك لعلمهم بحقارة الدنيا، وخسّة شركائها ودثور أهلها، وإرتفاعهم عن الالتفات الىٰ هذا المنزل الأدنىٰ. كما قال أمير المؤمنين عليه السلام سيدهم في آخر خطبة القاصعة «وإنّي لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم، سيماهم سيما الصديقين، وكلامهم كلام الأبرار، عمّار الليل ومنار النهار. متمسكون بحبل القرآن، يُحيون سنن الله وسنن رسوله، لا يستكبرون ولا يعلون، ولا يغلّون ولا يُفسدون. قلوبهم في الجنان، وأجسادهم في العمل»[1].

وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزيرٍ في يد مجذوم»[2] وقال في آخر الخطبة الشقشقيّة: «ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز».

فصل: إِعلم أنّ الطريق المستقيم الذي أوصانا الله به وأمرنا باتّباعه على ألسنة أنبيائه وأوليائه المعصومين عليهم السلام هو السير في الشريعة الغرّاء المحمدية في متابعة الولاية العلياء العلوية وولاية الأئمة الهادية المهدية (صلوات الله عليهم أجمعين) وهذا مما لا ريب فيه كما سيتضح لك في طي الشرح لقوله عليه السلام: «والأدلاء علىٰ مرضاته». وقوله: وصراطه، وأمثالها بما لا مزيد عليه إلّا أنه نذكر هنا ما به كيفية السلوك في هذا الطريق فنقول مزيداً علىٰ ما مرّ وتوضيحاً له: أحسن الطرق هو التفكر فيما يوصلنا الى المعرفة، ولكن ينبغي أن نعلم متعلق هذا التفكر فإنّ الشريعة هي مجاري التفكر التي بيّنها الشارع، وأمرنا بسلوكها، وهي أمور عمدتُها بعد العمل بالوظائف الشرعية العملية، وبعد تصليحُ العقائد الحقة من الاصول الخمسة الدينية، والاعتقاد بالضروريات العشرة وثبوتها بالأدلة القاطعة الساطعة النيّرة التفكرُ في أمور:

---

١ ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

٢ ـ عرق بالفتح: العظم أخذ عنه معظم اللحم. جمعه عراق بالكسر وعراق بالفتح. نهج البلاغة الحكمة رقم ٢٣٦.

الأول: التفكر في أصل الوجود وما يلزمه وما يبدأ منه كما قال تـعالىٰ: **﴿أَوَلم يكفِ بربّك أنّه علىٰ كلّ شيء شـهيد﴾**[1] وقد تقدمت الإشارة إليه وكيفية التفكر فيه، ثم التفكر في آيات الله في الآفاق وفي أنفسنا إلىٰ أن يتبيّن أنه الحقّ بنحوٍ بيّنه الله وأوضحه النبيّ والأئمة عليهم السلام بالبيان الشافي الكافي، وقد تقدم أيضاً كيفيته في الجملة، ثم إنه مَن عملَ بالفكرة بالنحو المتقدم في آيات الآفاق والأنفس فلا محالة تنفتح له أبواب العلوم المخزونة والأسرار المكنونة، التي لا يمسّها إلّا المطهّرون.

وأحسن حديث يبيّن هذا الأمر ما في البحار عن كـفاية الأثـر مسـنداً عـن يونس بن ظبيان، ورواه في تفسير البرهان أيضاً ذيل قوله تعالىٰ: **﴿قال يا إبليسُ ما منعك...﴾** الآية، قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فقلت: يابن رسول الله إنّي دخلتُ علىٰ مالك وأصحابه، وعـنده جمـاعة يـتكلّمون في الله، فسـمعت بعضهم يقول: «إنّ لله وجهاً كالوجوه!» وبعضهم يقول: له يـدان واحـتجّوا لذلك بقول الله تبارك وتعالىٰ: **﴿... بيديّ أَستكبرتَ﴾**[2] وبعضهم يقول: هو كالشاب من أبناء ثلاثين سنة، فما عندك في هذا يابن رسول الله؟!

قـال: وكان متّكئاً فاستوىٰ جالساً وقال: اللّهم عفوك عفوك ثم قال: يايونس مَن زعم أنّ لله وجهاً كالوجوه فقد أشرك، ومَـن زعـم أنّ لله جـوارح كـجوارح المخلوقين فهو كافر بالله ولا تقبلوا شهادته ولا تأكلوا ذبيحته، تعالى الله عما يصفه المشبّهون بصفة المخلوقين، فوجه الله أنـبياؤه وأوليـاؤه، وقـوله: **﴿خـلقتُ بـيديّ أَستكبرت﴾**، فاليد القدرة كقوله تعالىٰ: **﴿وأيّدكم بـنصره﴾**[3] فـمن زعـم أنّ الله في شيء أو علىٰ شيء، أو يحول من شيء إلىٰ شيء، أو يخلو منه شيء، أو يُشـغل بـه شيء فقد وصفه بصفة المخلوقين، والله خالق كلّ شيء، لا يقاس بالقياس، ولا يشبه

---

١ ـ فصّلت : ٥٣ .

٢ ـ سورة ص : ٧٥ .

٣ ـ الانفال : ٢٦ .

بالناس، لا يخلو منه مكان، ولا يشغل به مكان، قريب في بعده بعيد في قربه ذلك الله ربنا لا إله غيره. فمن أراده وأحبّه ووصفه بهذه الصفة فهو من الموحدين، ومن أحبّه ووصفه بغير هذه الصفة فالله منه بريء ونحن منه برآء، ثم قال عليه السلام: إنّ أولي الألباب الذين عملوا بالفكرة حتىٰ ورثوا منه حبّ الله، فإن حبّ الله إذا ورثه القلبُ واستضاء به أسرع اليه اللطف، فإذا نزل منزلة اللطف[1] صار من أهل الفوائد، فإذا صار من أهل الفوائد تكلّم بالحكمة[2] فصار صاحب فطنة فإذا نزل منزلة الفطنة، عمل في القدرة، فإذا عمل في القدرة عرف الأطباق السبعة، فإذا بلغ هذه المنزلة صار يتقلب في فكره بلطف وحكمة وبيان، فاذا بلغ هذه المنزلة جعل شهوته ومحبّته في خالقه، فإذا فعل ذلك نزل المنزلة الكبرىٰ فعاين ربّه في قلبه، وورث الحكمة بغير ما ورثه الحكماء، وورث العلم بغير ما ورثه العلماء، وورث الصدق بغير ما ورثه الصديقون، إنّ الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت، وإنّ العلماء ورثوا العلم بالطلب، وإنّ الصديقين ورثوا الصدق بالخشوع وطول العبادة، فمن أخذه بهذه السيرة إمّا أن يسفل وإما أن يرفع، وأكثرهم الذي يسفل ولا يرفع إذا لم يرع حقّ الله ولم يعمل بما أمر به فهذه صفة من لم يعرف الله حقّ معرفته، ولم يحبّه حق محبّته، فلا يغرّنك صلواتهم وصيامهم ورواياتهم وعلومهم فإنهم حمر مستنفرة.

ثم قال: يا يونس إذا أردت العلم الصحيح، فعندنا أهل البيت فإنا ورثناه وأُوتينا شرع الحكمة وفصل الخطاب، فقلت: يابن رسول الله وكلّ من كان من أهل البيت ورث كما ورثتم من كان من ولد علي وفاطمة عليهما السلام فقال: ما ورثه إلّا الأئمة الاثنا عشر، قلت: سمّهم لي يابن رسول الله، قال: أولهم علي بن أبي طالب وبعده الحسن والحسين وبعده علي بن الحسين وبعده محمد بن علي الباقر، ثم أنا، وبعدي موسىٰ ولدي، وبعد موسىٰ علي ابنه، وبعد علي محمد ابنه وبعد محمد علي ابنه، وبعد

---

١ ـ في المصدر : استضاء به وأسرع إليه اللطف ، فإذا نزل اللطف . اهـ

٢ ـ فاذا تكلم بالحكمة صار صاحب فطنة .

علي الحسن ابنه، وبعد الحسن الحجّة. اصطفانا الله وطهّرنا وآتانا ما لم يؤت أحداً من العالمين، ثم قلت: يابن رسول الله إنّ عبدالله بن سعد دخل عليك بالأمس فسألك عما سألتك فأجبته بخلاف هذا!! فقال: يايونس كلّ امرئ وما يحتمله، ولكلّ وقت حديثه، وإنك لأهلٌ لما سألت، فاكتمه إلّا عن أهله والسلام[١].

أقول: هذا الحديث الشريف مشتمل علىٰ لآلِئ المعارف الالٓهيّة وغوامض العلوم الربانية، وفيه بيان كيفية السير الىٰ معرفته تعالىٰ كما لا يخفىٰ علىٰ من هو من أهله ونسأل الله تعالىٰ أن يوفّقنا لشرحه في رسالة مخصوصة، لتتّضح معانيه، ويسهل علىٰ أهله استخراج غرره ودرره بمحمد وآله الطاهرين.

ثم إنه ينبغي التأمّل في قوله: إنّ أُولي الألباب... الخ ليتضح ما قلناه من أنّ السير في آيات الآفاق والأنفس بالتفكر يوجب له انفتاح أبواب العلوم المخزونة والمستورة لقلبه كما لا يخفىٰ.

ومما يجب أن يعلم لمن أراد التفكر في الوجود الحقّ أنه لابدّ من أن يتّبع سبيل أوليائه تعالىٰ في ذلك، وهو أنّه لا ينبغي أن يتكلم في ذات الباري تعالىٰ، ولا في صفاته ولا في أفعاله (من حيث هي أفعاله) بالحدس والتخمين من النفس فإنّه لا سبيل لها إليه تعالىٰ أبداً، ولا قبل تصفية النفس من الوساوس والرين والحجب، فإن ذلك يؤدي الى الشكوك والحيرة والضلال كما قال تعالىٰ: **﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا كتاب منير﴾**[٢].

ثم إنه سيجيء أنّه (أي السير إليه تعالىٰ) علىٰ أقسام وأسفار أربعة، والعمدة منها هو ما تقدم من تطهير الإنسان باطنه عن غيره تعالىٰ، وعن الرذائل، وإدامة التوجه إليه تعالىٰ مع المحبّة الشديدة حتىٰ يحاذي بقلبه شطر الحقّ، فيتجلّىٰ، فيه من الحق ما يسمح به الحقّ تعالىٰ، فما تجلّىٰ فيه منه تعالىٰ هو المعرفة فبها يتمكن السالك

---

١ ـ البحار، ج٣٦ ص٤٠٣.

٢ ـ الحج: ٨.

أن يتفكر في شؤون ذاته تعالىٰ وصفاته وأفعاله قال ﷺ: «بك عرفتك ولولا أنت لم أدر ما أنت»، وحيث إنهم أي السالكون لهذا المسلك يكون علمهم ومعرفتهم منه تعالىٰ فيمتازون عن غيرهم بأن علومهم لما كانت في مرتبة التام بذاته بحسب أرواحهم التي مرتبتها مرتبة العقول الفعالة كما تقدمت الإشارة إليه.

هذا في الكمّلين أو في مرتبة المكتفي بذاته بحسب نفوسهم، التي هي في درجة نفوس الأفلاك كما تقدمت الإشارة اليه وكما حقّق في محله، وهذا بخلاف غيرهم من أُولي العلوم الظاهرية فإنّ هؤلاء لما كانت علومهم صرف الصور القائمة بنفوسهم، ولم تنكشف لهم حقايق الأشياء والمعلومات بصورتها الواقعية في قلوبهم بالمشاهدة والعيان، فلا محالة تكون قلوبهم مظلمة، ولا يمكنهم الاكتفاء في علومهم الظاهرية عن العلوم العينية القلبية، إذ ليست علومهم من إفاضة الله فقط بتوسط الملائكة النورية التي هي خزائن علم الله تعالىٰ، بل يحتاجون في انحفاظ علومهم الصورية الىٰ أسباب خارجية وأوضاع حسّية وأسانيد متقدّمة، حتىٰ أن فرض ارتفاع الأسانيد من الكتب الخارجية والأوضاع الخارجية الحسّية من المطالعة والنظر والدقة التي جملتها من الأمور المتغيّرة المتصرمة؛ لبطلت علومهم وزالت كمالاتهم.

فلو لم تكن عنده الكتب وسئل عن مسألة يقول: لا علم لي بها لعدم الأسباب الخارجية لها من الكتب وغيره كما لا يخفىٰ، وأين هذا من علوم أهل الله الذين انكشفت الحقائق في قلوبهم بالعيان؟ فجميع المنتسبين إلى العلوم التي هي دون علوم الأولياء والعرفاء ناقصون في كمالاتهم العلمية، إذ ليسوا في مرتبة التمام من العلم كالعقول القادسة والملائكة العلمية، الذين كمالاتهم بالفعل من كلّ الوجوه ولا كمال منتظر لهم، وليسوا أيضاً في مرتبة المكتفين بذواتهم وذوات عللهم المقومة الداخلية كالملائكة العمالة بإذن الله في تحريك الأجرام العالية، واستخراج الكمالات النفسية من القوة إلى الفعل بل هؤلاء الظاهريون يكونون أبداً محتاجين الى المشايخ

والأساتيد كالأعمىٰ الذي يحتاج أبداً الىٰ قائد خارجي، والىٰ ما يسند اليه في سلوكه ومشية.

فالعلماء قسمان: قسم له العلم الظاهري بواسطة قيام صور في نفسه، ولم يكن له انكشاف العلوم في قلبه، وهذا العلم الصوري محفوظ بالأسباب الخارجية بحيث لو انتفت لانتفىٰ، وقسم له الانكشاف بحيث ظهرت حقائق الأشياء في قلبه فهو عالم بها بذاته، ولا يحتاج الىٰ أمر خارجي، ولعله إليهما يشير ما في الكافي مسنداً عن عمرو عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لنا ذات يوم: «تجد الرجل لا يخطئ بلام ولا واو خطيباً مصقعاً ولقلبه أشدّ ظلمة من الليل المظلم، وتجد الرجل لا يستطيع يعبّر عمّا في قلبه بلسانه وقلبه يزهر كما يزهر المصباح»[1]

فإنّ ظلمة القلب مع كونه مصقعاً باللّسان يشير إلىٰ من علم العلم الظاهر من دون تنوّر قلبه بالواقع، وقوله: وقلبه يزهر كما يزهر المصباح، يشير إلى القسم الثاني من الذين تكون علومهم بنحو الانكشاف بحيث تكون قلوبهم منورة بنور العلوم الإلهيّة كما لا يخفىٰ.

ثم لا يخفىٰ أن ما ورد من: «إنّ العلماء ورثة الأنبياء»، يشير الى القسم الثاني منهما لا الأول إذ من المعلوم أنّ علومهم عليهم السلام الصورية قد علمها المنافقون منهم عليهم السلام أيضاً مع، أنه لا يمكن لأحد أن يقول: إنهم أي المنافقون ورثة الأنبياء الا بضرب من التأويل، وهذا بخلاف العلماء الذين تكون علومهم نوراً منه تعالىٰ ومكتسباً منه تعالى الذين أشار إليهم أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: «وما برح لله ـ عزّت آلاؤه ـ في البرهة بعد البرهة وفي أزمان الفترات عباد ناجاهم في فكرهم، وكلّمهم في ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظة في الأبصار والأسماع والأفئدة»[2].

والحاصل: أنه لا يراد من الأخذ من الله أنه كالنبي صلى الله عليه وآله بحيث يكون مستقلاً في

---

١ ـ الكافي، ج٢ ص٤٢٢.

٢ ـ نهج البلاغة خطبة ٢١٣.

الأخذ، بل المراد أنه يأخذ عنه تعالىٰ من موارده التي بينها الله تعالىٰ وهو القرآن وكلماتهم عليهم السلام كما لا يخفىٰ، والفرق بين هذا العالم وبين العالم الظاهري أنّ الثاني لا يترقىٰ عن ظاهر اللفظ والمفهوم الابتدائي بخلاف العالم الرباني فإنه بمعونته تعالىٰ تنكشف له حقائق الآيات فيأخذ عمن أنزلها بتعليمه تعالىٰ كما ورد في الحديث: «مَن زهد في الدنيا، ولم يجزع من ذلّها، ولم ينافس في عزّها هداه الله من غير هداية من مخلوقه، وعلّمه من غير تعليم، وبصره عيوب نفسه، وأثبت الحكمة في قلبه وأجراها علىٰ لسانه» الحديث.

إذن ينبغي أن تكون علوم وارثهم فائضة منه تعالىٰ علىٰ قلوبهم كما أُشير إليه في كلام أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: «وكلّمهم في ذات عقولهم»، فعلوم الأنبياء وورّاثهم تكون منه تعالىٰ بحيث لو قطع النظر عن أسباب التعاليم الخارجية، والأسانيد المنفصلة لكانت علومهم بحالها كما كانت، ولا مدخليّة لخصوصية هذه النشأة الدنياويّة وغيرها من النشات في بقاء علومهم وثباتها، حيث ثبتهم الله بالقول الثابت في الحيوة الدنيا والآخرة، رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

ومن علاماتهم العلمية: أنهم موحّدون للباري (جلّ اسمه) توحيداً حقيقياً لا يعرف كنهه غيرهم، أي كنه التوحيد الحقيقي الذي عرفوه، لا كنهه تعالىٰ إذ ليست وحدته تعالىٰ من قبيل الوحدة العددية التي تنشأ منها الاعدادات، ولا من النوعية والجنسيّة التي توجب الاشتراك مع غيرها، ولا من الشخصية التي توجب الانفصال عن الامور الواقعة مع الشخص تحت كلي فإن زيداً واحد شخصيّ منفصل عن عمرو بالأمور الواقعة مع آخر الموجبة للتشخيص، وهما تحت كلي الانسان، ولا هو واحد بالوضع ولا بالكيف ولا بالكم ولا بالاضافة كما حقق في محلّه.

فوحدته تعالىٰ خارجة عن جميع الأقسام، الوحدة التي عرفها الخلائق كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «توحيده تمييزه عن خلقه وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة

عزلة» فهو واحد متميز عن جميع الوحدات الكائنة في الخلق فوحدته مختصة بـه تعالىٰ لا بما تعرف به الوحدات الخلقية بل بالانكشاف الإلٰهي له في قـلوبهم، كـما روي عن أمير المؤمنين في معنى ـ الحـقيقة ـ وسـيجيء في الشرح شرحـه: نـور يشرق من صبح الأزل فيلوح علىٰ هياكل التـوحيد آثـاره، ولا بأس بـالاشارة الإجمالية إلىٰ بيان التوحيد الحقيقي العلمي فنقول:

فصل : أنّ الوحدة الأحديّة الحقّة الإلهيّة ليست وحدة شخصية بحيث تكون فرداً للنوع قد تخصص بالمشخصات الفرديّة كما هو شأن أفراد الأنواع سواءً كان نوعه منتشراً أي غير محصور في فرد أو كان منحصراً، والوجه فيه أنّ حقيقة النوع تكون متقدمة على التشخص الفردي بالتقدم الذاتي، فلو كان الباري تعالىٰ كذلك لزم أن يكون له تعالىٰ قبل الوحدة الشخصية له نوع يكون هذا الفرد والتشخص فرداً له، ضرورة أنّ النوع لا يحتاج في قوام حقيقته إلىٰ الشخص، وكذا لا يحتاج في ثبوته وتقرر ماهيته الى الشخص. نعم يحتاج في وجوده الخارجي وحصوله بالفعل الى الشخص والفرد. فإنّ الشيء ما لم يتشخّص لم يوجد كما حقق في محـله، وهـذا التشخص الفردي الخارجي ليس كالتشخّص العارض للماهيّات حـتىٰ يـقال: إنّ الوحدة النوعية والوحدة العارضة للماهيات أيـضاً وحـدة شـخصية؛ وذلك لأن التشخص العارض للـماهيات نـوعي لا ذاتي، والتشـخص النـوعي ليس ذاتـياً خارجياً كما لا يخفىٰ.

وأيضاً وحدته تعالىٰ ليست وحدة نوعية؛ لأن النـوع مـركب مـن الجـنس والفصل، وهو تعالىٰ بسيط الذات محض الوجـود وبَحتُ الهـوية، وكـون وحـدته نوعية يرجع الى الوحدة الفصلية والوحدة الجنسية، فإن النوع مركب منهما، هذا، مع أنه لا يجوز أن تكون وحدته كوحدة الفصل.

ضرورة أنّ الفصل فرع وجود الجنس فإن الفصل حيث إنـه يكـون مـا بـه الامتياز للجنس الذي هو ما به الاشتراك، فلا محالة يكون وجـود الفـصل فـرع

وجود الجنس وموجوداً به، فلو كان الباري تعالىٰ كذلك للزم كونه موجوداً لأجل جنسه. فهذا مضافاً إلىٰ أنّه يلزم تقدم الجنس عليه تعالىٰ في الوجود، يلزم أن يكون وجوده تعالىٰ وجوداً فرعياً لا استقلالياً تعالىٰ عن ذلك علواً كبيراً.

ولا يجوز أيضاً أن تكون وحدته تعالىٰ وحدة جنسية، فإنّ مهية الجنس إبهامية مضافاً الىٰ احتياجه في الوجود الخارجي إلىٰ الفصل تعالىٰ الله عن الإبهام والاحتياج.

هذا مضافاً إلىٰ أنّ الجنس والفصل من حيث إبهامهما، ومن حيث كونهما موجودين بالقوة لا بالفعل فلا محالة يحتاجان في حصول الوجود لهما إلى المخصص والمقوم الذاتي أي الموجود الفعلي، فإن ما هو صرف الإبهام والقوة لا يقتضي بنفسه الوجود، بل يحتاج الىٰ مقوم موجود يهيّئهما، ويخرجهما من الإبهام والقوة الىٰ نحو من أنحاء الوجودات الخارجية حسب ما تقتضيه ذاتهما.

فظهر أنّ وحدته تعالىٰ ليست وحدة شخصية كأفراد الأنواع ولا نوعية ولا جنسية، فلا محالة ليس لوحدته حدّ بل هو وحدة بحتة ووجود صرف، وحيث لا حدّ له فلا جنس ولا فصل له فلا حدّ له يُعرفّه. ضرورة أنّ الحدّ يجب أن يكون مركباً من جنس وفصل.

وحيث إنه تعالىٰ صرف الوجود وصرف الوحدة البحته، فلا تركب ولا تركيب فيه لا ذهناً ولا خارجاً فهو بسيط الذات فلا معرف له.

فلا محالة أنّ وحدته تعالىٰ وحدة تندرج فيها الوحدات الثلاث من الشخصي والنوعي والجنسي، بمعنىٰ أنّ وحدته تعالىٰ جامعة لجميع الوحدات أي أنّ وحدته لا تنافي الكثرات.

بيانه: انّ وحدته تعالىٰ لما لم تكن وحدة عددية، فإن الوحدة العددية إنما تكون فيما له ثان. وحيث إنه تعالىٰ لا ثاني له؛ لأنه لمّا كان صرف الوجود، فكلما فرضت له ثانياً يرجع إلى الأول وإليه وإلّا للزم الحدّ وهو منزّه عنه.

فوحدته وحدة حقيقيّة لا تنافي الكثرات بل تجامعها فإن الكثرات تتحقق بالقيود والحصر وهو تعالىٰ منزه عنها، علىٰ أنّ الوحدة العددية من مقولة الاعراض تعرض الموجودات العددية، ووحدته تعالىٰ ذاتية، فوحدته تعالىٰ جامعة للكلّ من دون عروض قيد وحصر لها.

قال علي عليه السلام: بل هو في الأشياء بلا كيفية، فقوله عليه السلام: «بلا كيفية» يشير إلىٰ تنزّهه تعالىٰ عن القيود والحصر والحدود الخلقية، كما أنّ قوله عليه السلام: هو في الأشياء، يشير إلىٰ جامعية وحدته تعالىٰ لها.

فظهر أنّ وحدته تعالىٰ ليست وحدة جنسية ولا نوعية ولا شخصية ولا وحدة عرضية، بمعنىٰ أنّه معروض للوحدة كما في الوحدة العددية.

والوجه فيه أنّ جميع تلك الوحدات المنفية عنه تعالىٰ مستلزمة للإمكان، وهو تعالىٰ واجب بذاته لذاته ليس فيه جهة إمكان ولا قوة ولا استعداد، بل هو تام وفوق التمام كما تقدم، وهو تعالىٰ كما يقول وفوق ما نقول فليس له جنس ولا فصل ولا مادة ولا صورة، فليس حينئذ له جزء لانه فرع التركيب ولا تركيب فيه تعالىٰ لا ذهنياً ولا خارجاً فليس له حدّ يُعرّفه ولا رسم يُمثّله، وحيث لا حدّ له فلا علة له، فان المركب والمحدود يحتاج في الوجود إلى العلة لا البسيط الذاتي فلا شريك له أيضاً؛ لاستلزامه إلى الحد والى الاحتياج في أموره الىٰ دفع شريكه، وهو تعالىٰ منزه عن الاحتياج؛ لاستلزام الاحتياج الىٰ كون المحتاج في خروجه عمّا بالقوة الى الفعلية الىٰ مخرج آخر، وهو تعالىٰ منزه عنه، بل هو تامّ في شؤونه وفوق التمام، فليس أيضاً عليه برهان من غيره يوجده أو يثبته، بل هو برهان علىٰ كلّ شيء.

قيل له صلى الله عليه وآله: بم عرفت ربك؟ قال صلى الله عليه وآله: «عرفت الأشياء بربّي» وقال السجاد عليه السلام: «بنورك إهتدينا وبنعمتك أصبحنا وأمسينا» وقال عليه السلام: «لولا أنت لم أدر ما أنت» فهو كما قال تعالىٰ: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فهو سبحانه ليس في ذاته المقدسة جهة فقر أصلاً فهو إذاً أغنى وأتم وأشدّ وآكد وأقدم وجوداً فلا أقدم عليه

فلا محالة لا نهاية له.

قال عليه السلام: في النهج: «هو الله الحقّ المبين أحقّ وأبين مما ترى العيون»[١].

وقال عليه السلام: «فهو بالمكان الذي لا يتناهىٰ»، فهو تعالىٰ غير متناه في الغنىٰ والتمامية وفوقها بالشدة والتقدم.

قال عليه السلام: «فهو غاية الغايات وليس له غاية».

والوجه فيه أنّه تعالىٰ لو كان متناهياً في هذه الصفات، فلابدّ من أن يتصور له مرتبة فوق تلك المراتب بحيث يكون هو تعالىٰ فاقداً لها. فلا محالة يكون محدوداً ومفتقراً الىٰ تلك المرتبة، التي هي فوقها في كماله وتكميله وهذا خلف، لما تقرر أنه تعالىٰ تام وفوق التمام.

وكيف كان فلا حدّ له تعالىٰ ولا علامة ولا رسم ليوصل بها الىٰ كنهه قال تعالىٰ: **﴿ولا يحيطون به علماً﴾**[٢] أي من هذه الطرق وغيرها وقال تعالىٰ: **﴿وعنت الوجوه للحيّ القيّوم﴾**[٣].

ثمّ إنّه لابدّ من بيان أمر دقيق فاستمع لما يُتلىٰ عليك، وكن علىٰ بصيرة قلبيّة لدركه فنقول: قال تعالىٰ: **﴿وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلىٰ في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾**[٤] فقوله تعالىٰ: ـ يبدأ ـ إشارة الىٰ جعله تعالى الأشياء وإيجادها، كما أنّ قوله تعالىٰ ثم يعيده إشارة الىٰ إفنائها بعد الإيجاد، والجعل والإيجاد عبارة عن إظهار الجاعل تعالىٰ مثال ذاته المقدسة.

فقوله تعالىٰ بعد ذلك: وله المثل الأعلىٰ... الآية، إشارة إلىٰ أنّ الإبداء والجعل

---

١ ـ في خطبة له عليه السلام تحت رقم ١٥٤ (فيض الإسلام).

٢ ـ طه : ١١٠.

٣ ـ طه : ١١١.

٤ ـ الروم : ٢٧.

والخلق والإيجاد إنما هو إظهار المثل الأعلىٰ له تعالىٰ.

وكيف كان فالجعل هو إظهار الجاعل مثال ذاته في الخارج، ومن المعلوم عقلاً أنّ المثال ليس عين ذات الجاعل وإلّا لم يكن جعلاً بل نفسه، فلا جاعل ولا مجعول وهذا خلف.

وأيضاً لا يجوز أن يكون غير الذات من جميع الجهات، وإلّا لما كان مثالاً للذات، فلا محالة يكون أي الصادر الأول وما يستتبعه من وجه هو هو بمعنىٰ أنّ المثال هو تجلي الذات كما قال ﷺ: «لم تحط به الأوهام بل تجلّىٰ لها بها وامتنع بها منها»[1] ومن وجه ليس هو لأنه مثال له لا عينه.

وهذا المثال في الواقع ونفس الأمر هو نحو ظهور للذات، بمعنىٰ أنّ الذات قد تنزل عن عالم الإطلاق الىٰ عالم التعيّن الأسمىٰ، فتنزله بالتجلي لا غيره في مراتب التعيّن هو ظهور الذات.

فالظهور أي المثال الظاهر حيث إنه ناشئ من الذات أي ظهور منه فهو هو، وحيث إنه ليس في مرتبة الذات بل ظهوره فهو ليس هو، وهذه الليسيّة ليست إلّا النقصان وهو ليس إلّا العدم.

فغيرّية الظهور عن الذات إنما هي بالعدم والنقص، بمعنىٰ أنّ ما به الغيرية أي غيرية الظهور عن الذات، وامتيازه عنها ليس إلّا لأجل فقدان مرتبة من آثار الذات، وهذا الفقدان أوجب تركيباً في المجعول فهو مركب من الوجود والعدم.

والمراد من العدم هو النقص وفقدان مراتب الذات وفقد الإطلاق، كما أنّ المراد من الوجود في المجعول هو الفعلية التي هي شأن من شأن إلهي قد ظهر بهذا التجلي في التعين، فتحقق به اسم الخلق والسّوي بما له من المراتب الطولية والعرضية والسببية والمسببية ولا يراد من الوجود البداهة فإنها صفة عارضة كما لا يخفىٰ.

وهذا معنىٰ قولهم: إنّ الممكن زوج تركيبي أي من الوجود والعدم. فالاعدام حدود

---

١ ـ نهج البلاغة لفيض الإسلام خطبة ٢٢٧.

الخلق والله تعالىٰ خلو منه، كما أنها خلو منه تعالىٰ والله العالم بحقائق أُموره.

واعلم أنما ذكرناه إنما هو علىٰ طريقة القوم، وحيث إنه يوهم أنّ المخلوق هو ما خرج من الخالق، أو أنّه تنزّل الىٰ درجة المخلوق مع أنه ليس كذلك. ولذا نذكر ما يوضح المقصد فنقول:

إنّ الوجود هو ذات الشيء وحقيقته، وهو الذي يطرد العدم وينافيه، وبهـذا المعنىٰ يطلق على الباري تعالىٰ. فهو تعالى الموجود الذي لا يتعلّق وجوده بغيره، ولا يتقيّد بقيد، وهو غير محدود بحدٍّ كما تقدم، ويعبّر عنه بالهـويّة العـينيّة وغـيب الهويّة والغيب المطلق والذات الأحديّة، وهو الذي لا اسم له ولا رسم ولا نـعت، ولا يتعلّق به معرفة وإدراك. قال تعالىٰ: **﴿لا تدركه الأبصار وهو يُدرك الأبصار﴾**[1] وقد فسّرت الأبصار في الأحاديث عنهم عليهم السلام بأبصار القلوب أي هو كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: لم تحط به الأوهام، بل تجلّىٰ لها بها وبها امتنع منها[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام الحـمد لله الذي أعجز الأوهام أن تـنال إلّا وجـوده، وحجب العقول عن أن تتخيّل ذاته في امتناعها من الشبه والشكل[3].

فدل كلامه عليه السلام علىٰ أنه لا يدرك منه إلّا أنّه تعالىٰ موجود وأمّا ذاته فلا. فهو تعالىٰ لا يتعلّق به معرفة وإدراك، إذ المعرفة العقلية إنما تـتعلق بمـا له اسم أو رسم ونعت، وتكون المعرفة حينئذ به مفهوماً من المفهومات العقليّة، وهو تعالىٰ كما تقدم في أول الشرح لا يدخل في الذهن، ولا تتعلق به المعرفة العقليّة. فهو تعالى الغيب المجهول المطلق.

نعم أعربت وأفصحت عنه وعن وجوده تعالىٰ الأحاديث بـصفاته الجـمالية والجلاليّة.

---

١ ـ الانعام: ١٠٣.

٢ ـ نهج البلاغة لفيض الاسلام: ٧٢٤.

٣ ـ التوحيد ص٧٣.

ففي توحيد الصدوق بإسناده عن يونس بن عبدالرحمن قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: روينا أنّ الله علم لا جهل فيه، حياة لا موت فيه، نور لا ظلمة فيه قال: هو كذلك[1].

وفيه عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ الله نور لا ظلمة فيه، وعلم لا جهل فيه، وحياة لا موت فيه[2] فهو تعالىٰ موجود لا يُدرك، وإنما يعرف بصفاته تعالىٰ كما ذكر في الحديث، وهو تعالىٰ أحديّ الذات، وهو بائن من خلقه.

ففيه عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزّوجل: ﴿ما يكون من نجوىٰ ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنىٰ من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أينما كانوا﴾[3] فقال: هو واحد أحدي الذات بائن من خلقه وبذلك وصف نفسه وهو بكلّ شيء محيط بالإشراف والإحاطة والقدرة[4].

فعلم أنه تعالىٰ أحديّ الذّات لا طريق الىٰ نيله ودركه، إلّا أنه نور وعلم وحياة وهو حقيقة الشيء كما قال عليه السلام: «بل هو شيء بحقيقة الشيئية» كما تقدم حديثه.

وقال الرضا عليه السلام: «ذاته حقيقة وكنهه تفريق» وقال أمير المؤمنين عليه السلام كما تقدم عن النهج: «هو الله الملك الحقّ المبين أحق وأبين مما ترى العيون»[5].

وقال تعالىٰ: ﴿هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن وهو بكلّ شيء عليم﴾[6].

وقال الحسين عليه السلام: «ألغيرك من الظهور ما ليس لك» الدعاء.

وقد تقدم فيستفاد منها أنه خلق الأشياء وأنه قد ظهر بها.

---

١ ـ التوحيد ص ١٣٨ .

٢ ـ التوحيد ص١٣٨ .

٣ ـ المجادلة : ٧ .

٤ ـ التوحيد ص ١٣١ .

٥ ـ نهج البلاغة لفيض الاسلام ٤٧٤ .

٦ ـ الحديد : ٣ .

فحينئذ نقول: قال تعالىٰ: ﴿هو الله الخالق البارئ المصوّر﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾[٢] فيستفاد منه أنّه تعالىٰ خالق للأشياء بقوله: كن، الذي ليس بصوت يقرع كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: بل هو إبداع منه تعالىٰ لها لا من شيء، كما في الحديث انه سُئل عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ خلق الأشياء من شيء أو من لا شيء؟ فقال عليه السلام إنّ الله خلق الأشياء لا من شيء» فما تقدم من أن الجعل والخلق هو إظهار الجاعل مثال ذاته في الخارج، لا يراد منه أنّ المثال هو عين ذاته، أو شيء خرج من ذاته تعالىٰ، ضرورة أنّ المثال كما يأتي بيانه في شرح قوله عليه السلام: «والمثل الأعلىٰ» هو ما يتمثّل به الممثّل في الصفات لا في الذات، كما أنّ المثل ـ بكسر الميم ـ هو ما يمثّل به الممثّل في الذات، بل المراد أنّه تعالىٰ مبدع لها أي الأشياء بنحو تكون مثلاً ـ بالتحريك ـ له تعالىٰ أي أظهر فيها صفاته من العلم والقدرة والحكمة، وهو تعالىٰ ظهر بها بما أظهر فيها من علمه وقدرته وحكمته وجماله.

والحاصل أنّ خلقه تعالىٰ وجعله تعالىٰ إنّما هو إبداعه للأشياء لا من شيء، بنحو المثال الحاكي عن قدرته وعلمه وجماله وحكمته تعالىٰ، وهو تعالىٰ قد ظهر بها بالمثال.

ويشير الىٰ ما ذكر ما رواه في التوحيد[٣] قال وهب بن وهب القرشيّ، وحدّثني الصادق جعفر بن محمد عن أبيه الباقر عن أبيه عليهما السلام: أنّ أهل البصرة كتبوا إلىٰ الحسين بن علي عليه السلام يسألونه عن الصمد، فكتب إليهم: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد فلا تخوضوا في القرآن، ولا تجادلوا فيه، ولا تتكلّموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مَن قال في القرآن بغير علم فليتبوء مقعده من

---

١ ـ الحشر: ٣٤.

٢ ـ يس: ٨٢.

٣ ـ التوحيد ص ٩٠.

النار، وإنّ الله سبحانه قد فسّر الصمد، فقال: ﴿الله أحد الله الصّمد﴾ ثمّ فسّره فقال: ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ ﴿لم يلد﴾ لم يخرج منه شيء كثيف كالولد، وساير الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف كالنَفَس، ولا يتشعّب منه البدوات كالسنة والنوم والخطرة والهمّ والحزن، والبهجة والضحك، والبكاء والخوف، والرجاء والرغبة، والسأمة والجوع والشبع تعالىٰ أن يخرج منه شيء، وأن يتولد منه شيء كثيف أو لطيف ﴿ولم يولد﴾ لم يتولّد من شيء، ولم يخرج من شيء كما يخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء، والدابة من الدابة، والنبات من الأرض، والماء من الينابيع، والثمار من الأشجار، ولا كما يخرج الأشياء اللّطيفة من مراكزها كالبصر من العين، والسمع من الأُذن، والشم من الأنف، والذوق من الفمّ، والكلام من اللسان، والمعرفة والتميز من القلب، وكالنار من الحجر، لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء، ولا في شيء، ولا علىٰ شيء مبدع الأشياء وخالقها، ومنشئ الأشياء بقدرته، يتلاشىٰ ما خلق للفناء بمشيّته، ويبقىٰ ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، ولم يكن له كفواً أحد».

فدل هذا الحديث الشريف علىٰ أنه تعالىٰ لم يخرج منه شيء كما قال لم يخرج منه شيء كثيف... إلىٰ قوله عليه السلام ولا شيء لطيف كالنَفَس... الىٰ أن قال عليه السلام: تعالىٰ أن يخرج منه وأن يتولد منه شيء... الخ بل يكون خلقه للأشياء بالإبداع كما قال عليه السلام: مبدع الأشياء وخالقها ومنشئ الأشياء بقدرته... الخ.

ثمّ إنّه لمّا كان المقام مَزَلّة الأقدام كما قد زلّ قوم وتاه آخرون، فأردت أن أوضح المراد من الجعل والخلق، وإيجاد المثال منه تعالىٰ، بحيث يتّضح الأمر كما ذكره الأئمة المعصومون عليهم السلام. وما ذكرناه لا ينافي تحقق المعرفة لأولياء الله والرؤية القلبيّة كما صرحت به الأحاديث. وذلك لما سيجيء من أنّ المعرفة به تعالىٰ لا ترجع إلى الحلول والاتّحاد، أو الإحاطة بالكنه أو الرؤية البصريّة، بل المراد بها هو ظهوره

تعالىٰ بوحدانيته الذاتيّة أو الصفاتيّة أو الأفعاليّة لقلب عبده الموحّد الحقيقي من دون تنزّل الرب في حقيقة العبد، أو صعود العبد في حقيقة الرب، بل العبد عبد والرب ربّ حيث علمت أنّ العبد مهما بلغ من القرب فهو مخلوق مبدع لا شيء خرج منه تعالىٰ. فلا محالة لا يكون في أقصىٰ قربه إليه تعالىٰ إلّا مظهراً له تعالىٰ لوحدانيّته الذاتيّة والصفاتيّة والأفعاليّة. والحاصل أنّ الله تعالىٰ خلو من خلقه وخلقه خلوّ منه وهذا الأمر غير منثلم أبداً.

وسيأتي أنّ الموحّد الحقيقي هو الذي فنىٰ عن نفسه التي هي العدم، وتوجّه بحقيقته أي بالظهور الذي هو به موجود إلىٰ الجهة الالهيّة، التي هي فيه أي في السالك ظهرت، فلا يرىٰ حينئذ إلّا الله الظاهر فيه كما قال عليه السلام: فرأيتك ظاهراً في كلّ شيء.

ثم إنّ من أدقّ الأمور درك تجلي الذات في المظاهر والأمثال الخلقية، فإنّه لا مطمع لأحد إلىٰ دركها بل كما قال عليه السلام: وإنه لم تجعل طريقاً إلىٰ معرفتك إلاّ بالعجز عن معرفتك.

اللّهم إلّا إذا سبقت منه الحسنىٰ فوصل الىٰ تلك المعرفة، وسيأتي أنه نور طامس قيّومي يظهر في قلب الولي، وهذا بكماله هو المقام الولاية الكبرىٰ الالهيّة التي يكون بأتمها لمحمد وآله صلى الله عليه وآله كما قال السجاد عليه السلام: «ليس بين الله وبين حجّته ستر ولا دونه حجاب»، وسيأتي الحديث وشرحه في الشرح، رزقنا الله ذلك بمحمد وآله صلى الله عليه وآله.

إذا علمت هذا فاعلم: أن ما تداول بين العرفاء من إطلاق العلة عليه تعالىٰ، وأنّه لا يباين العلة عن المعلول، وأنه لابدّ من السنخيّة بينهما، قد ظهر معناه مما بيّناه من حقيقة الجعل، وأنّ المجعول مثال للجاعل وظهور له، وأنّ التفاوت بين الجاعل والمجعول بالإطلاق والتمامية والنقص الراجع الىٰ العدم، وفي الحقيقة المجعول هو ظهور شأن الجاعل في التعيّن من دون قيد وحصر في الجاعل، وعلمت أنّ المثال

والظهور من جهة هو هو، حيث إنّ الظهور شأن للجاعل ومن جهة ليس هو، وبهذا «يظهر السنخيّة بينهما وأنها أيّ نحو من السنخيّة لا أنه يراد من السنخيّة ما في الماديات والعلل والمعاليل الخارجيّة تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً وعلمت أنّ درك هذا الظهور من حيث إنّه من جهة هو هو ومن جهة ليس هو في غاية الصعوبة، حيث إنّ السنخيّة سنخيّة شأنيّة للذات لا السنخيّة الذاتية، ويرجع هذا إلىٰ أنّ السنخيّة تحاكىٰ عن الذات بالظهور، لا بالذات والجزئية فتأمّل جدّاً.

ثم إنّ لظهوره تعالىٰ ولتجلياته مراتب كما يومي اليه قوله ﷺ: «اللّهم إنّي أسألك بالتجلّي الأعظم»[١] الذي هو الحقيقة المحمدية، فهذا التجلي الأعظم لما قارنه النقص والعدم بالنسبة إلى الذات المقدسة المطلقة الحقّة صار ممكناً ولكن أيّ ممكن، ثم منه ظهرت الموجودات بظهوراتها وحدودها علىٰ ما اقتضته الحكمة الإلهيّة، فتكمّلت العوالم بما لها من المراتب العرضية والطوليّة والسببيّة والمسببيّة، قال ﷺ: «اللّهم ياذا القدرة التي صدر عنها العالم مكّوناً مبروءاً عليها مفطوراً تحت ظلّ العظمة»[٢] وكما يستفاد أيضاً هذا من الأحاديث الواردة في بيان خلق أنوار النبي والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) ثم خلق سائر الأمور منهم ﷺ فراجع البحار وبصائر الدرجات وسيأتي في الشرح ذكرها وبيانها.

وكيف كان، فلمّا علمت أنّ العلّة أي الجاعل ليس مبايناً مع المعلول والمجعول والظهورات بالنحو المتقدم ذكره، وعلمت أيضاً أنّ وحدته تعالىٰ ليست وحدة عددية فيظهر منها أنّ معيّته تعالىٰ للأشياء كما قال: وهو معكم أينما كنتم. ليست بالحلول والاتحاد، كيف وقد علمت أنه ليس الجعل إلّا الإظهار أي ظهور الذات فقط في مراتب التعيّنات والتعيّنات خارجة عن الظهور؛ لأنها ترجع الى الاعدام من جهة، وان كانت مظاهر للذات من جهة، ولنعم ما قيل:

---

١ ـ مفاتيح الجنان في أعمال ليلة المبعث.

٢ ـ مفاتيح الجنان، الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين.

اينجا چه جاى وصف حلول است واتّحـاد
كـاين يک حـقيقت است پـديدار آمـده

فمعيّته تعالىٰ للأشياء كما أنها ليست بالحلول والاتحاد، كذلك ليست في درجة وجـود المـوجودات، بأن يكـون محـصوراً فـيها، ولا مـقيّداً بـزمان الزمـانيات والمكانيات، بل هو القاهر عليها بالحقيقة القيّومية الإلهيّة قال عليه السلام: بأن من الأشياء بالقهر والغلبة عليها، وبأن الأشياء منه بالخضوع له[1] فالوجود الحقيقي له تعالىٰ كما أنّ الظهورات للموجودات تكون له تعالىٰ فهو الأول والآخر والظـاهر والبـاطن وهو بكلّ شيء عليم.

فقوله تعالىٰ: وهو بكلّ شيء عليم، لعله للإشارة الىٰ أنه تعالىٰ لنفوذ علمه في الأشياء بحيث لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، فلا محـالة لا شيء إلا وهو تعالىٰ عليم به، فإذا هو الأول والآخر والظاهر والباطن إذ لو خرج شيء عن علمه فلا محالة يكون علمه الذي هو عين ذاته محدوداً، مع أنه تعالىٰ لا يحدّ قال عليه السلام: «من حدّه فقد عدّه»، نعم هو محيط بها علماً وذاتاً بدون المحاطيّة، بالقهر والغـلبة والمالكية الحقيقيّة بنحو الاستيلاء الحـقيقي والعلو الأعلىٰ فوق كلّ عال، وبنحو لا يتحدّد بتحدد المحدود ولا يتغيّر بتغيّر المخلوق كما في الحديث قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مع كلّ شيء لا بمقارنة، وغير كلّ شيء لا بمزايلة، وهو معكم أينما كنتم».

وأحسن كلام يجمع هذه الأمور والمطالب والمعارف الدقيقة ويوضحها قـول الصادق عليه السلام كما في التوحيد: «الجمع بلا تفرقة تشبيه (زندقة) والتفرقة بدون الجمع تعطيل والجمع بينهما توحيد» صدق ولي الله (روحي له الفداء).

قولـه: الجمع، أي القول باتحاد الذات مع الأشياء بما لها من الحدود والعوارض

---

١ ـ ذكر هذا الحديث في كتاب إنه الحق فراجع ص٤٤٨، ياد نامهٔ علامه طباطبائى بأن من الأشياء بالقهر لها والقدرة عليها وبانت الأشياء منه بالخضوع له والرجوع اليه (نهج البلاغة خطبة ١٥٠).

وكونها محلّاً للحوادث بحيث يقال: إنه تعالىٰ مثل هذه الأشياء في الشأن بما لها من الآثار الخلقية الحادثة، فلا محالة هذا تشبيه له تعالىٰ بخلقه، وهو زندقة وكفر؛ لاستلزام ذلك أن تكون الذات محلّاً للحوادث تعالىٰ الله عنه علواً كبيراً.

قوله: والتفرقة، أي القول بأن الذات مبائن عن الأشياء بحيث لا أثر ولا تأثير للذات المقدسة فيها، بأن تكون الأشياء مستقلّة في وجودها وآثارها بنحو يكون منحازاً عنها، تعطيل أي تعطيل للذات عن شؤونه وقدرته وتأثيره بقاءً، وهذا مضافاً الىٰ استلزامه النقص والعجز والمحدودية في الذات، خلاف صريح الآيات الالٰهيّة وكلمات الأنبياء والأولياء عليهم السلام.

وقوله: والجمع بينهما، أي إنّ الذات تكون مع الأشياء معية قيوميّة وإشراقية، كما بيّن في المقدمة بدون حلول ولا اتحاد، بحيث يكون الحقّ هو الحقّ مع أنه متصرف في الخلق، والخلق هو الخلق مع أنّه غير مستقل في الأثر والوجود هو التوحيد، ولعمري إنّ النظر في جمل هذا الحديث الشريف، وملاحظة أنّ كلاً من تلك الجمل الثلاث يعطي معنىً وظهوراً للأُخرىٰ يبين ما ذكرناه، كما لا يخفىٰ علىٰ العارف البصير.

والىٰ هذا كله يشير قول علي عليه السلام: «دليله آياته، إثباته وجوده، وتوحيده تمييزه عن خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة» رزقنا الله تعالىٰ معرفته ومعرفة حقائق الأمور بمحمد وآله الطاهرين.

ثمّ إنّه لابدّ من مثال يقرب هذا الأمر العقلي الدقيق الىٰ ذهنك، فنقول: إنّ روحك ليست بحالّ في أعضائك، مع أنها ليست بخالٍ منها، وإنها ليست متقدّرة بتقدّر الأعضاء ولا متعددة بتعددها، وليست روحك إلّا وهي ما به أنت أنت، وهي انيّتك، وهي التي تكون مدركة ومحرّكة ومفكّرة ومدبّرة لجميع شؤونك وأعضائك، وأعضاؤك مظاهرها وكسوتها وهي قوامها وحقيقتها.

إذا علمت حالك هذا فاعلم: أنّ نسبة هويّة الحقّ سبحانه مع الموجودات

كنسبة الروح الى الأعضاء، فحقيقة الموجودات واحدة، وهي وجود الحقّ، مع أنه تعالىٰ ليس بحالّ فيها، ومع ذلك لا تخلو الموجودات منه تعالىٰ.

قال عليه السلام: «لا تخلو منه السموات والأرض طرفة عين».

وقال عليه السلام: «اللّهم أنت نور السموات والأرض، أنت جمال السموات والأرض».

وقال عليه السلام: «هو حياة كلّ شيء».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لم يحلل في الأشياء فيقال: هو فيها كائن، ولم يناء عنها فيقال: هو منها بائن».

فليس الحقّ تعالىٰ بوجوده البحت ووحدته الحقّة متقدّراً بتقدّر الموجودات، ومتعدداً بتعددها، فهو في الحقيقة مدرك ومحرّك ومفكّر ومدبّر لجميع الموجودات قال تعالىٰ: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يُدرك الأبصار﴾ أي أبصار القلوب كما في الحديث وقال عليه السلام: «لا يدرك مخلوق شيئاً إلّا بربّه» وسيأتي لفظ الحديث وشرحه في الشرح.

فهو تعالىٰ قوام الأشياء ممسك لأظلّتها، كما في الدعاء وهو تعالىٰ حقيقتها. فهو كما قال علي عليه السلام: «أحقّ وأبين مما ترى العيون» أي هو أحقّ بالأشياء في الوجود من نفسها فهو نور لكلّ شيء، وهذا معنىٰ قوله صلى الله عليه وآله: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» أي من عرف أنّ حقيقته هو شأن من شؤون الله، وأنّه قائم به وموجود به كما قال عليه السلام: «إنّ روح المؤمن لأشد اتصالاً بروح الله من شعاع الشمس بها» فيعلم أنّه ليس إلّا ظهوراً للحقّ، ومثالاً له علىٰ حسب ما خلقه، مع أنّه خلق والحقّ حقّ، رزقنا الله فهمه ودركه، وهذا معنىٰ قولهم: «العالم صورة الحقّ وهو روحه» وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلّا العالمون.

ومن علاماتهم: أنهم عرفوا الأسباب والغايات المترتبة عليها في الخلق، ومعرفتهم حقيقة الملائكة والجن والشياطين، وأصناف الناس من السعداء

والأشقياء، ومعرفتهم غاية الأفعال والأقوال والأعمال بحسب الدار الآخرة، وأيضاً يعلمون كيفيّة نشوء الآخرة والجنة والنار، والجسمانيتين والروحانيتين، وكيفية توزع النفوس الىٰ سكّان كلّ منهما، ولعمري إنّ هذا من أغمض العلوم وأدقها، ولا يعرفه إلّا الخواصّ الكمّلين، الذين نضّوا نفوسهم عن جلابيب الأبدان، وطهّروها عن غيره تعالىٰ كما حقق في محله.

ويترتب علىٰ هذا العلم والمكاشفة القلبية، أنهم يشاهدون كأنّ القيامة قد قامت في حقّهم، وكأنهم بعرش ربّهم بارزون ومشاهدون لأهل الجنة منعمّين وأهل النار معذّبين، كما قال في حقّهم أمير المؤمنين عليه السلام: «وهم والجنة كمن قد رآها، فهم فيها منعّمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون» وإليه يشير أيضاً ما في حديث حارثة عنه صلى الله عليه وآله لما سأله رسول الله صلى الله عليه وآله عن حقيقة إيمانه، فأجاب بما أجابه. ولهم خواص وعلامات أُخرىٰ قد ذكرها القرآن كما لا يخفىٰ على المتأمل فيه.

فاعلم: أن الإخلاص في العمل بلا شوب غرض أو رياء لا يتصور لأحد إلّا منهم ومن أتباعهم؛ لأنّه يتفرع على المعرفة. وليس لغير العلماء الربانيين معرفة يقينيّة بأحوال المبدأ والمعاد وصفاته تعالىٰ وأفعاله، وإن كان قد أحكم سائر العلوم غير الحقيقيّة، بل معارفهم بالله على الظن والتخمين، أو مجرد التقليد من الأكابر، فإخلاصهم أيضاً إخلاص تخمينيّ أو تقليدي، فإنّ الفرع لا يزيد على الأصل كما لا يخفىٰ.

صفات أعداء الله تعالىٰ:

فتلك جملة من خصال أولياء الله وخواصهم وعلاماتهم، وتعرف منها صفات أضدادهم بأضداد صفاتهم إذ الأشياء قد تعرف بأضدادها.

قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: صف العالم، فوصفه، فقيل: صف الجاهل، فقال فعلت. فالمنافقون وأعداء الله وأولياء الشياطين صفاتهم بعكس هذه الصفات المذكورة وأمثالها رأساً برأس، يعرفها من عرف هذه بالقياس، إلّا أنه لا بأس بذكر بعضها صريحاً مما قد عرّف الله تعالىٰ بها الجاحدين والمنافقين، وكشف بها عن فضائحهم وجهلهم لعباده الصالحين، وبيّن وخامة عاقبتهم وسوء حالهم يوم الدين، ولما فيها من التنفّر والتحذير عن الباطل للسالكين، والتثبت والتقرير على الحق للمطيعين إن شاء الله تعالىٰ. فمنها ما وصفهم الله بإزاء العلامة الأولىٰ التي للأولياء في قوله تعالىٰ: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾[١] وقوله تعالىٰ: ﴿وإذا تُتلىٰ عليهم آياتنا بيّنات تَعرِف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالّذين يتلون عليهم آياتنا﴾[٢] فإن الإعراض عن ذكر الحبيب الأول شاهد علىٰ كون المعرض عدواً لله وليّاً لعدوه اللّعين، وهذا حال أكثر المغرورين المتجرّدين بعلم الأقضية والفتاوى المعرضين عن علم التوحيد، المكّبين علىٰ غيره من العلوم، التي تكون منشأ الشهوة والجاه عند الخلق. وإلىٰ حالهم هذا يشير قوله تعالىٰ: ﴿وأكثرهم للحقّ كارهون﴾[٣] ويشير إلىٰ بعدِ هؤلاء عن الحقايق وإنكارهم لها ما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله بطريق العامة ولا بأس بذكره مؤيّداً: «إنّ من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلّا العلماء بالله فإذا نطقوا به لم ينكره إلّا أهل الغرّة بالله».

ومنها ما وصفهم الله تعالىٰ في قوله: ﴿وإذا قيل له اتّق الله أخذته العزّة بالإثم فحسبه جهنم﴾[٤] وهذا حال أكثر الذين أوتوا نصيباً من الكتاب من غير وجهه،

---

١ ـ الزّمر : ٤٥.
٢ ـ الحج : ٧٢.
٣ ـ المؤمنون : ٧٠.
٤ ـ البقرة : ٢٠٦.

كما أخبر عنهم وعن حالهم قوله تعالىٰ: **﴿ألم تر الى الّذين أُوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الىٰ كتاب الله ليحكم بينهم ثمّ يتولّىٰ فريق منهم وهم معرضون﴾**[١] استنكف عن النصيحة ومنعته الأنفة وأخذته العزة التي زعمها ثابتة لنفسه، لأجل كونه مغروراً بالله تعالىٰ معتقداً أنّه من العلماء، وأنّه اللائق بالاقتداء، والحرّي بأن ينصب في مقام النصح والإرشاد لغيره، لا أنّ غيره يرشده فيغتاظ من هذا، ولم يعلم أنّ ما يعلمه قد أخذه من غير الجهة التي يأخذ منها أهل الحقّ. فإنهم يأخذون علمهم عن الطريقة المستقيمة التي سلكها العلماء بالله والاتقياء، ولم يعلم أنّ ما أخذه من غير طريقه ليس له طائل، ولا يؤدي الىٰ حاصل، بل يكون بذر النفاق واللّداد، ومنبت الكبر والعناد، وستلعب به الشكوك حيراناً، وفات منه الكمال كلّه واستعداد تحصيله، وخسر دنياه وأُخراه رأساً ويصير من **﴿الذين ضلّ سعيهم في الحيوٰة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾**[٢] **﴿وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون﴾**[٣].

فكيف إذا جمعهم الله ليوم لا ريب فيه، ووفّيت كلّ نفس ما كسبت من مزرعة الدنيا، أما من الدرجات العلىٰ أو الدركات السفلىٰ وهم لا يظلمون، بوضعهم من غير موضعهم بأن ينزل الجاهل الشرير في موضع العالم النحرير، ويسكن أهل الدركات في الدرجات، وأهل الدرجات في الدركات كما في هذه الدار؛ لأنّها دار اشتباه بخلاف اليوم الآخر لا ظلم اليوم؛ لأنه يوم الفصل باعتبار، وإن كان يوم الجمع باعتبار آخر كما حقق في محله.

ومنها ما وصفهم الله تعالىٰ بقوله: **﴿وإذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما وجدنا عليه آباءَنا أَولو كان الشيطان يدعوهم إلىٰ عذاب السعير﴾**[٤] فالآية تفيد

---

١ ـ آل عمران : ٢٣ .

٢ ـ الكهف : ١٠٤ .

٣ ـ آل عمران : ٢٤ .

٤ ـ لقمان : ٢١ .

معنىً عاماً وهو أنه لا عبرة في أمر الدين بتقليد المشايخ السابقين والآباء الماضين، واتباع مذهبهم، بل الواجب على العبد إتباع ما أنزل الله إليه بصدق النية في السعي والطلب، وخلوص الطوية في الاجتهاد والعمل، وقطع النظر عن تقليد الأسلاف واتّباع الأخلاف، فإن الإيمان نور من الله يُقذف في قلب المؤمن بواسطة المجاهدة والرياضة، ويخرجه من ظلمات التقليد.

وفي قوله: ﴿... أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾[1] إشارة الىٰ أن آباءَهم من أهل الأهواء والبدع، الذين لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون سبيلاً، وأنهم ميتون لا يعقلون شيئاً، والميت لا يصلح للاقتداء به والاهتداء، بل المتبع في المعارف الالٰهية هو الواردات الكشفية عقيب الأعمال الفرعية الشرعية، والمجاهدات الدينية الحاصلة بنور المتابعة لروح الإنسان الكامل المحمدي، المتحد نوره بنور العالم العقلي، المصون عن الفناء والموت، وبنور المتابعة لأرواح أوصيائه، الذين يكون نورهم وحقيقتهم من نوره ﷺ وحقيقته. وهذا مستفاد من فحوى الآية ففيه إشارة الىٰ أنّ من يكون علىٰ جادة الحقّ، وقدمه ثابت علىٰ جادة الشريعة ومعرفة الطريقة وسلوك مقامات الحقيقة، فيجوز الاقتداء به إذ هو من أهل الإهتداء الىٰ عالم الحقيقة دون من يدعي الشيخوخة بطريق الارث من الآباء والمشايخ، ولا حظ لهم عن طريق الاهتداء، كما تقدمت الإشارة الىٰ حالهم فهم لا يصلحون للاهتداء والاقتداء بهم.

ولعمري لقد ابتلينا في زماننا بكثير من المدّعين للشيخوخة، مع أنهم ليسوا لها بأهل، ونرىٰ أنّه إذا صادف بعضهم من عنده علم من الكتاب من العلماء الإلٰهيين استنكفوا عن التعلم منه، لما رأوا أنّ ما عنده مخالفاً لما أخذوه من معلّميهم تقليداً أو تعصّباً، ولا يلحقهم بذلك من ذلّ التعلم واتّضاع القدر عند العامة والمريدين، ولعلّه

---

١ ـ البقرة: ١٧٠.

إلىٰ ردائة حالهم يشير قوله تعالىٰ: **﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلىٰ ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبُنا ما وجدنا عليه آباءَنا أَولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾**[١] فما أسخف عقلهم حيث تركوا ذكر الله ومعارف الحقائق خوفاً من اتّضاع قدرهم عند الجهلة السفلة فرجّح عندهم ارتفاع الشأن عند الناقصين من العباد علىٰ علوّ المنزلة عند الله ومجاورة الملائكة المقربين!

فتبّاً لجاههم الحقير وسحقاً لحظّهم اليسير أما تلوا قوله تعالىٰ: **﴿.. وإن كلُّ ذلك لمّا متاع الحيوة الدنيا والآخرةُ عند ربِّك للمتقين * ومَن يعشُ عن ذكر الرحمن نُقيض له شيطاناً فهو له قرين * وإنهم لَيصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون﴾**[٢].

والحاصل: أنّ هؤلاء لا يزالون يتبعون ظواهر الألفاظ، ولا يرون بواطن المعاني والحقائق ولم يعلموا بعد ـ مع أنهم سمعوا مراراً ـ أن امتياز الإنسان عن سائر الحيوانات باستنباط الحقائق والمعارف، لا بتتبع الألفاظ وتصحيح العبارات، من غير انتقال عن مضيق المحسوسات ومحبس الحيوانات واصطبل الدواب إلىٰ فسحة الأنوار الالهية، وعالم المعارف العقلية الإلهاميّة ومستوكر الطيور السماوية.

فهم واقعون أبداً في عالم الألفاظ والصور، ولن يقصدوا إلىٰ معرفة النفس وما فوقها، ولا الىٰ إصلاح القلب الذي هو محلّ النطق الباطني، الذي يخصّ به إلانسان من بين سائر الحيوانات، وهو منبع المكاشفات والمكالمات مع الحقّ كما تقدم عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: «وكلّمهم في ذات عقولهم»[٣] هذا وقد ذمّ الله تعالى الناقصين الذين ليس لهم درجة المكالمة الباطنية مع الحقّ؛ لكونهم في مرتبة الحيوان الأعجمي بقوله: **﴿ولا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيٰمة﴾**[٤]. ومدح

---

١ ـ المائدة: ١٠٤.

٢ ـ الزخرف: ٣٥ ـ ٣٧.

٣ ـ نهج البلاغة.

٤ ـ آل عمران: ٧٧.

رسول الله ﷺ خواص أُمته وأوليائها وحكمائها بأنهم محدثون مكلّمون كما ستأتي أحاديثه في الشرح.

وليس المراد من هذا التكلم والتحدث هو ما يكون بالحديث الظاهري والكلام الحسّي، الذي آلته جرم أحمر لحمي مركب من الأخلاط فإنه من الدنيا، ولا يكون شيء من الدنيا ممدوحاً ولا محبوباً إلّا بقدر ما يعبّر به ويجعل الزاد للآخرة فإنها طريق الآخرة، كما ورد: «الدنيا دنياآن، دنيا ملعونة ودنيا بلاغ» فالممدوح منها هو البلاغ، وأما غيرها فهي وما فيها مبغوضة ممقوتة ملعونة عند الله وعند أوليائه كما روي عنه ﷺ: «الدنيا ملعونة وملعون ما فيها»، وقوله ﷺ: «حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة»، فهي مبغوضة عند من يريد الكمال والمعارف الحقّة الإلّهية.

ففي السفينة، عن الكافي: سئل علي بن الحسين عليه السلام: «أيّ الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما من عمل بعد معرفة الله ومعرفة رسوله أفضل من بغض الدنيا». وإنما المراد من المكالمة في قوله تعالىٰ: ﴿لا يكلّمهم الله﴾ وفي وقوله ﷺ: «إنهم محدّثون مكلّمون» المكالمة الحقيقية بين الله وبين خواصّ عباده، وهي الإفاضات العلمية المتواردة من الحقّ في المقاصد الربوبية، عقيب التأمّلات القدسية الاستعدادية من العبد في المطالب الحكمية الإيمانية بتوسط بعض ملائكة الله العقلية، إما صريحاً مشاهداً في عالم المشاهدة البصرية والسمعية كما للأنبياء، أولا ، كما لغيرهم، هذا للخواص.

وأمّا المحجوبون بأقسامهم فإنهم لما تعلقت أرواحهم بالأجساد، وتكدّرت لكدورات الحواس والقوى النفسانية، وأظلمت بظلمات الصفات الحيوانية، وران علىٰ قلوبهم ما كانوا يكسبون من التمتعات البهيميّة والحركات السبعية، والأخلاق الشيطانية واللذات الجسمانية، فأوجبت هذه أن تعمىٰ قلوبهم التي في الصدور، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فأصمّهم الله وأعمىٰ

أبصارهم فهم الآن صمّ عن استماع دعوة الأنبياء بسمع القبول، بكم عن قول الحقّ، والإقرار بالتوحيد والمعارف اليقينية، عمي عن رؤية الآيات والمعجزات الباطنية فهم لا يعقلون، ولا يعقلون أنهم صمّ بكم لا يعقلون. إذ لم يتصوروا من الصمّ إلّا ما يعرض القوة السمعية الحيوانية، ولا عن العمىٰ إلّا ما يعرض للقوة العينية الحيوانية، ولا من العقل إلّا ما للعوام من تدبير المعاش بالحيل الشيطانية النكرائية كما كانت في معاوية (عليه الهاوية) فمن كان هذا حاله فأنّىٰ له الترقي إلىٰ ما وراء عالم الملك والمحسوسات؟ بل لا يكاد يعلم إلّا الظاهر، قال تعالىٰ: ﴿**يعلمون ظاهراً من الحيٰوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**﴾[1].

أقسام العلماء:

ثم إنّه يعجبني أن أذكر ما ذكره الشيخ الفاضل الفقيه زين المجتهدين ﷺ في كتاب منية المريد ناقلاً عن بعض المحققين، قال: العلماء ثلاثة عالم بالله غير عالم بأمر الله، فهو عبد استولت المعرفة الإلهية علىٰ قلبه، فصار مستغرقاً لمشاهدة نور الجلال والكبرياء، فلا يتفرغ لتعلم علم الأحكام إلّا ما لابدّ منه، وعالم بأمر الله غير عالم بالله، وهو الذي يعرف الحلال والحرام ودقائق الأحكام، لكنه لا يعرف أسرار جلال الله، وعالم بالله وبأمر الله فهو جالس علىٰ حدّ المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات. فهو تارة مع الله بالحبّ له، وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة، فإذا رجع من ربّه إلىٰ الخلق صار معهم كواحد منهم، كأنه لا يعرف الله، وإذا خلا بربه مشتغلاً بذكره وخدمته، فكأنه لا يعرف الخلق، فهذا سبيل المرسلين والصديقين وهو المراد بقوله ﷺ: «سائل العلماء وخالط الحكماء وجالس الكبراء».

والمراد بقوله: سائل العلماء، العلماء بأمر الله غير العالمين بالله فأمر بمسائلتهم

---

١ ـ الروم: ٧.

عند الحاجة إلى الاستفتاء. وأما الحكماء فهم العالمون بالله الذين لا يعلمون أوامر الله، فأمر الله بمخالطتهم. وأمّا الكبراء فهم العالمون بهما فأمر بمجالستهم؛ لأن في مجالستهم خير الدنيا والآخرة.

ثم قال: ولكلّ واحد من الثلاثة ثلاث علامات. فللعالم بأمر الله الذكر باللسان دون القلب، والخوف من الخلق دون الرب، والاستحياء من الناس في الظاهر، ولا يستحي من الله في السرّ. والعالم بالله ذاكر خائف مستحي، أما الذكر فذكر القلب لا اللسان، والخوف الرجاء لا خوف المعصية، والحياء حياء ما يخطر على القلب لإحياء الظاهر.

وأما العالم بالله وأمره له ستة أشياء، الثلاثة المذكورة للعالم بالله فقط مع ثلاثة أُخرىٰ: كونه جالساً على الحدّ المشترك بين عالم الغيب وعالم الشهادة، وكونه معلماً للمسلمين، وكونه بحيث يحتاج الفريقان الأوّلان إليه وهو مستغن عنهما، فمثل العالم بالله وبأمر الله كمثل الشمس لا تزيد ولا تنقص، ومثل العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل تارة وينقص أُخرىٰ، ومثل العالم بأمر الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء غيره، انتهىٰ كلامه.

حاصل الكلام:

ثمّ إنه ينبغي ذكر حاصل كلام بعض الأعاظم في الوصيّة إلىٰ اغتنام هذه المطالب الإلهيّة التي تقدم ذكرها فنقول: إنّا قد أشرنا في هذه الفصول المتقدمة إلىٰ كنوز الحقائق ورموز الدقائق، فاعلم قدرها وتعمّق في غورها، وصنها عن النفوس الشقيّة الجاهلة بحقائق الإيمان، الكافرة بأنعم الله؛ لأنهم أعداء الحكمة ورفضة العرفان، وأحبّاء الهوىٰ والشيطان.

واعلم أنّ تصوير الحقائق في صورة الألفاظ، وكسوة العبارات والاستعارات

ليس إلّا كجرعة بل قطرة من بحر لجيّ، أو كشعاع من شمس، وإنما أثبتنا للطالبين هذه المعاني الدقيقة؛ ليبثّوا بذرها في أرض القلوب، وإن كان فوق رتبتهم. ورجاء من الروحانيين ـ الذين يعرفون قدر هذه المعارف، والذين تجرّدوا من غشاوة أقران السوء ومن آرائهم الخبيثة. ولعمري إنّ هؤلاء الروحانيين هم أهل القرابة المعنوية لأولياء الله وأولادهم الروحانيين، فياأهل الودّ والصفاء، ويا أهل الروح والنقاء، وياطالبي الوصل واللقاء، وياأهل العشق والفناء، عليكم بذوق معاني هذه الكلمات بنفوس زاكية وأذهان نقية، وقلوب صافية وأسماع واعية، فخير القلوب أصفاها، وخير الأسماع أصغاها وأوعاها، قال الله تعالىٰ: ﴿.. **لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير**﴾[1].

ففي تفسير نور الثقلين عن مجمع البيان في ذيل الآية وفي الحديث عن أبي عمر، أنّ النبي ﷺ قال: «إنّ الرجل ليكون من أهل الجهاد، ومن أهل الصلاة والصيام، وممن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، وما يجزى يوم القيامة إلّا علىٰ قدر عقله»[2]، ومثله أحاديث أُخر، ثم لابدّ بعد تصفية القلب من الزهد في الدنيا وتركها لبنيها.

واعلم: أنّ مَن ركن إلى الدنيا ومال إليها أحرقه الله بناره، فصار رماداً تذروه الرياح، وكان الله علىٰ كلّ شيء مقتدراً، وهذه صفة أرباب الملك وأصحاب الدنيا.

ومَن ركن الى العقبىٰ ومال إليها أحرقه الله بناره، فصار ذهباً خالصاً ينتفع به، وهذه صفة أهل الآخرة، وأرباب الملكوت، وأصحاب الجنّة.

ومَن ركن إلى الله ومال إليه أحرقه الله بنوره، فصار جوهراً فريداً لا قيمة له، ودرّة يتيمة لا مثل لها في الدنيا والآخرة، وهذه صفة أهل الله وأحبائه وأوليائه.

---

١ ـ الملك : ١٠.

٢ ـ ج ٥ ص ٣٨١.

ثلاثة عوالم وثلاثة مسافرين

ومنه يعلم: أنّ العوالم ثلاثة: عالم الحسّ والدنيا، وعالم الغيب والعقبىٰ، وعـالم القدس والمأوىٰ. وأنّ المسافرين ثلاثة أصناف:

- صنف يسافر في الدنيا ورأس ماله المتاع والثروة، وربحه المعصية والندامة.
- وصنف يسافر إلى الآخرة ورأس ماله العبادة وربحه الجنة.
- وصنف يسافر إلى الله تعالىٰ ورأس ماله المعرفة وربحه لقاء الله.

واعلم: أنّ المعرفة أصل كلّ سعادة، والجهل رأس كلّ شقاوة، فإن سعادة كلّ نشأة وعالم هو الشعور بما فيه، حتىٰ أنّ الدنيا وما فيها مع حقارتها وقلتها وبطلانها، إنما ينال اللذة فيها مَن كان أبلغ في الحواس وأقوىٰ في المشاعر الحيوانية، فإنّ كلّ لذة هو نيل ما يلائم من حيث هو ملائم له، والألم فقده أو نيل ما يضادّه. فإذا كانت البهجة واللذة في هذه الدنيا الدنية منوطة بالمعرفة والشعور، فما ظنّك بعالم الآخرة التي قوامها بالنيّات والمعارف. ثم ما ظنك بعالم القدس، الذي هو معدن العقول، ومنبع المعارف؟ فعليك بالحكمة والمعرفة. وأما الزهد والتقوىٰ وسائر العبادات والرياضات، فإنما هي كلّها لأعداد الحكمة، ومقدمة المعرفة، وتصفية الباطن وتهذيب السرّ، وتصقيل مرآة القلب بإبعادها عن الغشاوة والرين حتىٰ تصير مجلوة يحاذي بها شطر الحق، ويتراءى فيها وجه المطلوب المعشوق والمعبود الحقيقي. وأما الصفاء والصقالة فلكونها أمراً عدمياً ليست مقصودة بالأصالة، بل لأجل ما يظهر بها، أو يتصور فيها من آيات الحقّ وجلايا وجهه الكريم. علىٰ أنّ الزهد في الدنيا علىٰ أي وجه كان لا يكون شيئاً محضاً؛ لكون الدنيا ليست شيئاً محضاً، والعاقل لا يزهد في اللاشيء.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تزن عند الله بقدر جناح بعوضة ما سقىٰ كافراً منها شربة ماء» وفي القرآن: ﴿وما الحيوٰة الدنيا إلّا متاع

الغـرور﴾(١) ومدة الحيوة الدنيا بالقياس الىٰ دوام الآخرة كلحظة، وسـعة مكـانها بالقياس الىٰ مكان الآخرة كذرّة، كأنّهم يوم يرونها لم يلبثوا إلّا عشية أو ضحاها.

وفي الحديث عنه ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلّا مثل أحدكم غمس إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع؟»، فترك هذا القـليل واجب وليس بـزهد في الحـقيقة وإنمـا وراءها عالم آخر بل عوالم أُخرىٰ، إليها رجعى الطاهرات من النفوس ﴿وللآخـرةُ أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾(٢).

فمن أراد أن يعرف عظمة الله وعظمة أسمائه، التي يكون عالم الآخرة ظـلالها، وهذا العالم ظلال ظلالها، ويجد من رحمة الله نصيباً أكثر وحظاً أوفر، فليزهد عن الآخرة وليزهد عن الزهد فيها أيضاً حتىٰ يخوض لجّة الوصول، ويخلص عن نفسه وقلبه بالكلية، وقيل: الزهد في الدنيا يريح النفس، والزهد في الآخرة يريح القلب، والإقبال بالكلية علىٰ الله يريح الروح.

واعلم: أنّ العوالم والنشآت الوجودية بمنزلة طبقات بعضها محـيطة بـبعض، والسالك إذا صعد من عالم ولج في عالم آخر، وكأنّه مات من الأول وتولد في الثاني، وعن عيسىٰ ﷺ أنّه قال: «لن يلج ملكوت السمٰوات مَن لم يولد مرّتين».

ومن هنا يعلم ما قد قيل: إنّ الكوكب وهو صورة الطبع والحس التي هي أول النشآت الحيوانية، والقمر وهو صورة النـفس التي هـي أول درجـات الإنسـان السالك، والشمس التي هي صورة العقل وهي آخر منازل عالم الإمكان، فهذه كلّها إشارة إلىٰ صور العوالم الثلاثة، وكان السالك في أول سلوكه في واحد منها بحسب رغبة النفس وهواها، أي كان في صورة الطبع والحسّ، ثم مات عنه اختياراً ودخل في الثاني، وهو صورة النفس التي هي أول درجات الإنسان، ثم ماتت رغبته عنها ودخل في ملكوت السموات، التي هي صورة العقل، وآخر منازل الإمكان، وبعده

---

١ ـ آل عمران: ١٨٥.

٢ ـ الإسراء: ٢١.

عالم الالوهية.

وإلىٰ هذا العالم يشير قوله تعالىٰ: ﴿**وكذلك نري إبراهيم ملكوت السمٰوات والأرض وليكون من الموقنين**﴾[١] ثم ماتت رغبته عن الكلّ، وأُشير إليه بقوله: ﴿.. **لا أُحبّ الآفلين**﴾[٢] وحينئذ أفنىٰ نفسه في ربّه، ووجّه وجه ذاته لفاطر سمٰوات العقول، وأرض النفوس، حنيفاً عن آثام الوجود والهوية، مسلماً حقيقيّاً موحّداً له تعالىٰ من غير اشتراك لغيره، هذا كلّه بالنسبة إلىٰ رغبة السالك، وتوجيه وجه ذاته إليه تعالىٰ بإماتة الرغبات إلىٰ أن يصل إلىٰ مقام التوحيد.

هذا ولكن لا يخفىٰ أنّ هوى السالك وهويته، التي ما زالت هي المعبود اصالة في كلّ عبادة ومحبة تكون لغير الله تعالىٰ بلحاظ نفس الهوىٰ والهوية، مع قطع النظر عن إماتة الرغبات بالنحو المذكور كما دلّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿**أرأيتَ مَن اتّخذ إلٰهه هواه**﴾[٣] وكيف كان فالفاني نفسه في ربّه والموجه وجه ذاته لفاطر السمٰوات والأرض يكون الحقّ تعالىٰ هو الفاعل،و الغاية له في فعل وسعي وحركة. وانعزل مبادئ حركاته من القوىٰ المدركة كالسمع والبصر، والمحركة كاليد والرجل سواء أكانت داعية أو فاعلة، وصار الحقّ هو المؤثر في آثاره مطلقاً.

فله حينئذ أن يقول: إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين، وله أن يقول كما قال ﷺ: «من رآني فقد رأى الحقّ» حيث صار الحقّ سمعه وبصره ويده ورجله، كما في الحديث المحبة المشهورة؛ لظهور الحقّ في مرآة قلبه، وإليه الإشارة في قوله تعالىٰ: ﴿**ربّنا أتمم لنا نورنا**﴾[٤] وقوله تعالىٰ: ﴿**يسعىٰ نورهم بين أيديهم وبأيمانهم**﴾[٥] وفي الأدعية النبوية: «اللّهمّ أعطني نوراً في قلبي، ونوراً في سمعي،

---

١ ـ الأنعام: ٧٥.

٢ ـ الأنعام: ٧٦.

٣ ـ الفرقان: ٤٣.

٤ ـ التحريم: ٨.

٥ ـ الحديد: ١٢.

ونوراً في بصري، ونوراً في مخي، ونوراً في دمي، إلىٰ أن قال: ونوراً في شعري ونوراً في عظامي ونوراً في قبري».

وفيها أيضاً: «يا نور النور يا مدبرَ الأمور ويا عالماً بما في الصدور» وهذا النور الذي يسأله منه تعالىٰ هو نور وجهه وذاته، وهو فاعل جميع الموجودات، ونور ما في الأرض والسمٰوات، ومنتهىٰ كلّ الخيرات، وغاية ارتفاع الموجودات، **﴿وأنّ إلىٰ ربّك المنتهىٰ * وأنّه هو أضحك وأبكىٰ * وأنّه هو أمات وأحيا * وانه خلق الزوجين الذكر والأُنثىٰ * من نطفة إذا تمنىٰ * وأنّ عليه النشأة الأُخرىٰ﴾**[1] وبهذا النور يؤمن كلّ مؤمن **﴿شهد الله أنّه لا إله إلّا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط﴾**[2].

ومن أسمائه: المؤمن، المهيمن، فتفطن، فإن المؤمن إذا قطع النظر عن هويته وإيمانه وعرفانه وآثر المعروف، وبقي بلا هو أي بقي بـ(لا هو إلّا هو) وعلم أنّ لا هو إلّا هو، فيتبدّل إيمانه بعيانه، وخرج هو من البين، وفنىٰ في العين، وبقىٰ ملك الوجود اليوم لله الواحد القهار، فشهد ذاته علىٰ ذاته بالأحديّة المطلقة والفردانيّة المحضة ـ لا إله إلّا هو ـ وشهد أيضاً ذاته بلسان الملائكة وأُولي العلم قائماً بالقسط والعدل، وهو إحقاق الحقّ من بقاء وجهه الكريم، وفناء الوجوه الإمكانية، وهذا هو الإيمان الحقيقي المأمور به في قوله عزّ اسمه: **﴿ياأيها الّذين آمَنوا آمِنوا﴾**[3]. وإليه الإشارة بقوله: **﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾**[4] وبهذا الإيمان تحسم مادة الشرك الخفيّ عن القلب **﴿لئن أشركت ليحبطنّ عملك﴾**[5] وهذا الخفي من الشرك قلّ من الناس من

---

١ ـ النجم: ٤٢ ـ ٤٧.

٢ ـ آل عمران: ١٨.

٣ ـ النساء: ١٣٦.

٤ ـ التغابن: ١١.

٥ ـ الزمر: ٦٥.

نجا منه وصفا قلبه ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون﴾[1].

ثم إن السالك الطالب ما دام مع نفسه ووجوده فكيف يمكنه الصبر بالله وفي الله ومع الله! نعم: إذا توكل على الله فهو حسبه ونعم الوكيل.

واعلم: أنّ طلاب الحق طلبوا الحق بالحق فوجدوه، وطلّاب الهوىٰ بـالهوىٰ فلم يجدوه ولم يجدوها ولن يجدوه ولن يجدوها، إذ الراحة لم تخلق في الدنيا كـما في الحديث «فماذا بعد الحق إلّا الضلال فأنّىٰ تصرفون؟».

ويشير الىٰ ما ذكر من أنّ المؤمن الحقيقي مَن هو منغمر في النور نـور وجـهه تعالىٰ ما في الخصال في باب الخمسة عن الصادق عليه السلام: «المؤمن يتقلّب في خمسة من النور مدخله نور، ومخرجه نور، وعلمه نور، وكلامه نور، ومنظره يوم القيامة الى النور» وما روي عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله: «إنّ المؤمن أخذ دينه عن الله، وإنّ المنافق نصب رأياً واتخذ دينه منه» وقوله تعالىٰ: ﴿أفرأيتَ مَن اتخذ إلٰهه هواه﴾[2] وقوله تعالىٰ: ﴿كونوا ربانيين﴾[3].

ولعمري إنّ المؤمنين بالحقيقة، والمتقين العابدين المخلصين لله ولرسوله ولأُولي الأمر هم الحكماء الربانيون الراغبون عن الدنـيا، وغـيرهم عـبيد الهـوىٰ وعـباد الأصنام وأولياء الطواغيت، وصور الأجسام وأصـحاب القـبور وسكّـان عـالم الدثور وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون أعاذنا الله وإخواننا أينما كانوا من الاغترار بالصور الباطلة وظواهر الآثـام، والركـون الىٰ مـراتب أهـل الحـجاب ومنازل الأشرار، والتستر بستر التقييد وغشاوة الامتراء، والشك والانحراف عن المحجة البيضاء.

واعلم: أنّ ما ذكر هو خلاصة الآيات القرآنية، والأحاديث المروية عن أهل

---

١ ـ يوسف: ١٠٦.

٢ ـ الجاثية: ٢٣.

٣ ـ آل عمران: ٧٩.

بيت العمصة والطهارة.

ولعمري إنّ مَن وجد ما ذكر بقلبه وعمل به، كاد أن يستجيب في حقه قول السجاد عليه السلام: «اللّهمّ اقطع عني كلّ شيء يقطعني عنك» وقوله عليه السلام: «اللّهمّ أزل الأغيار عن قلبي» وقوله صلى الله عليه وآله: «اللّهمّ أرني الأشياء كما هي» كما روي عنه.

وكاد أن يصل الىٰ معدن العظمة، وتصير روحه معلقة بعزّ قدسه، وينخرط في سلك قوله تعالىٰ: ﴿**فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أُولئك رفيقاً**﴾[1] رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

هذا تمام الكلام فيما أردنا إيراده في معنى الولاية بحسب الحقيقة، وبيان كيفية الوصول إليها والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً ويتلوه الكلام في بيان حقيقة الإنسان الكامل، وبيان كيفية الوصول إلى الكمال ببيان آخر زيادة علىٰ ما مرّ.

في بيان تحقق الخلافة الإلهية في الحقيقة الإنسانية:

فنقول: إعلم أنّه قد تحقق أنّ الخلافة العظمى الإلهيّة إنما تحقّقت في النشأة الجامعة الإنسانية، وإنما استحقّت لها بحسب جوهر ذاتها؛ لأجل تطوّرها بالأطوار الكونية الوجودية ونشأتها بالشؤون العلميّة، وقابليّتها لمظهريّته للصفات المتقابلة الإلهية، وقد شبّه الإنسان الكامل بمنزلة مرآة كريمة مجلّوة واقعة وسط العالم، يحاذى بها شطر الخالق من جميع الجهات والحيثيّات، وليست لغيره من النشأة هذه الجامعيّة والتماميّة.

فإنّ العقول والجواهر المتخلّصة العقليّة والملائكة المهيّمة، وإن حصلت لها إشراقات علمية، ولزمتها الكمالات النوريّة، لكنها خالية بالكليّة عن الأطوار

---

١ ـ النساء: ٦٩.

الكونيّة، والانفعالات الشوقيّة، والشعور بالنشأة الحسّية الجزئيّة. وكذا الأفلاك وإن كانت لها الإدراكات الكلّية والجزئيّة بواسطة نفوسها الناطقة المجردة وقواها الانطباعيّة، لكن لم تتيسر لها مرتبة الفناء والانقطاع عن ذاتها بالكليّة، والتدرّج من صورة إلىٰ صورة، ومن حال إلىٰ أُخرىٰ، فإذا كمالاتها فطريّة وأجسامها خالية عن الكيفيّات المتضادة فلها مقام معلوم، لا يمكنها التعدّي عن ذلك، والارتقاء الىٰ ما هو أعلىٰ، وهذا بخلاف النشأة الكاملة الإنسانيّة، فإنّ لها التقلّب في أطوار النقص والكمال، والتحول في تقاليب الأحوال، والإحاطة علىٰ جميع الحقائق العلويّة والسفليّة، إذا تنوّر ذاته بنور ربّه، فيرى الأشياء كما هي عليها، كلّياتها وجزئيّاتها.

ثمّ اعلم ـ توضيحاً لما ذكر ـ أنّ تحوّلاتها في الوجود إنّما هي بمقتضى التحولات التكوينيّة، التي خلقها الله تعالىٰ عليها. فإنّ الإنسان كان أولاً ممّن أتىٰ عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، كان في الوجود وهو في مرتبة الهيولاء الأُولى، التي هي قوّة صرفة، وإبهام محض، لا تحصّل لها ولا فعليّة في ذاتها، من غير اعتبار ما يرد عليها من الصور، ثم تحول إلىٰ مرتبة الجمادية، ثم تدرّج إلى النباتية، ثم إلى الحيوانية بعدما تنبّه من نوم الجمادية وسنة النباتية بمبادئ طلوع نفسه الناطقة، وصباح ظهور ذاته النيّرة، ووقوع أشعّة شمسه علىٰ زوايا بدنه وأكناف قواه، (فأشرقت أرض جسده بنور ربّه) فأوّل عضو تكوّن منه هو القلب الصنوبريّ؛ لأنّه أوّل ما يتحرك من البدن بذلك النور، وآخر ما يسكن منه بفراقه فكأنه (أوّل بيت وضع للناس ببكّة) الصدر المعنويّ، وموضع ازدحامات القوىٰ المتوجّهة إليه، مباركاً ببركاتٍ إلهيّة من الفيض المتّصل منه بجميع الوجوه، والقوّة والحياة الساريتين منه إلىٰ سائر الأعضاء (وهدىٰ) ونوراً يهتدي به إلى الله (فيه آيات بيّنات) من العلوم والمعارف والحكم والحقائق، وهذا هو (مقام إبراهيم) العقل (ومن دخله) من السالكين المتحيّرين في بيداء الجهالات (كان آمناً) من إغواء الشياطين المتخيّلة، وعفاريت أحاديث النفس، واغتيال غيلان الوهم، وجنّ الخيالات، وافتراس

سباع القوى النفسانيّة وصفاتها.

ثمّ لا يزال يتدرّج في الاستكمال من حال الىٰ حال ويترقّىٰ من نشأة إلىٰ نشأة، حتىٰ طوىٰ مراتب العقول الساذجة والاستعدادية والفعليّة، وهلّم،هكذا إلىٰ أن وصل إلىٰ درجة العقل المستفاد المستضيء في المعاد، فصعد إلىٰ ذروة الكمال بعد أن هبط منها، فأدرك الكلّيات الروحانيّة والجزئيّات الجسمانيّة. أمّا الكلّيات فبذاته المنوّرة بنور ربّها. وأما الجزئيّات فبقواه الحاصلة في مطيّة تصرّفاته ومعسكر قواه.

وهو ما لطف من بدنه ونق من جسده، أعني روحه البخاري المشابه ـ للسبع الشداد ـ الخالي عن الأضداد في اعتداله ولطافته وصفائه وصقالته.

فبالمرآتين، أعني مرآة ذاته ومرآة جسمه يدرك العالمين، ويطلّع علىٰ ما في اقليمين، ويدرك المغيبات من الأمور الماضية والآتية. ثمّ يترقّىٰ بذاته بعد طرح الكونين وخلع النعلين، ونفي الخواطر المتعلّقة بغير الله والفناء عمّا سواه، راجعاً إلى الحقّ بالكلّية فتضمحل الكثرة في شهوده، ويحتجب التفصيل عن وجوده، متحققاً بمقام الجمع، منخرطاً في سلك الملائكة المقرّبين بل من صنف الأعالي المهيمنين.

ثمّ مع ذلك لا يقف في مقام واحد، ولا يبجس[1] في مشاهدة الوحدة الصرفة من غير مشاهدة الآلاء الإلهيّة والرّشحات القيّوميّة، بل يرجع إلى الصحو بعد المحو ناظراً بعين الجمع إلىٰ التفصيل، متوسّطاً بين التشبيه والتعطيل، فلا تعطيل له تعالىٰ ولا تشبيه في عين التنزيه الموهم للتعطيل، والتشبيه الموهم للتحديد، فيكون محققاً بحقيقة مظهريّة ما قاله الصادق عليه السلام حين سئل عن التوحيد فقال: هو عزّوجل مثبت موجود لا مبطل ولا معدود.

وفي التوحيد عن محمد بن عيسىٰ عمّن ذكره قال: سئل أبو جعفر عليه السلام أَيجوز أن يقال: إنّ الله عزّوجل شيء؟ قال: «نعم يخرجه عن الحدّين حدّ التعطيل وحدّ

---

١ ـ أي لا ينفجر.

التشبيه» فيصل حينئذ الىٰ مقام يجعل كلّ مقام أراد محطّ رحله ومنزل قصده، وهو فرحان بالحقّ في كلّ شيء ينظر إليه؛ لأنه يرى المحبوب الأول وجمال الأول في جميع المظاهر والمجالي، قائلاً في وصف حاله بلسان قائله:

بجهان خرّم از آنم كه جهان خـرّم از اوست
عاشقم بر همه عالم كه همـه عـالم از اوست

فتسير بنور ربّه في الأرض الحقائق المتبدّلة في حقّه حيث صـارت صـيقليّة بيضاء، مرآة مجلّوة، يحاذى بها شطر الحقّ ﴿يـوم تُـبدل الأرضُ غـيرَ الأرضِ﴾[1] وكمالاً يحجبه شيء عن شيء لقوّة شهوده وعلمه، فكذلك لا يشغله أيـضاً شيء عن شيء؛ لكمال قابليّته وسرعة نفوذه ولطافته، فيتطور بكلّ طور ويتلوّن بكـلّ لون كما قيل:

لقد صار قلبي قابلاً كلّ صورة   فمرعىٰ لغزلان وديـراً لرهـبان

فحال هذا العبد مظهر لقوله تعالىٰ: ﴿كلّ يوم هو في شأن﴾[2].

تشبيه آخر للإنسان الكامل:

قد شبهت الكمل من العرفاء، الإنسان الكامل الذي هو أشرف أجزاء العـالم الكبير بـ(إنسان العين) من العالم الصغير الإنساني الذي يكون به النظر إلى الأشياء، وهو المعبّر عنه بالبصر. فلهذا سمّي الإنسان إنساناً مأخـوذاً مـن (آنست) بمـعنىٰ (أبصرت) فإنه به نظر الحقّ تعالى إلىٰ خلقه فـرحمـهم. فـهو مـظهر جمـيع الأسماء والصفات، ومجمع كلّ الحقائق والآيات. فهو الكتاب الجـامع كما روي عـن سـيد

---

١ ـ إبراهيم: ٤٨.
٢ ـ الرحمن: ٢٩.

الأولياء وقدوة الأصفياء حيث قال:

أتـــزعم أنّك جـرم صـغير وفيك انطوى العالم الأكبر؟
وأنت الكتاب المبين الّـذي بأحـــرفه يــظهر المـضمر

وبعبارة أُخرىٰ: إنّ الحقّ سبحانه وتعالىٰ جعل العالم الكبير الأول ـ من حيث الصورة ـ كتاباً جامعاً حاملاً صور أسماء الحـقّ، ونسِبَ عـلمه المـودع في القـلم الأعلىٰ، وجعل الإنسان الكامل الذي هو العالم الصغير من حيث الصـورة كـتاباً وسطاً جامعاً بين حضرة الأسماء وحضرة المسمّىٰ، وجعل القرآن خلقاً مخلوقاً علىٰ صورته ليبيّن به خفيّ سريرته وسرّ صورته، فالقرآن العزيز هو النسخة الشارحة لصفات الكمال الظاهر بالإنسان من غير اختلال ولا نقصان.

وأكمل مصداق لهذا الإنسان هو النبيّ الأعظم وأهل بـيته عليهم السلام ولذا قـيل في صفته أي في صفة رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنه كان خلقه القرآن» ولهذا قال الله تـعالىٰ في حقّه صلى الله عليه وآله: ﴿**وإنّك لعلىٰ خلق عظيم**﴾[1] ولكن فليعلم أنّ هذه الحقيقة الإنسـانية، التي علمت كمالها وعلوّها إذا ما كـملت بـالعلم والعـمل، قـد تـصير مـن عـجم الحيوانات أنزل وأسفل بواسطة متابعة النفس والشيطان وبسـبب اتـصافها مـن فساد علمه وعمله بالكفر والطغيان والعمىٰ والحرمان.

قال الله تعالىٰ: ﴿**ولقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يُبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أُولئك كالأنعام بـل هـم أضلّ**﴾[2] ثمّ إنه ليس يخفى على أحد أنّه ليس المراد من هذا الفقه والبصارة والسّماع ما لا يخلو عنه أحد من الحيوانات النامة الأعضاء والآلات الجسمانية، بل ما يتعلّق بجوهر النفس النطقي والقلب الحقيقي ﴿**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب**

---

١ ـ القلم: ٤.
٢ ـ الأعراف: ١٧٩.

التي في الصدور﴾[١] فما دام الإنسان في درجة الحيوانات الظاهرية، ونشأته نشأة هذا العالم الأدنىٰ لم يجئ بالحياة المعنوية الحاصلة بالموت الإرادي عن مآرب قواه الشهوية والغضبية ومستلذّاتها كما أمر رسول الله ﷺ علىٰ ما روي عنه ﷺ: «موتوا قبل أن تموتوا» وقد سمّى الله تعالىٰ في عدّة آيات من القرآن الكريم حياة هذه الأُولىٰ (باللهو واللعب ومتاع الغرور). وكما أُشير إليها في آية (٣٩ من سورة النور) لكونها مجازاً لا حقيقة لها، ولا ثبات لوجودها ومع ذلك يخيّل أنّ لها تأصّلاً في الحقيقة **﴿كسراب بقيعة يحسبه الضمآن ماءً﴾**[٢] وما دام لم يمت الإنسان عن الرغبة إلىٰ زخارف الدنيا، ولم يحصّل له الحيوة الطّيبة بالولادة الثانية لم تكن له منزلة عند الله في النشأة الثانية **﴿وإنّ الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾**[٣].

ونقل عن عيسىٰ ﷺ قوله: «لن يلج ملكوت السمٰوات مَن لم يولد مرّتين» وهذه الولادة الثانية والحيوة المعنوية إنما يحصل للإنسان بمتابعة الآداب الشرعية والنواميس الإلهيّة، واقتناء العلوم والأخلاق والملكات الحسنة والخيرات، وتعديل القوىٰ والآلات، التي هي جنود النفس الآدميّة وتسوية صفوفها. ولعلّه أُشير الىٰ هذه الولادة الثانية الحاصلة بسبب التعديل والتسوية في قوله تعالىٰ: **﴿فإذا سوّيته ونفختُ فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾**[٤].

ثمّ إنّ الظاهر من الآيات القرآنيّة أنّ المراد من هذا النفخ ليس هو الروح الحيواني الحاصل في بداية النشأة الإنسانيّة المشار إليه في قوله تعالىٰ: **﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾**[٥] لأنّ نفخ الروح الحيواني يحصل بواسطة بعض الملائكة كما ورد في

---

١ ـ الحج : ٤٦.

٢ ـ النور : ٣٩.

٣ ـ العنكبوت : ٦٤.

٤ ـ الحجر : ٢٥.

٥ ـ المؤمنون : ١٤.

الأحاديث. والنفخ الملكي وما هو بواسطة الملائكة لا يوجب إلّا خضوع الملائكة التي هي أنزل منه، وتحت تسخيره في العالم الصغير، ولا يستلزم مسجوديّة الملائكة كلّهم أجمعين. بل النفخ الإلهي الحاصل بسببه الروح الإضافي، أي المضاف اليه تعالىٰ في قوله من روحي، إنّما أوجب مسجوديّة الملائكة لآدم تعظيماً له وتكريماً لشأن روحه المنسوب إلى الحقّ.

وبعبارة أُخرىٰ، توضيحاً للولادة المعنوية: إنّ الولادة المعنوية كالولادة الصورية أيضاً تتوقّف على الأركان الأربعة، يندرج فيها جميع الآداب الشرعية والعقليّة، وهي الإيمان والتوبة والزهد والعبادة، علىٰ ما لها من التفصيل المذكور في محلّه من كتب الأخلاق والأحكام والسلوك وليس هنا موضع بيانه، وقد تسمّىٰ هذه الولادة بالفتح القلبي.

وكيف كان فكيفيّة هذه الولادة للنفس الإنسانية من مبدئها إلىٰ مقطعها، أنها أول ما يولد المولود بالولادة الجسمانية لا يعرف إلّا الأكل والشرب لا غير، ثم يتدرّج ويظهر له باقي صفات النفس شيئاً فشيئاً من القوى الشهويّة والغضبيّة والحرص والحسد والبخل والسفاهة، والمكر والحيلة والكبر والظلم وغير ذلك من الصفات، التي هي نتائج الاحتجاب، والبعد عن معدن الصفات الكمالية، فهو حيوان منتصب القامة تصدر عنه الأفاعيل المختلفة. فهو منغمر في الحجب الظلمانيّة الساترة للحقّ، أسير في أيدي الكثرة وأسرار الشهوات، نائم عن عالم الوحدة في مرقد الجهالات، ثمّ إذا أدركته لمعة من أنوار الرحمة، وصادف من نبّهه من سنة الغفلة ونوم الجهالة، ويذكر مبدأه الذي منه بدؤه، ومعاده الذي إليه عوده.

والمنبّه لهذه الأمور أولاً هم الأنبياء عليهم السلام ثمّ الأئمة والأولياء عليهم السلام ثم العلماء بالله تعالىٰ المشاهدون الواصلون إليه حقّاً وراثة عنهم، ثم الظاهريّون من العلماء بظواهرها، وهم الذين أمرهم الأنبياء والأولياء الأئمة عليهم السلام بهذا التنبيه. فهم نائبون عنهم عليهم السلام في ذلك.

والحاصل أنّ العلماء ينبّهون الأشخاص والإنسانية من سنة الغفلة ونوم الجهالة، ويذكّرونهم الحقّ ووحدته وأحوال مبدئهم ومعادهم، وحقيقة جميع ما جاء به الرسل من الأحكام الشرعية وغيرها، لتتنوّر بواطنهم بنور الإيمان أولاً، ثمّ بأنوار المأمورات الشرعية من العبادات، إذ كلّ منهم يتخلق منها خلقاً، وترتفع بها الحجب الظلمانيّة والغواشي النفسانية المعبّر عنها بالذنوب والسيّئات، فإذا تيقّظ من سنة الغفلة، وتنبّه علىٰ أنّ ما وراء هذه اللذات البهيميّة لذّات آخر، وفوق هذه المراتب مراتب آخر كماليّة، يتوب عن اشتغاله بالمنهيّات الشرعية، وينسب الى الله بالتوجّه إليه. فيشرع في ترك الفضول الدنياوية، طلباً للكمالات الأُخرويّة، ويعزم عزماً تامّاً ويتوجه إلىٰ السلوك إلى الله تعالىٰ من مسكن نفسه ومقام هواه، فيهاجر مقامها ويقع في الغربة. والمسافر لابدّ له من رفيق يرافقه، ودليل يدله علىٰ طريقه، فيصاحب من له هذا التوجه والعلم بالطريق، وهو الشيخ القائد والمرشد الهادي، ثم ما دام لا يعتقد فيه لا ينفتح له شيء ولا ينتفع بصحبته. فوجب له أن يعتقد فيه بالخير والصلاح، وأنّ صحبته منجية من المهالك، وأنه عالم بالطريق الذي يسري إليه. وهذه الاعتقادات بالنسبة إليه تسمّىٰ بالإرادة، فإذا تحقّق السالك بالإرادة أي بهذه الاعتقادات فيكون مريداً، فحينئذ لابدّ له من أن يعمل بما يقوله الشيخ ليمكّن له حصول المقصود، حتىٰ قيل: إنّ المريد بين يدي الشيخ ينبغي أن يكون (كالميّت بين يدي الغسّال).

ثمّ إنه إذا دخل في السير والطريق، فلابدّ له من أن يزهد عن كلّ ما يعوقه عن مقصوده من مستلذّات أمور الدنيا وأحوال معيشته فيها، ولابدّ له من أن يرتاض نفسه وهو يحصل من أمور ثلاثة:

الأول: ترك الالتفات الىٰ ما دون الحقّ ويعين عليه الزهد الحقيقي، والاتقاء عن كلّ خاطر يرد علىٰ قلبه ويجعله مائلاً الىٰ غير الحقّ، ويجرّه الى اللجنة السافلة، وكيف كان فلابدّ له من أن يتّصف بالورع والتقوىٰ والزهد.

الثاني: استخدام القوىٰ فيما خلقت لأجله، وإعمالها في الأمور المناسبة للأمر القدسي؛ لينجذب معها بالتعويد من جناب الغرور إلىٰ جناب الحقّ تعالىٰ، ويحتاج ذلك الى العبادة المشفوعة بالنية الخالصة لا لرغبة أو رهبة، بل تشرّفاً بالانتساب إليه تعالىٰ بالعبودية، ثم يحتاج الى المواعظ وخطابات المتألّهين بعبارات بليغة، فإنّها أعظم نفعاً في الترغيب والترهيب من كثير من الرهبانيّات؛ لأنّها تحرّك النفس تحريكاً لطيفاً خصوصاً إذا كانت مع الألحان المستخدمة لقوى النفس في أمره تعالىٰ[1].

الثالث: تلطيف حقيقته المعبّر عنها تارة بالروح، وأُخرىٰ بالقلب، وثالثة بالعقل ويجمعها أنّها هي الجوهرة اللطيفة الملكوتيّة، فلابدّ من تلطيفها بقبول تجلّيات الحقّ؛ لتصير النفس مرآة مجلّوة يحاذى بها شطر الحقّ، ويعين عليه الفكر اللطيف والعشق العفيف[2] ثمّ يحاسب نفسه دائماً في أفعاله وأقواله، ويجعل النفس منها في كلّ ما يأمر به الشرع والعقل والاستبصار الإلهي، فإنه وإن أمرها بالعبادة إلّا أنه لابدّ من تقييدها بالمحاسبة بنحو ما ذكر؛ لتكون عبادته مشتملة على المعنويات والحقائق الإلهيّة الباطنيّة. كلّ ذلك لأن النفس مجبولة علىٰ محبّة شهواتها ولذّاتها، فلا ينبغي أن يؤمن من مداخلها فإنّها من المظاهر الشيطانية، فلابدّ من ملاحظتها دائماً بتلك المحاسبة.

ثمّ إنّ السالك إذا خلص من النفس وصفا وقته، وطاب عيشه بالالتذاذ بما يجده في طريق المحبوب يتنوّر باطنه، فتظهر له لوامع الغيب، وينفتح له باب الملكوت،

---

١ ـ اعلم أنّ المواعظ إذا تحقّقت في ضمن ألحان حسنة ، فلا محالة لكونها مجرّدة تؤثر في النفس المجردة لتحقق المناسبة . فحينئذ يستخدم قوى النفس فيما يتعلق به تعالىٰ لا فيما تشتهيه النفس؛ لأنها حينئذ تنبهت بالرجوع الىٰ بارئها بواسطة هذا اللحن الحسن ، فتدبر .

٢ ـ العشق من حيث هو هو حسن فإن تعلّق به تعالىٰ وبشؤونه تعالىٰ كان حسناً عفيفاً وإلّا فإن تعلّق بما دونه ، فإن كان مباحاً فهو مباح كالجنّة والأمور المحلّلة وإلّا فهو مذموم بل محرّم، كما لا يخفىٰ وسيأتي في الشرح بيانه .

وتلوح منه لوائح مرة بعد أُخرىٰ، فيشاهد أموراً غيبيّة في صور مثاليّة، فإذا ذاق شيئاً منها يرغب في العزلة والخلوة والذكر والمواظبة على الطهارة التامة والوضوء، والعبادة والمراقبة والمحاسبة، ويعرض عن المشاغل الحسّية، ويفرغ القلب من محبّتها، ويتوجه باطنه إلى الله الحقّ بالكلّية. فيظهر له الوجد والسكينة والشوق، والمحبّة والهيمان والعشق، فيمحو تارة بعد أُخرىٰ فيجعله فانياً نفسه، فيشاهد المعاني القلبية، والحقائق السّرية، والأنوار الروحيّة فيحقّق في المشاهدة والمعاينة والمكاشفة، وتفيض عليه العلوم اللّدنّية والأسرار الإلهية، وتظهر له أنوار حقيقية تارة وتختفي أُخرىٰ حتىٰ يتمكّن ويخلص من التلوين، وتنزل عليه السكينة الروحية، ويصير ورود هذه الأحوال له مقاماً، أي ملكة راسخة.

فيدخل في عوالم الجبروت، ويشاهد العقول المجرّدة أي الأضواء القيّوميّة والأنوار القاهرة، والمدبّرات الكلّية للأمور الإلهيّة من الملائكة المقرّبين والمهيّمين في جمال الأزل، الفانين في الحقّ الأول ويتحقق بأنوارهم، فيظهر له أنوار سلطان الأحديّة، وسواطع العظمة والكبرياء الإلهية فيجعله (هباءً منثوراً) وتندك عنده جبال انّيّته فيخرّ له خروراً ويتلاشىٰ، وتزول زحمة وجوده من البين، وتضمحلّ عينه في عين الوجود الإلهي، وهو مقام الجمع والتوحيد وإليه يشير قوله عليه السلام في الدعاء السيفي الصغير: «ربّ أدخلني في لجّة بحر أحديّتك وطمطام يمّ وحدانيّتك» وقوله عليه السلام في الدعاء الشعباني: «الهي هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتىٰ تخرق أبصار القلوب حجب النور، فتصل إلىٰ معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلّقة بعزّ قدسك. إلهي اجعلني ممّن ناديته فأجابك، ولاحظته فصعق لجلالك، فناجيته سرّاً وعمل لك جهراً».

وفي هذا المقام يستهلك في نظره الاعتبار، ويخترق بنوره الحجب والأستار، فينادي الحقّ لمن الملك اليوم؟ ويجيب بنفسه لنفسه، لله الواحد القهّار، وهذا نهاية سفر الأول من الأسفار التي للسالكين الكاملين، وهذه النهاية موجبة للولادة

المعنوية المشار إليها سابقاً، التي سمّاها بعضهم التوحيد، وبعضهم بالقيامة الوسطىٰ، وربّما عبّروا عنها بزوال التعيّنات الخلقيّة، وفناء وجه العبودية في وجه الربـوبيّة، كانعدام تعيّن القطرة عند الوصول إلىٰ البحر، وذوبان الجمد بطلوع الشمس، فيزول عنه التعيّن الأسمائي؛ ليرجع الىٰ الوجود المطلق بارتفاع وجوده المقيّد.

وقيل هذا التوحيد عبارة عن ستر وجه العبوديّة بـوجه الربـوبيّة، واخـتفاء كوكب ذاته عند وجود شمس العظمة والكبرياء، ويكون الربّ ظاهراً والعبد مخفيّاً قال الشاعر:

حين تغيّبت بدا حين بدا غيّبني

وكيف كان فهذا الاختفاء إنّما هو في مقابلة اختفاء الحقّ بالعبد عند إظهاره إيّاه، أي إظهار الحقّ العبد فيظهر العبد ويختفي الرب، ويليه في الرتبة دونها أنّه قد يكون تبديل الصفات البشريّة بالصفات الإلهيّة دون الذات، فكلّما ارتـفعت صـفة مـن صفاتها، قامت صفة إلهيّة مقامها فيكون الحقّ سمعه وبصره، كما نطق به الحـديث المشهور، ويتصرّف في الوجود بما أراد الله عند سيره عن الحقّ إلى الخلق، وسعته للجانبين، كما للكمّل والأفراد الّذين قامت قيامتهـم وهم في جلابيب أبدانهـم قـد نضّوها[1] وانسلخت نفوسهم الإنسيّة عنها كلّ يوم انسلاخ الحيّة الوحشيّة عـن جلدها في كلّ سنة، ولعلّه إلىٰ هذا الانسلاخ يشير مـا روي عـلىٰ مـا قـيل: عـن النبيّ ﷺ: «مَن أراد أن ينظر إلىٰ ميّت يمشي فلينظر إلي» وفي حديث: «فلينظر إلىٰ علي بن أبي طالب».

ونقل أنّ السابقين الأوّلين من الحكماء الالهيّين كانوا أصحاب إنسلاخ البدن، وكانت هذه الصفة ديدناً وعادة وضعة معتادة لهم، وسنّة شايعة فـيهم، وكـانوا لا يعدون أحداً من الحكماء، ما لم يطّلع على الجهة المقدّسة أي تلك الأنوار القـاهرة والأضواء القيّوميّة، ولا من المتألّهين ما لم يحـصل له ملكة خلع البدن حتّىٰ يـصير

---

١ ـ نضّ ماله : صار عيناً بعد أن كان متاعاً ، الشيء : أظهره .

البدن بالنسبة اليه كقميص يخلعه تارة ويلبسه أُخرىٰ.

فإذا بلغ الإنسان هذه المرتبة العظيمة والمنزلة الرفيعة، التي هي يتلوه في الذات الإلهيّة وبقاؤه ببقائه، فيسري بالحقّ في الحقائق كلّها، فيحصل له حقّ اليقين؛ لسريانه بالذات الإلهية في عين مظاهرها، أي بالعلم الإلهي.

فحقّ **اليقين** وجدان الحقائق الإلهيّة والكونيّة ولوازمها في ذاته ذوقاً ووجداناً.

وعين اليقين شهودها بعين البصيرة.

وعلم اليقين تصوّرها وإدراكها مطابقاً لما في نفس الأمر.

فعلم اليقين للعلماء الراسخين.

وعين اليقين للأولياء الكاملين.

وحقّ اليقين للأنبياء والأولياء الكاملين المكمّلين، كلّ علىٰ حسب ذوقه ووجدانه، وأعلىٰ مراتب هذه الدرجة لمحمد وآله الطاهرين عليهم أفضل صلوات المصلّين، كما نطقت به الآيات والأخبار الواردة عنهم عليهم السلام حسبما يأتي في الشرح في مظانّه.

ومن هنا قيل: للعلم اسم ورسم[1] وهما للعلماء الظاهريين، ولذلك يسمّونهم بالعلماء الرسميّين لوقوفهم في الرسوم.

وعلم وهو لخواصّ العلماء وأكابرهم.

وعين وهو لخواصّ الأولياء.

وحقّ وهو لخلاصة خواصّ الأنبياء والأولياء المعصومين عليهم السلام رزقنا الله الاهتداء بأنوارهم والاقتداء بآثارهم.

تنبيه: لا يتوهّمنّ أنّ ذلك الفناء المذكور والموت الإرادي هو الفناء العلمي

---

١ ـ رسم: العلامة ويطلق علىٰ ما يقابل الحقيقة كقول الشاعر:

أرىٰ ودّكم رسماً ... وودّي حقيقة

الحاصل للعارفين، الذين ليسوا من أرباب الشهود الحالي، مع بقائهم عيناً وصفة، فإنّ بين من يتصوّر المحبّة وبين من هي حاله فرقاناً عظيماً.

كما قال الشاعر:

لا يعرف الحبّ إلّا من يكابده ... ولا الصبابة إلّا من يعانيها

وقال الآخر:

زليخا گفتن و يوسف شنيدن ... شنيدن كى بود مانند ديدن

وهذا كما ترىٰ من أغلب العلماء الظاهريين، الذين ارتقوا إلىٰ درجات العلوم الإلهية، ووصلوا إلىٰ كمالها المعنوي العلمي، ولكنّهم لم يذوقوا من الحقائق شيئاً؛ لعدم وصولهم إلىٰ مقام الشهود ودرجة حقّ اليقين؛ لعدم سلوكهم الحالي المشار إليه سابقاً، فهم باقون في درجة العلم الذي هو الحجاب الأكبر، وليس لهم درك تلك الحقائق ولا آثارها، بل ربّما أنكروها من أهلها كما هو المتراءى منهم، بل ربّما يرىٰ من بعضهم ادّعاء الوصول والفناء مع انّهم في غاية البعد والعناء قال الشاعر:

فهم في السرىٰ لم يبرحوا من مكانهم ... فخاضوا بحار العشق دعوىٰ فما ابتلّوا

ولذا ترى العرفاء الشامخين الواصلين لا يأنسون بهؤلاء المغترّين، بل يكتمون حالاتهم وأسرارهم منهم، كما ورد الأمر به في الشريعة المقدسة، كما لا يخفىٰ علىٰ أهله. علىٰ أنّ إعراب أحوال أهل الشهود[1] وشأنهم لهؤلاء الظاهريين الواصلين إلىٰ العلم فقط، غير الذّائقين لها، ستر لتلك الحقائق، والإظهار بها لهؤلاء غير الواجدين، إخفاءً لها. وإليه يشير ما في كلامهم: أنّ إظهار سرّ الرّبوبية كفر، والكفر هنا بمعنى الإخفاء كما هو بحسب أصل اللغة.

---

١ ـ أعرب الشيء: أبانه.

والسرّ فيه أنّ العلم بكيفيّة التوحيد علىٰ ما هو الحق تعالىٰ عليه مختصّ بالله تعالىٰ كما شهدت به آية شهد الله، ولا يمكن الوصول إليه إلّا من شاهد من عباده الكمّل، وحصل له هذا المشهد الشريف، والتجلّي الذاتي المفني للأعيان بالأصالة ما قال الله تعالىٰ: ﴿فلما تجلّىٰ ربُّه للجبل جعله دكّاً وخرّ موسىٰ صعقاً﴾[1] وقال السبزواري (رضوان الله تعالىٰ عليه) في أوائل الشرح للجوشن وفي الحديث: التوحيد الحقّ هو الله والقائم به رسول الله والحافظ له نحن والتابع فيه شيعتنا.

وكيف كان، فمن كفر بوجدان الحقّ واغترّ بالعلوم وإن كانت علوماً إلهيّة، ولا يتعرض لنفحات ألطاف الله في أيّام دهره، ولا يترقّب لجذبات أعطافه التي توازي عمل الثقلين. فهذا لا خير فيه، ولا هو من أهل الله، ولا لله فيه حاجة، بل هو في مسير باطنه متابع النفس، وهو ممن لم يُسلم وجهه لله وهو محسن، فلا محالة فإن الله غني عن العالمين وعنه، كلّ ذلك لعدم استكماله بعرفان أهل الشهود الّذين يستكملونه منه تعالىٰ.

تنبيه وموعظة حسنة:

يجب عليك أن تعلم ياحبيبي ـ إن كنت طالباً للسعادة الأبدية، والوصول إلىٰ معرفة التوحيد بحقه، وكنت ممن أفاض عليك الحقّ أنوار رحمته ـ أنّ هذه المراتب الرفيعة والدرجات العظيمة لا تحصل بمجرد قراءة المتداول من الكتب، من دون سلوك طريق الحق والانقطاع عن الخلق، ورياضة النفس ومجاهدة القوىٰ. فإنّ أكثر المباحث المثبتة في الدفاتر، المكتوبة في الأوراق، إنما الفائدة فيها مجرّد الانتباه لحصول الشوق إلى الوصول، لا الاكتفاء بانتقاش النفوس بنقوش المعقول والمنقول، فإنّ مجرّد ذلك لا يحصل به اطمينان القلب وسكون النفس، وراحة البال

---

١ ـ الأعراف: ١٤٣.

وطيب المذاق، كما هو المرائي منهم، بل غاية ما يستفاد منها أنّها مما تعدّ السالك لسلوك سبيل المعرفة والوصول إلى الأسرار، إن كان مقتدياً بطريق الأبرار، متّصفاً بصفات الأخيار.

وليعلم أنّ معرفة الله وعلم المعاد، وعلم طريق الآخرة وفقه الأنوار ليس المراد منها مجرد الاعتقاد الذي يتلقّاه العامي[1] أو الفقيه وراثة وتلقّفاً[2] فإن المشغوف بالتقليد والجامد على الصورة لن ينفتح له طريق الحقائق كما ينفتح للكرام الإلهيّين، ولا يتمثل له ما ينكشف للعارفين المستصغرين بعالم الصورة، من معرفة الخلائق وحقيقة الحقائق.

واعلم أنّ الآيات القرآنية وأحاديث أهل بيت العصمة والطهارة مطبقة على الأمر بالتفكر في الآيات الإلهية، والآيات الآفاقيّة والأنفسيّة. فينبغي للسالك الطالب أن يسير بفكره فيها ليتبصّر في المعارف الإلهية.

ولعمري أنه بهذه الأفكار ينفتح باب المشاهدة وطريق المكاشفة، وبهما يفرّق بين العلماء الظاهرين والعلماء الربانيين، وهذه عقبة قلّ من اقتحمها من العلماء، فوقف كثير منهم دونها، ولم يصلوا إلى باب المشاهدة والمكاشفة؛ لتركهم السير الفكري. ولعمري إنّ شرّ الأزمنة زمان انسدّت فيه هذه الأبواب.

واعلم أنّ العالم ناقص في كماله إلّا إذا انفتح في قلبه هذا الباب، فكما أنّ العالم إذا لم يكن له قوّة بحثية فلا محالة يكون ناقصاً في العلم، فكذلك الباحث السالك الطالب إذا لم تكن له مشاهدة ومكاشفة من آيات الحقّ ومن أبواب الملكوت، يكون ناقصاً غير معتبر في المعارف الإلهية، ولا مستنطق من القدس بنطق إلهيّ وإلهام ربوبي ووارد قلبي.

واعلم أنه إذا مات الإنسان لم يبق له إلّا ما كاشفه وشاهده بقلبه، بحيث صارت

---

١ ـ العامّي: الذي لا يبصر طريقه.

٢ ـ تلقّف الشيء: تناوله بسرعة تلفّق ما بينهم: تلاءم.

مشاهداته عين ذاته واتصلت حقيقته بالعقل الفعّال والأنوار القاهرة، كما حقق في محلّه من اتّحاد العاقل بالمعقول، وأما ساير العلوم التصورية والتصديقية فإنها منطمسة في الجدليّات ومقالات المبتدئين.

الإنسان العارف:

ومما ذكر يعلم أنّ قدر الإنسان في الآخرة علىٰ قدر ما كاشفه وشاهده من الحقائق والعلوم الإلهية.

قال بعضهم: فالحكيم يحشر مع المدبّرات العلويّة، والتألّه مع الأنوار القاهرة، والفاني عن غيره تعالىٰ يضمحلّ في نور الأنوار وأمّا الجدلي المقتصر على العلوم الجدلية والصور، يحشر مع السباع؛ لأنّ حقيقة علمه هو ظهور الغضب والتسلّط وهو حقيقة السبع، وتقدم ما يدلّ علىٰ أنّه يحشر الناس علىٰ نيّاتهم وأوصافهم، وما صار حقيقة ذاتهم من الأخلاق والعلوم والحقائق، كما لا يخفىٰ.

واعلم أنّ الحكيم يراد منه المبرهن الباحث من دون أن يصل إلىٰ مقام التألّه، وأمّا المتألّه فيراد منه من سلك في المعارف سبيل الإشراق أي اعتقد أنّ جميع المجردات الإلَهية والعقلية والنفسية من حقيقة النور، ويعتقد أنّ حقيقة النور حقيقة بسيطة لا جنس لها ولا فصل ولا حدّ ولا رسم؛ لأنّها ظاهرة بنفسها وبذاتها ومظهرة لغيرها، فلا محالة ما كان هذا شأنه لا يمكن تعريفه وإظهاره بما هو غيره أي غير النور، فكيف يمكن تعريف النور بغير النور، وهل هو إلّا تعريف الظاهر بنفسه بالخفي؟ بل لا يكون تعريفه إلّا تحصيلاً للحاصل إذ المعرف للنور لابدّ من أن يكون من النور، فتعريف النور بالنور تحصيل للحاصل كما لا يخفىٰ.

ومما يعتقده المتألّه أنّ التفاوت بين جميع الأنوار القاهرة والمدبّرة، بل المحسوسة أيضاً ليس بأمر ذاتي أو عرضيّ، بل التفاوت بينهما إنما هو بالكمال والنقص والشدة

والضعف، وبحسب سنخ النوريّة والقرب والبعد الىٰ نور الأنوار. ويعتقد أيضاً أنّ كثرة الأنوار القاهرة أزيد من كثرة الأنوار الجسميّة؛ لاشتمال تلك الأنوار القاهرة علىٰ سلسلة الأنوار الطوليّة «الاعلون»، والعرضيّة التي هي أرباب الأصنام البرزخيّة، وشرحها موكول في محلّه.

فصل: العوالم الأربعة:

ويعتقد أيضاً أنّ العوالم أربعة:

الأول: عالم الأنوار القاهرة.

الثاني: عالم الأنوار المدبرة.

الثالث: البرزخان الفلكي والعنصري.

والرابع: الصور المعلّقة التي تسمىٰ بالأشباح المجردة والأشباح الأُخروية، الىٰ غير ذلك من القواعد المبتنية علىٰ قاعدة النور والظلمة، وشرحها موكول إلىٰ محلّه.

وأمّا الفاني أي المضمحل في نور الأنوار فهو من يرىٰ أنّ الموجود بالذات منحصر في واحد حقيقي، والحقيقة منحصرة في ذات أحديّة واجبيّة، كما قال عليه السلام: «وذاته حقيقة»، وقال عليه السلام: «بل هو شيء بحقيقة الشيئيّة» وإنّ موجوديّة الماهيات الممكنة والأعيان الثابتة إنّما هي بكونها من أشعّة نوره ولمعات ظهوره، لا أن لها استقلالاً في الوجود الحقيقي، وانفصالاً بحسب الماهية عن إشراقات الوجود الحقيقي وظلال النور الأحدي.

واعلم أنّ العلوم الحقيقية والمعارف الأُخروية لا تحصل إلّا بالانقطاع عن الدنيا، والسير إلى الله، وهي محرّمة علىٰ علماء الدنيا، الراغبين فيها، لأن هذه العلوم علوم ذوقيّة ومقامات كشفية، مبناها على الذوق والوجدان القلبي، ويتعذّر تحصيلها مع محبّة الجاه والترفّع. وهذا بخلاف ساير العلوم فإنّها تجتمع مع محبّة

الدنيا، بل ربّما كانت معينة علىٰ اكتسابها، لما نرىٰ من المشتغلين تحمّل المشاقّ، وسهر الليالي، والتكرار آناء الليل وأطراف النهار، والصبر على الغربة والأسفار، كلّ ذلك لأجل الجاه الوهمي، والتصدر الخيالي، والتبسّط في البلاد، والترفع على العباد.

وأما علوم الآخرة فلا تحصل إلّا برفض محبّة الدنيا عن القلب، ومجانبة الهوىٰ، ولا تدرس إلّا في مدرسة التقوىٰ، كما قال تعالىٰ: **﴿واتّقوا الله ويعلّمكم الله﴾**[١] فجعل العلم ميراث التقوىٰ والظاهر أنّ العلوم المتعارفة ميسّرة عن غير ذلك، بل تحصل مع الحرص على الترفّعات الدنياويّة والرياسات الحيوانيّة، والاهتمام بالشهرة عند الناس كما هو المرائي.

وكيف كان فعلم مما ذكر الفصل والفرق بين علم الحقائق وسلوك طريق الآخرة وبين غيره من سائر العلوم المتعارفة، وذلك من حيث إنّه لم يكشف هذه العلوم الأُخروية إلّا لأُولي الألباب. وأولو الألباب حقيقة هم الزاهدون في الدنيا والراغبون في الآخرة. ولهذا قد أفتىٰ بعض الفقهاء أنّه إذا أوصىٰ رجل بماله لأعقل الناس، فإنه يصرف إلى الزّهاد؛ لأنّهم أعقل الخلق.

والحاصل أنه من لا كشف له قلباً لا علم له حقيقة بالآخرة، ونسبة البصيرة القلبيّة إلىٰ مدركاتها كنسبة البصر الظاهري إلىٰ مدركاته، فكما أنّ للبصر نوراً كلّما يقع في ذلك النور فهو يدركه، فكذا البصيرة نور كلّما يقع فيه فهو يدركه، ولا يدرك حقيقة هذا النور إلّا من له نور **﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾** وهكذا إدراكات جميع الأنوار حتىٰ نور الأنوار، كلّما ازدادت النفس نورية وشروقاً إزدادت انبساطاً فتقع فيها المعلومات أكثر. وهكذا يكون الحال في كلّ مَن له الميل الى الكمال، وله الاستعداد في ذلك، وله الوسائل المعنوية والطرق الإلهيّة للازدياد.

---

١ ـ البقرة: ٢٨٢.

وهذا بخلاف مَن كانت كمالاته الممكنة له موجودة معه بالفعل، ولم تكن فيه القوّة، بل كلّها موجودة بالفعل كالعقول الفعّالة فلا تزداد نوريّته ولا تشتدّ، ولا يتجاوز مرتبته في العلم كما قال تعالىٰ في حقّهم: ﴿وما منّا إلّا له مقام معلوم﴾[1].

واعلم أنه إنّ كان الكمال والنور بحيث لا يمكن أكمل منه ولا أنور كان جميع الأشياء واقعة في نوره، بل يكون نوره نافذاً في الكلّ متصرّفاً فيها محيطاً بها أزلاً وأبداً، كالواجب تعالىٰ، قال عليه السلام: «نور كلّه، نور لا ظلمة فيه» فلا محالة لا أنور منه، فلا محالة يكون كما قال تعالىٰ في حقّه: ﴿لا يعزُبُ عنه مثقال ذرّة في السمٰوات ولا في الأرض﴾[2]. وهاهنا أسرار لا يجوز التعبير عنها لعزّتها وشرفها، يتفطّن لبعضها من وفّق لها من أهلها.

واعلم وتفطّن بحقيقة عقلك أنّ العقل نور الله، ولا يهتدي إلى النور غير النور، ولا يظهر صور فَردانيّته إلّا في مرآة فردانية النفس مرآة لله.

وبعبارة أُخرىٰ: لا تظهر صور الفرد الأحد من حقايق أسمائه إلّا في النفس الفردانية التي صارت مرآة الله، ومرآة الله لا تشبهها مرآة الأجسام. ونعم ما قيل: «إذا وضعت علىٰ سواد عينك جزءاً من الدنيا لا ترىٰ شيئاً، وإذا وضعت علىٰ سويداء قلبك كلّ الدنيا كيف ترىٰ بقلبك شيئاً؟» مثنوي:

گر چه موئی بدگنه کو جسته بود ... لیک آن مو در دو دیده رسته بود
بود آدم دیدهٔ نور قدیم ... موی در دیده بود کوهی عظیم

واعلم أن العبد إذا اتصل علمه بعلم ربّه فناه فيه، ويكون إدراكه حينئذ للأشياء بنور الحقّ وبعلمه لا بعلم العبد، فالعبد حينئذ مظهر لعلمه تعالىٰ لا عالم بعلمه تعالىٰ، وهذا العلم فوق علوم الملائكة والثقلين؛ لأنّ علومهم إمّا كسبيّة وإما

---

١ ـ الصّافات: ١٦٤.

٢ ـ سبأ: ٣.

وهبيّة وكلاهما مغايران لعلم الحقّ.

وبعبارة أُخرىٰ: شتّان بين علم كان فيضه تعالىٰ لعبده، وبين علم هو عين علمه تعالىٰ في مرتبة لا يغاير العلم ذاته تعالىٰ، بخلاف الأول فإنه علم العبد كسبيّاً كان أو وهبيّاً.

وكيف كان ففي صورة اتصال علم العبد بعلم الربّ يكون العلم والعالم هو الله تعالىٰ والعبد مظهر له، وهكذا كعلم النبيّ ﷺ وعلم الأئمة عليهم السلام وعلم فاطمة الزهراء سلام الله عليها فهم خزّان علم الله، فعلم الله فيهم ظاهر.

ومن هنا تعلم أنّ ما قاله صاحب البردة في مدح سيد المرسلين ﷺ ليس من باب المبالغات الشعرية والمجازات اللغوية وهو قوله ﷺ:

فإنّ جودك، الدنيا وخيرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

كيف لا وعلمه ﷺ علمه تعالىٰ، ومعلوم أنّ علوم اللوح والقلم من علمه تعالىٰ؟!

واعلم أنّ درجة الوصول إلى الحقّ لا تتيسر إلّا بقطع الحجب الظلمانيّة ثم النورانية كما قالوا عليهم السلام: «الهي هب كمال الانقطاع إليك، وأنِر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتىٰ تخرق أبصار القلوب حجب النور، وتصل إلىٰ معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلّقة بعزّ قدسك» والوصول إلىٰ معدن العظمة وصيرورة الروح معلّقاً بعزّ قدسه تعالىٰ، لا يكون إلّا بعد خرق حجب النور فضلاً عن حجب الظلمة كما لا يخفىٰ، وإلىٰ هذه الحجب يشير ما في الحديث: «إنّ لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه» ولعلّ المراد من عدد السبعين الكثرة، كما لا يخفىٰ أنّ استعمال هذا العدد شايع في كلام العرب لبيان الكثرة.

تنبيه: قد ورد في الحديث ما مضمونه: أنّه سئل رسول الله ﷺ: أيّ البقاع

أشرف وأيّها أدون؟ قال: لا أجيب حتىٰ أسأل جبرئيل عليه السلام ولما سأله، قال: لا أجيب حتىٰ أسأل الله عزّوجل، فلما نزل قال: ما كنت قريباً من الله قطّ أقرب منه هذا اليوم، قال صلى الله عليه وآله: كيف كان قربك من الله يا جبرئيل؟ قال: صرت بحيث لم يكن بيني وبين الحقّ أزيد من سبعين ألف حجاب فسألته، فقال تبارك وتعالىٰ: خير البقاع مساجدها، وشرّ البقاع أسواقها. فانظر أيّها المسكين إذا كانت الحجب بين الملك الجليل معلم الأنبياء وبين الله تعالىٰ في غاية دنوّه، وكمال قربه إليه سبعين ألف، فكيف يكون بين مثلي ومثلك وبين الرب تعالىٰ؟! ما للتراب وربّ الأرباب! ﴿ويحذّركم الله نفسه﴾[1].

أقول: هذا بالنسبة إلى الملائكة في قربهم إليه تعالىٰ، ومن هنا تعلم قرب النبيّ والأئمة عليهم السلام إليه تعالىٰ، وأنّهم أقرب الخلق من الملائكة وغيرهم إليه تعالىٰ. وإليه يشير ما سيأتي في الشرح من قول الإمام السجاد عليه السلام: ليس بين الله وبين حجّته ستر، ولا دونه حجاب، كما في بصائر الدرجات. ومن قوله عليه السلام في دعاء رجب: «لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك وخلقك، رتقها وفتقها بيدك، بدؤها منك وعودها إليك، فبهم ملأت سماءك وأرضك حتّىٰ ظهر أن لا إله إلّا أنت».

إذن، فليس بينهم عليهم السلام وبينه تعالىٰ ستر ولا حجاب إلّا أنّه ربّ وأنّهم عباد، وأنّ نورهم يفصل عن نور ربّهم كما تفصل شعاع الشمس منها، ولهذا البحث كلام عريض وتوضيح لطيف يذكر في محلّه.

هذا وإن شئت أن تصل الىٰ كعبة المقصود، فانحر تقرّباً إليه حيوانيّتك، وأزل عنك وجودك، وأمط أذىٰ هوّيتك عن الطريق، فإن الطريق الحقّ لا يحتمل ثقلك فضلاً عن أثقالك وأوزارك، أما علمت أنّ وجودك ذنب لا يقاس به ذنب؟ أو ما دريت أنّ المانع عن ظهور الحقّ لك وجودك، وأنك أي وجودك وهويّتك ينازعك في شهودك الحقّ؟ فقل عند بارئك بحقيقة وجودك تضرّعاً وخيفة: بيني وبينك

---

١ ـ آل عمران: ٢٨.

انّيي ينازعني، فأرفع بلطفك انّيي من البين.

واعلم أنّه إنّما يعرف الله تعالىٰ بأعاجيب آياته وبشواهد هبة الحضور لا بالفكرة، فإن الفكرة لا تتسلّط علىٰ إله الأرباب، وإياك أن تغترّ بما يذكره الفلاسفة من القياسات العقليّة بأقسامها فإنها لا تفيد إلّا إلزام القلب بالتصديق له تعالىٰ وبشؤونه، وأما المشاهدة فكلّا. فإنّه لا طريق إلىٰ معرفته إلّا بالعجز عن معرفته، ولنعم ما قيل:

زنهار بحجّت قياسی — غرّه نشوی بحق شناسی

پندار خود از میانه بردار — توحید تو شرك تست هشدار!

خود را صفتی کند زبانت — توحید خدا بود گمانت

ای ذرّه چه مرد آفتابی — نزدیك مشو که بر نتابی

احمد که خلاصه وجود است — لا احصی گوی در سجود است

فأعلم يا حبيبي إن أردت أن يشرق عليك من نور جماله، فعليك بتوسعة وعاء وجودك؛ بإسقاط الإضافات في نفسك وعن غيره تعالىٰ، بأن توجّه قلبك عن الأكوان مطلقاً تخلية وجه المرآة عن الألوان، حتىٰ يتجلّىٰ لك الوجه الكريم تجلّي نور الشمس على التراب الرميم، فتنظر أنت بلا أنت ذاته بذاته. وإليه يشير قولهم: «لا يعرف الله غير الله» وقال السجاد عليه السلام: «بك عرفتك ولولا أنت لم أدر ما أنت» وقال: «بنورك إهتدينا وبنعمتك أصبحنا وأمسينا».

ولنعم ما قيل:

فذلك سرٌّ، طال عنك نقابه — وذاك صباحٌ، كنت أنت ظلامه

فأنت بوجودك حجاب ربّك، قال عليه السلام: وخلقه الخلق حجاب بينه وبينهم، ونعم ما قيل: «تو خود حجاب خودی حافظ از میان برخیز» فلا يتبيّن الحق إلّا عند اضمحلال الرسوم، وأنت بوجودك رسوم ولابدّ من إزالتك من البين.

ولنعم ما قيل:

در تنگنای صورت، معنی چگونه گنجد
در بنگه گدایان سلطان چکار دارد

واعلم أنّ العارفين يظهرون هنا في الدنيا على الصورة الدنياويّة لما يجري عليهم من أحكامها وأحكام الطبيعة. وإليه يشير قوله تعالىٰ في حقّه ﷺ: ﴿انّما أنا بشر مثلكم﴾ وقول علي ﷺ في وصيته: «إنّما جاورتكم ببدني أياماً» وقوله ﷺ في حديث كميل: «وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحل الأعلىٰ» هذا بحسب الظاهر، ولكنه تعالىٰ قد حوّلهم في بواطنهم على الصورة: النشأة الأُخرويّة، كلّ علىٰ حسب التجلّي الإلهي. فهم في الصورة مجهولون إلّا لمن كشف الله عن بصيرته. ويشير الىٰ هذه الصورة الأُخروية قوله تعالىٰ: ﴿يوحىٰ إليّ﴾ فإن الوحي كما حقق في محله هو التجلّي الإلهيّ كما يشير إليه قوله ﷺ في الدعاء: «اللهم إنّي أسألك بالتجلّي الأعظم» في ليلة المبعث. هذا بالنسبة إلى النبي ﷺ وأما غيره فيشير إليه قول علي ﷺ: «أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلىٰ» وقوله ﷺ: «.. ظاهري الإمامة وباطني غيب لا يدرك» كما نقل. وقوله ﷺ : «وإنّي لمن قوم لا تأخذهم في الله لومةُ لائم، سيماهم سيما الصديقين، وكلامهم كلام الأبرار، عمّار الليل ومنارُ النهار. متمسكون بحبل القرآن؛ يحيون سنن الله وسنن رسوله، لا يستكبرون ولا يعلون، ولا يغلّون ولا يُفسدون، قلوبهم في الجنان، وأجسادهم في العمل!»[1] فقوله: قلوبهم في الجنان يشير الىٰ تلك الصورة: التجلّي الإلهي كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فما من عارف بالله من حيث التجلّي الإلهي إلّا وهو على النشأة الآخرة بحسب ذلك التجلّي الإلهي، كلّ بحسبه. فهو وإن كان قد حشر في دنياه بصورة البشر، ونشر من قبره بالصورة الإنسانيّة، إلّا أنّه يرىٰ باطن ما لا يرون،

---

١ ـ نهج البلاغة: آخر الخطبة ١٩٢ «القاصعة».

ويشهد ما لا يشهدون من التجلي الإلهي الذي يكون في باطنه، كلّ ذلك عناية من الله تعالىٰ به.

واعلم أنه بالفناء المذكور يستعد الإنسان لخلافة الحقّ ومسجوديّة الملائكة، كلّ ذلك لأجل مرآتية ذاته وصقالة وجهه، وخلّو صفحة قلبه عن نقش الأغيار، وصفاء بيت وجوده عن غير الواحد القهّار. فلا محالة وقعت علىٰ مرآة وجهه المتوجه إلىٰ وجه الحقّ أنوار أسمائه وتجلّياته ﴿وعلّم آدمَ الأسماء كلّها﴾ وليس هذا مما يختصّ بأبي البشر، بل سيد الأنبياء أولىٰ بهذا التشريف، وبعده صفوة أولاده وورثته (صلوات الله عليهم أجمعين) كما حقق في محلّه وسيجيء بيانه في الشرح.

ولنعم ما قيل:

تو بودى عكس معبود ملايك	از آن گشتى تو مسجود ملايك
از آن دانستهاى تو جمله اسماء	كه هستى صورت عكس مسمّى

وأعلم أيضاً أنّ هذا السجود من الملائكة لخليفة الله تعالىٰ الذي تجلّت فيه الأسماء الإلهيّة والأنوار الجليّة يكون مستمرّاً ما دام في الوجود خليفة، والخليفة باقٍ إلىٰ يوم القيامة، كما دلّت عليه الآيات والأخبار الكثيرة، نذكرها في الشرح إن شاء الله تعالىٰ.

وكيف كان فلابدّ للإنسان الكامل الذي هو خليفة الله تعالىٰ من الاستواء والتعديل الراجعين إلىٰ جهة الوحدة والاستواء والصفاء الذّاتي؛ لكي تنجلي فيه أنوار الأسماء الإلهيّة.

وتوضيحه أنه كما أنّ المرآة مالم تتساو جوانبها، ولم ينف عنها الاختلاف والظلمة والكدورة والطبع والرين. ولم تصر وحدانيّ الشكل، عديم اللون بل عديم الذات لم يقبل الصور، فإنّ مرآتيّة المرآة ليس لأجل أعماقها وخصوصيّة ونوعيّة ذاتها، وكونها من حديد أو زجاج أو ماء، بل بواسطة وجهه الذي هو عدميّ محض وفانيّ

بحت، وكذلك الانسان إن كان قلبه مجلواً عن كلّ رين وطبع وكدورة، فلا محالة يقبل صور أسماء الجمال والجلال، وهذا هو الإنسان الفاني عمّا سواه، وهذا بخلاف غيره أي غير الكامل وغير الفاني المضمحلّ في نور الأنوار، فإنّه حينئذ لا يخلو عن ملاحظة ذاته، وفعليّة صفاته الكماليّة الحاجبة إياه عن محاذاة وجهه شطر كعبة المقصود، والانخراط بالكلّية في سلك عبوديّة الملك المعبود، فهذا محجوب عن انتقاش أنوار أسمائه الجماليّة والجلاليّة فيه. فالوصول الى التوحيد الحقيقي بما له من الشؤون إنّما هو بهذا الفناء والطهارة القلبية.

ولذا نرىٰ أنّ ديدن أهل الله تعالىٰ هو الاهتمام بالسلوك الموجب لهذا الفناء، ومرجع هذا الفناء إلىٰ إثبات نسبة الإمكان، الذي هو قصارىٰ مجهود العابدين، ونهاية مطامح أنظار العارفين، أي أنّ همّهم الوصول إلىٰ أنّ حقيقتهم ليست إلّا الإمكان المحض، الذي بذاته لا يقتضي إلّا الفقر، الذي هو عدم محض، وتحويل الوجود بما له من الآثار الىٰ صاحبه وهو الحقّ المطلق جلّ وعلا. وإلىٰ هذا الفناء والحثّ عليه يشير قوله تعالىٰ: **﴿.. وكن من الساجدين * واعبد ربّك حتىٰ يأتيك اليقين﴾**[1].

توضيحه: أنّ الأمر بالسجود هو الأمر بالفناء، فإنّ حقيقة السجود الذي هو غاية الخضوع والخشوع ظاهراً بوضع عتائق الوجوه على التراب، وباطناً هو فراغ القلب من الفانيات. وإليه يشير ما في غرر الحكم للآمدي ﷺ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «السجود الجسماني هو وضع عتائق الوجوه على التراب، واستقبال الأرض بالراحتين والركبتين وأطراف القدمين، مع خشوع القلب وإخلاص النيّة. والسجود النفساني فراغ القلب من الفانيات، والإقبال بكنه الهمّة على الباقيات، وخلع الكبر والحمية، وقطع العلائق الدنيويّة والتحلّي بالخلائق النبوية». وهذا

---

١ ـ الحجر: ٩٨ ـ ٩٩.

لا يتحقق إلّا بفناء النفس، أي الرجوع إلى الإمكان والفقر، بحيث يشاهد فقره الذاتي، وأنّه عدم محض، وأنّ ما به وجوده هو تجلّيات الربّ ومظاهره الموجودة بإشراقه تعالىٰ، وإنّ معيّة الحقّ معها معيّة قيّوميّة. وهذا الفناء محقّق لحقيقة العبودية، واتّصاف العبد بإنّه عبد حقيقة. فقوله تعالىٰ: ﴿واعبد ربّك حتىٰ يأتيك اليقين﴾ أمر بتحصيل حقيقة العبودية التي تتحقق بها العبادة الحقيقة، والله العالم. ومعلوم أنّه لا تكون إلّا بالفناء المذكور، والفناء المذكور وحقيقة العبودية يأتي باليقين، أي يتبيّن أنّه الحقّ وأنّ ما دونه هو الباطل والسراب، يحسبه الظمآن ماءً أي موجوداً سرابيّاً خياليّاً. وإلىٰ شرافة مقام العبودية وأنه لا شرافة فوقها مدح الله نبيّه بقوله: ﴿سبحان الذي أسرىٰ بعبده ليلاً ...﴾[1].

وقال عيسىٰ عليه السلام في أول نطقه: ﴿إنّي عبد الله﴾[2].

وقال سيد الأولياء أمير المؤمنين عليه السلام: «كفىٰ لي فخراً أن أكون لك عبداً، وكفىٰ لي شرفاً أن تكون لي ربّاً، اللهم إنّي وجدتك إلٰهاً كما أردت فاجعلني عبداً كما أردت».

ولذا اشتهر أنّ العبودية أشرف من الرسالة، لأنّ بالعبودية ينصرف من الخلق إلى الحقّ، وبالرسالة ينصرف من الحقّ إلى الخلق؛ ولهذا نال شرف التقدم في قول الموحّد في التشهّد: «أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله».

وقال تعالىٰ إشارة إلىٰ تعظيم العبوديّة: ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقرّبون﴾[3] وهم الذين حصل لهم الفناء في الحقّ والهيمان به.

---

١ ـ ففي شرح دعاء الجوشن للمحقق السبزواري: وفي ليلة المعراج لما قيل له صلى الله عليه وآله: سل ما تبتغيه من السعادات. قال صلى الله عليه وآله أضفني إليك بالعبودية يا رب، فنزل: ﴿سبحان الذي ...﴾. سورة الإسراء الآية ١.

٢ ـ مريم : ٣٠.

٣ ـ النساء : ١٧٢.

والىٰ كمال هذه العبودية، وسعة قابليّتها لتجلّيات أنوار الإلٰهيّة يشير الحديث القدسي: «لا تسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن التقيّ النّقي».

ولا يخفىٰ أنّ سبب هذه الوسعة لقلب العبد، والانشراح لصدره، إنّما هو ترك الالتفات إلىٰ غير الله، والإقبال بالكلّية إليه تعالىٰ، والتحقيق بالعبودية الصرفة، والاستهلاك بنار العشق والمحبّة، ولهذه الدقيقة ذكر في الحديث الإلهي بهذا العنوان، أي عنوان ـ العبد المؤمن التقيّ النّقي ـ دون الرسالة وغيرها من الألقاب.

ولنعم ما قيل:

دو عالم را بيكبار از دل تنگ　　　برون كرديم تا جاى تو باشد

توضيح: ولمّا علمت معنى الوصول والتقرّب إلى الحقّ، فالالتحاق به تعالىٰ علىٰ هذا الوجه من صيرورة العبد لصفاء ذاته، وتصفية وجهه مرآة لمعرفة الحقّ وأسمائه وصفاته، ومظهراً لأنواره وآثاره، علمت أنّ هذا ليس بامتزاج العبد مع الحقّ ولا اتّصال ولا حلول ولا اتحاد، تعالىٰ عمّا يقول الملحدون علّواً كبيراً، بل هو توجّه استغراقي وعلاقة اضمحلاليّة كما قال تعالىٰ في حديث المعراج: «لأستغرقنّ عقله بمعرفتي» أي حقيقته.

وكيف كان فهو عبوديّة تامّة يحكم عليها شعاع طامس قيّومي، يمحو عنها الالتفات إلىٰ غير الحقّ أيّ غير كان، وإن كان هوية العارف أي عرفانه، من حيث هو عرفانه، ضرورة أنّ التوجه إلىٰ العرفان من الفاني شرك خفيّ وقول بالثاني، والتوحيد ينافيه.

توضيح آخر: لا يخفىٰ أنّ عند أهل التحقيق إنّما يكون عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، هم العارفون الذين يعرفون مداخل الشيطان من أنحاء التقييدات، ضرورة أنّ الحقّ بجماله المطلق إنّما هو محتجب بالقيود الإمكانيّة المحدّدة للموجودات الموجبة لاحتجاب الحقّ المطلق بها، فالعارف الحقيقي هو العارف بأن

القيود هي الحجاب وهي مداخل الشيطان، إذ الشيطان ما هو مانع عن الحقّ مهما كان، فلا محالة يبالغون في رفع القيود بصرف التوجّه إليه، والإعراض عنها بالتوجه الصرف إلى الحق المطلق.

ولا ريب أنّ القيود هي المحقّقة لعناوين الدنيا وزينتها، وموجبة لتشكيل دار الغرور وزينتها التي هي أمور وهميّة، لا حقيقة لها بحسب ماهيّاتها، فإنّها كما عرفت إنّما انتزعت من القيود التي ترجع إلى الإعدام.

وكيف كان فالعارف حيث إنّه عرف مداخل الشيطان، وأعرض عنها وعن الدنيا وزخارفها، فلا محالة يكون العارف واقفاً مع الأمر الإلٰهيّ لا يتعدّىٰ عنه يحلّ معه حيثما حلّ، ولا نظر له إلىٰ غيره، وهو الموحد الذي لا يرىٰ لغيره تعالىٰ وجوداً في ظرف إسقاطه الإضافات والقيود الوهميّة، فيرى الكلّ مجالي جماله وجلاله، فلا محالة تكون عباداته وحركاته وسكناته كلّها بالله ومن الله وإلى الله ولله، فإنّ مَن أعرض بذاته عن غيره تعالىٰ فلا محالة يرى الأشياء ومنها نفسه قائمة بالله تعالىٰ كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته: «إنما نحن به وله» وفي دعاء الجوشن: «يا من كلّ شيء موجود به» وقال تعالىٰ في الحديث القدسيّ: «وكيف يخفىٰ عليّ شيء أنا مبتدئه» وقال تعالىٰ: ﴿إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾.

فهذه الأحاديث والأدعية والآيات وما شابهها وهي كثيرة جدّاً تعطي المتأمّل فيها أنّ الموجودات خصوصاً النفوس الإنسانيّة، التي هي مظاهره تعالىٰ كلّ بحسبه، كلّها إنّما هي به ومنه وإليه وله تبارك وتعالىٰ وتقدّس، إلّا أنّ هذه الحقيقة لا تكاد تظهر لأحد إلّا إذا اتّصف بالفناء المذكور آنفاً، بما له من المعنى المتقدم. وهذا الأمر أي الوصول أي الفناء المذكور الموجب لرؤية الحقّ وأنّ الموجودات كلّها قائمة به ومنه وله وإليه، هو المطلوب له تعالىٰ من كلّ أحد.

ولعلّه إليه يشير قوله تعالىٰ: ﴿**وقضىٰ ربّك ألّا تعبدوا إلّا إيّاه**﴾[1] فإن التعبير بالقضاء الإلهيّ آكد من الأمر المولوي به، فإنه يستفاد منه الأمر المولوي والظاهري بالنسبة إلى المحجوبين، كما في قوله تعالىٰ: ﴿.. **إنّي أُمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين**﴾[2] وأمثاله من الآيات، والأمر التكويني، أي انّ الأمر في الواقع هو هكذا، أي كلّ يعبدونه تعالىٰ لا محالة، ضرورة أنّ عبوديّة الموجودات له تعالىٰ، وأنّها قائمة به ومنه وله وإليه، إنما هي أمر تكوينيّ لا تشريعي فقط فالتشريع إنّما هو للوصول والوقوف علىٰ هذه الحقيقة تكويناً.

وبعبارة أُخرىٰ: إنّا أُمرنا بالتوحيد وبعبادته تعالىٰ مخلصين له الدين مع ما للعبادة من الشرائط في الأجزاء والقبول؛ لكي نصل إلىٰ هذه الحقيقة الثابتة في نفس الأمر، ضرورة أنّ من وصل إلىٰ المقامات الثلاثة للتوحيد: الذاتي والصفاتي والأفعالي، ليس معناه أنه يحقق بعبادته ما لم يكن منها، بل بها يصل إلىٰ هذه الأمور من التوحيدات الثابتة والكائنة في نفس الأمر، فبلحاظ الواقع يصدق أنّه تعالىٰ قضىٰ أن لا تعبدوا إلّا إيّاه بالقضاء التكويني، وبلحاظ الظاهر لمن لم يشاهد هذه الأمور بواقعها أمر بالعبادة عن إخلاص بقوله: ﴿**إنّي أُمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين**﴾ فتأمل تعرف إن شاء الله، ثمّ خذه وأغتنم.

وبما ذكر ينحلّ ما وقع النزاع بين العلماء حيث اعترضوا علىٰ من قال بالقضاء التكويني في الآية المباركة من العرفاء، فإنّه يحمل القضاء التكويني علىٰ واقعه، ويشاهده من وصل إلىٰ مقام الفناء، وهذا لا ينافي الأمر بالعبادة تشريعاً ظاهراً بالنسبة الى المحجوبين كما لا يخفىٰ. والله العالم بالأمور.

واعلم أنّ الناس يعبدون الله علىٰ **وجوه**:

فمنهم من يعبده تعالىٰ من حيث الوهيّته وذاته المستحقّة للعبادة، كما صرّح به

---

١ ـ الإسراء: ٢٣.

٢ ـ الزمر: ١١.

في الأحاديث من نحو قوله عليه السلام: «وقوم يعبدونه حبّاً له أو شكراً له» وفي بعضها: «فتلك عبادة الأحرار» وسيأتي في الشرح أحاديثه، فهؤلاء لا يعبدونه لدخول الجنّة أو للخلاص من النار، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ومولى الكونين: «ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنّتك، بل وجدتك أهّلاً للعبادة فعبدتك».

فهؤلاء هم الموحّدون الفانون عن أنفسهم، يعبدونه من حيث إنّ ذاته المقدسة أهلٌ لذلك، لا من حيث إنّه تعالىٰ رحيم أو منعم أو منتقم. فإنّ عبد المنعم لا يكون عبد المنتقم حالاً، وعبد الرحيم لا يكون عبد القهّار حالاً، وإن اعتقد أنّه لابدّ من أن يعبد من حيث جميع الأسماء علماً بحسب الاقتضاآت الأسمائيّة لعبادته تعالىٰ، إلّا أنّه حيث قد غلب علىٰ قلبه بعض الأسماء ومقتضاها فلا محالة يعبده لتلك الجهة فقط، فلا محالة يعبده إمّا للخوف من النار أو طمعاً في الجنّة كما صرح به في الأخبار. وهذان الحالان يجمعان مظاهر الجمال والجلال بحسب الأسماء الثابتة لهما، كما لا يخفىٰ، فكلّ علىٰ حسب حاله.

فهذا الإنسان الذي يعبد ربّه من هذه الحيثيّات لا مطلقاً فهو عبد حظّه وأسير نفسه، فلا يكون عبداً لله مجرداً عمّا سواه، وسيأتي في الشرح توضيح لعبادة هؤلاء، فإن عبادتهم ليست كعبادة الأحرار، بل لا تخلو من حبّ النفس وإسارة النفس.

فهو تعالىٰ وإن قبل عبادتهم هكذا وأثابهم عليها، ونجاهم من النار، وأعطاهم الجنّة بفضله وكرمه، إلّا أنّه ليست هذه العبادة كعبادة الأحرار، كما لا يخفىٰ فإن عبادتهم خالصة له تعالىٰ، ولذلك أضافهم الحقّ تعالىٰ إلىٰ نفسه في قوله: ﴿إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾[1].

واعلم أنّ هنا سرّاً غامضاً ودقيقة خفيّة، قلّ من كُشفت له حقيقة الأمر بنحو أصاب الواقع ولا بأس بالإشارة إليه.

---

١ ـ الحجر: ٤٢.

فنقول: قد يقال: إنّ المستفاد من قوله تعالىٰ: **﴿ذو الجلال والإكرام﴾** أنّ لذاته المقدسة أسماء الجلال والجمال.

وبعبارة أُخرىٰ: إنّ له تعالىٰ صفة الرحمة واللطف، ومقتضاهما الجنّة والنعيم الأبدي ودرجاتهما، وصفة القهر والغضب ونحوهما، ومقتضاهما الجحيم والعذاب ودركاتهما. فالذات المقدّسة من حيث هي في غيب الغيوب وفي نفسها، التي لا رسم لها ولا اسم منزّه عن كلّ عيب ونقص، لها ظهور بأسمائه الجلاليّة والجماليّة.

وحيث إنّ ذاته المقدسة مبرّأة من كلّ عيب ونقص، فلا محالة ما اقتضته الذات من صفات الجمال والجلال أيضاً منزّه عن كلّ عيب ونقص، ولا محالة ما يتراءى من صفات الجلال من القهر والغضب والعذاب، وما اقتضتها هذه الصفات يكون منزّهاً عن كلّ عيب، فلا محالة يكون بداعي الرحمة واقعاً، وإن كانت صورتها بصورة العذاب.

ولعلّ الىٰ هذه الدقيقة من الرحمة الكائنة عند كلّ عذاب قال تعالىٰ في الحديث القدسيّ المعروف: «هذا إلى الجنّة ولا أبالي، وهذا إلى النار ولا أبالي» فقوله تعالىٰ: هذا إلى النار ولا أبالي مع أنه تعالىٰ منزّه عن كلّ نقص وعيب، وأنه ضمّن نفسه التجاوز والعفو كما في الدعاء، وأنّه كتب علىٰ نفسه الرحمة كما في الآية الشريفة، لا يستقيم إلّا إذا كان تحت كلّ عذاب رحمة فبلحاظ تلك الرحمة الخفيّة قال تعالىٰ: لا أبالي، وهذا أحد معاني قولهم في حقّه تعالىٰ:

وكم لله من لطف خفيّ ... يدقّ خفاه عن فهم ذكي

إذن فثبوت الصفات الجلالية له تعالىٰ بما له من اقتضاء العذاب والقهر، لا يثبت أنّ ذاته المقدسة اقتضت العذاب والقهر لبعض عبيده بلا جهة بنحو الظلم، تعالىٰ الله عن ذلك علوّاً كبيراً، كيف وقد قال تعالىٰ: **﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم**

يظلمون﴾[1] بل اقتضت الذّات، الصفة الجلاليّة من القهر والعذاب بداعي تنزّه ذاته، والرحمة التي كتبها على نفسه بأن يقهر علىٰ عبده العاصي ويعذّبه، ليصل إلىٰ تلك الرحمة المقتضية لذلك، وإنّما اقتضت الذات المقدسة، الصفة الجلاليّة لما علم الحقّ تعالىٰ أنّ العبد بسوء اختياره يلوّث نفسه بصفات الكفر والفسوق والعصيان.

وهذه الأمور قد أوجبت حجاباً لحقيقة العبد التي هي علىٰ فطرة التوحيد، فصار بعيداً عن لقائه ورحمته الخاصّة، فلا محالة اقتضت الحكمة والرحمة الذاتية ذلك القهر والعذاب؛ ليطهّر حقيقته من هذا الحجاب، والتلوّث بالنجاسات الروحيّة، فيصل إلى اللقاء.

فإن قلت: فهذا يقتضي عدم الخلود وهو مخالف لصريح الآيات.

قلت: أوّلاً أنّه تعالىٰ قد علّق الخلود علىٰ دوام السمٰوات والأرض، ومع ذلك استثناه بمشيته حيث قال تعالىٰ: **﴿خالدين فيها ما دامت السمٰوات والأرض إلّا ما شاء ربّك﴾**[2] فالتأمل في الآية يعطي كون الخلود في ظرف دوام السمٰوات والأرض، وأنّه معلّق على المشيّة لا مطلقاً، وثانياً أنّ الخلود في النار وما يقتضيه من الكفر والفسوق والعصيان محكوم تحت تلك الرحمة الذاتيّة. فلتلك الرحمة سبقة على القهر والغضب والعذاب والخلود كما في الحديث القدسي: «وسبقت رحمتي غضبي» فلابدّ من تحقق السبقة يوماً مّا، ولو بعد حين.

وهذا مما لا يمكن المصير إلى خلافه بحيث يقال بفعليّة صفة القهر والعذاب دائماً، ضرورة أنّ منشأهما هو عصيان العبد وكفره وهذا محدود موقّت، والمحدود الموقت لابدّ له من الانتهاء؛ لعدم كونه ثابتاً ثبوتاً ذاتياً، لعدم ثبوت منشأه وعدم دوامه، وهو العبد وعصيانه، وهذا بخلاف الرحمة الذاتيّة التي كتبها الحقّ علىٰ نفسه، فإنّها ذاتية ثابتة غير زائلة.

---

١ ـ النحل: ١١٨.

٢ ـ هود: ١٠٧.

هذا كلّه بحسب ما تقتضيه الأسماء الجماليّة والجلاليّة، إلّا أنّ الذي يسهّل الخطب هو أنه تعالىٰ مختار في فعله، فله أن يخلّد عبده في النار؛ لوجود مقتضاه وهو كفره وعصيانه، وله أن يوصله إلىٰ لقائه ويعفو عنه؛ لوجود مقتضاه، وهو الرحمة الواسعة الذاتية، وهو تعالىٰ مختار في فعله إن شاء خلّده في العذاب؛ لوجود سببه، وإن شاء عفا عنه؛ لوجود سببه، إلّا أن يرجح العفو؛ لسبق رحمته الذاتية، ولا يقتضي هذا إلزاماً له تعالىٰ على العفو.

ولعمري إنّ آيات الخلود لا تدل علىٰ لزوم الخلود، بل تدل علىٰ إمكانه ووجود مقتضاه، وهو لا ينافي غلبة الرحمة وصفة الجمال عليه، وله تعالى الاختيار فيما يفعله. ولعله إليه يشير ما في الدعاء: «إلهي إن عذّبتني فمولىٰ له القدرة عليه» وقوله عليه السلام: «إلهي إن عذّبتني فمن ذا الذّي يعترض عليك في عبدك».

إذن فإمكان الخلود لا ينفيه شيء؛ لوجود مقتضاه إلّا إنّا ندّعي وجود سبب العفو، وإمكان غلبة الرحمة الواسعة عليه مع أنه تعالىٰ مختار في فعله.

فظهر أنّا لا ننكر الخلود ولا ننكر إمكان شمول الرحمة الواسعة الذاتيّة لأهل الخلود، وأنه تعالىٰ له أن يعفو عنهم، بل هذا أرجح إلىٰ صفاته الجمالية السابقة علىٰ الصفات الجلالية وله تعالى الاختيار.

إذا علمت هذا فاعلم أنّ من العارفين مَن عرف الله تعالىٰ في أسمائه الجلاليّة والجماليّة، فما عرف الذات إلّا بما كُشف له منها في الصفات من الجمال والجلال.

فلا محالة هذا العبد لا يعبده إلّا بما غلب علىٰ قلبه من تلك الأسماء والصفات، فهذا العبد مفتون بحبّه تعالىٰ حسب ظهور ذاته تعالىٰ في تلك الأسماء الجلالية والجمالية. ومنهم من يحبّون الذات من حيث هي هي مع قطع النظر عن مظاهرها الجمالية والجلالية، فيحبونّه ويحبون ذاته مطلقاً سواء كان ظهوره لهم في الصفات الجمالية أو الجلالية، أي سواءٌ عامل معهم باللّطف أو القهر، وبالرحمة أو بالعذاب، لما علموا من أنّ الذات منزّه عن كلّ عيب ونقص، وإن قهره كلطفه يكون بداعي

الرحمة الذاتية علىٰ ما تقدّم بيانه. ولعلّه إليه يشير ما قيل:

وإن فتن العشّاق بـعض محـاسن لديك فكلّ منك مـوضع فـتنتي

أي أنّ أوقع الزاهدين والعابدين في الفتنة منك، بلحاظ إسم الجلال والجمال، بعض المحاسن ولذا عبدوك إما خوفاً من نارك أو طمعاً في جنّتك. وقل من عبدك لذاتك، إلّا أنّي أي العارف بذاتك المقدسة المنزّهة عن كلّ نقص، أفتتن بذاتك ولذا أفتتن بكلّ صفاتك بدون فرق بين الجلاليّ أو الجمالي؛ لأنّ قـلبي مـفتتن أي محبّ ومبتلىٰ بعشق ذاتك المقدسة، سواء عاملته بالقهر أو بالرحمة وما لهما من الآثار من العذاب أو الجنّة.

وبعبارة أُخرىٰ: إنّ قلوبهم افتتنت بمحبّة الذات، وإنّ لأرواحهم هياماً بالنسبة إلىٰ ذاته المقدسة بحيث لا التفات لهم بالنسبة إلىٰ مظاهره تعالىٰ، وإلىٰ ظهوره تعالىٰ في صفة القهر أو في صفة الرحمة، فالعشق الذاتي لهم لذاته تعالىٰ اذ هل أرواحهم عن التألم من العذاب أو التّنعّم من الرحمة؛ لاستغراق أرواحهم في مشاهدة ذاته المقدسة بما لها من البهجة والسرور فلا التفات لهم لغيره تعالىٰ.

وبعبارة أُخـرىٰ: إنّ النـظرة قـصرت في الذات الإلهـيّة التي جـميع الصـفات والأسماء والأفعال فائزة منها، صادرة عنها، سواء كان قهراً أو لطفاً وعلموا أنّ كلّ ما يفعله المحبوب محبوب مطلقاً.

لا يقال لازم ما ذكر إمكان الوصول إلى الذات المقدسة والمعرفة بكنهها، إذ مع قطع النظر عن الصفات الجمالية والجلالية لا يبقىٰ إلّا الذات المقدسة، وحينئذ قصر النظر إليها هو المعرفة بكنهها بدون وساطة الصفات والأسماء.

مع أنه قد سبق وتحقق في محله إمتناعه؛ لأنا نقول المراد مـن الاقـتصار عـلى الذات هو عدم التوجه إلى الصفات وآثارها، وهذا لا ينافي كون التوجه إلى الذات لا يكون إلّا بواسطة الصفات والأسماء كما صرحت به الأحاديث.

وبعبارة أُخرىٰ: تكـون الصـفات حـين التـوجه إلى الذات، مـلحوظة آلةً لا استقلالاً بل فانية في الذات كما تقدم توضيحه في بيان معنىٰ كون الاسم عين المسمّىٰ بوجه وغيره بوجه آخر، فراجعه وتدبّر تعرف إن شاء الله تعالىٰ.

والحاصل أنّ قصر النظر على الذات إنما هو المقصود الأقصىٰ، والبغية القصوىٰ للأولياء العارفين، كيف لا وهم علموا بـتصريح الآيـات والأحـاديث بأن الذات المقدسة هي منبع كلّ جمال وجلال، فعشقوها بشراشر وجودهم، فقصروا النـظر إليها حيث علموا أنه ليس في الوجود إلّا ذاته المـقدسة، وأفـعاله الحـاكـية عـن الصفات الذاتية، والمنتزعة منها مفاهيم الصفات والأسماء كما لا يخفىٰ؟

ولعمري إنّ هذا هو المطلوب في كلّ عبادة لله تـعالىٰ، وهـذا هـو المـراد مـن الإخلاص في العبادة وأنّ المعبود الحقيقي هو الذات البحت تعالىٰ وتقدس. فجميع عناوين العبادات من الحالات والاتصاف بالعبودية، ومـا يحـققها مـن الصـفات وكيفياتها وأنحائها كلّها لايراد منها إلّا بما هي مرآة للحقّ، بحيث ينظر إليهـا آلةً لا استقلالاً، وبحيث يكون المعبود هو الذات فقط كما لا يخفىٰ.

ولابدّ هنا من توضيح أُمور:

أوّلاً: أنّه ربما يتوهّم أنّ مَن قصر نظره في الذات الإلهية بالنحو المـذكور، فـلا محالة لازمه أن لا يبالي بالمعاصي حتىّ الكبائر منها، فإنّه وإن كانت المعصية سبباً لدخول النار إلّا أنه لما كانت النار التي هي مظهر قهره تعالىٰ قد خـلقت بـداعـي الرحمة بالبيان المتقدم، فلا يلزم أن يكترث أحد في ترك المعصية، بل لا يلزم النهي عنها منه تعالىٰ، مع أنّ هذا منافٍ بظواهر الشرع من النهي عنهـا والوعيد بـالنار، مضافاً الىٰ أنّ سيرة الأنبياء والأئمة عليهم السلام والعلماء والمؤمنين علىٰ خلاف ذلك، وأنهم يبالغون في التحذير من المعاصي والكفر والفسق، كما لا يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ علم بالشرع.

ولعله من هذه الجهة أنّ بعض المتصوّفة (عليهم لعائن الله) ذهبوا إلى الإباحة،

وأنه من وصل إلىٰ مقام المعرفة، ومنها الىٰ قصر النظر في الذات الإلهية بالنحو المتقدم، فلا يجب عليه حكم ولا عليه تكليف، وهذا لا ريب في أنّه كفر محض.

ولكن نقول في الجواب: إنّه قد ثبت في علم الكلام أنّ التكاليف الإلهيّة الطاف محضة، فإنه تعالىٰ أوجب أموراً؛ لأنّ العمل بها والاتصاف بها موجب لقرب العبد إليه تعالىٰ، ولشمول ألطافه الخاصّة له، وأنّه يتنعّم بنعمه تعالىٰ في الدنيا والآخرة بنحو أوضحه الشرع المقدس، وأنه أيضاً حرّم أموراً؛ لأنّ العمل بها والاتّصاف بها موجب لبعد العبد عنه تعالىٰ، وشمول عذابه له ولو موقّتاً فرضاً، وأنه يوجب تألّمه في الدنيا والآخرة بنحو أوضحه الشرع المقدس أيضاً، وهذا أمر وجداني من الشرع من أنّ الإطاعة توجب الثواب، والمعصية توجب العقاب والعذاب، ولا يرضىٰ لعباده الكفر، وأن يشكروا بأن يطيعوه في جميع الأمور ترضه. فلا محالة يرضىٰ له الثواب المعدّ لهم علىٰ وفق طاعتهم، فالأمر بالطاعة شرعاً والنهي في المعصية شرعاً أمر مسلّم وبه، يحصل الترغيب منه تعالىٰ على الطاعة والتحذير من المعصية، وهذا يوجب انقياد العبد للطاعة للثواب، وأن لا يتمرّد فيعصي الله فيوجب بذلك علىٰ نفسه العقاب، ويحصل له شوق للطاعة بداعي الثواب وخوف من المعصية، ومما يستلزمه من العذاب.

وأين هذا كلّه من إمكان عفوه تعالىٰ عن المعاصي مهما كانت كبيرة، وكيف ينافي هذا تلك المعرفة الحاصلة من قصر النظر في الذات. فكما أنّه إذا علم أحد أنّ السلطان له رأفة بالنّسبة إلى الرعيّة فهو يعفو عنهم، فلا يوجب هذا جرأة العبد في المعصية، ولا يوجب تجويزاً من السلطان في المعصية بداعي أنّي رءوف عفوّ. أو إذا قال الملك إنّا قد هيئنا طبيباً لمعالجة الأمراض الناشئة من الزنا ـ والعياذ بالله ـ فلا ييأس من ابتلىٰ بها، فهل هذا الإعلام والأمر يوجب تجويزاً لتلك المعاصي الموجبة لتلك الأمراض بداعي وجود الطبيب لها؟ كلّا وأبداً.

فكذلك في المقام، ضرورة أنّ قصر النظر في الذات، والعلم بأنه تعالىٰ منزّه عن

العيب، وأنّ رحمته سبقت غضبه لا يوجب تجويز المعصية والجرأة عليها، مع ما تقدم من أنّ ذلك لا يوجب سلب اختياره تعالىٰ في أنّ يخلّد العاصي في النار، فهذا الاحتمال لا أقل كافٍ في الاجتناب عن المعاصي.

وكيف كان، لا منافاة بين حسن الظنّ به تعالىٰ وأنّه سيعفو عن عباده بالنحو المتقدّم بيانه، وبين الإلزام بظاهر الشرع وأنه لابدّ من الطاعة والاجتناب عن المعصية.

وممّا يوضح لك ذلك أنّه قد ورد في الاحاديث، وسيأتي في الشرح أنّ من ارتكب معصيته، وعلم بأنه تعالىٰ له أن يعذّبه وأن يعفو عنه، فلا تكتب له تلك المعصية.

فنقول: أترىٰ أنّ هذا الحديث يعطي تجويزاً في المعصية بدعوىٰ أنّه إذا علم أنّه تعالىٰ له العفو وله العذاب عليها، فلا يلزم حينئذ الطاعة وترك المعصية اعتماداً علىٰ هذا الاعتقاد؟ كلّا وربّ الكعبة كيف والقاصرون نظرهم في الذات المقدسة، قد قرح قلوبهم بحبّه، وصارت أرواحهم في هيمان بمحبته، فهم دائماً في مقام الحضور والمشاهدة وتحصيل رضاه، فأين منهم المعصية وترك الواجبات؟ بل لعمري إنّهم هم أهل الطاعة الحقيقية وترك المعصية حتىٰ أقل المكروهات، كما سيأتي البيان من مولاهم أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: «إنه ما ترك طاعة ولا أتىٰ بمكروه أبداً» نعم قد يتسلّط الشيطان علىٰ بعض فيوقعه في الاشتباه كما أوقع بعض المتصوّفة (عليهم لعائن الله) فيغترّ بنفسه وبربّه فيقع في الإباحة، وهذا قطعاً كفر محض ووقوع في الاغترار؛ لعدم كشفه حقيقة الأمر كما قلناه.

ثمّ إنه قد يقال: إنّ العارف الّذي قصّر نظره في الذات المقدسة بحيث لا يبالي صار مظهراً لصفة اللطف أو القهر. فمعناه أنه لا يبالي بالمعاصي فيقع في مورد القهر، وهذا معلوم الردّ بما قلناه آنفاً. فيقع السؤال عن معناه فنقول: إنّ للسؤال موردين:

الأوّل: فبالنسبة إلىٰ غيره من العباد، الذين هم أهل المعصية والكبائر، فمعناه أنه لا

يرىٰ وقوع المعاصي الكبيرة منافياً لذاته المقدسة، ولقدرته الكاملة النافذة، وأنّ عذابه تعالىٰ لهم ولو بالخلود لا ينافي نزاهة ذاته المقدسة، بل يرىٰ أنّ رحمته الواسعة الذاتية تشمل العباد، ولا أقل من إمكان شمولها لهم، وأنّه تعالىٰ له أن يصلحهم برحمته الواسعة كما في الدعاء: «وباسمك الذي يصلح به الأولون والآخرون» فالعارف لا ينظر إلى الخلق بلحاظ كونهم إمّا مظاهر جماله أو مظاهر جلاله وهما عنده سيّان، بل نظره بالذات المتعالية فقط. المورد الثاني :

■ فبالنسبة إلىٰ نفسه فمعناه أنّه لا يبالي عاش مغموراً في مظاهر اللطف من سعة الرزق، والسلامة في البدن، والأمن في البلد ومن السلطان، ومن ساير المكروهات والمنافيات الروحية والجسمية، أو كان مغموراً في البلاء والمصيبة والآلام والأسقام، والظلم من غيره من الناس ومن السلطان، والفقر والفاقة، كما نرى الأنبياء والأئمة والأولياء كيف كانوا مبتلين بالمصائب والآلام، وغصب حقوقهم، وأنهم قد قتلوا وأُوذوا من أهل زمانهم، ولعل الآيات والأحاديث الدالة علىٰ أنّ المؤمن مبتلىٰ بتلك المصائب وبأنواع البلايا، وأنّ الله تعالىٰ يتحف أولياءه بالبلاء، وأنّ البلاء للأمثل فالأمثل يدل علىٰ ما ذكرنا حيث إنّهم أهل تسليم وانقياد لله تعالىٰ، ويرضون بما يفعله المحبوب لهم من الرخاء والبلاء، بل ربّما يستقبلون البلاء لما يرون أنّ تحته أنواع اللّطف، فلا يستلزم قصر النظر في الذات المقدسة عدم الاكتراث والمبالاة بالمعاصي، وأنّ هذه الصفة إحدىٰ الصفات المذمومة لأهل المعصية بلحاظ سوء اختيارهم، لا بلحاظ قصر النظر في الذات المقدسة فتأمل تعرف.

ولعمري إنّ التأمّل في الأحاديث الواردة في أنّ المؤمن مبتلىٰ يوضح ما قلناه، وقد عُقد بابٌ في البحار لبيان الأحاديث الواردة في ابتلاء المؤمن، فراجعها، ولهذا الكلام مجال عريض مذكور في محلّه.

ثانياً: إنّه لمّا علمت أنّ المعاصي إنما هي من سوء اختيار العبد، وأنّ منشأه

احتجابه عنه تعالىٰ، فوقوع المعاصي ليست منه تعالىٰ، بل من العبد.

فعليه قد يقال: إنه كيف تقع المعاصي منهم في مملكته مع قدرته النافذة ومالكيّته لهم، وأنه آخذ بناصيتهم، فهلا يوجب ذلك منعهم عن المعاصي؟ أليس أنه تعالىٰ لو منعهم من المعاصي كان أحسن من إمهاله لهم في ذلك، وإن كان يعفو عنهم بالآخرة؟ أوليس ذلك منه موجباً لهتك حرمته تعالىٰ؟

قلت: لمّا علمت أنّ له تعالىٰ أسماء الجمال والجلال، فاعلم أنها تقتضي أن يكون لها مظاهر في الوجود فهو تعالىٰ عفوّ غفور، فيقتضي هذا وجود العاصي ليعفو عنه ويغفر له، وليس هذا منافياً لمملكته ولتلك السلطنة الإلهية بل من موجبات ظهور جماله من عفوه ومغفرته. وإليه يشير صريحاً ما ورد من أنه لو أنكم لا تذنبون لخلق خلقاً يذنبون؛ ليغفر لهم ويعفو عنهم، أقول: أي ليظهر صفة العفو والمغفرة في هذا المظهر وهو العبد المذنب كما لا يخفىٰ. فراجع الحديث في البحار. ولهذا الكلام زيادة بيان مذكور في محلّه.

وهنا تقسيم آخر للعباد في عباداتهم لربّهم:

فاعلم أنّ مراتب الناس في عباداتهم بحسب خلوص النيّة وشؤونها تابعة لدرجات معارفهم للحقّ كما علمت مراتبها سابقاً، فقدر مكاسبهم في الطاعة علىٰ قدر مراتبهم في المعرفة، وهذا هو بذر العبودية لهم لربّهم، فمعرفتهم لربّهم التي أوجبت طاعتهم لربّهم هو منشأ لعبوديّتهم لربّهم، فعبوديتهم له تعالىٰ نتيجة تلك المعرفة والطاعة المترتبة عليها. فلا محالة فهم في إدراك المبدإ والمعاد وما بينهما، وإدراك ساير المعارف الإلهيّة علىٰ **طبقات متفاوتة**:

الطبقة الأُولىٰ: أصحاب المكاشفة وهم الذين يعرفون الحقّ بترك الالتفات إلىٰ ذواتهم، بل هم فانون عن أنفسهم، قد قصر نظرهم في الذات المقدسة فلا التفات لهم إلىٰ غيره، فلا محالة يخرّون له سجّداً دائماً، فهم يشاهدون الذات المقدسة في آياته الآفاقيّة والأنفسية مع قطع النظر إلىٰ غيره تعالىٰ.

وبعبارة أُخرىٰ: إنّه تعالىٰ وإن كان لا يظهر إلّا في أسمائه الجمالية والجلالية، وفي آياته الأنفسيّة والآفاقية إلّا أنهم يشاهدونه تعالىٰ في تلك الآيات من دون التفات إلىٰ غيره، ولو بالنسبة الىٰ تلك الآيات. ولهذا الأمر شواهد وأدلّة من الآيات والأحاديث قد تقدم بعضها، فراجعه. جعلنا الله تعالىٰ منهم.

الطبقة الثانية: أفاضل الحكماء، وهم الذين يدركونه على الوجه العقلي الصرف، إلّا أنّهم في تعقّلاتهم لأحوال المبدإ والمعاد والمعارف الإلهيّة تمثّل أوهامهم وخيالاتهم صوراً تناسب تلك العقليات علىٰ ألطف وجه وأشرفه، ولكنهم مع ذلك يعلمون أنّهما أي المبدإ والمعاد فوق تلك الصور الوهميّة والخيالية، وليس لهم العروج إلى التعلق بالذات ومعدن العظمة، لعدم إمكانهم من خروجهم عن تعقّلاتهم الصرفة، فقد وقف بهم العقل دون أن يصلوا إلىٰ معدن العظمة، ولم يمكنهم خرق الحجب النورية؛ ليصلوا إلىٰ معدن العظمة، وتصير أرواحهم معقلة بعزّ قدسه.

الطبقة الثالثة: عامّة أهل الإيمان فهم يعجزون عن تلك المرتبة أي مرتبة التعقّلات الصرفة، وصرف الأمر الىٰ واقعه كما كان للطبقة الثانية، فضلاً عن قصر نظرهم في الذات كما كان للطبقة الأولىٰ.

وكيف كان فغاية أمرهم تصوّارت وهميّة لا عقليّة، فيمثل لهم المبدأ والمعاد بما يليق بنشأتهم، وبما يأتيه ويصوّره شأنهم، ولا يمكنهم الصعود إلىٰ ما فوقه لقصور باعهم عن العلم، وعقلهم عن الدرك الإجمالي الوهمي كما كان للطبقة الثانية، ولكنهم لإيمانهم بالواقع ونفس الأمر ينزّهون مبدأ الكلّ تبارك وتعالىٰ عن الأمور الخياليّة والجسمانيّة.

وبعبارة أُخرىٰ: إنّ الوهم إنما كان فعله الدرك الإجمالي من دون تشكّل المدرك بصورة، والخيال والمتخيلة هو إدراك الأمر في اندارجه في لباس الصورة.

فهذه الطائفة إنما هم يتوهّمون الحقّ علىٰ ما هو عليه في واقع الأمر دون أن

يتخيّلوا له بأن يثبتوا له صورة خيالية، بل هم ينزّهون المبدأ عن الأمور الخيالية والجسمانية لإيمانهم بواقع الأمر بالنسبة الى المبدإ تعالىٰ.

والحاصل إنّ فكرهم لا يعرج إلىٰ أزيد من تصورات وهميّة؛ لقصور باعهم من المعرفة إلّا أنهم مع ذلك لإيمانهم ينزّهون المبدأ الأول عمّا يتخيّلونه، فهم مؤمنون بالواقع ومعرضون عن خيالاتهم بالنسبة إلى المبدإ والمعاد. فبهذا اللحاظ هم مؤمنون غير عارفين، كما لا يخفىٰ.

الطبقة الرابعة: أهل التسليم وهم الذين يسلّمون القول في المبدإ تعالىٰ إلىٰ واقعه، ويؤمنون به كما هو هو، ولا تتمكن منهم الأمور الوهمية التي كانت لسابقتهم، فهم غير خارجين عن الخيالات، فلا يزيد علمهم عن الخيالات حتى الوهميّات، فهؤلاء إذا توجهت نفوسهم إلى المبدإ تفرّد لهم الحقّ وملكوته الأعلىٰ بأمثلة جسمانية يتخيلونها، أي يتخيلون المبدأ والمعاد بأمثلة جسمانية؛ لعدم إمكانهم الصعود إلىٰ فوق ذلك، لغورهم في الجسمانيات إلّا أنّهم لإيمانهم ينزّهون المبدأ والمعاد عن لواحق الجسمانيات وهؤلاء من أدنىٰ أهل المعرفة والإيمان بالمبدا الأول تعالىٰ وتقدس، وإنما يصحح أمور دينهم بالإيمان بواقع الأمر لا بمدركاتهم، فإنّها قاصرة عن درك الواقع. ودون هذه الطبقة قوم قاصروا النظر بحيث لا يكادون يتصوّرون غير الجسمانيّات في خطر التشبيه والتجسيم والانحراف.

فان امنوا بمثل إيمان الذين من قلبهم فلعلّ الرحمة الإلهية تشملهم وإلّا فهم أهل ضلال وانحراف.

ومثّل بعضهم هذه الدرجات في المعرفة بأن يشاهد أحد ذات الشيء بشخصه وهويّته مثلاً، فهو عارف به حقيقة، وهذا من قصر نظره في الذات وقد تقدم شرحه. وبأن يطّلع آخر علىٰ حقيقة شيء وماهيّته عقلاً من دون مشاهدة ذاته فهذا حال معرفة أفاضل الحكماء كما تقدم. وبأن يطلع آخر علىٰ صورته الخيالية كما هو حال أهل التسليم. فإنّ معرفتهم إنما هي بالوهم إلّا أنّهم بالإيمان صحّحوا دينهم

ونزّهوا المبدأ عن توهّماتهم. وبأن يطلع آخر علىٰ عكسه أي عكس الشيء في المرآة، وهذا حال من تخيّل المبدأ بأمثلة جسمانيّة؛ لعدم قدرته على الدرك له فوق ذلك، فهو أدنىٰ المعارف المصحح توحيده بواقع الأمر، وتنزيه الأوّل عن لواحق الجسمانيات. وبأن يطلع آخر علىٰ تمثاله الذي هو صورة النقاش، فإنه لا يكاد ليصل إلىٰ معرفة الشيء إلّا من صورته المنقوشة، فمعرفته تعالىٰ هكذا إن لم يشفع بالإيمان، فهو شرك وضلال، كما لا يخفىٰ.

إذا علمت هذا فاعلم أنّه قد تحقق في محلّه أنّ مبادئ الأفعال الاختيارية الإنسانية، التي هي من باب الحركات والسلوك إلى ما يجده مُؤثراً عنده ومطلوباً لديه إنما هو الشعور والدرك بما هو المقصود من الطلب، وإنما هو العلم بآخر ما ينتهي إليه القصد. فكان أول الفكر آخر العمل، ومبدأ البغية والطلب هو منتهى الوصول، فحينئذ لا محالة البداية تناسب النهاية، والفاعل بمقدار شعوره متحد مع الغاية التي هي عين شعوره الابتدائي للمقصد.

وحينئذ نقول: إذا كان الإدراك والشعور المرتّب عليه الحركة والطلب مختلفاً حسب تلك الطوائف المتقدم بيانه، فلا محالة إن كان الإدراك والطلب عن شعور حسّي غير متجاوز لغيره فالمطلوب لا محالة يكون حسيّاً، ولا يمكنه التجاوز عنه كالأكل والشرب والوقاع وغيرها. فهذا لشخص يكون سيره وحركته يدور مدار المحسوسات المادّية؛ لأنّ مبدأ تحرّكه وشعوره لم يتجاوز المحسوسات كما لا يخفىٰ.

وإن كان الإدراك والشعور وهميّاً، فالمطلوب يكون أمراً موهوماً كالظفر على العدوّ، والوصول إلى الرياسات الوهميّة.

وإن كان الإدراك والشعور عقليّاً فالمطلوب يكون عقليّاً كالإحاطة بالمعقولات والترفّع عن المحسوسات.

وإن كان الإدراك إلهيّاً، فالمطلوب إلهي، كالعبودية التامّة والشهادة الكامله بالذات المقدسّة بقصر النظر فيها، وترك الالتفات إلى الأغيار والرجوع إلى الواحد

القهّار.

وهنا مطلب سرّي لبيان الطبقات لابدّ من بيانه وحاصله: أنّ لكلّ موجود جهة ربوبيّته وهي ظهور الحضرة الربوبية فيه، وكلّ تأثير وفاعليّة وإيجاد في العالم فهو من الرب الظاهر فيه، فلا مؤثر في الوجود إلّا الله.

وهذه الجهة الربوبية هي سرّ ذلك الوجود، وهو ما يخص كلّ شيء من الحقّ عند التوجه الإيجادي المعبّر عنه بالوجود المنبسط المشار إليه بقوله تعالىٰ: **﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾**[1].

فلهذا قيل: «لا يعرف الحقّ إلّا الحقّ» لأن ذلك السرّ هو العارف به تعالىٰ، وإليه يشير قوله ﷺ: «عرفت ربّي بربّي» أي عرفت ربّي بما هو هو بربّي الذي هو ظاهر فيّ، الذي هو ظهور الحضرة الربوبية فيه ﷺ فنفسه الشريفة كسائر النفوس مرآة لذلك السرّ وظهور الربّ، إلّا أنّ المرايا مختلفة في ظهور الربوبيّة، فربّ مرآة ظهرت فيها الربوبية المقيدة المحدودة علىٰ حسب مرتبتها من المحيطية والمحاطيّة حتّىٰ تنتهي إلى المرآة الأتمّ الأحمديّة، التي لها الربوبية المطلقة والخلافة الكليّة الإلٰهية أزلاً وأبداً، فجميع دائرة الخلافة والولاية من مظاهر خلافته الكبرىٰ، كما تقدم سابقاً شرحه.

وهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو مظاهر تلك الأسماء الإلٰهية على الحقيقة التي هي مرآة للشمس، إذ هي أي الحقيقة المحمدية فانٍ عن نفسه وباق بربّه، فلا أثر فيها إلّا منه تعالىٰ، ولذا تكون جميع الدعوات دعوات إليها، وهي مرجع الكلّ ومصدر ومبدأ الكلّ ومنتهاه. والله من ورائهم محيط.

ولنعم ما قيل:

لا ترم في صفات أحمد فكراً فهي الصورة التي لن تراها

---

١ ـ النحل: ٤٠.

مـــصدر العـــلم ليس إلّا إليـه　　　خبر الكائنات مـن مـبتداهـا

إذا علمتَ هذا فاعلم أنّ السرّ الوجودي والفيض الواجبي لما كان ظـاهراً في كلّ الموجودات علىٰ تفاوت طبقاتهم، ولكلّ منهم نصيب مـن الرحمـة المـنبسطة الشاملة علىٰ تباين درجاتهم، وعلمت أنها مختلفة لاختلاف المـرايـا والقـوابـل، فحينئذ لا شبهة في أنّ الأقرب إلى الحق أفضل من غيره لقلّة الوسائط بينه وبـين ينبوع الوجود والمقام الجمعي، كما كان هذا للحقيقة المحمدية ﷺ كما عرفت، فـهو أقرب من الكلّ إلى الحق؛ لعدم تضاعف الوجود الإمكاني.

إذ من المعلوم أنّ كل ما يتركّب من الأُمور الممكنة يتّصف بـإمكان الهَـيئَات الاجتماعيّة الحاصلة، وإمكانات إجزائه فتضاعف الإمكان. فـحينئذ كـلّما كـثرت وجوه إمكاناته يزداد بعداً من الواجب لذاتـه. فـالإنسان الواقـع في آخـر رتب الحيوان بعد صور العناصر والأركان فهو في غاية البعد عن الحقّ كما قـال تـعالىٰ إشارة إلىٰ هذا البعد: **﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم * ثـمّ رددنـاه أسـفل سافلين﴾**[1] وفي بعض الأحاديث: «إنّ بين الله وبين خلقه سبعين ألف حجاب من نور، وسبعين ألف حجاب من ظلمة» وإن كانت بحسب أصل الخلقة ومبتداها في أحسن تقويم إلّا أنّه بعد تنزّله إلىٰ أسفل سافلين وصل إلىٰ آخر رتب الحيوانات. وهنا نكتة، وهي أنّه ورد في ذيل الآية المباركة بعد قوله تعالىٰ: **﴿إلّا الذين آمنوا﴾** أنّ المراد من الاستثناء هم محمّد وآله الطاهرون. فإنّ الاستثناء يكون مـن قـوله: **﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾**.

فينتجّ أنّهم عليهم السلام لم يردّوا إلىٰ أسفل سافلين، بل هم في الدنيا باقون علىٰ ما هم عليه من أحسن تقويم، وقد دلّت أحاديث وآيات عـلىٰ أنّهـم عـند الله في جمـيع الحالات، وأنه ليس بينهم وبين الله حجاب، ولا دونه لهم ستر، كـما يأتي بـيانه في

---

١ ـ التين: ٤ ـ ٥.

الشرح، إن شاء الله.

هذا وإن الإنسان بحسب نوعه المردود إلىٰ أسفل سافلين إذا لم تتجرّد ذاته عن جميع الأغشية واللبوسات، ولم يؤد الأمانات المأخوذة منها عند نزوله في كلّ مقام ضرورة أنّه عند نزوله من مقام أحسن تقويم إلىٰ أسفل سافلين، قد ورد في كلّ مرتبة وعالم علىٰ حقائق ذلك العالم، وأخذ منه حظّاً وافراً، وأعطىٰ له بنحو الأمانة، وأخذ منه العهد والميثاق بردّها إلىٰ مالكها بعد الاستيفاء منها، فلو لم يردّ الأمانات المأخوذة عند وروده علىٰ كلّ مرتبة من عالم الغيب إلىٰ عالم الشهادة، بأن يترك التعشق إليها ويعرض عنها، فلو لم يردّ تلك الأمانات هكذا، ولم ينزّه حقيقته عن وجوه الإمكانات وتخليه عن تلك الأمانات ونقائصها، فلا محالة لا يطّلع على الجهة المقدسة، ولم يظهر له الوجوب الذاتي، ولوامع الغيب وأسرار الوحدة.

وبعبارة أُخرىٰ في بيان ردّ الأمانات: كما أنّ الإنسان من لدن أوّل نقصه وكمونه إلىٰ آخر كماله وظهوره ما لم يمت عن مرتبة أدنىٰ، لم تحصل له درجة أخرىٰ فوقها، وكذا ما لم يخلع عنه صورة النقص لم يتلبّس بصورة الكمال الإضافي، وكان كلّ فساد منه يلزمه كون لأجله. أي أنّ تقيّده بكلّ كون من صورة، يلزمه فساد هذا الكون. فإنه إن كان بالنسبة إلىٰ قبله فيه كمال مّا، إلّا أنّه بالنسبة إلىٰ بعده فيه فساد، فكماله إضافيّ، كما لا يخفىٰ.

والحاصل أنه كما أنّ كلّ موت تحقق له، فلا محالة يخرج به عن نشأة سابقة، وتتهيّأ منه أي من موته هذا الحياةالجديدة، يدخل بها في نشأة أعلىٰ منها إلىٰ أن يبلغ إلىٰ هذه المرتبة الكمالية. فإذا ما لم يحصل له قطع التعلق عن الصور الإمكانية، وترك الالتفات إلى القيود النقصانيّة، لم يتصوّر له الوصول إلىٰ درجة المقربين، والانخراط في سلك المهيّمين وفي زمرة عباد الرحمن الّذين ليس للشيطان عليهم سلطان، كما قال تعالىٰ: **﴿إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾**[1].

---

١ ـ الحجر: ٤٢.

فالسالك في الحقيقة هو الذي يقطع الحجب الظلمانية، وهي البرازخ الجسمانية، والنوريّة وهي الجواهر النورانيّة، بكثرة الرياضات الشرعيّة والمجاهدات العشقيّة الموجبة لظهور المناسبات، التي بينه وبين ما يصل إليه في كلّ خلع ولبس وموت وحياة من النفوس والعقول المجرّدة، إلىٰ أن يصل إلى المبدإ الأعلىٰ وعلة العلل. فإذا لم يكن للسالك جذبة، بل يكون سيره بمجرد العلم والرياضة، فلم يصل من هذا الطريق إلى المقصد لبعد مرامه وطول طريقه، وكثرة عقباته وآفاته. وأما إذا لحقته عناية ربانية خاصّة لأجل طريق خاصّ له، ولأجل وجه خاصّ يكون لكلّ قلب إلىٰ ربه، فحينئذ لا محالة يقطع الحجب بالجذبات الإلٰهيّة من غير أن يعرف المنازل والمقامات.

وهذا النحو من الطريق أي طريق الجذبة يختصّ بكلّ أحدٍ فإنّه طريق خصوصيّ شخصيّ يسمّىٰ بـ«طريق السرّ». فإذا سمعت عن عارف أنه قال: «حدّثني قلبي عن ربّي» يشير إلىٰ هذا الطريق.

وإليه يشير قوله عليه السلام في النهج: «وما برح لله جلّت آلاؤه في البرهة بعد البرهة، وفي أزمان الفترات عباد ناجاهم في فكرهم، وكلّمهم في ذات عقولهم»[١].

فقوله عليه السلام: وكلّمهم في ذات عقولهم، يشير إلىٰ هذا الطريق المخصوص لكلّ أحد الحاصل بالجذبة الالهيّة. وإليه يشير ما قاله سيد البشر صلى الله عليه وآله: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل» لكونه من الوجه الخاصّ الذي لا واسطة بينه وبين ربّه.

فإذا رجع هذا السالك الذي يسلك الطريق بالجذبات الإلهيّة من الحقّ إلى الخلق مع تنوّره بالنور الالهي، وتحققه بالوجود الحقّاني. فلا محالة حينئذ يحصل له العلم من العلّة أي من الحقّ الواصل إليه بالمعلول أي الخلق، عند رجوعه إليهم.

---

١ ـ نهج البلاغة لفيض الإسلام، خطبة: ٢١٣.

وحينئذ عند رجوعه إلى الخلق تكمّل له الشهود في مراتب الوجود، فتكون قوة شهوده أفضل، ويكون لسان حاله حينئذ: «تعرّفت إليّ في كلّ شيء، فرأيتك ظاهراً في كلّ شيء» ويكون اقتداره على التصرّف في الخلق عند رجوعه عن الحقّ أكمل. فإن كان نبيّاً أو إماماً فتصدر منه المعجزات، وإن كان غيرهم يصدر منه خرق العادات، كما يشاهد هذا كلّه منهم. ثمّ إنّ العلم الحقيقي بالمعلومات الوجوديّة لا يحصل لأحد إلّا بالتجلّي الالهي طبقاً، أي علىٰ طبق تنوره بالنور الإلهي، ومن الحقّ عند وصوله، كما لا يخفىٰ. وإليه يشير قوله عليه السلام في دعاء أبي حمزة: «بنورك اهتدينا» الدعاء.

ثمّ اعلم أنّ علم الأنبياء عليهم السلام لا يكون إلّا من الوحي الخاصّ الإلهيّ؛ لأن قلوبهم ساذجة من النظر العقليّ والعلم الاكتسابي، فلا محالة هم عليهم السلام يعلمون الواقعيّات كما هي عليه بالوحي والتجلّي الإلهي. وأما غيرهم فعلومهم لا تخلو إمّا أن تكون من الأخبار. ومعلوم أنها تقصر عن إدراك ما لا ينال إلّا بالذوق والمشاهدة القلبيّة، فإن الإخبار لا يكون مفادها إلّا صوراً قائمة بالنفس، وهي وإن فرض مطابقتها للواقع إلّا أنّها ليست بمثابة المشاهدة، بل هي صور محضة قائمة بالنفس، كما لا يخفىٰ. إمّا من الحواس فلا سبيل لها إلىٰ إدراك بواطن الأشياء وأسرارها. وإنما تدرك من الأشياء ظواهرها وأشكالها، ولا تدرك إلّا مجملات الأمور ومركّباتها دون تفاصيلها ومبسوطاتها. وإمّا من العقل بحسب قوته النظرية وترتيب المقدمات، والأشكال القياسية المدوّنة في المنطق. وهذا معلوم أنّه لا يمكن أن تعرف بها حقائق الأشياء، لأن القياسات لا تفيد إلّا إثبات المفهومات الذهنية، وإلّا إثبات الأُمور الخارجة عن أطوار الأكوان الوجودية.

وبعبارة أُخرىٰ: إنّما تثبت أُموراً خارجة عن حقائق الأشياء، وعن الطواريّ الوجوديّ لها في الخارج، فلا تثبت إلّا أُموراً لازمة لحقائق الأشياء لزوماً بيّناً أو غير بيّن بنظر العقل. وأين هذا من مشاهدة الواقعيات علىٰ ما هي عليه، هذا في

القياسات.

وأما الأقوال الشارحة فمضافاً إلىٰ أنّ أجزاءها لابدّ من أن تكون معلومة بأن تكون نتيجة للقياس العقليّ. فيقع فيه هذا الكلام من أنّه لا يفيد القياس إلّا مفهوماً ذهنياً، لا مشاهدة قلبيّة لحقيقة الشيء، كما لا يخفىٰ أنّ المحدود بها ومعرّفها ـ بالفتح ـ إن كان مركّباً، فالكلام فيها كالكلام في الأوّل من القياسات، من أنّه لا يفيد إلّا مفهوماً ذهنيّاً. وإن كان بسيطاً، لا جزء له في العقل ولا في الخارج، فلا يمكن تعريفه إلّا بذكر لوازمه البيّنة. وذلك كالوجود الواجبيّ، وكسائر الانيّات الوجوديّة والبسائط النورية، ومعلوم أنّ ذكر لوازم تلك البسائط، لا يكشف عن حقائق النفس الآمرية. فثبت أنّ الحقائق علىٰ حالها مجهولة لنا. فلم يبق حينئذ للعلم بها حقيقة إلّا بالتجلّي الإلهيّ المشار إليه آنفاً، وإلّا بما يكشف الحقّ تعالىٰ عن أعين البصائر العقلية من الأغطية واللبوسات الحاصلة من التعلّقات بغيره تعالىٰ.

وكيف كان فهذا الكشف الحقيّ الإلهيّ يدرك الأُمور قديمها وحديثها وعدمها ووجودها ومحالها، أي ممتنعاتها وجائزها وواجبها علىٰ ما هي عليه في حقائقها وماهيّتها.

فظهر مما ذكر أنه متىٰ توجه العقل النظري إلىٰ معرفة حقائق الأُمور المذكورة من غير تطهير القلب والمحل، أي محل المعرفة من الرّيون الحاصلة من الركون إلى الدنيا الحاجبة إياه عن درك الأشياء كما هي فلا محالة يقع في التيه وبيداء الظلمة، ويخبط خبط عشواء، ضرورة أنه مع ريون الذنوب والسيّئات، والركون إلىٰ هواء النفس والمتعلّقات قل ما تحصل نفسه حدّ اليقين والمشاهدة القلبيّة.

اللّهم إلّا أن يكون في غاية الذكاء والفطنة بحيث ﴿**يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار**﴾[1] فإنه بقوة الاستعداد فيحصل له العلم اليقيني ولكنّه نادر. وذلك

---

١ ـ النور: ٣٥.

النادر أيضاً لا يحصل له اليقين فيما وراء طور العقل كأحوال الآخرة ومشاهدة أنوار الجبروت وغيرها، مما ليس للعقل فيه دخل إلّا بالمبالغة في الرّياضة والتصفية، ورفع الغشاوات ورفضها.

فتحصل مما ذكر أنه ليس لنا طريق إلىٰ حصول العلم اليقينيّ بكماله إلّا بمتابعة الأنبياء والأولياء من الأئمة عليهم السلام ثمّ الواصلين بسببهم، وسلوك طريقهم المستوي وصراطهم المستقيم.

ولذا ترى الشرع المطهّر يبالغ في متابعتهم أي الأنبياء والأئمة عليهم السلام والأخذ بقولهم، والمشي علىٰ طريقهم، وتهذيب النفس بتهذيبهم، وترك الاعتراض عليهم، وعدم الاعتماد علىٰ مدركات العقول، فإن دين الله لا يصاب بالعقول كما وردت به أحاديث كثيرة.

وروي عن عليّ عليه السلام أنه قال: «إنّ العقل لإقامة رسم العبودية لا لإدراك الرّبوبية»[1].

أقول: أي أنّ العقل إنما أُعطي ليطيع الإنسان خالقه، ويعلم به كيفيّة العبودية، لا ليدرك الأشياء، ودرك الربوبية وماوراء طور العقل.

فالعاقل اللبيب من كان مطيعاً لهم عليهم السلام وعاملاً بما أمروا بعمله؛ ليصلوا به إلىٰ معرفته تعالىٰ.

ولعمري إنّه لو كان العقل ومدركاته كافياً للوصول إلى الواقعيات لما إحتيج إلىٰ إرسال الرسل وإنزال الكتب. وسيجيء في الشرح مزيد بيان لهذا في محلّه أن شاء الله تعالىٰ.

ثمّ إنّه يؤيّد بل يدل علىٰ ما قلناه: إنّا نرىٰ كثيراً من الحكماء وأصحاب البحوث والمجادلة ممّن أخذت الغطاية بيديه واقتصر بها، وأدرك المعقولات بفكره ورأيه،

---

١ ـ أسرار الآيات ص١٣٣.

من وراء حجاب فهمه وعقله اغتراراً بغاية ذكائه وشدّة فطنته، من طريق متابعته من غير طريق متابعة الأنبياء والأئمة عليهم السلام والأولياء، ومن غير طريق الخلع والتجريد، والوحدة عن الخلق والتفريد بالنحو السابق ذكره. فزعم أنّه أدرك الحقائق علىٰ ما هي عليه. وهذا المسكين لمّا تنبّه آخر الأمر وانتهاء العمر أنه لا حاصل له سوىٰ علمه بأنه ما علم حقيقة الشيء، واعترف بالعجز والقصور والنقص والفتور، وقال عن لسان حاله بالفارسيّة:

تا بجائى رسيد دانش من   كه بدانستمى كه نادانم

إذ من المعلوم أنّ الأنظار الفكرية إنما شأنها مجرّد الإعداد غير البالغ إلىٰ أُفق الوادي المقدّس وهو الأُفق المبين، فلا ينكشف المطلوب علىٰ صاحبه عياناً بمجرّد النظر الفكري. فهو كأنه حينئذ بعد قد قرع باب الغيب؛ ليفيض منه المطلوب علىٰ قلبه الطالب، ولمّا ينفتح له الباب بعد، بل نودي (بعد سؤاله در دير ميزدم من)، بقوله:

در دير ميزدم من از درون صدادرآمد

كه تو در برون چه كردى كه درون خانه آئى

أي بعد أنت لما يطهر قلبك بالنحو المتقدم بيانه، فلا يفاض عليك فيض اللقاء والمشاهدة لحقائق الأشياء. بل وكذلك الإخبار الإلهيّ بواسطة الملك فإنّه خبر غير معاينة، وهذا غير رؤية الحقّ ورؤية حقائق الأشياء، ألا ترىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ولقد رآه بالأُفق المبين * وماهو على الغيب بضنين﴾[1] كيف عبّر تعالىٰ عن علمه بالرؤية بالأُفق المبين لا بالإخبار. فلا محالة هو صلى الله عليه وآله هكذا ـ أي وما هو أي النبيّ صلى الله عليه وآله على الغيب بضنين الذي هو مفاد الخبر من وراء الحجاب بل هو صلى الله عليه وآله كان على

١ ـ التكوير: ٢٣ ـ ٢٤.

الغيب بمستيقن ومشاهدة عياناً، كما لا يخفىٰ هذا علىٰ قراءة ظنين بالظاء أُخت الطاء أي بمتّهم لعدم يقينه كما لا يخفىٰ.

والحاصل أنّ العلم العياني لا يكون إلّا بالنور الكشفي موهوباً لذوي اللب، الذين هم قد عرجوا إلى الأُفق المبين، وجاوزوا إلىٰ المقام ـ أو أدنىٰ ـ كما كان هذا، وكما هو حقّه للنبي الأعظم ﷺ كما حكاه الله تعالىٰ له، فقال تعالىٰ: ﴿**ما كذَب الفؤاد ما رأىٰ**﴾[1] فهناك يرون الأشياء كما هي، فالذين يحذون حذوهم أعطوا من علمهم بحسب سيرهم في مسيرهم عليهم السلام، رزقنا الله تعالىٰ ذلك.

والعالم متىٰ لم يكن علمه مستفاداً من الله تعالىٰ بلا وساطة الكتب والمعلّمين فليس من وراثة الأنبياء، لأن علومهم لدنّية لا تستفاد إلّا من الله. وإليه تشير الآيات والأحاديث الواردة في الباب.

ففي طرائف الحكم للآشتياني رحمه الله عن البحار: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من زهد في الدنيا ولم يجزع من ذلّها، ولم ينافس في عزّها هداه الله بغير هداية من مخلوقه، وعلّمه بغير تعليم، وأثبت الحكمة في صدره وأجراها علىٰ لسانه» فقوله عليه السلام: وعلّمه بغير تعليم، أي من مخلوقه، بل هو تعالىٰ معلّمه وفي الحديث: «المؤمن يعقل عن الله تعالىٰ» وتقدّم قول أمير المؤمنين عليه السلام: «ناجاهم في فكرهم وكلّمهم في ذات عقولهم».

وفي الحديث أيضاً: «المؤمن ملهم، المؤمن محدّث»، وليكن يعلم أنّ المؤمن إنما يأخذ علمه عن الله تعالىٰ، عن طريق الشرع من الآيات القرآنية والسير في الآيات الآفاقية، وتطهير السرّ علىٰ النحو الوارد في الشرع، فهو كما تقدّم بسر المتابعة عن النبي والأئمة عليهم السلام يسير في المعارف، ويأخذها عن الله تعالىٰ كما لا يخفىٰ، لا أنّه يكون كالنبيّ يوحىٰ إليه مستقلاً. ونبيّن في شرح قوله عليه السلام: «ومهبط الوحي»، مايوضح ذلك.

فإذا اتصفت موادالعلم بحقيقةالتقوىٰ، ونَقِي مصدرها من شوائب الهوىٰ، أمدّته

---

١ ـ النجم: ١١.

كلماته التي تنفد البحار دون نفادها، وهذه رتبة الراسخين في العلم، الذين هم ورّاث الأنبياء في العلم، وليست رتبة المترسّخين بصورة العلم، المتوسّمين باسمه، الهاوين في مهوى الهوىٰ وحبّ الرياسة، فإنّ قطرة من هوى النفس مكدّرة بحراً من العلم الحقيقي.

ثمّ اعلم أنّ نوازع الهوىٰ مركوزة في النفوس الإنسيّة، مستصحبة إياها من محتدها السفلي ومغرسها الهيولي، ومنتهى الأرض السفلىٰ. فالعلم الحقيقي بائن عمّن مهامّه الأفكار والتخيّلات الجزئيّة، التي هي من نتائج القوى السفليّة، فأفسدته وغيّرته عن إفادة ما يقتضيه ويوجبه ـ إذا كان نقيّاً خالصاً من شوائب الهوىٰ والأغراض النفسيّة ـ من الارتقاء إلى العالم الأعلىٰ ومجاورة المقربين، ومكالمة القدّوسيّين، فإنّ في اتّباع الهوىٰ إخلاداً إلى الأرض كما في قوله تعالىٰ: ﴿ولو شئنا لرفعناه بها ولكنّه أخلد إلى الأرض واتّبع هواه﴾[1].

وكيف كان فتطهير الفطرة ـ التي خلقت على التوحيد ـ من رذائل التخيّلات، ومن الارتهان بالموهومات، التي استرقت العقول الضعيفة، والنفوس القاصرة، والقوى الجزئيّة، يكون من شأن البالغين من الرجال، فتصحب نفوسهم الطاهرة الملأ الأعلىٰ، ويسرح في ميادين القدس ـ أعاذنا الله وإيّاك من محبّة حطام الدنيا ـ واستجلاء نظر الخلق وعقائدهم.

وحاصل الكلام أنّ المطالب الإلهيّة التي هي من الرفيق الأعلىٰ إنّما هي مكلّم ومحدّث ـ بالفتح ـ على القلب التقيّ، ترد عليه التعريفات الإلهيّة لكثرة ولوج القلب علىٰ حريم القرب الالهي وغسله كثائف دلائل البرهان بنور العيان، واتّباعه لشريعة الملة البيضاء المحمدية، ومنهاج عترته الطاهرة. فيتوغل حينئذ بحبوحة الأسرار الالهيّة، ويرتقي في معارج الاعتذار والاستغفار إلىٰ مقام القرب الحقيقي.

---

١ ـ الأعراف: ١٧٦.

وحينئذ ينفخ الله تعالىٰ في قوالب علومه روح العبوديّة، ويغيب تحت أستار الإنابة إليه تعالىٰ عن أن يبصره غيره، فلا يدركه إلّا كلّ سالك بطريق سيار مثله. فيكون كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «قلوبهم في الجنّة وأجسادهم في العمل» رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

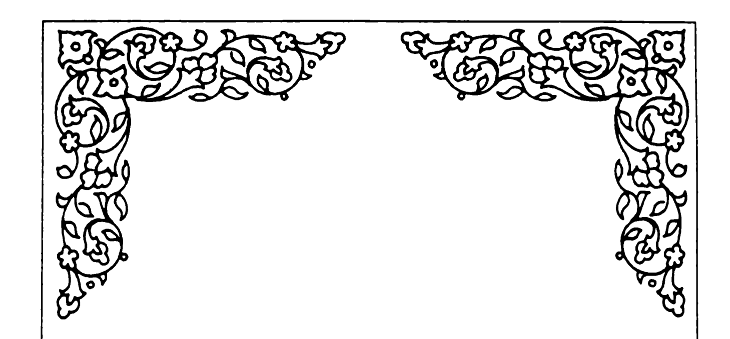
إعلم أن من الظاهر كالنور الباهر من الآيات والأحاديث المروية عن النبيّ المعظم والأئمة المعصومين عليهم السلام: إنّ حقيقة محمد وآله الطاهرين هي المظاهر لصفات جمال الله تعالىٰ وجلاله، فجميع محامد الصفات وفضائل الكمالات جمعت فيهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

ومن المعلوم أنّ معرفتهم بالنورانية، وبما منحهم الله تعالىٰ من الصفات الإلهية من أفضل المعارف الإلهية الحقة؛ لأن معرفتهم هي معرفة الله، التي تجمع المعارف كلّها، ولا كمال لأحد إلّا بمعرفتهم. كما يظهر ذلك كلّه من أحاديثهم الآتية إن شاء الله تعالىٰ.

في الكافي وغيره، بإسناده عن عمار الساباطي، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجل: ﴿أفمن اتبع رضوانَ الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير * هم درجات عند الله﴾[1] فقال: الذين اتّبعوا رضوان الله هم الأئمة عليهم السلام وهم والله يا عمار درجات للمؤمنين وبولايتهم ومعرفتهم إيانا يضاعف الله لهم أعمالهم، ويرفع لهم الدرجات العلىٰ.

---

١ ـ آل عمران: ١٦٢ ـ ١٦٣.



شرح الزيارة الجامعة

المقدمة :

ثمّ إني طالما كنت أُفكر في تأليف مجموعة في معارفهم وحقيقة ولايتهم، ولكني لقصور دركي وفهمي لها لقلّة بضاعتي من العلم لم أرَ نفسي محلّاً لنيل هذه الفضيلة، علىٰ أنه عاقتني عنها المشاغل الدنيويّة، إلىٰ أن زرت سيدي ومولاي أبا الحسن الرضا عليه السلام في أوائل شهر ربيع الأول لسنة ألف وثلاثمائة وست وتسعين من الهجرة النبوية (علىٰ هاجرها وآله سلام الله) فتضرّعت إليه عليه السلام وسألته عليه السلام ليسأل الله تعالىٰ التوفيق لهذا، والتجأت إليه تعالىٰ في ذلك، فحصل لي العزم عليه بقدر وسعي والميسور لي من ذلك.

ثم: إني لما رأيت أن الزيارة الجامعة الكبيرة التي يغني عن بيان فضيلتها شهرتها بين علماء الشيعة (رضوان الله تعالىٰ عليهم) وتلقّيهم إياها بالقبول، وعملهم بها، فهي من أحسن الزيارات التي ذكرت فيها شؤون الولاية وصفات الإمامة وبيان حقائقها الإلهية، كما أنها تضمنت الكثير من فضائل أهل البيت ومناقبهم، مالم يتضمّن

غيرها من الزيارات.

ولذا أردت بعونه تعالىٰ شرحها اقتداءً بالسلف من العلماء الشارحين لها (رضوان الله تعالىٰ عليهم) فإن أصبت في هذا الشرح الحقّ فهو من فضل الله تعالىٰ عليّ، وإلّا فهو من قصور فهمي، وقلّة دركي وبضاعتي من العلم، وأسأله تعالى العفو،وسمّيته بالأنوار السّاطعة في شرح الزيارة الجامعة.

ثم إنّ هذا الشرح يشتمل علىٰ مقدمة وفصول ثلاثة، وبيان في كيفية السلوك لنيلها.

أما المقدمة: في بيان كيفية الشرح لهذه الزيارة والغرض منه.

وأما الفصل الأول: في بيان أهميّة الولاية الحقّة الإلهيّة.

وأما الفصل الثاني: في بيان معنى الولاية بحسب اللغة وكلمات القوم، من العرفاء الحقة، وأنه ما المراد منها في الأحاديث؟ وبيان أقسامها زيادة علىٰ ما مرّ.

وأما الفصل الثالث: في بيان شؤون الولاية الإلهية الثابتة لهم عليهم السلام وفيه بيان المقصود من شرح هذه الزيارة الشريفة، حيث إنها كما علمت وردت في بيان شؤون ولايتهم عليهم السلام.

وأما بيان كيفية السلوك علىٰ طريقتهم عليهم السلام وولايتهم؛ لنيل تلك المعارف الإلهيّة ستأتي في طيّ الشرح الإشارة إليه.

وقد أعرضنا عن ذكر سند هذه الزيارة وبيان تصحيحه؛ لأنها بلغت في القبول والشهرة إلىٰ حدٍّ أغنانا عن ذلك، علىٰ أنه قد تعرض له بعضهم بما لا مزيد عليه.

مقدمة الشرح :

اعلم أنّ هذه الزيارة وإن كانت لها جهات من الشرح من حيث السند، ومن حيث الفصاحة اللفظية والبلاغة المعنوية، ومن حيث التفسير حسب المعاني العرفية لألفاظها إلّا أنّنا لم نتعرض في هذا الشرح إلّا إلىٰ جهة الحقائق المعنوية والدقائق والإشارات التي عبرّوا عليهم السلام عنها بهذه الألفاظ.

فلعمري، قلَّ من تفطن لها من هذه الجهة، ومن حيث إنها المراد لهم عليهم السلام؛ لأن الولاية وما لها من الشؤون لا يكاد يصل إليها فهم ذوي العقول السليمة فضلاً عن غيرهم، بل اختصت بهم عليهم السلام وربما منح الله تعالىٰ بعضها لمن أراد أن يشرح صدره للإسلام: وقد تعرضنا في هذا الشرح إلىٰ تلك الحقائق والدقائق المعنوية حسب فهمنا القاصر، ومنه تعالىٰ نستمد التوفيق لذلك.

ثم إنّ الداعي لهذا الشرح هو وقوع الفتن في هذه الأزمنة الفاسدة، التي شاع فيها فساد الأعمال والأخلاق مضافاً إلىٰ فساد العقائد، إلىٰ أن صار الأمر إلى

الإخلال بأمر الولاية الثابتة لأهلها (صلوات الله عليهم أجمعين) فأصبح الناس لا يرون للإمامة إلّا الخلافة لهم عليهم السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله.

وأما حقيقة الولاية فبين مقرّ بها بالجملة لا عن معرفة تفصيلية، وبين مبين لها ببعض مراتبها لا بحقيقتها الواقعية؛ النفس الأمرية، فلذا ربما نرىٰ بعض المقرّين بالولاية وببعض مراتبها ينكرون مراتبها الاخرى الدقيقة الغامضة؛ لعدم معرفتهم وعدم دقّة فهمهم لها.

هذا، مع أنّ في الأحاديث المروية عنهم عليهم السلام في بيان غوامض حقائق الولاية ما لا يحصىٰ، فنرىٰ كثيراً من الناس الذين لم تبلغ فطنتهم لنيل تلك المعارف ينكرونها أو ينسبون قائلها إلى الغلوّ، أو يعتقدون بأنها موضوعة مكذوبة! فمن هنا ينفتح باب الإنكار علىٰ كثير من المعارف ويعطي الجُرأة بذلك إلىٰ أن ينكرها كثير من الناس، فينفتح باب الإشكال عليها ويتسع إلىٰ أن يشمل ما هو المسلّم منها.

فلهذا ترى اليوم قد ظهر أقوام ينكرون كثيراً من المعارف الثابتة لهم عليهم السلام وتبعهم من العوام بل وبعض المتسمين بالعلم، فضلّوا وأضلّوا كثيراً.

فلعمري، لو أنّ العارف ببعض المعارف دون بعض توقف عند ما لا يعرفه منها،ولم ينكره بلسانه بل ردّ علمه إلىٰ أهله كما هي الوظيفة وكما سيجيء، لما شاع هذا الإنكار والإشكال علىٰ غوامض المعارف الإلهية، بل ولا علىٰ ما هو المسلّم منها، وما هذا إلّا أنّ العلماء في عصرنا الحاضر قد قصّروا في بيان حقائق الولاية، ولم يسيروا مسيراً علمياً وعملياً بحيث تتّضح لهم تلك الحقائق كما سار كثير من الماضين (رضوان الله عليهم) وستجيء الإشارة إليهم، فأصبحت تلك المعارف والحقائق مهجورةً، والإسلام بما له من الحقائق غريباً، ولم يبق بين كثير من الناس إلّا صورة الدين والمعارف ببعض مراتبها الظاهرية!!

ونرىٰ أغلب أهل العلم قد اشتغل إمّا بالعلوم التي نفعها منحصر في حطام الدنيا بما لا طائل تحته، أو بما هو مطلوب في تشييد الرياسات الظاهرية المطلوبة

لعامة الناس العمياء، فصرفوا عمرهم في تحصيلها، وتركوا ما هو الأهمّ والمقصد الأعلىٰ من علم التوحيد والمعارف الإلهية الثابتة للأئمة عليهم السلام!!

فالمشتكىٰ إلى الله تعالىٰ وإلىٰ مولانا الحجّة (روحي وأرواح العالمين له الفداء).

وقد توسلت ـ أنا القاصر المسكين الضعيف، قليل البضاعة علماً وعملاً ـ إليه تعالىٰ أن يوفّقني لكشف القناع عن تلك الحقائق؛ ليتضح الأمر لأهله، وأُبين ذلك بما يسهل لكثير من الناس دركه وفهمه، وأستعين به تعالىٰ في ذلك، فإنه خير ناصر ومعين.

ولا تظنّ أني قادر علىٰ هذا الكشف كما هو حقّه وواقعه، كلّا، ما أنا وذلك، وإنما أجول علىٰ قدر وسعي، سائلاً ومتضرعاً له تعالىٰ أن يمنحني من فضله ورحمته ما أهتدي به إلىٰ بعض تلك المعارف، بعونه وكرمه فإنه رحيم مجيب.

وسيجيء أنّ حقيقة معارفهم الإلهية كما منحهم الله تعالىٰ، وكما هي في نفس الأمر والواقع لا ينالها إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، بل ومنها ما لا يحتمله إلّا هم عليهم السلام أو من شاءوا (صلوات الله عليهم أجمعين).

الفصل الأول: في بيان معاني الولاية:

لا ريب في أهمية أمر الولاية في نظره تبارك وتعالىٰ كما دلّت عليها الآيات والأحاديث المروية عنهم عليهم السلام وإن الأهمية لها نوعان:

الأول: بحسب النداء والإلزام الشرعي الإلهي.

الثاني: بحسب الدقة والفهم والغموض والاحتمال لها. وسيأتي بيانهما.

نذكر أولاً بعض الآيات الواردة في المقام، ثم الروايات، ثم نتبعه بما يستفاد منها من المطالب المهمّة.

فهنا مقامان:

المقام الأول: في ذكر الآيات التي منها:

﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من النّاس إنّ الله لا يهدي القوم الكافرين﴾[١].

ففي تفسير نور الثقلين نقلاً عن أُصول الكافي بإسناده عن أبي الجارود قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام وذكر حديثاً طويلاً وفيه يقول عليه السلام: ثم نزلت الولاية وإنما آتاه ذلك في يوم الجمعة بعرفة نزّل الله تعالىٰ: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾** وكان كمال الدين بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فقال عند ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله: أمتي حديثو عهد إلى الجاهلية، ومتىٰ أخبرتهم بهذا في ابن عمّي يقول قائل ويقول قائل فقلت في نفسي من غير أن ينطلق لساني: فاتتني عزيمة من الله بتلة[٢] أوعدني إن لم أُبلّغ أن يعذّبني فنزلت: يا أيّها الرسول، الآية، الحديث[٣].

وفيه نقلاً عن أمالي الصدوق رحمه الله وبإسناده إلى النبيّ صلى الله عليه وآله حديث طويل يقول فيه لعلي عليه السلام: ولقد أنزل الله عزوجل إليّ **﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك﴾** يعني في ولايتك يا علي **﴿وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته﴾** ولو لم أُبلّغ ما أمرتُ به من ولايتك، لحبط عملي[٤].

وبإسناده إلىٰ ابن عباس، حديث طويل وفيه: فأنزل الله تبارك وتعالىٰ **﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾** فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: تهديد وبعد وبعيد لأمضين أمر الله، فإن يتّهموني ويكذّبوني فهو أهون عليّ من أن يعاقبني العقوبة الموجعة في الدنيا والآخرة، قال:

---

١ ـ المائدة: ٦٧.

٢ ـ أقول: البتلة من التبتّل بمعنى الانقطاع والتقطع يعني أتتني عزيمة منه تعالىٰ علىٰ هذا بحيث يقطع الأعذار كلّها في تركه فلابد من إنفاذه، منه.

٣ ـ نور الثقلين ج ١ ص ٥٤١.

٤ ـ نور الثقلين ج ١ ص ٥٤٢.

وسلّم جبرئيل علىٰ علي بإمرة المؤمنين فقال علي عليه السلام: يا رسول الله أسمع الكلام ولا أحسّ الرؤية فقال: يا علي هذا جبرئيل أتاني من قبل ربّي بتصديق ما وعدتم.

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً فرجلاً من أصحابه حتىٰ سلّموا عليه بإمرة المؤمنين، ثم قال: يا بلال ناد في الناس أن لا يبقىٰ غداً أحد إلّا عليل إلّا خرج إلىٰ غدير خم، فلما كان من الغد خرج رسول الله صلى الله عليه وآله بجماعة أصحابه، فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: يا أيّها الناس إنّ الله تبارك وتعالىٰ أرسلني إليكم برسالة وإني ضقت به ذرعاً مخافة أن يتّهموني ويكذّبوني حتىٰ أنزل الله عليّ وعيداً بعد وعيد، فكان تكذيبكم إياي أيسر عليّ من عقوبة الله إياي[1] الحديث.

أقول: انظر إلىٰ قوله صلى الله عليه وآله: «أوعدني إن لم أُبلغ أن يعذبني» وقوله صلى الله عليه وآله: «ولو لم أُبلغ ما أُمرت به من ولايتك لحبط عملي» وقوله صلى الله عليه وآله: «تهديد وبعد وبعيد لأمضين أمر الله فإن يتّهموني ويكذّبوني فهو أهون عليّ من أن يعاقبني العقوبة الموجعة في الدنيا والآخرة».

فترىٰ فيه أنّ أمر الولاية كان بمثابة من الأهمية بحيث لو لم يبلّغه رسول الله صلى الله عليه وآله مع أنه أشرف المخلوقين في عالم الوجود كما لا يخفىٰ علىٰ أحد يعذّبه الله تعالىٰ ويعاقبه في الدنيا والآخرة، فهذا هو المستفاد من قوله تعالىٰ: **﴿وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته﴾** أي إن لم تبلّغ الولاية فما بلّغت أمر الرسالة والدين من التوحيد والعبادات والمعارف كلّها؛ لأنّ جميع ذلك مرتبط بالولاية ثبوتاً وإثباتاً كما سيجيء بيانه إن شاء الله تعالىٰ.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون﴾[2].

ففي ذلك التفسير عن أُصول الكافي بإسناده عن أحمد بن عيسىٰ قال حدثني

---

١ ـ نور الثقلين ج١ ص٥٤٢.
٢ ـ المائدة: ٥٥.

جعفر بن محمد عن ابيه، عن جده عليهم السلام في قوله عزوجل: **﴿يعرفون نعمة الله ثم يُنكرونها﴾** قال: لما نزلت **﴿إنما وليكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكٰوة وهم راكعون﴾** اجتمع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد المدينة فقال بعضهم لبعض: إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرها، وإن آمنّا فإن هذا ذلّ حين يسلط علينا علي بن أبي طالب عليه السلام فقالوا: قد علمنا أنّ محمداً صلى الله عليه وآله صادق فيما يقول، ولكنا نتولاه ولا نطيع علياً فيما أمرنا، قال: فنزلت هذه الآية: **﴿يعرفون نعمة الله ثم يُنكرونها﴾** يعرفون ولاية علي وأكثرهم الكافرون بالولاية[١].

وفيه عن أُصول الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: أمر الله عزوجل بولاية علي وأنزل عليه: **﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكٰوة وهم راكعون﴾** فرض الله ولاية أُولي الأمر فلم يدروا ما هي؟ فأمر الله محمداً صلى الله عليه وآله أن يفسّر لهم الولاية كما فسّر لهم الصلٰوة والزكٰوة والصوم والحجّ، فلما أتاه ذلك من الله ضاق بذلك صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وتخوف أن يرتدوا عن دينهم،وأن يكذّبوه فضاق صدره وراجع ربّه عزّوجل فأوحى الله إليه: **﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾** فصدع بأمر الله تعالىٰ ذكره، فقام بولاية علي عليه السلام يوم غدير خم فنادى الصلٰوة جامعة، وأمر الناس أن يبلغ الشاهد الغائب، قال عمر بن أُذينة: قالوا جميعاً غير أبي الجارود: قال أبو جعفر عليه السلام: وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأُخرىٰ، وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله عزّوجل: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾** قال أبو جعفر عليه السلام: يقول الله عزوجل: «لا أنزل عليكم بعد هذه فريضة قد أكملت لكم دينكم الفرائض»[٢].

---

١ ـ نور الثقلين ج ١ ص ٦٤٤.

٢ ـ نور الثقلين ج ١ ص ٦٤٦.

أقول: لما بيّن الله ولاية الذين يؤتون الزكاة وهم راكعون، وقرنها بولايته وولاية رسوله فعلم منها أنها أي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ثابتة في عرض ولاية الله وولاية رسوله صلى الله عليه وآله بنص الآية الشريفة، ولذا لمّا علم النبي صلى الله عليه وآله أهمية ذلك، وأنه لابدّ منه ضاق به صدره لما علم من تكذيب بعض أصحابه فراجع ربّه (جل جلاله) فأمره بالتبليغ بنزول آية التبليغ فصدع بالأمر.

فمن هذا الحديث يعلم أنّ المراد من قوله تعالىٰ: ﴿**بلغ ما أُنزل إليك**﴾ أنّ المراد مما أنزل إليه، هو هذه الآية الشريفة، أي آية إنّما وليّكم الله، والأحاديث متواترة من العامّة والخاصّة علىٰ أنّ المراد من الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما لا يخفىٰ.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿**فلا وربّك لا يؤمنون حتىٰ يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً**﴾[1].

ففي تفسير البرهان رقم٥، بإسناده عن عبدالله النجاشي قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول في قول الله عزوجل: ﴿**أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً**﴾[2] قال: يعني والله فلاناً وفلاناً.

﴿**وما أرسلنا من رسول إلّا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم ثم جاءُوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً * فلا وربّك لا يؤمنون حتىٰ يحكموك فيما شجر بينهم**﴾[3] فقال أبو عبدالله عليه السلام: يعني والله النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّاً عليه السلام مما صنعوا يعني لو جاءُوك بها يا علي ﴿**فلا وربّك لا يؤمنون حتىٰ يحكّموك فيما شجر بينهم**﴾ فقال أبو عبدالله عليه السلام هو والله علي عليه السلام بعينه ﴿**ثم لا**

---

١ ـ النساء: ٦٥.

٢ ـ النساء: ٦٣.

٣ ـ النساء: ٦٤ ـ ٦٥.

يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّمواتسليماً﴾ علىٰ لسانك يا رسول الله يعني به عن ولاية علي ويسلّموا تسليماً لعلي[١].

أقول: حاصل معنى الحديث الشريف أنّ رسول الله ﷺ لما أخبر بولاية علي عليه السلام تعاقد الرجلان وغيرهما من أتباعهما لئن أمات الله محمداً ﷺ أن تردوا هذا الأمر من بني هاشم، فقال الشكاك والمنافقون والذين في قلوبهم مرض وزيغ: نبرأ إلى الله من مقالة ليس بحتم، ولا نرضىٰ أن يكون علي وزيره، هذه منه عصبية كما صرّح بذلك في الحديث المروي عن ابن عباس، فعلم الله تعالىٰ ذلك من قلوبهم، فأنزل عليه ﷺ: **﴿أُولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم﴾**،الآية أي علم الله تعالىٰ منهم التكذيب لأمر الولاية لعلي عليه السلام.

ثمّ إنه تعالىٰ بيّن أنه ما أرسل الرسول إلّا ليطيعه الناس بإذن الله، تعريضاً عليهم بأنهم لماذا لا يطيعون الرسول في هذا الأمر مع أنه الواجب عليهم، ثم إنهم قد ظلموا أنفسهم بردّ مقالة النبي ﷺ في أمر الولاية لعلي عليه السلام فقال تعالىٰ بياناً لأنهم ظلموا أنفسهم: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بردّ مقالة النبي ﷺ في علي عليه السلام، جاءوك يعني جاءوا إلى النبي ﷺ وإلىٰ علي عليه السلام.

أما إلى النبي ﷺ فظاهر وأما إلىٰ علي فلأنهم ردّوا حق علي عليه السلام الذي جعله الله تعالىٰ له من أمر الولاية فلابد من الاسترضاء منه عليه السلام ولذا أقسم أبو عبدالله عليه السلام فقال: يعني والله النبي ﷺ وعليّاً عليه السلام.

والحاصل: أنهم لو جاءوا إلىٰ علي عليه السلام وقد استغفروا الله تعالىٰ مما صنعوا من المقالة الملعونة واستغفر لهم الرسول، الآية «أي يغفر الله لهم» ولكنهم ما فعلوا ذلك بل أصرّوا علىٰ نفاقهم فأخبر الله تعالىٰ بقوله: «فلا وربك» الآية أي لا يكون إيمان حتىٰ يحكّموك فيما شجر بينهم من أمر الولاية لعلي عليه السلام كما يومئ إليه قوله عليه السلام: هو

---

١ ـ تفسير البرهان ج ١ ص ٣٨٩.

والله علي عليه السلام بعينه، يعني أن ما شجر بينهم هو علي عليه السلام في أمر ولايته فلابد لهم فيما شجر بينهم في أمر الولاية من الرجوع إلىٰ قضاوة رسول الله صلى الله عليه وآله بلسانه الصريح في أمر الولاية لعلي عليه السلام ويسلّموا تسليماً لعلي عليه السلام فحينئذ يكونون مؤمنين.

فعلم من هذا الحديث الشريف في بيان هذه الآيات المباركات أنّ الله تعالىٰ أقسم علىٰ أنه لا إيمان إلّا بقبول ولاية علي عليه السلام فيعلم منه أهمية أمر الولاية بما لا مزيد عليه كما لا يخفىٰ، وهناك أحاديث أُخر بهذا المضمون كما لا يخفىٰ على المتتبع لكتب الأحاديث.

ومنها: قوله تعالىٰ: **﴿إليه يصعد الكلمُ الطيبُ والعملُ الصالحُ يرفعه﴾**[1].

ففي كتاب الحجة من أُصول الكافي بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجل: **﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾** ولايتنا أهل البيت ـ وأهوىٰ بيده إلىٰ صدره ـ فمن لم يتولّنا لم يرفع الله له عملاً[2].

وفيه بإسناده عن عبدالرحمن بن كثير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالىٰ: هنالك الولاية لله الحق قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[3].

ومنها: قوله تعالىٰ: **﴿النبأ العظيم﴾**[4].

وفيه بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالىٰ: **﴿عمّ يتساءلون * عن النبإ العظيم﴾** قال: النبأ العظيم الولاية، وسألته عن قوله تعالىٰ: **﴿هنالك الولاية لله الحق﴾** قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[5].

ففي هذه الآيات ترىٰ أنه سبحانه أراد بالكلم الطيب والعمل الصالح الولاية فعبر عنها بذلك، وأن العمل المرفوع إليه تعالىٰ والمصعد إليه هو الولاية أو العمل

---

١ ـ فاطر: ١٠.
٢ ـ كتاب الحجة ص ٤٣٠.
٣ ـ كتاب الحجة ص ٤٢٢.
٤ ـ النبأ: ١.
٥ ـ كتاب الحجة ص ٤١٨.

المقرون بالولاية، ولذا قال عليه السلام: مَن لم يتولّنا لم يرفع الله له عملاً، وأهم منه تفسيره عليه السلام الولاية لله الحق بولاية علي أمير المؤمنين عليه السلام فيعلم أنّ ولايتهم ولاية الله الحق، فولايتهم مظهر لولايته تعالىٰ كما ستجيء الإشارة إليه، وكذلك تفسيره عليه السلام النبأ العظيم بالولاية لهم عليهم السلام فولايتهم هو النبأ العظيم الذي عنه يُسألون.

ولا يخفىٰ على المتتبع لأحاديث أهل البيت عليهم السلام أن كثيراً من الآيات القرآنية قد فسرت بالولاية، فراجع تفسير البرهان وتفسير نور الثقلين وغاية المرام، علىٰ مؤلفيهم رضوان الله الملك العلّام.

المقام الثاني: في ذكر الأحاديث الواردة في أهمية أمر الولاية.

وأنه لا يقبل الله عملاً إلّا بالولاية وهي أكثر من أن تحصىٰ، وكتب الأحاديث من العامة والخاصة مشحونة بذلك.

ولعمري إن كثرتها التي بلغت فوق التواتر تغنينا عن الكلام في سندها، فإنها ثابتة بالتواتر الإجمالي والمعنوي، وفي كثير منها بالتواتر اللفظي كما لا يخفىٰ على المتتبع الماهر، فراجع الكتب المذكورة آنفاً. فنقول وعلى الله التوكل:

ماروته الخاصة:

في البحار[1] نقلاً عن أمالي الصدوق، ابن ناتانة عن علي عن أبيه، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن الساباطي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ أول ما يُسأل عنه العبد إذا وقف بين يدي الله جلّ جلاله عن الصلٰوات المفروضات، وعن الزكاة المفروضة، وعن الصيام المفروض، وعن الحج المفروض، وعن ولايتنا أهل البيت عليهم السلام فإن أقرّ بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلٰوته وصومه وزكٰوته

---

١ ـ بحار الأنوار ج٢٧ ص١٦٧.

وحجّه، وإن لم يقر بولايتنا بين يدي الله جلّ جلاله لم يقبل الله عزّوجل منه شيئاً من أعماله.

وفيه[١] عنه أيضاً بإسناده عن محمد بن سنان، عن محمد بن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله، فقال: يا محمّد السلام يُقرئك السلام ويقول: خلقت السموات السبع وما فيهنّ، والأرضين السبع ومَن عليهنّ، وما خلقت موضعاً أعظم من الركن والمقام، ولو أن عبداً دعاني هناك منذ خلقت السموات والأرضين ثم لقيني جاحداً لولاية علي لأُكبنّه في سقر.

وفيه[٢] عنه بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: إنّ علياً عليه السلام كان يقول: لا خير في الدنيا إلّا لأحد رجلين، رجل يزداد كلّ يوم إحساناً، ورجل يتدارك سيّئته بالتوبة وأنىٰ له بالتوبة؟ والله لو سجد حتىٰ ينقطع عنقه ما قبل الله منه إلّا بولايتنا أهل البيت.

وفيه، عن تفسير القمي بإسناده عن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: من خالفكم وإن تعبّد واجتهد منسوب إلىٰ هذه الآية ﴿وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلىٰ ناراً حامية﴾[٣].

وفيه[٤] عن أمالي ابن الشيخ بإسناده عن أنس بن مالك، قال: رجعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله قلقين من تبوك، فقال لي في بعض الطريق: القوا لي الاحلاس والأقتاب، ففعلوا فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله فخطب فحمد الله وأثنىٰ عليه بما هو أهله ثم قال: معاشر الناس مالي إذا ذكر آل إبراهيم عليه السلام تهلّلت وجوهكم، وإذا ذكر آل محمد كأنّما يفقأ في وجوهكم حبّ الرّمان؟ فوالذي بعثني بالحقّ نبيّاً لو جاء أحدكم

---

١ ـ بحار الأنوار ج٢٧ ص١٦٧.
٢ ـ بحار الأنوار ج٢٧ ص١٦٧.
٣ ـ الغاشية: ٢ ـ ٤.
٤ ـ بحار الأنوار ج٢٧ ص١٧١.

يوم القيامة بأعمال كأمثال الجبال ولم يجئ بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام لأكبّه الله عزّوجل في النار.

أقول: الفقاء: الشق، وهو كناية عن شدة إحمرار الوجه للغضب.

وفيه[1] عن أمالي الشيخ بإسناده عن معاذ بن كثير، قال: نظرت إلى الموقف، والناس فيه كثير، فدنوت إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام فقلت: إن أهل الموقف كثير قال: فضرب ببصره فأداره فيهم ثم قال: أُدن منّي يا أبا عبدالله، فدنوت منه فقال: غثاء يأتي به الموج من كلّ مكان، والله ما الحج إلّا لكم، لا والله ما يتقبّل الله إلّا منكم.

وفيه[2] عن معاني الأخبار بإسناده عن فضيل بن عثمان قال: سئل أبو عبدالله عليه السلام فقيل له: إنّ هؤلاء الأجانب يروون عن أبيك يقولون: إن أباك عليه السلام قال: إذا عرفت فأعمل ما شئت، فهم يستحلّون من بعد ذلك كلّ محرّم، قال: ما لهم لعنهم الله؟ إنما قال أبي عليه السلام: إذا عرفت الحق فاعمل ما شئت من خير يقبل منك.

وفيه[3] عن احتجاج الطبرسي عن أمير المؤمنين عليه السلام في جواب الزنديق المدعي للتناقض في القرآن، قال عليه السلام: وأما قوله: ﴿**فَمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه**﴾[4] وقوله: ﴿**وإنّي لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدىٰ**﴾[5] فإنّ ذلك كلّه لا يغني إلّا مع اهتداء، وليس كلّ من وقع عليه اسم الإيمان كان حقيقاً بالنجاة مما هلك به الغواة، ولو كان ذلك كذلك لنجت اليهود مع اعترافها بالتوحيد وإقرارها بالله، ونجا سائر المقرّين بالوحدانية من إبليس فمن دونه في الكفر وقد بيّن الله ذلك بقوله: ﴿**الذين آمنوا ولم يَلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم**

---

١ ـ بحار الأنوار ج٢٧ ص١٧٢.

٢ ـ بحار الأنوار ج٢٧ ص١٧٤.

٣ ـ المصدر نفسه.

٤ ـ الأنبياء: ٩٤.

٥ ـ طه: ٨٢.

الأمن وهم مهتدون﴾[1] وبقوله: **﴿الذين قالوا آمنّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾**[2] وللايمان حالات ومنازل يطول شرحها.

ومن ذلك أنّ الايمان قد يكون علىٰ وجهين: إيمان بالقلب، وإيمان باللسان، كما كان إيمان المنافقين علىٰ عهد رسول الله ﷺ لمّا قهرهم السيف وشملهم الخوف فإنهم آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم.

فالإيمان بالقلب هو التسليم للربّ، ومَن سلّم الأمور لمالكها لم يستكبر عن أمره كما استكبر إبليس عن السجود لآدم، واستكبر أكثر الأمم عن طاعة أنبيائهم، فلم ينفعهم التوحيد كما لم ينفع إبليس ذلك السجود الطويل، فإنه سجد سجدة واحدة أربعة آلاف عام لم يرد بها غير زخرف الدنيا، والتمكين من النظرة، فلذلك لا تنفع الصلاة والصدقة إلّا مع الاهتداء إلىٰ سبيل النجاة وطريق الحقّ.

وفيه[3] عن ثواب الأعمال بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام: عبدالله حبر من أحبار بني إسرائيل حتىٰ صار مثل الخلا، فأوحى الله عزّوجل إلىٰ نبي زمانه قل له: وعزّتي وجلالي وجبروتي لو أنك عبدتني حتىٰ تذوب كما تذوب الألية في القدر، ما قبلتُ منك حتىٰ تأتيني من الباب الذي أمرتك.

أقول: حاصل هذين الخبرين الأخيرين أن الإقرار بالتوحيد، وعبادة الله تعالىٰ ما لم يكن عن هداية إلٰهيّة، ومن الباب المأمور به لا تغني شيئاً، والهداية عبارة عن التسليم له تعالىٰ، وهو يلازم المشي في طريق الحقّ، الذي بيّنه الله تعالىٰ لعباده في كلّ زمان بلسان نبيّه وأوصياء نبيّه، فهذا المشي في هذا الطريق المبين بلسان المعصوم، هو الإيمان القلبي.

وأما السابق أي الإيمان غير القلبي، أي صرف الإقرار بالتوحيد، وإتيان

---

١ ـ الأنعام: ٨٢.

٢ ـ المائدة: ٤١.

٣ ـ بحار الأنوار ج٢٧ ص١٧٦.

العبادات الصورية بدون هداية إلٰهية والمشي المذكور، فهو إيمان لساني لا يكون عن تسليم القلب، فهو في الحقيقة ليس بإيمان له تعالىٰ بل متابعة للنفس والهوىٰ كما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في عبادة الشيطان: «وسجدته لزخرف الدنيا».

□ وفيه[1] عن ثواب الأعمال بإسناده عن ميسر بيّاع الزّطيّ، قال: دخلتُ علىٰ أبي عبدالله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك إنّ لي جاراً لست أنتبه إلّا بصوته إما تالياً كتابه يكرّره ويبكي ويتضرع، وإمّا داعياً، فسألتُ عنه في السرّ والعلانية فقيل لي: إنّه مجتنب لجميع المحارم، قال: فقال: يا ميسر يعرف شيئاً مما أنت عليه؟ قال: قلت: الله أعلم، قال: فحججت من قابل فسألت عن الرجل فوجدته لا يعرف شيئاً من هذا الأمر، فدخلت علىٰ أبي عبدالله عليه السلام فأخبرته بخبر الرجل، فقال لي مثل ما قال في العام الماضي: يعرف شيئاً مما أنت عليه؟ قلت: لا.

قال: يا ميسر أيّ البقاع أعظم حرمة؟ قلت: الله ورسوله وابن رسوله أعلم قال: يا ميسر ما بين الركن والمقام روضة من رياض الجنة، وما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، ولو إنّ عبداً عمّره الله فيما بين الركن والمقام، وفيما بين القبر والمنبر يعبده ألف عام ثم ذبح علىٰ فراشه مظلوماً كما يذبح الكبش الأملح، ثم لقي الله عزّوجلّ بغير ولايتنا، لكان حقيقاً على الله عزّوجل أن يكبه علىٰ منخريه في نار جهنم.

وفيه[2] عن البصائر بإسناده عن ابن كثير، قال: حججت مع أبي عبدالله عليه السلام إلىٰ أن قال عليه السلام: ويحك ياأبا سليمان إنّ الله لا يغفر أن يشرك به الجاحد لولاية علي كعابد وثن.

وفيه[3] عن غيبة النعماني بإسناده عن حبيب السجستاني، عن أبي جعفر عليه السلام

---

١ ـ بحار الأنوار ج٢٧ ص١٨٠.
٢ ـ بحار الأنوار ج٢٧ ص١٨١.
٣ ـ بحار الأنوار ج٢٧ ص١٩٣.

قال: قال الله عزوجل: لأعذّبن كلّ رعيّة في الإسلام دانت بولاية كلّ إمام جائر ليس من الله، وإن كانت الرعية في أعمالها برّة تقيّة، ولأغفرنّ عن كلّ رعية في الاسلام دانت بولاية كلّ إمام عادل من الله، وإن كانت الرعية في أعمالها ظالمة مسيئة.

وفيه[1] عن إيضاح دفائن النواصب، روىٰ ابن شاذان، قال: قال رسول الله ﷺ ليلة أُسري بي إلى الجليل جلّ جلاله أوحىٰ إليّ: آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربّه، قلت: والمؤمنون، قال: صدقت يا محمد، مَن خلّفت في أُمتك؟ قلت: خيرها قال: علي بن أبي طالب؟ قلت: نعم يا ربّ، قال: يا محمد إني اطلعت إلى الأرض اطّلاعة فاخترتك منها، فشققت لك اسماً من أسمائي فلا أذكر في موضع إلّا ذكرت معي فأنا المحمود وأنت محمد. ثم اطلعت الثانية فيها فاخترت منها علياً، فشققت له اسماً من أسمائي فأنا الأعلىٰ وهو علي، يا محمد: إنّي خلقتك وخلقت عليّاً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من سنخ نور من نوري، وعرضت ولايتكم علىٰ أهل السموات وأهل الأرضين فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومَن جحدها كان عندي من الكافرين، يا محمد لو أنّ عبداً من عبيدي عبدني حتىٰ ينقطع ويصير كالشّنّ البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتىٰ يقرّ بولايتكم، يا محمد تحب أن تراهم؟ قلت: نعم يا رب، فقال لي: إلتفت عن يمين العرش، فالتفت فإذا أنا بعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسىٰ بن جعفر وعلي بن موسىٰ ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والمهدي، في ضحضاح من نور قيام يصلّون، وفي وسطهم المهدي يضيء كأنه كوكب درّي، فقال: يا محمد هؤلاء الحجج والقائم من عترتك، وعزتي وجلالي له الحجة الواجبة لأوليائي، وهو المنتقم من أعدائي، بهم يمسك، الله السمٰوات أن تقع على الأرض إلّا بإذنه.

---

١ ـ بحار الأنوار ج٢٧ ص٢٠٠.

وفيه(١) عن أمالي الشيخ بإسناده عن زريق، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: أيّ الأعمال أفضل بعد المعرفة؟ قال: ما من شيء بعد المعرفة يعدل هذه الصلٰوة، ولا بعد المعرفة والصلٰوة شيء يعدل الزكٰوة، ولا بعد ذلك شيء يعدل الصوم، ولا بعد ذلك شيء يعدل الحج، وفاتحة ذلك كلّه معرفتنا وخاتمته معرفتنا، الخبر.

هذا ما روته الخاصّة في هذا الأمر، وهنا أحاديث أُخر في هذا الموضوع عن طرق العامة نذكر بعضها عن كتاب غاية المرام للسيد البحراني رحمه الله.

ماروته العامة:

ففيه، أبو المؤيد موفق بن أحمد من أعيان علماء العامة في كتاب الفضائل معنعناً، عن سلامة راعي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ليلة أُسري بي إلىٰ آخر ما تقدم عن ابن شاذان بألفاظه، إلّا أنّ في هذا الحديث بعد قوله يا محمد هؤلاء الحجج: وهو الثائر من عترتك، وعزتي إنّه الحجة الواجبة لأوليائي، والمنتقم من أعدائي.

وفيه(٢) عن موفق بن أحمد بأخباره، عن زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال لعلي: «يا علي لو أنّ عبداً عبد الله عزّوجل مثل ما قام نوح في قومه، وكان له مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله، ومدّ في عمره حتىٰ حجّ ألف عام علىٰ قدمه، ثم قتل بين الصفا والمروة مظلوماً، ثم لم يوالك يا علي لم يشمّ رائحة الجنة ولم يدخلها».

وفيه(٣) أحمد بن مردويه الحافظ الثقة عند العامّة روىٰ مسنداً عن صالح بن ميثم، عن أبيه، قال: سمعت ابن عباس يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مَن لقي الله

---

١ ـ بحار الأنوار ج٢٧ ص٢٠١.
٢ ـ غاية المرام ص٢٥٠.
٣ ـ غاية المرام ص٢٥١ رقم٦.

تعالى وهو جاحد ولاية علي بن أبي طالب لقي الله وهو عليه غضبان، ولا يقبل الله شيئاً من أعماله، فيُوكل به سبعون ملكاً يتفلون في وجهه، ويحشره الله تعالىٰ أسود الوجه زرق العين، قلنا: يا أبا العباس: أينفع حبّ علي في الآخرة؟ قال: قد تنازع أصحاب رسول الله في حبّه حتىٰ سألنا رسول الله ﷺ فقال: دعوني حتىٰ أسأل الوحي.

فلما هبط جبرئيل سأله، فقال: نسأل ربّي عزّوجل هذا، فرجع إلى السماء ثم هبط إلى الأرض، فقال: يا محمد إنّ الله تعالىٰ يقرأ عليك السلام ويقول: أحبّ عليّاً، فمن أحبّه فقد أحبّني ومَن أبغضه فقد أبغضني، يا محمد حيث تكن يكن، وحيث يكون محبّوه وإن اجترحوا.

وفيه[١] أبو المظفر السمعاني من أعيان علماء العامة في كتاب مناقب الصحابة بإسناده عن جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: كان رسول الله ﷺ بعرفات، وأنا وعلي عليه السلام عنده، فأومى النبي ﷺ إلىٰ علي عليه السلام فقال: يا علي ضع خمسك في خمسي يعني كفّك في كفي، يا علي خلقت أنا وأنت من شجرة أنا أصلها وأنت فرعها والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها دخل الجنة، يا علي لو أنّ أُمتي صاموا حتىٰ يكونوا كالحنايا، وصلّوا حتىٰ يكونوا كالأوتار، ثمّ أبغضوك لأكبّهم الله علىٰ وجوههم.

وفي حديث آخر بسند آخر مثله إلّا بتفاوت يسير وفيه: لأكبّهم الله تعالىٰ في النار، وقد روىٰ هذا الحديث غيره من علمائهم المشهورين أيضاً، فراجع الكتاب المذكور.

وفيه[٢] أبو المؤيد موفق بن أحمد بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «حبّ علي بن أبي طالب حسنة لا تضرّ معها سيّئة، وبغضه سيئة لا تنفع

---

١ ـ غاية المرام ص ٢٥١ التاسع.

٢ ـ غاية المرام ص ٢٥١.

معها حسنة».

وفيه[١] موفق بن أحمد هذا بإسناده عن عبدالله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن زعم أنّه آمن بي وبما جئت به وهو يبغض عليّاً، فهو كاذب ليس بمؤمن».

أقول: ولنعم ما قاله السيد البحراني (رضوان الله تعالىٰ عليه) قال: يكفي في بغض علي وبنيه عليهم السلام تقديم غيرهم عليهم، وموالاة غيرهم، كما جاءت به الروايات.

وفيه[٢] من طريق العامة ما ذكره ابن شاذان أبو الحسن الفقيه في المناقب المائة في فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام وفضائل الأئمة عليهم السلام من طرق العامة بحذف الإسناد عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: حدّثني جبرئيل عن ربّ العزّة جلّ جلاله أنّه قال: مَن علم أن لا إله إلّا أنا وحدي، وأنّ محمداً عبدي ورسولي، وأنّ علي بن أبي طالب خليفتي، وأنّ الأئمة من ولده حججي أدخلته الجنة برحمتي، ونجّيته من النار بعفوي، وأبحت له جواري، واوجبت له كرامتي، وأتممت عليه نعمتي، وجعلته من خاصّتي وخالصتي، إن ناداني لبّيته، وإن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته، وإن سكت ابتدأته، وإن أساء رحمته، وإن فرّ مني دعوته، وإن رجع إليّ قبلته، وإن قرع بابي فتحته. ومَن لم يشهد أن لا إله إلّا أنا وحدي أو شهد بذلك، ولم يشهد أنّ محمداً عبدي ورسولي أو شهد بذلك، ولم يشهد أنّ علي بن أبي طالب خليفتي أو شهد بذلك، ولم يشهد أنّ الأئمة من ولده حججي، فقد جحد نعمتي، وصغّر عظمتي، وكفر بآياتي وكتبي ورسلي. إن قصدني حجبته، وإن سألني حرمته، وإن ناداني لم أسمع نداءه، وإن دعاني لم أستجب دعاءَه، وإن رجاني خيّبت رجاءه مني، وما أنا بظلّام للعبيد. فقام جابر بن عبدالله

---

١ ـ غاية المرام ص ٢٥١.

٢ ـ المصدر نفسه.

الأنصاري، فقال: يا رسول الله ومَن الأئمة من ولد علي بن أبي طالب؟ قال: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، ثم سيّد زين العابدين في زمانه علي بن الحسين، ثم الباقر محمد بن علي ستدركه يا جابر، فإذا أدركته فأقرئه منّي السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمد، ثم الكاظم موسىٰ بن جعفر، ثمّ الرضا علي بن موسىٰ، ثم التقي محمد بن علي، ثم النقي علي بن محمد، ثمّ الزكي الحسن بن علي، ثم ابنه القائم بالحقّ مهدي أُمتي، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

هؤلاء يا جابر خلفائي وأوصيائي وأولادي وعترتي من أطاعهم فقد أطاعني، ومَن عصاهم فقد عصاني، ومن أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني وبهم يمسك الله السماء أن تقع على الأرض وبهم يحفظ الله الأرض أن تميد بأهلها.

وفيه[1] إبراهيم بن محمد الحمويني بإسناده عن علقمة عن عبدالله قال: خرج رسول الله ﷺ من بيت زينب بنت جحش، وأتىٰ بيت أُم سلمة، وكان يومها من رسول الله ﷺ فلم يلبث أن جاء علي عليه السلام فدقّ الباب دقّاً خفيّاً فأثبت النبي ﷺ الدقّ، وأنكرته أمّ سلمة، وقال لها رسول الله ﷺ: قومي فأفتحي له، قالت: يا رسول الله مَن هذا الذي أفتح له الباب أتلقّاه بمعاصمي، وقد نزلت فيّ آية من كتاب الله بالأمس؟ قال لها كهيئة المغضب: «إنّ طاعة الرسول كطاعة الله، ومن عصىٰ رسول الله فقد عصى الله، إنّ بالباب رجلاً ليس بنزق ولا غلق يحبّ الله ورسوله، ويحبّه اللهُ ورسولُه، لم يكن ليدخل حتىٰ ينقطع الوطي[2] قالت: فقمت وأنا أختال في مشيتي وأنا أقول: بخ بخ مَن ذا الذي يحبّ اللهَ ورسولَه، ويحبّه اللهُ ورسولهُ، ففتحت الباب، فأخذ بعضادتي الباب، حتىٰ إذا لم يسمع حسيساً ولا حركة وصرت في خدري، إستأذنه فدخل. قال رسول الله ﷺ: يا أُمّ سلمة أتعرفينه؟ قلت: نعم

---

١ ـ غاية المرام ص٢٥٣.

٢ ـ أي الوطي على الأرض فهو كناية عن المشي، أي لا يدخل حتىٰ تصيرين في خدرك، كما قالته أُم سلمة.

يا رسول الله هذا علي بن أبي طالب، قال: صدقت، سيّداً أحبّه، لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو عيبة علمي، اسمعي واشهدي، وهو قاصم عداتي[1] فاسمعي واشهدي وهو والله محيي سنّتي، فاسمعي واشهدي لو أنّ عبداً عبد الله ألف عام وألف عام وألف عام بين الركن والمقام، ولقي الله عزوجل مبغضاً لعلي بن أبي طالب وعترتي أكبّه الله علىٰ منخريه يوم القيمة في جهنّم».

أقول: النظر الدقيق في هذه الأحاديث المروية من العامة والخاصة في الكتب المعتبر عندنا وعندهم، يبيّن لنا أهميّة أمر الولاية، وأنها الركن الوثيق في الإيمان وقبول الأعمال، وأنّ منكرها وإن جدّ واجتهد في العبادة في أشرف البقاع مدة طويلة حتىٰ يصير كالشنّ البالي لما نفعه إيمانه ولا عبادته بل حقّ على الله تعالىٰ أن يكبّه في النار، فيعلم منها أهميّة أمر الولاية من حيث النداء الإلهي والتأكيد بلزومها، وهنا أحاديث أُخر تلازم هذا المعنىٰ، وتصرّح به مع الزيادة نذكر بعضاً تأكيداً للمرام.

ففي كتاب معالم الزلفىٰ للسيد هاشم البحراني (رضوان الله تعالىٰ عليه): ابن يعقوب بإسناده، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الإسلام علىٰ خمس: الصلوة والصوم والزكٰوة والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية.

أقول: قوله: ولم يناد بشيء ... الخ، صريح في تأكيد أمر الولاية في اللزوم، وأنه بنحو البتّ، وبحيث لا رخصة في تركها علىٰ أيّ حال كما سيجيء أنه قد يرخّص في ترك الأربعة السابقة لعذر، فإنّ الصلاة تتركها الحائض، والصوم يتركه المريض، والزكاة والحجّ ساقطان عن الفقير، كما في الحديث: ففي الخصال ص ٢٥١، قال أبو جعفر عليه السلام: بني الإسلام علىٰ خمس: الصلٰوة وإيتاء الزكٰوة وحج البيت وصوم شهر رمضان والولاية لنا أهل البيت، فجعل في أربع منها رخصة، ولم يجعل في الولاية لنا أهل البيت رخصة، من لم يكن له مال لم تكن عليه الزكٰوة، ومَن لم يكن عنده مال

---

١ ـ قاصم عداتي أي منجزها.

فليس عليه الحجّ، ومَن كان مريضاً صلّىٰ قاعداً وأفطر شهر رمضان، والولاية صحيحاً كان أو مريضاً أو ذا مال أو لا مال فهي لازمة. وهذا بخلافها فإنّه لا رخصة في تركها أبداً.

وفيه[١] عنه بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الإسلام علىٰ خمسة أشياء، على الصلٰوة والزكٰوة والحج والصوم والولاية، قال زرارة: وأيّ شيء من ذلك أفضل؟ قال: الولاية أفضل؛ لأنها مفتاحهنّ، والوالي هو الدليل عليهنّ، إلىٰ أن قال عليه السلام: إنّ أفضل الأشياء ما أنت عليه، إذا فاتك لم يكن منه توبة دون أن ترجع إليه فتؤدّيه بعينه، إلىٰ أن قال: ثم قال عليه السلام: ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه، وباب الأشياء ورضى الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته، إنّ الله تعالىٰ يقول: **﴿مَن يطعِ الرسولَ فقد أطاع اللهَ ومَن تولىٰ فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾**.

أما لو أنّ رجلاً قام ليله، وصام نهاره، وتصدّق بجميع ماله، وحج جميع دهره، ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله حقّ في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان، ثم قال: أُولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته.

وفيه[٢] ابن يعقوب بإسناده عن أبي حمزة قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنّما يعبد الله مَن يعرف الله، فأمّا مَن لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالاً، قلت: جعلت فداك فما معرفة الله؟ قال: تصديق الله عزوجل، وتصديق رسوله، وموالاة علي، والإيتام به وبأئمة الهدىٰ، والبراءة إلى الله من عدوهم، وهكذا يعرف الله عزوجل.

وفيه[٣] وعنه بإسناده عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: إنّ علياً عليه السلام باب من أبواب الجنّة، فمن دخل بابه كان مؤمناً، ومن خرج عن بابه كان كافراً، ومن لم يدخل فيه

---

١ ـ معالم الزلفىٰ ص٢٢.

٢ ـ المصدر نفسه.

٣ ـ المصدر نفسه.

ولم يخرج منه كان في الطبقة التي لله فيهم المشية.

وفيه[١] ابن بابويه بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ المخالف علىٰ علي بن أبي طالب بعدي كافر، والمشرك به مشرك والمحب له مؤمن، والمبغض له منافق، والمقتفي لأمره لاحق، والمحارب له مارق، والراد عليه زاهق، علي نور الله في بلاده، وحجته علىٰ عباده، علي سيف الله علىٰ أعدائه، ووارث علم أنبيائه، علي كلمة الله العليا، وكلمة أعدائه السفلىٰ، علي سيد الأوصياء، ووصيّ سيد الأنبياء، علي أمير المؤمنين، وقائد الغرّ المحجّلين، وإمام المسلمين، لا يقبل الله الإيمان إلّا بولايته وطاعته والبراءة من أعدائه.

وفيه[٢] عنه بإسناده عن عمر بن غزوان عن ابن مسلم، قال: خرجت مع الحسن البصري وأنس بن مالك حتّىٰ أتينا باب أُم سلمة (رض) فقعد أنس على الباب، ودخلت مع الحسن البصري، وسمعت الحسن وهو يقول: السلام عليكِ يا أُمّاه ورحمة الله وبركاته، فقالت له: وعليك السلام مَن أنت يا بني؟ فقال الحسن البصري، فقالت: فيم جئت يا حسن؟ فقال لها: جئت لتحدّثيني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ في علي بن أبي طالب، فقالت أُمّ سلمة: والله لأحدّثنك بحديث سمعته أُذناي من رسول الله ﷺ وإلّا فصّمتا، ورأته عيناي وإلّا فعميتا، ووعاه قلبي وإلّا فطبع الله عليه وأخرس لساني إن لم أكن سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب:

يا علي ما من عبد لقي الله يوم يلقاه جاحداً لولايتك إلّا لقي الله بعبادة صنم أو وثن، فقال: سمعت الحسن وهو يقول: الله أكبر، أشهد أنّ عليّاً مولاي ومولى المؤمنين. فلما خرج قال له أنس بن مالك: مالي أراك تكبّر؟ قال: سألت أُمّنا أُمّ سلمة أن تحدّثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ في علي، فقالت لي: كذا وكذا،

---

١ ـ معالم الزلفىٰ ص ٢٤.

٢ ـ معالم الزلفىٰ ص ٢٥.

فقلت: الله أكبر أشهد أنّ علياً مولاي ومولىٰ كلّ مؤمن، قال: فسمعت عند ذلك أنس بن مالك وهو يقول: أشهد علىٰ رسول الله ﷺ أنه قال هذه المقالات ثلاث مرات أو أربع مرات.

وفيه[١] وعنه بإسناده عن محمد بن الفضيل قال: سألته عن أفضل ما يتقرّب به العباد إلى الله عزوجل؟ قال: أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله عزوجل طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة أُولي الأمر، قال أبو جعفر عليه السلام حبّنا إيمان وبغضنا كفر.

وفيه[٢] ابن بابويه بإسناده عن المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الصراط المستقيم فقال: هو الطريق إلىٰ معرفة الله عزوجل، وهما صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأمّا الصراط الّذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة، مَن عرفه في الدنيا واقتدىٰ بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة. ومن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة، فتردّىٰ في نار جهنم.

وفيه[٣] وعنه بإسناده عن ثابت الثمالي، عن سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام قال: ليس بين الله وبين حجته حجاب، ولا لله دونه ستر، نحن أبواب الله، ونحن الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمة وحيه، ونحن أركان توحيده، ونحن موضع سرّه.

وفيه[٤] عنه بإسناده عن عبيدالله الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الصراط المستقيم أمير المؤمنين.

وفيه[٥] علي بن إبراهيم بإسناده عن حمّاد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: في قوله:

---

١ ـ معالم الزلفىٰ ص٢٦.

٢ ـ المصدر نفسه.

٣ ـ المصدر نفسه.

٤ ـ المصدر نفسه.

٥ ـ المصدر نفسه.

الصراط المستقيم، قال: هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته، والدليل علىٰ أنه أمير المؤمنين قوله: ﴿وإنّه في أُمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم﴾ وهو أمير المؤمنين في أُمّ الكتاب في قوله: ﴿الصراط المستقيم﴾.

وفيه[١] ابن يعقوب بإسناده عن مقرن قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ الله تعالىٰ لو شاء لعرّف العباد نفسه، ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله، والوجه الذي يؤتىٰ منه، فمَن عدل عن ولايتنا، أو فضّل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون، فلا سواء من اعتصم الناس به، ولا سواء حيث ذهب الناس إلىٰ عيون كدرة يفرغ بعضها من بعض، وذهب من ذهب إلينا إلىٰ عيون صافية تجري بأمر ربّها لا نفاد لها ولا انقطاع.

وفيه[٢] وعنه بإسناده عن بريد العجلي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتبعوا السبُلَ فتفرّق بكم عن سبيله﴾ قال: تدري ما يعني بصراطي مستقيماً؟ قلت: لا، قال: ولاية علي عليه السلام والأوصياء عليهم السلام قال: وتدري ما يعني ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله؟ قلت: لا، قال: ولاية فلان، قال: أو تدري ما يعني فتفرق بكم عن سبيله؟ قال: يعني سبيل علي عليه السلام.

وفيه[٣] عنه بإسناده عن الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله إلىٰ نبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿فاستمسك بالذي أُوحي إليك إنك علىٰ صراط مستقيم﴾ إنّك علىٰ ولاية علي وعلي هو الصراط المستقيم.

وفيه[٤] علي بن إبراهيم بإسناده عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿وإنك لتهدي إلىٰ صراط مستقيم﴾ إنّك لتأمر بولاية علي أمير

---

١ ـ معالم الزلفىٰ ص٢٦.
٢ ـ المصدر نفسه.
٣ ـ المصدر نفسه.
٤ ـ المصدر نفسه.

المؤمنين، وتدعو إليها، وعلي هو الصراط المستقيم، صراط الله يعني علياً، له ما في السمٰوات وما في الأرض يعني علياً، إنه جعله خازنه علىٰ ما في السمٰوات وما في الأرض وأئمنه عليه ألّا إلى الله تصير الأُمور.

وفيه[1] محمد بن يعقوب بإسناده، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: قلت: ﴿أفَمَن يمشي مُكبّاً علىٰ وجهه أهدىٰ أمَّن يمشي سويّاً علىٰ صراط مستقيم﴾ قال: إنّ الله ضرب مثلاً: مَن حاد عن ولاية علي كمن يمشي علىٰ وجهه لا يهتدي لأمره، وجعل مَن تبعه سويّاً علىٰ صراط مستقيم، والصراط المستقيم أمير المؤمنين.

وفيه[2] علي بن إبراهيم بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ قال: الطريق ومعرفة الإمام.

وفيه[3] عنه بإسناده عن محمد بن الحسين، عن أبيه، عن جده قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالساً ومعه أصحابه في المسجد، فقال: يطلع عليكم من هذا الباب رجل من أهل الجنة يسأل عمّا يعنيه، فطلع رجل طوال شبيه برجال مصر، فتقدم فسلّم علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس فقال: يا رسول الله، إني سمعت الله تعالىٰ يقول فيما أنزل: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾ فما هذا الحبل الذي أمرنا الله بالاعتصام به ولا نتفرق عنه؟

فأطرق رسول الله صلى الله عليه وآله ملياً، ثم رفع رأسه فأشار بيده إلىٰ علي وقال: هذا حبل الله الذي مَن تمسّك به عصم به في دنياه، ولم يضلّ في آخرته. فوثب الرجل إلىٰ علي عليه السلام فاحتضنه من وراء ظهره وهو يقول: اعتصمتُ بحبل الله وحبل رسوله، ثم قام فولّىٰ فخرج، فقام رجل من الناس فقال: يا رسول الله، إلحقه فاسأله أن يستغفر

---

١ ـ معالم الزلفىٰ ص٢٧.

٢ ـ المصدر نفسه.

٣ ـ المصدر نفسه.

الله لي؟ فقال رسول الله ﷺ: إذا تجده موفقاً، قال: فلحق الرجل فسأله أن يستغفر له، فقال له: أفهمت ما قال لي رسول الله ﷺ وما قلت له؟ قال: نعم، قال: فإن كنت متمسكاً بذلك الحبل فغفر الله لك، وإلّا فلا غفر الله لك.

وفيه[١] ابن بابويه بإسناده عن حذيفة بن أسيد قال: قال رسول الله ﷺ: يـا حذيفة إنّ حجة الله عليك بعدي علي بن أبي طالب، الكفر به كفر بالله، والشرك به شرك بالله، والشكّ فيه شكّ في الله، والإلحاد فيه إلحاد في الله، والإنكار له إنكار لله، والإيمان به إيمان بالله؛ لأنّه أخو رسول الله ووصيّه وإمام أُمته ومولاهم، وهو حبل الله المتين، وعروته الوثقىٰ التي لا انفصام لها، وسيهلك فيه اثنان ولا ذنب له: محبّ غال ومقصر قال. يا حذيفة لا تفارقنّ علياً فتفارقني، ولا تخالفنّ علياً فتخالفني، إنّ علياً منّي وأنا منه، مَن أسخطه فقد أسخطني ومَن أرضاه فقد أرضاني.

□ وفي معالم الزلفىٰ[٢] الشيخ في مجالسه بإسناده عن محمد بن زياد بن أبي عمير قال: حدّثني علي بن رئاب، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام، عن آبائه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: يا عـلي إنـه لمّـا أُسري بي إلى السماء، تلقتني الملائكة بالبشارة في كلّ سماء، حتىٰ لقيني جبرئيل عليه السلام في محلق من الملائكة، فقال: يا محمد لو اجتمعت أُمتك علىٰ حبّ علي ما خلق الله عزوجل النار، يا علي إنّ الله تعالىٰ أشهدك معي في سبعة مواطن حتىٰ آنست بك.

أما أول ذلك: فليلة أُسري بي إلى السماء، قال لي جبرئيل عليه السلام: أين أخوك يـا محمد؟ فقلت: خلفته ورائي، فـقال: أُدع الله عـزوجل فـليأتك بـه، فـدعوتُ الله عزوجل، فإذا مثالك معي وإذ الملائكة وقوف صـفوفاً فـقلت: يـا جـبرئيل مـن هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يباهي الله عزوجل بهم يوم القيمة، فدنوت ونطقت بما كان وبما يكون إلىٰ يوم القيٰمة.

---

١ ـ معالم الزلفىٰ ص٢٧.

٢ ـ باب ٩٤ ص٣٢٣.

والثانية: حين أُسري بي إلىٰ ذي العرش عزوجل، قال جبرئيل عليه السلام: أين أخوك يا محمد؟ فقلت: خلفته ورائي، فقال: أُدع الله عزوجل، فإذا مثالك معي، وكشط لي عن سبع سمٰوات حتىٰ رأيت سكّانها وعمّارها، وموضع كل ملك منها.

والثالثة: حيث بعثت إلى الجن، فقال جبرئيل عليه السلام: أين أخوك؟ فقلت: خلفته ورائي، فقال: أُدع الله عزوجل فليأتك به، فدعوتُ الله عزوجل فإذا أنت معي، فما قلت لهم شيئاً ولا ردّوا عليّ شيئاً إلّا سمعته ووعيته.

والرابعة: خصصنا بليلة القدر وأنت معي فيها وليست لأحد غيرنا.

والخامسة: ناجيت الله عزوجل ومثالك معي، فسألت فيك خصالاً أجابني إليها إلّا النبوة، قال: خصصتها بك وختمتها بك.

والسادسة: لمّا طفت بالبيت المعمور كان مثالك معي.

والسابعة: هلاك الأحزاب على يدي وأنت معي.

يا علي إنّ الله أشرف إلى الدنيا فاختارني علىٰ رجال العالمين، ثمّ اطلع الثانية فاختارك علىٰ رجال العالمين، ثم اطلع الثالثة فأختار فاطمة علىٰ نساء العالمين، ثم اطلع الرابعة فاختار الحسن والحسين والأئمة من ولدها علىٰ رجال العالمين.

يا علي إني رأيت اسمك مقروناً باسمي في أربعة مواطن، فآنست بالنظر إليه. إني لما بلغت بيت المقدس في معارجي إلى السماء، وجدت علىٰ صخرتها: لا إله إلّا الله ومحمد رسول الله أيّدته بوزيره ونصرته به، فقلت: يا جبرئيل ومن وزيري؟ فقال: علي بن أبي طالب، فلمّا انتهيت إلىٰ سدرة المنتهىٰ وجدت مكتوباً عليها: لا إله إلّا الله أنا وحدي ومحمد صفوتي من خلقي، أيّدته بوزيره ونصرته به، فقلت: يا جبرئيل ومن وزيري؟ فقال: علي بن أبي طالب، فلما جاوزت السدرة، وانتهيت إلىٰ عرش ربّ العالمين، وجدت مكتوباً علىٰ قائمة من قوائم العرش: لا إله إلّا الله أنا وحدي محمد صلى الله عليه وآله حبيبي وصفوتي من خلقي، أيّدته بوزيره وأخيه ونصرته به.

يا علي إنّ الله عزوجل أعطاني فيك سبع خصال: أنت أول من ينشق القبر عنه

معي، وأنت أول من يقف معي على الصراط فتقول للنار: خذي هذا فهو لك، وذري هذا فليس هو لك، وأنت أول من يكسىٰ ويحبىٰ إذا كسيت وأحبيت، وأول من يقف معي عن يمين العرش، وأول من يقرع باب الجنة، وأول من يسكن معي عليين، وأول من يشرب معي من الرحيق المختوم، الذي ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

وفيه[١] أمالي الشيخ بإسناده عن أحمد بن المعافي قال: حدثنا علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه موسىٰ، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين، عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل عليهم السلام عن القلم عن اللوح عن الله تعالىٰ: «علي حصني مَن دخله أمن من ناري».

وفيه[٢] أخطب خطباء خوارزم وهو من رجال العامّة بإسناده يرفعه إلىٰ عبدالله بن العباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما مثلك في الناس إلّا كمثل قل هو الله أحد في القرآن، مَن قرأها مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن، ومَن قرأها مرّتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن، ومَن قرأها ثلاث مرات كمن قد قرأ القرآن كلّه. وكذا أنت يا علي مَن أحبّك بقلبه ولسانه فقد أحب الإيمان كلّه، والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً، لو أحبّك أهل الأرض كما يحبّك أهل السماء، لما عذّب الله أحداً منهم بالنار.

أقول: ومثله الحديث عن طرق الخاصة كما في خصال الصدوق رحمه الله.

وفي غاية المرام أحاديث دلّت علىٰ أنّ ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام هي التي بعث الله جلّ جلاله عليها النبيين عليهم السلام في قوله تعالىٰ: ﴿واسئَل مَن أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾ فمنها ما عن العامة، ومنها ما عن الخاصة فنذكر منها بعضاً يعاضد ما نحن بصدد بيانه.

---

١ ـ معالم الزلفىٰ ص ٣٢٤.

٢ ـ المصدر نفسه.

عن طريق العامة:

ففيه، عن طريق العامة: إبراهيم بن محمد الحمويني من أعيان علماء العامة بإسناده عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني ملك فقال: يا محمد واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا علىٰ ما بعثوا؟ قال: علىٰ ولايتك وولاية علي ابن أبي طالب.

أبو نعيم المحدث الإصفهاني في حلية الأولياء في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿**واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا**﴾ ليلة أُسري به، جمع الله بينه وبين الأنبياء، قال: سائلهم يا محمد علىٰ ماذا بعثهم؟ قالوا: بعثنا علىٰ شهادة أن لا إله إلّا الله، والإقرار بنبوتّك والولاية لعلي عليه السلام.

وعن طريق الخاصة:

◘ بإسناده عن علقمة بن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ في حديث الأسراء: فإذا ملك قد أتاني فقال: يا محمد سل مَن أرسلنا من قبلك من رسلنا علىٰ ماذا بعثتم؟ فقال لهم: معاشر الرسل والنبيين علىٰ ماذا بعثكم الله قبلي؟ قالوا: علىٰ ولايتك يا محمد وولاية علي بن أبي طالب.

◘وفيه، أبو علي الطبرسي في مجمع البيان عن أمير المؤمنين عليه السلام: فهذا من براهين نبيّنا ﷺ الذي آتاه الله إياها، وأوجب أنه الحجة علىٰ ساير خلقه؛ لأنه لما ختم به الأنبياء، وجعله الله رسولاً إلىٰ جميع الأُمم وساير الملل، خصّه بالارتقاء إلى السماء عند المعراج، وجمع يومئذ الأنبياء فعلم منه ما أرسلوا به، وحملوه من عزائم الله وآياته وبراهينه، وأقروا أجمعين بفضله وفضل الأوصياء والحجج من بعده، وفضل شيعته ووصيّه من المؤمنين والمؤمنات، الذين سلّموا لأهل الفضل فضلهم، ولم يستكبروا عن أمرهم، وعرف من أطاعهم وعصاهم من أُممهم وساير من مضىٰ ومن غبّر أو تقدم أو تأخر.

وفيه، محمد بن يعقوب بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ولايتنا ولاية الله التي

لم يبعث الله نبيّاً قط إلّا بها.

وفيه، عن الشيخ في أماليه، بإسناده عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما قبض الله نبيّاً حتىٰ أمره الله أن يوصي لأفضل عشيرته من عصبته، وأمرني أُوصي، فقلت: إلىٰ من يا رب؟ فقال أُوص يا محمد إلىٰ ابن عمّك علي بن أبي طالب، فإني قد أثبته في الكتب السالفة، وكتبت فيها أنه وصيّك، وعلىٰ ذلك أخذت ميثاق الخلائق ومواثيق أنبيائي ورسلي، أخذت مواثيقهم لي بالربوبية، ولك يا محمد بالنبوة ولعلي بن أبي طالب بالولاية.

وفي تفسير مرآة الأنوار عن الاختصاص، عن المفضل قال: قال الصادق: يا مفضّل والله ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده، وينفخ فيه من روحه إلّا بولاية علي عليه السلام وما كلّم الله موسىٰ تكليماً إلّا بولاية علي عليه السلام ولا أقام الله عيسىٰ آية للعالمين إلّا بالخضوع لعلي عليه السلام. الخبر.

وفيه[1] عن تفسير القمي والبصائر، عن حمّاد أنّ الصادق عليه السلام: سُئل عن كثرة الملائكة فقال: والذي نفسي بيده لملائكة الله في السموات أكثر من عدد التراب في الأرض، وما في السّماء موضع قدم إلّا وفيها ملك يسبّحه ويقدسه، ولا في الأرض شجر ولا مدر إلّا وفيها ملك موكل بها، وما منهم أحد إلّا ويتقرّب كلّ يوم إلى الله بولايتنا أهل البيت، ويستغفر لمحبّينا ويلعن أعداءَنا.

وفيه روي عن صاحب الكشّاف، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ألّا من مات علىٰ حبّ آل محمد مات شهيداً، وسرد الحديث ... إلىٰ أن قال: ومن مات علىٰ بغض آل محمد مات كافراً.

وفيه، عن العيون بإسناده عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: من أحبك كان مع النبيين في درجتهم يوم القيٰمة، ومن مات وهو يبغضك

---

١ ـ مقدمة تفسير البرهان ص ٣٢.

فلا يبالي مات يهودياً أو نصرانياً.

وفي أمالي الصدوق بإسناده عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: مَن ناصب علياً حارب الله، ومَن شك في علي فهو كافر.

وفيه وفي ثواب الأعمال بإسناد معتبر عن سدير قال: سمعت أبا جعفر يقول: سواء على من خالف هذا الأمر صلّى أو زنى.

وفي حديث آخر، إنّ الصادق عليه السلام قال: الناصب لنا أهل البيت لا يبالي صام أو صلّى أو زنى أو سرق إنّه في النار إنه في النار.

وفيه[1] وفي الكافي وغيره متواتراً: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية وميتة كفر ونفاق.

وفيه، عن غيبة النعماني عن الصادق عليه السلام أنه قال: من جحد إماماً من الله وبرئ منه ومن دينه فهو كافر مرتدّ عن الإسلام؛ لأن الإمام من الله ودينه دين الله. ومَن برِئ من دين الله فدمه مباح في تلك الحال إلّا أن يتوب ويرجع إلى الله مما قال.

وفيه وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: مَن أنكر الأئمة منا كان كمن أنكر معرفة الله ومعرفة رسوله ﷺ.

أقول: هذه جملة من الروايات الواردة في شتى الأبواب المنعقدة في الكتب المعتبرة، وهي أكثر من أن تحصى في هذا المختصر، ولكن ذكرت من كلّ باب نموذجاً لبيان المقصود، ومن أراد الإحاطة بها فليراجع.

ويستفاد منها أهميّة أمر الولاية، وأنه مما أخذ عليها ميثاق النبيين بل وإنّ المنكر لها والمتبرئ منها كافر، مباح الدم.

نعم: هنا أحاديث يستفاد منها أن طائفة خاصة منهم، أي من أهل السنة ربما يرجىٰ لهم النجاة، ونحن نذكر حديثاً واحداً في هذا الأمر للتنبيه عليه، وبيانه أزيد من هذا موكول في محلّه.

---

١ ـ مقدمة تفسير البرهان ص ٢١.

في البحار[١] نقلاً عن المحاسن، عن النضر، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن زرارة، قال: سئل أبو عبدالله وأنا جالس عن قول الله: **﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾** يجري لهؤلاء ممن لا يعرف منهم هذا الأمر؟ فقال لا، إنّما هذه للمؤمنين خاصّة، قلت له: أصلحك الله، أرأيت من صام وصلّىٰ، واجتنب المحارم، وحسن ورعه ممن لا يعرف ولا ينصب؟ فقال: إنّ الله يدخل أولئك الجنة برحمته.

فإنّ المستفاد من هذا الحديث أنّ من لا يعرف هذا الأمر، ولم يكن ناصباً أي لم يكن معادياً، أي لم يعمل ولم يظهر آثار المعرفة ولا آثار النصب إما لكونه مستضعفاً لم يبلغه الحق **كما يستفاد ذلك** ، من بعض الأخبار، أو أنه ليس أهلاً للتمييز كما يرىٰ من بعض عوامهم، فإن علماءَهم قد غرّوهم في بيان الحق، فهم طالبون للحق إلّا أن علماءَهم قد بيّنوا لهم أنّ الثلاثة من أهل الحق فهم مشتبهون في المصداق، وطالبون للحق بالنيّة القلبيّة الصافية بحيث لو ظهر لهم بطلان حقّية الثلاثة لأعرضوا عنهم، فهؤلاء في الواقع طالبون ومحبّون للأئمة عليهم السلام إلّا أنهم مشتبهون في المصداق كما لا يخفىٰ، فأُولئك يدخلهم الله تعالى الجنة برحمته، والله ورسوله وابن عمِّ رسوله أعلم.

تتمة، أقول: أهمية أمر الولاية علىٰ قسمين من المعنىٰ:

الأول: من حيث النداء الإلهي والتكليف والإلزام القطعي الشرعي، بحيث لا رخصة في تركه أبداً كما علمته فيما سبق، فإنّ الأحاديث السابقة صريحة في هذا المعنىٰ، وأنّه لابدّ من الإيمان بالولاية والشهادة بها مقروناً بالشهادتين فلابدّ من الإقرار والإيمان بها من الكلّ ولو إجمالاً، وإمّا تفصيلاً فستأتي الإشارة إليه في بيان معنى الأهمية بالمعنى الثاني، وسيتضح إن شاء الله مفصّلاً في الفصل الثاني.

الثاني: من حيث الدقة والفهم والاحتمال، فالأحاديث الكثيرة دلّت علىٰ أنّ

---

١ ـ البحار ج ٢٧ ص ١٨٣ رقم ٣٥.

أمرهم صعب مستصعب فلابدّ من ذكرها، ثم بيان المستفاد منها فنقول:

ففي الكافي، باب فيما جاء أنّ حديثهم صعب مستصعب، محمد بن يحيىٰ، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان، عن جابر، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ حديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به إلّا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمد (صلوات الله عليهم) فلانت له قلوبكم، وعرفتموه فاقبلوه، وما إشمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردّوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد، وإنما الهالك أن يحدّث أحدكم بشيء منه لا يحتمله فيقول: والله ما كان هذا، والله ما كان هذا، والإنكار هو الكفر.

وفيه بإسناده عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ذكرت التقية يوماً عند علي بن الحسين عليه السلام فقال: والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخا رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما، فما ظنكم بسائر الخلق، إنّ علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله إلّا نبي مرسل أو ملك مقرّب أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فقال: وإنما صار سلمان من العلماء لأنّه إمرؤ منا أهل البيت فلذلك نسبته إلىٰ العلماء.

وفيه، رفعه إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلّا صدور منيرة أو قلوب سليمة أو أخلاق حسنة، إنّ الله أخذ من شيعتنا الميثاق كما أخذ علىٰ بني آدم: ألست بربكم؟ فمن وفى لنا وفىٰ الله له بالجنة، ومن أبغضنا ولم يؤدّ إلينا حقّنا ففي النار خالداً مخلّداً.

وفيه، محمد بن يحيىٰ وغيره، عن محمد بن أحمد، عن بعض أصحابنا قال: كتبت إلىٰ أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام: جعلت فداك، ما معنىٰ قول الصادق عليه السلام: حديثنا لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن قلبه للإيمان؟ فجاء الجواب: إنما معنىٰ قول الصادق عليه السلام: أي لا يحتمله ملك ولا نبيّ ولا مؤمن، إنّ الملك

لا يحتمله حتىٰ يخرجه إلىٰ ملك غيره، والنبي لا يحتمله حتىٰ يخرجه إلىٰ نبي غيره، والمؤمن لا يحتمله حتىٰ يخرجه إلىٰ مؤمن غيره، فهذا معنىٰ قول جدّي عليه السلام.

وفيه[1] بإسناده عن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا أبا محمد إنّ عندنا والله سرّاً من سرّ الله، وعلماً من علم الله، والله ما يحتمله ملك مقرب ولا نبيّ مرسل ولا مؤمن إمتحن الله قلبه للإيمان، والله ما كلّف الله ذلك أحداً غيرنا، ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا، وإنّ عندنا سرّاً من سرّ الله، وعلماً من علم الله، أمرنا بتبليغه فبلّغنا عن الله عزوجل ما أمرنا بتبليغه، فلم نجد له موضعاً ولا أهلاً ولا حمّالة يحتملونه، حتىٰ خلق الله لذلك أقواماً خلقوا من طينة خلق منها محمد وآله وذريته عليهم السلام ومن نور خلق الله منه محمداً وذرّيته، وصنعهم بفضل صنع رحمته التي صنع منها محمداً وذريته، فبلّغنا عن الله ما أمرنا بتبليغه فقبلوه واحتملوا ذلك (فبلغهم ذلك عنّا فقبلوه واحتملوه) وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلىٰ معرفتنا وحديثنا، فلولا أنهم خلقوا من هذا لما كانوا كذلك، لا والله ما احتملوه.

ثم قال: إنّ الله خلق أقواماً لجهنّم والنار، فأمرنا أن نبلّغهم كما بلّغناهم، واشمأزّوا من ذلك ونفرت قلوبهم، وردّوه علينا ولم يحتملوه وكذّبوا به وقالوا: ساحر كذّاب، فطبع الله علىٰ قلوبهم وأنساهم ذلك، ثم أطلق الله لسانهم ببعض الحقّ فهم ينطقون به وقلوبهم منكرة، ليكون ذلك دفعاً عن أوليائه وأهل طاعته، ولولا ذلك ما عبد الله في أرضه، فأمرنا بالكفّ عنهم والستر والكتمان، فاكتموا عمّن أمر الله بالكفّ عنه، واستروا عمّن أمر الله بالستر والكتمان عنه.

قال: ثمّ رفع يده وبكىٰ وقال: اللهم إنّ هؤلاء لشرذمة قليلون فاجعل محيانا محياهم ومماتنا مماتهم، ولا تسلّط عليهم عدوّاً لك فتفجعنا بهم، فإنّك إن أفجعتنا بهم لم تعبد أبداً في أرضك، وصلّى الله علىٰ محمد وآله وسلم تسليماً.

---

١ ـ هذه الأحاديث في الكافي في الباب المذكور عنوانه: باب إن حديثهم صعب مستصعب.

وفي مرآة العقول[١]، قال المفضل: قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ حديثنا صعب مستصعب ذكوان أجود (أجرد ـ ظ) لا يحتمله ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا عبد امتحن الله قلبه للإيمان، أما الصعب فهو الذي لم يركب بعد، وأمّا المستصعب فهو الذي يُهرب منه إذا رُئي، وأما ذكوان فهو ذكاء المؤمنين وأما الأجرد فهو الذي لا يتعلّق به شيء من بين يديه ولا من خلفه وهو قول الله: ﴿نزّل أحسن الحديث﴾ فأحسن الحديث حديثنا لا يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله حتىٰ يحدّه؛ لأنّ من حدّ شيئاً فهو أكبر منه.

وفيه[٢] روي في البصائر بإسناده عن سفيان بن السمط قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك، إنّ الرجل ليأتينا من قبلك فيخبرنا عنك بالعظيم من الأمر، فتضيق بذلك صدورنا حتىٰ نكذّبه، فقال أبو عبدالله عليه السلام: أليس عني يحدّثكم؟ قال: قلت: بلىٰ، قال: فيقول: إنه نهار وإنه ليل؟ قال: فقلت له: لا، قال: ردّوه إلينا، فإنك إن كذّبت فإنما تكذبنا.

وفيه، وروى الصدوق في العلل بإسناده الصحيح عن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام قال: لا تكذبوا بحديث أتاكم به مرجئ، ولا قدريّ ولا خارجيّ نسبه إلينا، فإنكم لا تدرون لعله شيء من الحق، فتكذبوا الله عزوجل فوق عرشه.

وفيه، عن معاني الأخبار بإسناده عن عبدالغفار الجاري قال: حدّثني من سأله (يعني الصادق عليه السلام): هل يكون كفر لا يبلغ الشرك؟ قال: لا إنّ الكفر هو الشرك، ثم قام فدخل المسجد فالتفت إليّ وقال: نعم، الرجل يحمل الحديث إلىٰ صاحبه فلا يعرفه فيردّه عليه، فهي نعمة كفرها ولم يبلغ الشرك.

وفي المحكي عن بصائر الدرجات مسنداً عن أبي الصامت قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ من حديثنا ما لا يحتمله ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا عبد

---

١ ـ مرآة العقول ج ٤ ص ٣١٣.

٢ ـ المصدر نفسه ج ٤ ص ٣١٤.

مؤمن، قلت: فمَن يحتمله؟ قال: نحن نحتمله. وفي بعض الأخبار قلت: فمن يحتمله؟ قال: من شئنا.

وعنه مسنداً عن مرازم قال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ أمرنا هو الحق وحـق الحـق، وهو الظاهر وباطن الظاهر، وهو السرّ وسرّ السرّ وسرّ مقنع بالسرّ.

وعن التوحيد للصدوق رحمه الله مسنداً عن مزازم، عن الصادق عليه السلام في حديث قال: قلت: فأي شيء هو أصلحك الله؟ قال: فقلّب يده مرتين أو ثلاثاً ثم قال: لو أجبتك فيه لكفرت.

وفي البحار عن الاختصاص والبـصائر عـن جـابر، عـن أبي جـعفر عليه السلام في حديث: يا جابر ما سترنا عنكم أكثر مما أظهرنا لكم.

وفيه، عن المحاسن عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: إنّا معاشر الأنبياء نكلّم الناس علىٰ قدر عقولهم.

وفي بصائر الدرجات بإسناده عن يحيىٰ بن سالم الفرّاء قال: كان رجل من أهل الشام يخدم أبا عبدالله عليه السلام، فرجع إلىٰ أهله، فقالوا: كيف كنت تخدم أهل هذا البيت، فهل أصبت منهم علماً؟ قال: فندم الرجل، فكتب إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام سأله عن علم ينتفع به، فكتب إليه أبو عبدالله عليه السلام أما بعد: فإنّ حديثنا حديث هيوب ذعور، فإن كنت ترىٰ أنك تحتمله فاكتب إلينا، والسلام.

وفيه عن سليمة بن صالح رفعه إلىٰ أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ حديثنا هذا تشمأز منه قلوب الرجال، فمَن أقرّ به فزيدوه، ومَن أنكره فذروه، إنه لابدّ من أن يكـون فتنة يسقط فيها كلّ بطانة ووليجة، حتىٰ يسقط فيها من يشقّ الشعر بشعرتين حتّىٰ لا يبقىٰ إلّا نحن وشيعتنا.

وفيه بإسناده عن صالح الأعور، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: آخا رسول الله صلى الله عليه وآله بين سلمان وأبي ذر، واشترط علىٰ أبي ذر أن لا يعصي سلمان.

وفي الكلمات المكنونة للمحدّث الكاشاني رحمه الله وفي الخبر: أنّ من العلم كـهيئة

المكنون لا يعلمه إلّا أهل المعرفة.

وفيها أيضاً قال أمير المؤمنين عليه السلام: اندمجت علىٰ مكنون علم، لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة.

وفي الأخبار الواردة في القرآن من أنّ: للقرآن ظهراً وبطناً، ولبطنه بطن إلىٰ سبعة أبطن.

وما في خبر آخر أنّه ظاهره حكم وباطنه علم، وفي بعض أخبار الجبر والتفويض.

وفي بعض أخبار ظهور الحجة (عج): أنّ القائم المهدي (عج) بعد ظهوره يبثّ أسرار الشريعة فيصدّقه القرآن.

وفي الخبر، إنّ أبا جعفر عليه السلام حدث جابراً بأحاديث وقال: لو أذعتها فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وفي المحكي عن المفضل عن جابر حديث ملخصة: أنه شكىٰ ضيق نفسه عن تحملها وإخفائها بعد أبي جعفر عليه السلام إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام فأمره أن يحفر حفرة، ويدلي رأسه فيها ثم يحدث بما تحمله ثم يطمّها، فإنّ الأرض تستر عليه والحمد لله علىٰ التوفيق.

ومن الأشعار المشهورة في كتب الأصحاب (رضوان الله عليهم) المنسوبة إلىٰ علي بن الحسين عليه السلام:

إنّي لأكتم من علمي جواهرَه	كي لا يرى الحقَّ ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدّم في هذا أبو حسن	إلى الحسين ووصّىٰ قبله الحسنا
يا ربّ جوهر علم لو أبوح به	لقيل لي: أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحلّ رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنا

هذا وقد عدّوا جمعاً من أصحاب النبي والأئمة عليهم السلام من أصحاب السرّ، كسلمان

الفارسي، وأُويس القرني، وكميل بن زياد النخعي، وميثم التمار الكوفي، ورشيد الهجري، وجابر الجعفي، وأبي بصير، وهشام بن الحكم، ويونس بن عبد الرحمن، ونظائرهم (رضوان الله تعالىٰ عليهم).

أقول: هذا بعض الأحاديث المذكورة في هذا الموضوع، قد ذكرنا شطراً منها بقدر الحاجة، وسيجيء في شرح قوله ﷺ: «وحفظة سرّه» ما يزيد وضوحاً لما نحن فيه.

فنقول: الذي ينبغي أن يتكلم فيها أُمور، الأول: إن أحاديثهم تنقسم بملاحظة صعوبة معناها إلىٰ ثلاثة أقسام:

الأول: ما لا يحتمله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان.

الثاني: ما لا يحتمله الثلاثة إلّا من شاءوا أن يُحمّلوه.

الثالث: ما يختص بهم عليهم السلام كما هو الظاهر من حديث أبي الصامت.

فنقول: جميع هذه الأحاديث تشير إلىٰ حقيقة ولايتهم وشؤونها، وحيث إنها من غوامض معارفهم، فاختلفت كلمات العلماء في بيان معناه، وأحسن ما قيل في بصائر الدرجات: قال عمير الكوفي:

معنىٰ حديثنا صعب لا يحتمله ملك مقرب أو نبيّ مرسل فهو ما رويتم: أنّ الله تبارك وتعالىٰ لا يوصف، ورسوله لا يوصف، والمؤمن لا يوصف، فمن احتمل حديثهم فقد حدّهم، ومن حدّهم فقد وصفهم، ومن وصفهم بكمالهم فقد أحاط بهم وهو أعلم منهم وقال: يُقطع عمّن دونه فنكتفي بهم لأنه قال: صعب علىٰ كلّ أحد حيث قال: صعب، فالصعب لا يركب ولا يحمل عليه؛ لأنه إذا ركب وحمل عليه فليس بصعب.

وقال المجلسي رحمه الله في مرآة العقول: وهذه الأحاديث أكثرها في غرائب شؤونهم، ونوادر أحوالهم ومعجزاتهم، وبعضها في غوامض علوم المبدإ والمعاد،

وعويصات مسائل القضاء والقدر، وأمثال ذلك مما تعجز عن إدراكها العقول.

ثم إنّه ﷺ شرع في شرح مشكلات تلك الأحاديث وقال:

قوله: والإنكار هو الكفر، أي إنكاره مع العلم بأنّه من المعصوم ﷺ، والمراد بالكفر ما يقابل كمال الإيمان وهو التسليم التام، وعلى التقادير، لعلّه محمول علىٰ ما إذا لم يعلم قطعاً بطلانه، وعدم صدوره عنهم ﷺ واستشهد لذلك بحديث سفيان بن السمط المتقدم عن البصائر، وما ورد من العلل عن أحدهما ﷺ.

قال: ويؤيد التأويل الثاني ما رواه الصدوق في معاني الأخبار في معنى الكفر: غير البالغ حد الشرك، وقد تقدم، إلىٰ أن قال ﷺ: ويحتمل أن يكون المراد بالخبر التكذيب الذي يكون بمحض الرأي من غير أن يعرضه على الآيات والأخبار المتواترة، قال ﷺ: وأيضاً فرق بين ردّ الخبر وتكذيبه، وبين قبوله والعمل به كما روى الصدوق ﷺ في معاني الأخبار بإسناده عن إبراهيم قال: قال رسول الله ﷺ: ألا هل عسىٰ رجل يكذّبني وهو علىٰ حشاياه متكئ؟ قالوا: يا رسول الله ومَن الذي يكذّبك؟ قال: الذي يبلغه الحديث فيقول: ما قال هذا رسول الله قطّ، فما جاءكم عني من حديث لا يوافق الحقّ فلم أقله ولن أقول إلّا الحق.

وروى الصفار في البصائر بإسناده عن أبي عبيدة قال: قال أبو جعفر ﷺ: مَن سمع من رجل أمراً لم يحط به علماً فكذّب به، ومن أمره الرضا بنا والتسليم لنا، فإنّ ذلك لا يكفّره.

قال ﷺ: ولعلّ المعنىٰ أنّه إذا كان تكذيبه للمعنى الذي فهمه، وعلم أنه مخالف لما علم صدوره عنّا، وكان في مقام الرضا والتسليم ويقرّ بأنه بأي معنىٰ صدر من المعصوم فهو الحقّ فذاك لا يصير سبباً لكفره.

وقال ﷺ: في شرح حديث مسعدة بن صدقة من قوله ﷺ: والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ... الحديث: أي من مراتب معرفة الله ومعرفة النبيّ والأئمة ﷺ وغيرها مما ذكرنا سابقاً، فلو أظهر سلمان له شيئاً من ذلك، كان

لا يحتمله ويحمله على الكذب والارتداد، أو العلوم والأعمال الغريبة التي لو أظهرها له لحملها على السحر فقتله، أو كان يفشيه فيصير سبباً لقتل سلمان.

وقيل: الضمير المرفوع راجع إلى العلم، والمنصوب إلىٰ أبي ذر أي لقتل ذلك العلم أبا ذر، أي كان لا يحتمله عقله فيكفر بذلك، أو المعنىٰ لو ألقىٰ إليه تلك الأسرار، وأمر بكتمانها لمات من شدّة الصبر عليها، أو لا يتحمّل سرّه وصيانته فيظهره للناس فيقتلونه.

قال ﷺ: وعنه ما رواه الكشي بإسناده عن جابر، عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: دخل أبو ذر علىٰ سلمان وهو يطبخ قدراً له، فبينا هما يتحدثان إذ انكبّت القدر علىٰ وجهها على الأرض، فلم يسقط من مرقها ولا من ودكها[1]، فعجب من ذلك أبو ذر عجباً شديداً، وأخذ سلمان القدر فوضعها علىٰ حالها الأول على النار ثانية، وأقبلا يتحدثان، فبيناهما يتحدثان إذ انكبّت القدر علىٰ وجهها، فلم يسقط منها شيء من مرقها ولا ودكها.

قال: فخرج أبو ذر وهو مذعور من عند سلمان، فبينا هو متفكر إذ لقىٰ أمير المؤمنين عليه‌السلام على الباب، فلما أبصر به أمير المؤمنين عليه‌السلام قال له: يا أبا ذر، ما الذي أخرجك من عند سلمان، وما الذي ذعرك؟ فقال أبو ذر: يا أمير المؤمنين رأيت سلمان صنع كذا وكذا، فعجبت من ذلك، فقال أمير المؤمنين عليه‌السلام: يا أبا ذر إنّ سلمان لو حدّثك بما يعلم لقلتَ: رحم الله قاتل سلمان، إنّ سلمان باب الله في الأرض، من عرفه كان مؤمناً، ومَن أنكره كان كافراً، وإنّ سلمان منّا أهل البيت.

وروىٰ خطبة لسلمان (رضوان الله تعالىٰ عليه) قال فيها: فقد أُوتيت العلم كثيراً، ولو أخبرتكم بكلّ ما أعلم لقالت طائفة: لمجنون، وقالت طائفة أُخرىٰ: اللّهمّ اغفر لقاتل سلمان.

---

١ ـ الودك، الدسم من اللحم والشحم.

أقول: فظهر أنّ المعنىٰ هو ما ذكرنا أولاً، وقد قيل: وذلك لأن مكنون العلم عزيز المنال، دقيق الدرك، صعب الوصول، يقصر عن وصوله الفحول من العلماء فضلاً عن الضعفاء، ولهذا إنما يخاطب الجمهور بظواهر الشرع، ومجملاته دون أسراره وأغواره؛ لقصور أفهامهم عن إدراكها، وضيق حواصلهم عن إحتمالها إذ لا يسعهم الجمع بين الظاهر والباطن فيظنّون تخالفهما وتنافيهما فينكرون فيقتلون، إنتهىٰ.

ثم قال ﵀: وأقول: بل الظاهر أنّ كلّاً من الخلق لا سيما المقربين يحتمل علماً لا يحتمله الآخر، كما روى الكشي بإسناده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله ﵇ يقول: قال رسول الله ﷺ: يا سلمان لو عرض علمك علىٰ مقداد لكفر، يا مقداد لو عرض علمك علىٰ سلمان لكفر.

وقال ﵀ في شرح قوله ﵇: وإنما صار سلمان من العلماء، أي الكاملين الربانيين، أو علماء أهل البيت ﵈؛ لأنه اِمرُؤ منّا لفرط اختصاصه بنا، وإنقطاعه إلينا، واقتباسه من أنوارنا؛ ولذا نسبته بصيغة المتكلم أو المصدر، فتدبّر.

وقال في قوله ﵇: (إلّا صدور منيرة): بأنوار القابلية والهداية والكمال (أو قلوب سليمة) من الشك والشرك والحقد والنفاق كما قال تعالىٰ: **﴿إلّا من أتى الله بقلب سليم﴾**[1] (أو أخلاق حسنة) أي ذوو أخلاق، ولعل أو هنا للتخيير في التعبير نحو أو كصيّب من السماء، ويؤيده أنّ في بعض الروايات بالواو.

ويحتمل أن يكون المراد بالأول الملائكة، وبالثاني الأنبياء والأوصياء، وبالثالث العبد المؤمن الذي امتحن الله قلبه للإيمان، علىٰ سياق ساير الأخبار أو بالأول الأنبياء والأوصياء، وبالثاني الكمّل من المؤمنين، وبالثالث ساير الشيعة، بأن يكون المراد بالحديث الولاية ومعرفتهم على الكمال في الجملة.

---

١ ـ الشعراء: ٨٩.

وقال ﷺ في حديث ابن سنان الذي رفعه إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام: إنّ الله أخذ من شيعتنا، أي ممن يمكن أن يكون منهم، أو التخصيص بهم باعتبار أنهم المنتفعون به ليصحّ التقسيم المذكور بعد ذلك، وللأخبار الدالة علىٰ أنّ ميثاق الولاية مأخوذ من الجميع، وقيل: يعني أخذ من شيعتنا الميثاق بولايتنا، واحتمال حديثنا بالقبول والكتمان، كما أخذ علىٰ ساير بني آدم الميثاق بربوبيّته.

وقال المحدث الاسترآبادي ﷺ: أقول: قد وقع التصريح في كلامهم عليهم السلام بأنّ فعل الأرواح في عالم الأبدان موافق لفعلهم يوم الميثاق، فالمراد من وفىٰ لنا في عالم الأرواح وعالم الأبدان بما كلّفهم الله من التسليم لنا، انتهىٰ.

قوله عليه السلام: ومن أبغضنا، الظاهر أنّ المراد بالبغض عدم أداء حقّهم، وعدم الإقرار بإمامتهم.

أقول: أي أنّ هذا المعنىٰ مصداق لبغضهم، وإن لم يصل منه إليهم الظلم والأذيّة، وإلّا فهو المحارب لهم وهو أسوء حالاً كما لا يخفىٰ.

وعليه، فالعطف في قوله: ولم يؤدّ، للتفسير أو الواو بمعنىٰ أو فيدلّ علىٰ خلود المخالفين في النار، وقوله: مخلداً تأكيد. وقال عند قوله عليه السلام في حديث صاحب العسكر: لا يحتمله: أي لا يصبر ولا يطيق كتمانه لشدّة حبّه لهم، وحرصه علىٰ ذكر فضائلهم حتىٰ ينقله إلىٰ آخر فيحدّثه به.

والحاصل: أنّ هذا الاحتمال غير الاحتمال الوارد في الأخبار المتضمنّة للاستثناء فلا تنافي بينهما، ويمكن أن يكون منشأ السؤال توهّم التنافي، أو استبعاد أن يكون هؤلاء غير قابلين لحمله وفهمه، ويمكن أن يكون هذا الحديث أيضاً من العلوم التي لا تحتملها عقول أكثر الخلق؛ فلذا أوّله عليه السلام بما ترىٰ، لئلا يصير سبباً لإنكارهم ونفورهم.

وروىٰ الصدوق ﷺ في معاني الأخبار بإسناده عن سدير، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ أمرنا صعب مستصعب، لا يقرّ به إلّا ملك

مقرّب، أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فقال: إن في الملائكة مقربين وغير مقربين، ومن الأنبياء مرسلين وغير مرسلين، ومن المؤمنين ممتحنين وغير ممتحنين، فعرض أمركم هذا على الملائكة فلم يقرّ به إلّا المقرّبون، وعرض علىٰ الأنبياء فلم يقرّ به إلّا المرسلون، وعرض على المؤمنين فلم يقرّ به إلّا الممتحنون.

فلعل المراد به الإقرار التام الذي يكون عن معرفة تامة بعلوّ قدرهم وغرائب شأنهم، فلا ينافي ولا يقدح عدم إقرار بعض الملائكة والأنبياء هذا النوع من الإقرار عصمتهم وطهارتهم، وكذا القول في خبر أبي بصير عن الصادق عليه السلام حيث قال عليه السلام: يا أبا محمد إنّ عندنا والله سرّاً، الحديث.

وقال رحمه الله في شرح هذا الحديث الشريف ما حاصله: إنّ قوله: فلم نجد له موضعاً ولا أهلاً ولا حمّالة يحتملونه ... الخ، المراد منه إما أنه لم نجد موضعاً حين أردنا تبليغه، أو لم نجد موضعاً قابلاً أو أهلاً أي مستعداً بالفعل للقبول، ولا حمّالة أي لا أقل لا نجد من حمل ألفاظنا؛ ليكون مصداقاً لقوله صلى الله عليه وآله: فربّ حامل فقه، غير فقيه وربّ حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه.

وقيل: هذا الكلام إخبار عما وقع متصلاً بوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله من انحراف جميع الناس عن الحق إلى الباطل إلّا نادراً كالمعدوم.

وقوله عليه السلام: إنّ الله خلق أقواماً، عبارة عن الشيعة الذين آمنوا بأهل البيت عليهم السلام بعد قتل عثمان وكثروا، ومعاني باقي ألفاظ الحديث ظاهر بالتأمّل القليل، والله الهادي إلىٰ الصواب.

هذا ما ذكره الشارحون لهذه الأحاديث في الجملة، ولكن لم يؤدّوا حقّه كما هو حقّه.

أقول: أوّلاً نرجو منه سبحانه أن يهدينا إلى الحقّ من المقال في تحقيق الحال فنقول وعليه التوكل:

فاعلم أنّ المستفاد منها أمور لابدّ من ذكرها.

الأمر الأول: انقسام أحاديثهم بلحاظ المعنىٰ، وتسمية كلّ واحد منها باسم، فنقول لا يخفىٰ أولاً أن قوله ﷺ: إنّا معاشر الأنبياء نكلّم الناس علىٰ قدر عقولهم إنما يراد منه أنه ﷺ يبين علىٰ قدر عقل المخاطب، بحيث ينزل الأمر عن واقعه إلىٰ صورة بيان يفهمه السامع؛ لأن بيان واقعه بما له من السعة والدقة كان صعب التناول عليه لقلة دركه فبيّنه عليه الصلاة والسلام علىٰ قدر عقله، فالتعبير بالأسهل إنما هو بلحاظ الكيف لا بلحاظ الكم بأن يكون لواقع الأمر عشر فبين لهم اثنين مثلاً.

ثم إنّ قول أبي جعفر عليه السلام: «فهو الذي لم يركب بعد» تعريفاً للصعب فإنّما هو كناية عن أنّ من الحديث ما لم يعلمه أحد ولم يحط به، فهو نظير قول الصادق عليه السلام في حديث أبي الصامت حيث قال عليه السلام: «نحن نحتمله»، جواباً لقوله فمن يحتمله؟

وقوله في حديث مفضل: «فهو الذي يهرب منه إذا رُئي» بصيغة المجهول في الفعلين تعريفاً للمستصعب يراد منه: إنّ من حديثنا ما هو في غاية الدقة والخفاء والعظمة بحيث لو سمعه أحد لهرب منه؛ لعدم تحمله ولعدم طاقته له، كما يستفاد هذا من حديث يحيىٰ بن سالم المتقدم حيث قال عليه السلام في الجواب: «فإنّ حديثنا حديث هيوب ذعور» ولعل منه كثيراً من فضائل أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام حيث لم يحتمله كثير من الناس.

ففي مدينة المعاجز في باب معجزات الحسن بن علي عليه السلام ما يدلّ علىٰ ذلك: ففيه، عن ابن شهر آشوب قال روىٰ عبدالعزيز بن كثير أن قوماً أتوا إلى الحسين عليه السلام وقالوا: حدثنا بفضائلكم، قال: لا تطيقون، وانحازوا عنّي لأشير إلىٰ بعضكم، فإن أطاق سأحدّثكم، فتباعدوا عنه، فكان يتكلم مع أحدهم حتىٰ دهش ووله، وجعل يهيم ولا يجيب أحداً، وانصرفوا عنه.

وقوله: «فهو ذكاء المؤمنين» تعريفاً أي أنّ منه ما لا يفهمه أحد إلّا المؤمنون لما عندهم من ذكاء الإيمان، ضرورة أنه سيأتي في معنى الإخلاص في محلّه أنّ المؤمن

ربما منحه الله تعالىٰ روح الإيمان فيتعلّم به معارف كثيرة لا يكاد يفهمها غيره، وهذا نظير ما في حديث مسعدة بن صدقة من قوله عليه السلام: أو مؤمن امتحن قلبه للإيمان، وقوله عليه السلام: «فهو الذي لا يتعلّق به شيء من بين يديه ولا من خلفه» تعريفاً للأجرد، أي منه ما لا يفهمه غيرهم عليهم السلام حتى الملائكة المقرّبون لشدّة خفائه وتجرّده عن الماديات، ولعلّه لذلك عبّر عنه بالاجرد أي أكثر تجرّداً من كلّ شيء، ولعلّ المراد منه هو حقيقتهم النورية التي تكون أشدّ اتصالاً بالله تعالىٰ.

ففي الكافي، في باب أُخوة المؤمنين بعضهم لبعض حديث، فيه «إنّ روح المؤمن لأشدّ اتّصالاً بروح الله من شعاع الشمس بها» وهم عليهم السلام مصداق له، وهذا هو مقامهم المحمود الذي لا يلحقه لاحق، ولا يفوقه فائق، ولا يطمع في إدراكه طامع، ولا يفهم معناه أحد، هذا مع أنّ الاعتبار يقضي بذلك ضرورة أنّه بعدما كانوا عليهم السلام أقرب الخلائق إليه تعالىٰ بقول مطلق، فلا محالة يكون لهم مقام لم يشاركهم فيه أحد، فحقيقتهم الأصلية هو ذلك القرب الذي فوق كلّ قرب لأحد.

وقد يقال: إنّه يراد منه حقيقة التوحيد بما له من المعنى الدقيق، الذي سيأتي ذكره إن شاء الله، ضرورة أنه من أخصّ المعارف، فلا يكاد يصل إليه أفهام ذوي العقول الصائبة فضلاً عن الاشتمال عليه حقيقة.

وقوله: وهو قول الله: «الله نزّل ... الخ» لعلّه ناظر إلىٰ أصل الحديث بما له من المعنى الجامع لهذه الأقسام، لا خصوص الأخير منها.

وقوله عليه السلام: «لا يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله حتىٰ يحدّه ... الخ» لعلّ التقييد ـ بكماله ـ قيد إحترازي لاخراج بعض الأفراد منه، حيث إنّه عليه السلام قسّم أحاديثهم إلىٰ أربعة، وكان الذكوان منه مما يفهمه المؤمنون، بل وكذا المستصعب فإنّه يحتمل لكن يهرب منه أي ينساه أو لا يستقرّ في قلبه؛ لعدم طاقته علىٰ تحفظه بكماله بل يدركه بوجه، ويحتمل أن يكون لإخراج بعض المراتب العالية، أي لا يحتمل بكماله هذا الأمر الواحد بأن يكون المحتمل منه بعض المراتب، ضرورة أنّ

أحاديثهم لكلّ منها مراتب فهي مقولة بالتشكيك، ولعلّ الثاني أولىٰ لتوافقه مع حديث أبي الصامت.

وقوله عليه السلام: «إنا معاشر الأنبياء ... الخ» علىٰ ما بيّناه سابقاً فأحاديثهم ذو مراتب لا يحتمل إلّا بعضها، وكيف كان فالوجه لعدم احتمال الناس له كمّاً أو كيفاً بكماله هو ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «لأنه من حدّ شيئاً فهو أكبر منه».

وحاصله: أنّ المحتمل بكماله لابدّ من أن يحدّه ويحيط به بما هو متحقق في صقعه، وحيث إنّ ظرف أذهان البشر محدود، فلا محالة يكون مظروفه وهو الحديث الذي يحتمله أيضاً محدوداً، ضرورة محدودية المظروف بحدود الظرف وإلّا لما حدّه، ولما أحاط به خبراً كما لا يخفىٰ، وعليه فلو كان بعض مراتب حديثهم أو بعض أفراده مما لا حدّ له فلا محالة لا يحدّه البشر، لأن ما به تحديده هو ذهنه وهو محدود، والمحدود لا يحدّ به غير المحدود.

ولعلّه إليه يشير قوله: «نحن نحتمله» في حديث أبي الصامت، وحينئذ فالفرق بين الأجرد والصعب الذي لم يركب بعد هو أن الثاني ربما تحمّله المؤمن الكامل أو الملك المقرّب لمكان قوله ـ بعد ـ الظاهر في نفي الإحاطة له إلىٰ زمان التكلم، دون الأجرد فإنّه لا يتعلّق به شيء من بين يديه ولا من خلفه.

الأمر الثاني: ربما يقال: إنّ المراد من صعوبة أمرهم أو تجرّده أو غير ذلك إنما هو الإقرار بولايتهم عليهم السلام حيث لم يقبلها كثير من الناس فهي صعب مستصعب فهم هاربون منها، وأما الشيعة فلا، وعليه فلا تدلّ هذه الأخبار علىٰ أنّ ما وراء ما بأيدينا من العقائد أموراً خفيّة لا يصل إليها إلّا العارفون كما هو المقصود بيانه، ولكن فيه مضافاً إلىٰ أنّ أحاديثهم تتضمّن من المعنىٰ بما له من المراتب كما تقدم فله مصاديق مختلفة، فكما أنه يكون الإقرار بولايتهم عليهم السلام أحد المصاديق له كما تقدم، يكون المعارف الآخر أيضاً أحد مصاديقه إذا ساعدنا عليها الدليل أنه لا يمكن الاقتصار علىٰ ما ذكر، ضرورة أنّ في تلك الأحاديث ما يدل علىٰ ما ذكرنا

فقوله عليه السلام: في حديثه الأول لأبي الصامت بعدما قاله: قلت: فمن يحتمله جعلت فداك؟ قال: مَن شئنا يا أبا الصامت، أو قوله في حديثه الثاني: نحن نحتمله لا يراد منه ما عليه ظاهر الشيعة من الاقرار بولايتهم، ضرورة أنّه أمر شايع، علىٰ أنّ التفصيل المذكور في حديث المفضل ظاهر في أنّ بعض الأحاديث مما ليس في أيدي ظاهر الشيعة، وكذا قوله عليه السلام في حديث أبي ربيع الشامي كما لا يخفىٰ.

الأمر الثالث: أنّه يستفاد منها أنّ لهذا الدين الحنيف معارف كثيرة قد خفيت علىٰ كثيرين، توضيحه: أنه لا ريب في أنّ بعض الأمور اعتبارية محضة كالملكية مثلاً فإنها قائمة باعتبار المعتبر وإلّا فلا شيء، وهي إما عرفية سواء أمضاها الشرع أم لا، وإما شرعية أي أحدثها الشارع اعتباراً، وبعضها خارجية لا يتوقّف علىٰ اعتبار معتبر أصلاً كالموجودات الخارجية.

ومن المعلوم أنّ الأمور الاعتبارية بأقسامها لا تكون من المعتبر إلّا بلحاظ أمر حقيقي دعا المعتبر إلىٰ اعتباره؛ مثلاً لما كان الإنسان محتاجاً إلى الاجتماع والتمدن في إعاشته، وفي جلب الخير إلىٰ نفسه، ودفع المضار عنها، فهذا الأمر الحقيقي الناشئ عن طبيعة الإنسان ألجأ الكامل منهم إلىٰ اعتبار أمور غير حقيقية يترتب عليها النظام الاعتباري، المتوقف عليه رفع تلك الاحتياجات، وذلك كالرياسات وأنواع المعاشرات والملك وسائر الاختصاصات، فلأجل تحقق أمر حقيقي في الإنسان اعتبرت هذه الأمور دون الحيوان لعدم ذلك فيه.

ثم إنّ المراد من تحقيق الأمر الحقيقي في الإنسان هو أنّ الانسان مركب من عناصر كثيرة كالشهوة والغضب والجوع والشبع وغيرها، ولكلّ منها آثار تبرز في الإنسان، وتقتضي مقتضاه على الاطلاق، ومن المعلوم أنّ تخليتها في الطلب والاطلاق توجب الهرج والمرج، إلّا أنه لما جعل الله تعالىٰ تلك الغرائز بقدرته في الإنسان بنحو يقبل الالتيام بعضها مع بعض بلحاظ الآثار في الظاهر، وإنما يدركه الكامل العاقل فيعتبر علىٰ طبقها أموراً لحفظ نظام الظاهر.

فثبت أنّ النظام الاعتباري الظاهري إنما هو متقوم بحقيقة تحته، وإنما المقصود من هذا بيان أمر آخر وهو أن الاعتبارات الشرعية نظير هذه الاعتبارات العرفية العقلائية أيضاً متقومة بحقيقة تحتها، بيانه: أن الشارع وإن بيّن جميع الأحكام بلسان الاعتبار، إلّا أنّ هناك أموراً حقيقية دعت الشارع إلىٰ اعتبار هذه الاعتبارات، وتكون في الظاهر بنحو لوحظت فيه النسبة فيما بين هذه الأمور الاعتبارية بأنفسها مع قطع النظر عن تلك الأمور الحقيقية.

ولذا نرىٰ أن الأحكام والموضوعات الشرعية بما لها من القيود والشرائط المختلفة لا تكاد تدخل تحت عنوان ضابط بلحاظ مقام الاعتبار فنرىٰ صلاة الصبح ركعتين والظهر أربع وهكذا؛ ولذا أيضاً نهى الشارع عن العمل بالقياس بل ورد أنّ الدين إذا قيس محق، وذلك لأنّ القياس إنما هو بلحاظ الاستحسان في مقام الظاهر والاعتبار الذي عرفت أنّ الشارع لم يلاحظها في مقام التشريع، بل علمت أنّ النسبة إنما لوحظت بين الأحكام وبين تلك الأمور الحقيقية.

مثلاً الصلاة بما لها من الوجود الواقعي النفس الأمري يتجسّم لصاحبها في القبر في عالم القيامة كما في الأخبار، وهي تكون بنحو يقتضي أن يؤتىٰ بها في الصبح بركعتين على الفرض وفي الظهر بأربع وهكذا غيرها، ضرورة أنّه سيأتي أنّ لجميع الاخبارات والأحكام الشرعية مصاديق واقعية تكون اتّصاف الروح بها بما لها من الوجود الواقعي سبباً لواجدية الروح لمعرفته تعالىٰ، فهي الواسطة بين الروح المنغمر في الماديات وبين مقام المعرفة به تعالىٰ، ولا يكاد يصل الروح إليها إلّا بالاتصاف بهذه الواقعيات.

ومن المعلوم أيضاً أنّه لا طريق إلى الاتصاف بتلك الواقعيات إلّا بالعمل علىٰ طبق ما قرره الشارع كمّاً وكيفاً، ضرورة أنّه هو المولى الحكيم العارف بكيفية السير إلى الله تعالىٰ روحاً.

والحاصل أنّ من أدرك تلك الواقعيات يعلم بصحة المطابقة وإلّا فلا. فالصلاة

في عالم التكليف إنما هي صورة اعتبارية تحكي عن حقيقتها الواقعية بلسان اعتبارها الشرعي، بل هي صورة نازلة منها قد تجلّت في الخارج بهذه الصورة، والسنخيّة بين صورتها الخارجية والواقعية محفوظة بنظر الشرع، بل هما جامع مؤثر في الروح.

ولذا فسّر بعضهم قوله تعالىٰ: **﴿كلّما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾**[1] أي كلّما رزقوا من المعارف الإلهية والتذّوا بها بما لها من الوجود الواقعي النفس الأمري الذي يتجلّىٰ بحقيقته لهم في الجنة قالوا: هذا الذي رزقنا به من قبل، أي قد علمنا لذّة هذه المعارف من قبل وفي الدنيا بسبب إتيانهم بالصلاة الشرعية حقيقة بما لها من شرائط الإجزاء والقبول، ضرورة أنّ أولياء الله يصلون إلىٰ درك تلك الحقائق في الدنيا قبل الآخرة، ولعلّه سيأتي توضيحه فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ.

نعم: كما أنّ حقيقة تلك المعارف بما هي هي، كما أنها لا يمكن أن تنسبك تحت العبارة لقصور اللفظ عن قابليته لذلك، ولقصور أفهام الناس غير الكاملين، ولصغر عالم الدنيا بما هي هي عن أن تتجلّىٰ فيها تلك المعارف، كذلك لا يكاد يدركها بما هي هي في الدنيا إلّا من أخرج روحه من الدنيا إلى الملا الأعلىٰ، فكان كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في حقّهم: «وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحلّ الأعلىٰ» فأولئك من الذين أنعم الله عليهم، فهم يشاهدون تلك الحقائق بعين القلب لا البصر.

وإلىٰ ما ذكرنا من أنّ المعارف حقائق نفس الأمرية مضافاً إلىٰ ما سبق يدلّ أخبار كثيرة وردت في تجسّم الأعمال يوم القيامة مخصوصاً الأخبار الواردة في أنّ للقرآن صورة حسنة لا مثلها في الحسن، يجيء يوم القيامة ولا يمرّ بأحد من

---

١ ـ البقرة: ٢٥.

المؤمنين إلّا ويقال هو منهم حتىٰ يتجاوز الجميع.

ثم إنه سيجيء أنّ المعارف كلّها من القرآن ومن شؤونه، وأنّ القرآن هو ما في صدور محمد وآل محمد عليهم السلام لقوله تعالىٰ: **﴿بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم﴾** كما صرّحت به الأخبار، فيعلم أنّ المعارف الحقيقية له تعالىٰ هي نفس أرواحهم المقدّسة، فالمعرفة بها هي المعرفة بمعارفه تعالىٰ التي يستتبع معرفة الله، ولهذا صحّ التفسير لمعرفته تعالىٰ بمعرفة أهل كلّ زمان إمامهم، كما عن الحسين عليه السلام كما سيأتي، وسيأتي أيضاً أن السير إليه تعالىٰ وتحصيل معرفته حقّاً لا يكون إلّا بعد واجديّة السالك لمعرفتهم عليهم السلام نعم في جميع مراتب المعرفة بهم لا يخلو عن معرفة الله تعالىٰ، وسيجيء لهذا مزيد توضيح فيما بعد.

فتبين مما تقدم أنّ للدين معارف حقيقية قد حكي عنها لسان القرآن والأخبار في الشرع الأنور، وعلمت أنّه لا يمكن إيرادها حقيقة لقصور فهم الناس عن دركها فهم عليهم السلام بيّنوا بما يمكن فهمه لهم مع كمال حفظ الربط والسنخيّة بين المذكور وبين ما هو في الواقع ونفس الأمر، فمن هذا البيان ظهر ما تشير اليه الأحاديث السابقة من أنّها صعب مستصعب بأقسامها، وسيجيء قريباً لهذا مزيد توضيح.

الأمر الرابع: المستفاد من تلك الأخبار المتقدمة وأخبار أُخر أنّ الناس علىٰ أقسام في فهم المعارف الإلهية وعدمه، فنقول: سيأتي ذكر أخبار كثيرة دلّت علىٰ أنّ الروح الإنساني كان قبل جعله في الأبدان في عالم الذر عارفاً بربّه، ثم لمّا جيء به إلىٰ عالم الدنيا لمصلحة فقد انحرف عن الله تعالىٰ، وصار محجوباً بصفات النفس كما تقدم، فصار في ظلمة وكدورة ومزاحمة.

ومن المعلوم أنّ الغرض الأصيل من الشرع هو سوق الروح بمعونة المادة والعبادة والعلم والصفات الحميدة إلىٰ عالم المعرفة به تعالىٰ كما تقدّم، وهذا هو المقصود من قوله عليه السلام في إذن الدخول لمسجد السّهلة: «اللهم إنّي أسألك أن تقبل بوجهي إليك وتقبل بوجهك إليّ» ولا يكاد يصحّ هذا السؤال إلّا إذا كان الإنسان

مدبراً بروحه عنه تعالىٰ وإلّا لكان تحصيلاً للحاصل.

ثم إنّ من المعلوم أنّ الخطابات الإلهية لا تتوجه إلىٰ عامة الناس علىٰ حدّ سواء، وذلك لما نرىٰ من التفاوت البيّن بين أفهامهم، فلا يكاد يصل جميعهم إلىٰ ما تضمّنته الخطابات الإلهية من غوامض المعارف وقبولها كما لا يخفىٰ، فلا محالة يكون كلّ واحد علىٰ حسب واجديّته لملكة القبول مخاطباً بخطاب يخصّه، وعليه فلابدّ من بيان أقسام الناس، ثم بيان أنّ أي خطاب منها متوجه إلىٰ أي قسم منهم، ضرورة أنّ الشرع لم يدع أي طبقة منهم علىٰ اختلافهم إلّا وقد بيّن لهم ما به صلاحهم، ووصولهم إلىٰ تلك المعارف إذا عملوا بها فنقول: الناس علىٰ أقسام:

الأول: مَن لا يعلم ولا يكاد يعلم إلّا الظاهر من الدنيا، قال الله تعالىٰ: ﴿**يعلمون ظاهراً من الحيٰوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**﴾[1] فهؤلاء لم يتجاوز علمهم عن محسوساتهم، ولم يعلموا غير عالم الدنيا بل هم ينكرون ما سمعوا من غير عالمهم، أو يقبلوها مع ما يقدرون لها من لوازم عوالمهم، وكيف كان فلا يفقهون قولاً من غير مرعاهم وملبسهم الدنيوي، وهم الذين أخلدوا إلى الأرض ولا يحومون إلّا حول أنفسهم.

فهم من ـ الظالم ـ حقيقة الذي ورد في حقّه «الظالم يحوم حول نفسه، فأولئك هم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً» لأنّ الحيوانات معذورون في عدم نيلها للمعارف لقصورها الذاتي، وأمّا هؤلاء فقد أعطاهم الله تعالى العقل، وبيّن لهم طريق مرضاته ومعارفه، ولكنهم كفروا بأنعم الله عليهم، واتبعوا أهواءَهم بعد قيام الحجّة عليهم، فهم حينئذ من الكفار والمعاندين، أو ملحقون بهم حكماً كما سيأتي حال الملحق بهم قريباً إن شاء الله.

الثاني: من قد خرج من ظلمات الكفر وتوجّه إلى السلوك في طريق الرشد،

---

١ ـ الروم : ٧.

وربما سلك قليلاً إلّا أنّه وقف في الطريق، وغفل عن المقصود من إراءة الطريق له، وكثيرون هؤلاء الذين وقف بهم المشي دون أن يصلوا إلىٰ أعلىٰ مراتب الإيمان والمعارف، واكتفوا بعلم المعارف دون الاتصاف بحقيقتها، مع أنّ المقصود من علمها هو الاتصاف بالعمل بحقائقها، وهؤلاء وإن كانوا مفارقين ظاهراً للفرقة الأولىٰ إلّا أنّهم ملحقون بهم باطناً؛ لعدم تنور باطنهم بالمعارف التي بها النجاة يوم القيامة إلّا أن تشملهم العناية الأزليّة، ويرجىٰ في حقّهم ذلك؛ لأنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فلعلّ المغفرة تشملهم إلّا أنّهم لفي خطر عظيم كما دلّ عليه الخبر، وعلىٰ تقدير نجاتهم فليس لهم الدرجات العالية، بل يدخلون في مرابض الجنة كما نقل ذلك عنهم عليهم السلام وهذا حال أغلب عوام الناس.

ثم إنّ هؤلاء علىٰ قسمين، منهم: من لا يعرف من الدين ومعارفه إلّا ما سمعه من آبائه أو أهل العلم في زمانه، وأما هو فلا يشتغل إلّا لما يهمّه من أمر دنياه، وليس همّه في نيل تلك المعارف، فهو عالم بها في الجملة غير عامل بها أبداً، وهؤلاء الذين يرفعون اليد عن الدين بمجرّد أدنىٰ تشكيك من المشككين، وهم أبناء كلّ ناعق يميلون مع كلّ ريح؛ لأنهم لم يستضيئوا بنور العلم.

ومنهم: من عمل بما علم في الجملة، واشتمل على المعارف في الجملة، وعلم أنّ النجاة في تلك المعارف وفي الاتّصاف بها، وذاق لذّة بعضها إلّا أنّه لما كان بعد أسيراً للنفس ولصفاتها، فلم يصل إلىٰ درجة التخلّص من النفس والانقطاع إليه تعالىٰ، كما هو دأب كثيرين من المتعرفة في هذا الزمان، فإنّهم وجدوا شطراً يسيراً منها، واكتفوا بذكر البقيّة، ووقفوا دون الوصول إليها، ولعمري إنّ الحسرة عليهم يوم القيٰمة أدوم كما سيجيء. وهؤلاء أيضاً علىٰ قسمين:

القسم الأول: من قد علموا بل قد اشتملوا على بعضها، إلّا أنّهم لم يصلوا إلىٰ أقصىٰ مراتبها، ومع ذلك لا ينكرون المعارف الإلهية التي لم تبلغ إليها أرواحهم، وأنىٰ لهم من إنكارها، مع أنّ الكتاب الكريم وكلمات العترة الطاهرة مشحونة بها،

وإنما لم يصلوا إليها مع الإذعان بها لرسوخهم في القوة البهيميّة، فهم ممنوعون عن مشاهدة آثار المعارف الإلهية حقاً بتمامها، ضرورة أنّ تقوية القوى الحيوانية توجب تضعيف قوى الإنسانية؛ لورود هيئات نفسانية وإذعانات قاصرة قد عقدوا بها قلوبهم، وقد أخذوها من البراهين المسلّمة المتداولة بين عامة الفلاسفة، التي انتزعت من أمور مادية خالية عن الحقّ والحقيقة.

ضرورة أنّ أتقن البراهين في الفلسفة هو قاعدة امتناع اجتماع النقيضين وامتناع ارتفاعهما، الذي إليها يرجع امتناع اجتماع الضدّين أيضاً كما حقّق في محلّه، وهذه كما ترىٰ ناشئة عن المادة، إذ العقل قد استنتجها من عدم إمكان جمع تفاحة مثلاً مع عدمها، أو ارتفاع نفسها وعدمه معاً، فمتعلقها ومنشأها هو المادة.

ولعمري إنّ ما كان ناشئاً من المادة كيف يمكن التوصل به للاشتمال والتوصل إلى المعارف الإلهية، التي علمت أنّ لها وجوداً واقعيّاً في عالمها، ولا يكاد يتحقق في عالم المادة؛ لأنّها كما سيجيء مع ما لها من المدارك من الأخبار أنها خارجة عن المادة والمدة، بل هي من الموجودات المجرّدة عنهما.

نعم البراهين العلمية إنما تفيد حفظ الروح عن الانحراف فيوجب توجهه إليه تعالىٰ فقط، وأمّا درك تلك المعارف بها فلا، ولذا نرىٰ كثيراً من أكابر الفلاسفة يتهافتون في الكلام، فيناقض كلام بعضهم مع بعض في الإلهيّات، فكلّ يختار في علم الله شيئاً علىٰ حسب ما يقتضيه دليله، مع أنّ الواقع لا تفاوت فيه، فحينئذ كيف يمكن الركون إلىٰ أدلّتهم لنيل تلك المعارف؟!

ولعمري إن قاطبة أهل الفلسفة غير المهذّبين منهم لا يكادون يصلون إلىٰ المعارف أبداً، ضرورة أنّ طريقها هو تهذيب الروح، وهو لا يكون إلّا بالسير الروحي، ولا يكون هذا إلّا بالسير الموصل وهو المأثور عنهم عليهم السلام؛ لأنهم العارفون بالطريق لا غير، فالعلم النافع لا يحتاج إليه إلّا بمقدار العمل للوصول، فكثيره النافع أيضاً غير مفيد فضلاً عن غير النافع من الفلسفة وغيرها.

وكيف كان: فأذهانهم مشحونة بهيئات نفسانيّة تمنعهم عن الإخلاص والانقطاع إليه تعالى، وليس ذلك إلّا لتركهم ما أُمروا به من العمل بما يوجب تهذيب النفس، ورسوخهم فيما لم يكلّفوا به، بل ربما صار ترسّخ هذه الهيئات العلمية في نفوس بعضهم سبباً للقطع بأنه لا معارف إلّا ما علموه بالفلسفة، ولذا ترىٰ بعضهم يعظّمه كتعظيم القرآن. وهذه الطائفة من الذين يميلون قلباً إليها كما أُشير في المروي عن العسكري عليه السلام كما سيأتي من قوله: «علماؤهم شرار خلق الله علىٰ وجه الأرض؛ لأنهم يميلون إلى الفلسفة والتصوّف» ضرورة أنّ الظاهر منه هو الذي يميل قلبه إليها بحيث يأخذ منها العقيدة لا من أكمل عقيدته من المدارك الصحيحة، فإنّه لا تضرّه الفلسفة وإن إشتغل بها تعليماً وتعلّماً كما هو ديدن علمائنا رحمهم الله.

فمجرّد الاشتغال بها غير مذموم إلّا إذا كان بقصد العقيدة، ولعمري إنّ غير المهذب لا محالة يقع في هذا الخطر، فينبغي لمدرسي الفلسفة أن يمتحنوا تلامذتهم بالأخلاق وحسن العقيدة بأُصول الدين، وإلّا فلو كانوا ضعفاء فيهما فلا ريب في أنّ تعليمها أشدّ ضرراً على الدين من السمّ القاتل، حفظنا الله تعالىٰ من ذلك.

ومن هؤلاء من يقطع بأنّه لو كان شيء من المعارف فهو مختصّ بمحمد وآله صلى الله عليه وآله لا يتجاوز غيرهم، ولعمري إنّ هذا هو الفقر الذي يعدهم الشيطان لقوله تعالىٰ: ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾[1].

نعم: تقدّم وسيأتي أنّ هناك معارف تختصّ بهم عليهم السلام إلّا أنّه مع ذلك هناك معارف يصل إليها أولياء الله من المؤمنين في كلّ زمان كما يشير إليه قوله عليه السلام في نهج البلاغة: «فما برح لله جلت آلاؤه في البرهة بعد البرهة وفي أزمان الفترات عباد ناجاهم في فكرهم، وكلّمهم في ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظة في الأسماع والأبصار والأفئدة».

---

١ ـ البقرة: ٢٦٨.

ولعمري إنهم لو تأمّلوا في الأخبار الواردة في المعارف، وفي الآيات القرآنية والآفاقية والأنفسية لما وقفوا دون أن يصلوا إلى المقصد، ثمّ إنّك لو تأمّلت في الأخبار المأثورة عنهم عليهم السلام لرأيت أنّ أغلبها تدعو إلى العمل ولذا قد كثرت عناوين العبادات من الصلاة والصوم والأدعية ليلاً ونهاراً حتّىٰ للساعات مع تلك التأكيدات، وليس هذا إلّا لأجل أنّ المقصود لمّا كان سوق الروح إليه تعالىٰ بحيث يكون الروح سايراً في المعارف بالعمل علىٰ طبق الوظائف، فلذا أمروا العباد بالاشتغال بالعبادة كلّ علىٰ حسب ما يمكنه منها، وإنّما أمروا عليهم السلام بالتعلم لما صدر عنهم دون غيرهم، خصوصاً من مثل الفلسفة الموجبة لتشتت البال، وخصوصاً لغير المهذّب نفساً، بل نهوا عن التعلّم بما لم يعملوا به، وهذا هو المقصد الأقصىٰ من الشرع.

ثم اعلم أنه ليس المراد من العمل مجرد إتيان الأعمال بالجوارح فقط، بل المراد إتيان الأعمال كما ينبغي، وبما هو صادر عمّن احتوىٰ على المعارف والحقائق الإلهية، بيانه: إنّ مجرّد دعوى الإيمان أو التشبّث بأئمة الدين عليهم السلام، ومجرّد الإتيان بصورة العمل الظاهري لا يؤدي إلىٰ مقام الرضوان والوصل والمعرفة بالعزيز الرحمان وان كان العامل هكذا، ربما يكون من أهل النجاة، وممن تشمله العناية الإلهية، فيصير من أهل الجنة كما أشرنا إليه سابقاً، إلّا أنّه لا يكون من أهل الله وأهل المعرفة وأهل الوصل إلاّ إذا كان عارفاً بطرق المعرفة ويتميزّ الطريق المجازي الصوري عن الطريق الحقيقي، ضرورة أنّ مجرد الإتيان بالأعمال بدون المعرفة يكون طريقاً مجازيّاً أي غير حقيقي، وهذا غير موصل إلى المعرفة، وأمّا الموصل فهو الذي يكون بذرها عن معرفة ثابتة في القلب أولاً، ويكون العمل الشرعي بمنزلة السقي لها، فإنّ المحقق في محلّه أنّ وجود الاعتقادات الإيمانية والمعارف الإلهية إنما يتصور في الباطن بالعمل الصالح مقروناً بالتقوىٰ والمحبّة والتوجه التام إليه تعالى، فحينئذ يؤدّي هذا العمل الصادر عن صاحب هذا القلب المتّصف بتلك الأوصاف المذكورة إلى

السعادة الأبديّة، أي إلى النعيم الأُخروي، وإلىٰ مقام المعرفة به تـعالىٰ، وإلىٰ مـقام الوصل والفناء عن النفس والبقاء بالرب، فبالعمل الصالح وتكرّره وعدم وجـود المعاصي الموجبة لحبط آثارها تصير هذه المعارف راسخة في القلب، وبقوة العمل الموجب لنورانية القلب ترتفع الحجب الظلمانية عن القلب فتحصل المـعرفة. وإلى هذا كلّه يشير ما ورد عن الجواد عليه السلام من قوله: «القصد إلى الله بـالقلب أبـلغ مـن أتعاب الجوارح» أي المهمّ هو أمر القلب والقصد به إليه تعالىٰ، وهو لا يكـون إلّا بالمعرفة، فالعمل الصادر عـن مـعرفة يـوجب الترقي والوصـول إلى السـعادات الأبدية، فالعمدة حينئذ المعرفة ثم العمل لا زيادة العمل كما سيأتي بيانه أيضاً، فهذا هو المراد من العمل المندوب إليه في السير إلى الله تعالىٰ، وليعلم أنّه ليس المـراد أنّ تعلّم فنون العلم ممنوعة، بل المراد أنّ الأهمّ للمؤمن هو العمل عن علم صحيح بما يصلحه ويوجب انقطاعه إليه تعالىٰ، ثم اشتغاله بعد نيل الحظ الوافر مـنه بسـائر العلوم كلّ علىٰ حسب ما يليق به حالاً وزماناً.

ثم إنّ أغلب النزاع الحاصل بين الاعلام بالنسبة إلى المعارف الإلهية كـما هـو دأب كثير من علماء زماننا إنما هو ناشئ من ذلك.

توضيحه: أنّ دين الإسلام إنّما هو بصدد إيصال الناس إلىٰ أمرين:

الأول: العلم الموصل للمعارف.

الثاني: العمل بنحو يوجب اتصاف روح العامل بتلك المعارف التي علمت أنّ لها وجوداً واقعياً قد حكى عنه لسان الشرع كما يدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿**لكلّ نـبإٍ مستقرّ وسوف تعلمون**﴾[1] ولا يكاد يتضح واقع كثير منها إلّا للعامل بالوظيفة.

ضرورة أنّ الاتصاف بواقعها لا يكون إلّا بالعمل كما سيأتي في بـيان الإيمـان ومراتبه، من أنّ الإيمان من العمل والعمل من الايمان والايمان عـمل كـلّه، فـالعلم

---

١ ـ الأنعام: ٦٧.

الأول في أيّ خبر هو العلم بالأحكام وبالمعارف بصورة علميّة، والعلم الثاني المتولد من العمل هو روح المعرفة في أيّ باب بالنسبة إليه، ثم يزداد هذا الروح العرفاني إلىٰ أن يشتمل بحقيقته الأصلية في ذلك الأمر، فالعرفان الشرعي هو هذا العلم المتولد من العمل وهكذا، لا الأمور المأخوذة من الفلسفة، أو من منتزعات النفس ومكاشفاتها، فإنها لازم أعم للنفس وللروح الكامل بل المكاشفة في الناقص دائماً تكون عن النفس، كما حقق في محلّه، وستجيء الإشارة إليه.

فالمؤمن بالعمل والتعبد يصل إلىٰ مقام يزهر قلبه كالمصباح، فيكشف له الواقعيات فهو يرىٰ ما لا يرىٰ غيره، فحينئذ ترىٰ مَن كثر علمه بالنسبة إلى المعارف المأخوذة من الشرع الأنور، الذي لم يستضئ بنور المعرفة لم تنكشف عنده حقائق المعارف؛ لعدم تهذيب نفسه، فتراه يعارض من هو عالم بها مع العمل، بحيث انكشفت له تلك الحقائق وإن كان لم يعلم كيفيّة بيانه.

وإلىٰ هذين القلبين يشير ما في الكافي بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لنا ذات يوم: «تجد الرجل لا يخطئ بلام ولا واو خطيباً مسقعاً، ولقلبه أشدّ ظلمة من الليل المظلم، وتجد الرجل لا يستطيع تعبيراً عمّا في قلبه بلسانه، وقلبه يزهر كما يزهر المصباح»[1] فدلّ علىٰ أنه يمكن أن يكون الرجل متبحراً في العلم، ومع ذلك يكون قلبه أشدّ ظلمة من الليل المظلم.

ومن المعلوم أنّ النزاع بينهما لا يرجع إلىٰ محصل، ضرورة أنّ هذا المظلم قلبه لا يفهم من كلمات الأحاديث إلّا ما يتصوره بذهنه المظلم، ولا يكاد يصل إلىٰ حقيقة الأمر، والآخر الذي يزهر قلبه كالمصباح قد عرف الحقّ من المعارف، مع أنّ المدرك لهما واحد، ضرورة أنّ كلمات الأئمة عليهم السلام كما دلّت عليها الأخبار في الكافي: «لها بطون كالقرآن لا يصل إليها إلّا من شرح الله صدره للإسلام» وإلىٰ هذا يشير

---

١ ـ الكافي ج ٢ ص ٤٢٢.

قوله ﷺ: «ربّ حامل فقه إلىٰ من هو أفقه» فالحامل للحديث يفهم منه شيئاً، والمحمول إليه يفهم شيئاً آخر أدقّ منه، وقول أمير المؤمنين عليه السلام كما في التوحيد في باب الرد على الثنوية في حديث طويل إلىٰ أن قال: فقال الرجل: يا أمير المؤمنين كيف لي بأن أعلم أنّي من المؤمنين حقّاً؟ قال عليه السلام لا يعلم ذلك إلّا من أعلمه الله علىٰ لسان نبيه ﷺ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنّة، أو شرح الله صدره ليعلم ما في الكتب التي أنزلها الله عزوجل علىٰ رسله وأنبيائه، قال: يا أمير المؤمنين ومن يطيق ذلك؟ قال: من شرح الله صدره ووفّقه له، فعليك بالعمل لله في سرّ أمرك وعلانيتك فلا شيء يعدل العمل[1]. فهذا الحديث ظاهر في أنه لا يعلم بطون ما في الآيات إلّا من شرح الله صدره.

وفي تفسير الصافي، رووا عن الصادق عليه السلام أنّه قال: كتاب الله علىٰ أربعة أشياء: العبارة والاشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواصّ، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء، فلا يكاد يتوجه إلى الاشارات، وإلىٰ اللطائف والحقائق إلّا الخواص والأولياء.

والحاصل: أنّ الناس بهذا اللحاظ علىٰ قسمين:

الأول: مَن شرح الله قلبه للإسلام.

والثاني: مَن يكون قلبه أشدّ ظلمة من الليل المظلم كما علمت ذلك عن الصادق عليه السلام.

وإلى الأول يشير أيضاً ما في نهج البلاغة: «عباد الله، إنّ مِن أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله علىٰ نفسه، فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف، فزهر مصباحُ الهدىٰ في قلبه، وأعدّ القِرىٰ ليومه النازل به، فقرّب علىٰ نفسه البعيد، وهوّن الشديد، نظر فأبصر، وذكر فاستكثر، وارتوىٰ من عذبٍ فراتٍ، سُهّلت له موارده، فشرب نهلاً،

---

١ ـ التوحيد ص٢٦٩.

وسلك سبيلاً جَدداً، قد خلع سرابيل الشهوات، وتخلّىٰ من الهموم، إلّا همّاً واحداً انفرد به، فخرج من صفة العمىٰ، ومشاركة أهل الهوىٰ، وصار من مفاتيح أبواب الهدىٰ، ومغاليق أبواب الردىٰ، قد أبصر طريقه، وسلك سبيله، وعرف مناره، وقطع غماره، واستمسك من العُرىٰ بأوثقها، ومن الحبال بأمتنها، فهو من اليقين علىٰ مثل ضوء الشمس، قد نصب نفسه لله سبحانه في أرفع الأمور، من إصدار كلّ واردٍ عليه وتصيير كلّ فرع إلىٰ أصله..»[1].

وما فيه أيضاً: «قد أحيا عقله، وأمات نفسه، حتّىٰ دقّ جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق، وسلك به السبيل، وتدافعته الأبواب إلىٰ باب السلامة، ودار الإقامة، وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة، بما استعمل قلبه، وأرضىٰ ربّه»[2].

وما فيه أيضاً، أما بعد: «فإنّ الله سبحانه وتعالى جعل الذكر جلاء للقلوب، تسمع به بعد الوقرة، وتُبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة، وما برح لله ـ عزّت آلاؤه ـ في البرهة بعد البرهة، وفي أزمان الفترات، عبادٌ ناجاهم في فكرهم وكلّمهم في ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظة في الأبصار والأسماع والأفئدة..»[3].

وما فيه أيضاً: «هجم بهم العلم علىٰ حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحلّ الأعلىٰ» .

فمن كان من اليقين علىٰ مثل ضوء الشمس لما ارتوىٰ من عذب فرات علم آل

---

١ ـ نهج البلاغة الخطبة ٨٧.

٢ ـ نهج البلاغة الخطبة ٢٢٠.

٣ ـ نهج البلاغة الخطبة ٢٢٢.

محمد عليهم السلام، فلا محالة له شأنية أن ينصب نفسه في أرفع محل؛ لتصيير كلّ فرع إلىٰ أصله، ولبيان جواب الاسئلة المشكلة جدّاً، فترىٰ يتكلم بالحكمة بما يتعجب منه الحكماء، كيف لا يكون كذلك، وقد أصبح بنور يقظة في سمعه وبصره وفؤاده؟ فهذا الذي قد شرح الله صدره، يعلم ويفهم من الآيات والأخبار بطونها وما لا يكاد يفهمه غيره، وعليه فكيف يجوز لمن قلبه مظلم بأشدّ الظلمة يعارض هذا الرجل الكامل؟ ضرورة أنّ الجاهل يعارضه مستدلاً بما يفهمه من الأدلة مع ظلمة قلبه، وذاك الكامل يفهم من هذه الأدلّة نفسها ما هو أدقّ، ولا يمكنه تفهيمه له، فلا محالة تقع المعارضة بلا علاج.

فإن قلت: فما المخرج؟ قلت بأمرين:

أحدهما: ما هو وظيفة للجاهل.

والثاني: ما هو وظيفة للكامل.

أما وظيفة الجاهل أي الأول: أنّه لابدّ من أن يردّ علىٰ غيره بما له من المحكمات من الأدلة الشرعية، وأمّا لو ألقي إليه كلام لم يفهمه، أو فسّر له كلام بما لا يقبله، وليس علىٰ ردّه دليل محكم من الشرع، فلابدّ له من السكوت وترك العناد والمجادلة وردّ علمه لأهله، لما علمت في حديث علل الشرايع من أنّ الإنكار لما لا يعلم، لعلّه يوجب تكذيب الله تعالىٰ فوق عرشه، وما في حديث جابر من أنّ الإنكار هو الكفر.

ضرورة أنّ القلب قبل تصفيته بذكر الله تعالىٰ يكون معانداً للحقّ كما دلّ عليه قوله عليه السلام في النهج: أما بعد: «فإن الله سبحانه جعل الذكر، الخ» فمن لم يصفّ نفسه فبمقتضىٰ طبعه معاند لما لا يفهمه من الحقّ، إلّا أنّ عقله لو أحياه يحكم بأن لا ينكر ما لم يعلمه حتىٰ يتبين له. إلّا إذا كان له دليل محكم من الشرع، وإليه يشير ما في تحف العقول عن الصادق عليه السلام من قوله: «وليس للجاهل بحث على العالم» ـ وسيأتي لهذا مزيد توضيح فيما بعد إن شاء الله ـ وحينئذ فلابدّ من السكوت والاشتغال

بالعمل إلىٰ أن يتبيّن له الأمر، ويقرّ على الأمر بما هو عليه إجمالاً، ولا يقول بالتفصيل إلّا إذا كان له دليل محكم.

وأما وظيفة الكامل أي الثاني: فعليه أولاً بكتمان ما علّمه الله من الأسرار، ضرورة أنّ العبد إذا أفشى السرّ وقع في الخطر مضافاً إلىٰ تضييعه العلم.

ففي الكافي بإسناده عن أبي عبيدة الحذّاء قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: والله إنّ أحبّ أصحابي إليّ أورعهم وافقهم وأكتمهم لحديثنا. وإنّ أسوءَهم عندي حالاً، وأمقتهم للذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروى عنا فلم يقبله واشمأزّ منه، وجحده وكفّر من دان به، وهو لا يدري لعلّ الحديث من عندنا خرج، وإلينا أسند، فيكون بذلك خارجاً من ولايتنا».

وفيه بإسناده عن معلىٰ بن خنيس قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «يا معلىٰ أكتم أمرنا ولا تذعه» إلىٰ أن قال: «يا معلىٰ من أذاع أمرنا ولم يكتمه أذلّه الله به في الدنيا». الحديث.

فدلّ هذا الحديث وما قبله علىٰ أنّ الإفشاء لغير الأهل موجب للخروج من الولاية، وللذلة في الدنيا، ويستفاد من قوله: «وكفّر من دان به» في حديث أبي عبيدة ما قلنا في الأمر الأول من عدم جواز الإنكار لما لا يعلم.

والحاصل: «أنه لابدّ من الكتمان إلّا عن أهله، ولعلّه الوجه في سكوت الأئمة عليهم السلام عن التصريح بالمعارف؛ لعدم قابلية العامة لفهمها، بل أمروا بالرفق مع الناقص.

ففي الكافي عن عبدالعزيز القراطيسي قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «يا عبدالعزيز إنّ الايمان عشر درجات» إلىٰ أن قال عليه السلام: «فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق، ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره، فإن من كسر مؤمناً فعليه جبره» فيعلم منه أنّ بيان دقائق العلوم للناقص ربما أوجب كسره وخروجه من الدين، إمّا لما تقدم

من قوله عليه السلام: «فيكون بذلك خارجاً من ولايتنا» لمجرد الإنكار له، وإما لأنه يوجب رفع يده عما بيده من الدين كما نراه عن بعض.

فلابد لمن بصّره الله تعالىٰ، من الرفق ولا يكسر المؤمنين كما هو دأب كثير من المتعرفة، فإنّهم لما لم يدعوا الكلام مع الناس مما لا يفهمون، فينكر عليهم، ويصير هذا سبباً لعدم ترقّيهم في تلك المعارف، وأن يقف بهم السير فيحرموا عن المعارف، ولعلّ هذا يكون المراد من قوله: «فإن مَن كسر مؤمناً فعليه جبره».

ولعمري إنّ إطلاق القول في المعارف قولاً وكتباً كما هو المتعارف في زماننا، هو الموجب لتحقق النزاع بين الناس، بل وبين الأعلام، وأما لو تكلم كلّ بما يفهمه مخاطبه، وجعله يترقىٰ بما بيّن له من الشرع، لما جحد المعارف أحد، فيمكن أن يكون وزر محروميّتهم عن المعارف علىٰ هؤلاء المذيعين للأسرار، علىٰ أنّه لا يمكن للبصير أن يتكلّم بما يبين حقيقة الأمر لغير البصير، كيف وقد علمت قوله صلى الله عليه وآله: «إنا معاشر الأنبياء نكلّم الناس علىٰ قدر عقولهم».

وأيضاً في توحيد الصدوق بإسناده عن أبي عمر السعداني: أنّ رجلاً أتىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، إني شككت في كتاب الله المنزل، فقال عليه السلام له: ثكلتك أُمّك، وكيف شككت في كتاب الله المنزل؟ ثم ذكر الرجل موارد شكّه من الكتاب وأجاب عليه السلام عنها، إلىٰ أن قال عليه السلام: «وليس كلّ العلم أن يستطيع صاحب العلم أن يفسّره لكلّ الناس؛ لأنّ منهم القوي والضعيف، ولأنّ منه ما يطاق حمله ومنه ما لا يطاق حمله، إلّا أن يسهّل الله له حمله وأعانه عليه من خاصّة أوليائه» الحديث.

فالمستفاد منه أنّه لا يمكن بيان حقّ العلم لغير القوي إلّا إذا كان من خاصة أوليائه، علىٰ أنّ الاعتبار يقضي بعدم إمكان البيان حقيقة لكلّ أحد، ضرورة أنّ الروح الضعيف، الذي هو أسير لصفات النفس يكون مادياً وملحقاً بها عرفاً، والأمر المادي محدود بحدود كثيرة، وعالم المادة أضيق العوالم، فالتعبير عن المعارف

بما لها من التوسعة في عالمها بالألفاظ في مقام البيان، إنّما هو بنحو يمكن تفهيمها في هذا العالم ولو بضرب من المجاز والمشابهة، ولذا لا يقدر علىٰ هذا التعبير إلّا الكامل الحقيقي، العارف بسنخيّة المشابهة المفهمة، وأما غيره فلا يمكنه ذلك.

ولذا نرىٰ كثيراً من المتعرفة والصوفيّة (لعنهم الله) يخبرون عن أمور تخالف الضروريات من الدين، وليس هذا إلّا لقصورهم عن الكمال كما سيأتي الإشارة إليه، هذا مع أنّ حقيقة بعض المعارف لا يمكن بيانها أصلاً، ولا يعلمها إلّا من يسري روحه في العوالم العلوية ففيها يرىٰ من عظمته وأنوار جلاله وجماله ما يبهر عقله، ويحار لبّه.

وإلىٰ ما قلنا من عدم إمكان بيان بعضها يشير قوله تعالىٰ: ﴿**فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين**﴾ ضرورة أنّ المصداق لقرة أعين كان معلوماً عنده تعالىٰ، وإنما لم يبيّنه لقصور هذا العالم عن إمكان البيان فيه، لا لعدم قدرته تعالىٰ، نعم: هو قادر بجعل الدنيا آخرة ثم بيانها.

وفي الحديث: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر» ولعمري إنّ ما كان كذلك، كيف يمكن بيانه إلّا إذا انشرح الصدر للإسلام؟!.

هذا بل لابد للإنسان لنفسه أيضاً من أن يتعامل معها بالرفق عملاً وعقيدة، فلا يعتقد إلّا بما عليه المحكم من الدليل علىٰ حسب فهمه، ضرورة أنّ السير الموصل هو ما كان عن دليل محكم شرعي، وإلّا انحرف، ولا يكون العلم إلّا ما خرج منهم عليهم السلام، قال الصادق عليه السلام لحكم بن عيينة وصاحبه: «شرّقا وغرّبا فلا تجدان علماً صحيحاً إلّا شيئاً خرج من عندنا» ولا يعمل أيضاً إلّا بما يحفظ معه الرفق علىٰ نفسه.

ففي الكافي بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لا تكرهوا إلىٰ أنفسكم العبادة»

وروي عن أبي جعفر عليه السلام: «إنّ هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق» أي فادخلوا[١].

والحاصل: أنه لابدّ من الرفق علىٰ نفسه وعلىٰ غيره، وإلّا كسر غيره ونفسه، فيحرم عن الترقي، بل اللازم هو السير الروحي بالعمل علىٰ طبق ما قرر له من العبادة بما ثبت له من المسلّمات والمحكمات الشرعية، فمن أخذ بهذه المسيرة فلا محالة تنكشف له الحقائق والمعارف شيئاً فشيئاً، هذا والعجب من بعض الفلاسفة وبعض المتعرفة كيف أنهم يتكلّمون في ذات الله تعالىٰ مع النهي عنه.

ضرورة أنّ البحث في علمه تعالىٰ الذي هو عين ذاته المقدسة بحث عن الذات، إلّا أن يقال: إنّ البحث عنه يرجع إلىٰ بيان كيفيّة تعلّقه بالمعلومات، وهذا خارج عن الذات. فتأمل فإنه دقيق غامض موجب للمزلّة. عصمنا الله تعالىٰ من الزلل.

ففي توحيد الصدوق بإسناده عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «يا مفضّل مَن فكر في الله كيف كان هلك، ومَن طلب الرياسة هلك».

ضرورة أنّ ذاته تعالىٰ لا تحيط بها الأوهام، بل هو محيط بها، فكيف يصير محاطاً بها؟ علىٰ أنّ سنخ ذاته تعالىٰ مخالف لسنخ الخلق، فقد دلّت أخبار كثيرة على أنّ الله خلو من خلقه، وخلقه خلو منه، فكيف يمكن تماسّ المخالف؟ مع المخالف وسيأتي في بابه بيانه. نعم لمعرفته تعالىٰ معنىً ستأتي الإشارة إلىٰ بيانها.

والحاصل: أنّ غير البصير بأمر من المعارف لا يصحّ له الكلام فيها فضلاً عن الذات العليا، فهو ممنوع عنه مطلقاً حتىٰ للبصير، ولا يكاد يتكلّم غير البصير إلّا بنحو الجدل والمخاصمة، ولا يخاصم إلّا من ضاق صدره.

ففي التوحيد بإسناده عن كليب بن معاوية قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «لا يخاصم إلّا من ضاق بما في صدره».

والحاصل: أنّ غير البصير إذا أراد البصيرة فلابد له ـ مضافاً إلىٰ عدم إنكاره للمعارف الإلهية، ضرورة أنّ الإنكار هو المانع الوحيد لانفتاح باب بصيرة القلب ـ

---

١ ـ الكافي ج ٢ ص ٨٦.

من التأمل في الآيات القرآنية والأخبار المنبّهة والأدعية المأثورة عنهم عليهم السلام فإنها مشحونة بالمعارف، التي لو تأمل فيها متأمل لصدقها بعد قبوله أصول الدين، وعدم اتّصاف روحه بالإنكار.

ثمّ إنّ الفرق بين البصير وغيره مع وضوحه من جهات، أنّ غير البصير وإن آمن بالله بل علم قليلاً من المعارف إلّا أنه يعبد الله من وراء حجاب فهو من حيث إيمانه من المحسنين، ولعلّه إليهم يشير ما روي عنه صلى الله عليه وآله إنّه سئل عن الإحسان فقال: «أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك».

وأما البصير فيقول سيدهم: «ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله قبله ومعه وبعده» ويقول: «لم أعبد ربّاً لم أره».

نعم: المراد من الرؤية رؤية القلب كما سيأتي تحقيقها، فالبصير يعبده علىٰ نحو مفاد ـ إنّ ـ فيعبده تحقيقاً، وغيره يعبده علىٰ مفاد ـ كأنّ ـ اطميناناً واعتقاداً لا مشاهدة قلبيّة.

ومنها: أنّ غير البصير لما كان غير مهذب القلب، وراكناً إلى الدنيا ومحباً لها، وهو بعد أسير لصفات النفس، فلا محالة تكون هذه الصفات مانعة عن: استفادته البصيرة من الآيات، توضيحه: إنه وإن قبل بعض المعارف، بل واشتمل علىٰ بعضها أيضاً، لكنّه لمكان هذه الأوصاف لا يكاد تسري آثار أعمالهم الصالحة إلى القلب؛ ليستفيدوا بها المعارف فلا تكون الصلاة لهم معراجاً، ولا موجبة لتركهم الفحشاء والمنكر علىٰ حسب حالهم، ولا يكون وجود هذه الصفات بما هي مانعة عن تأثير العبادات في قلبهم، وعدم تأمّلهم في الآيات إلّا لضعف اليقين بالمبدإ والمعاد، وإلّا فلو عظم الخالق في أنفسهم لصغر ما دونه في أعينهم.

فلعمري إنّ الموجب الوحيد للتبصر هو التوجه إليه تعالىٰ، إلىٰ أن يزول عن قلبه ما سواه، رزقنا الله ذلك بمحمد وآله عليهم السلام.

القسم الثاني من القسمين المشار إليهما: من قد بلغ إلىٰ غاية البصيرة وانفتحت

بصيرة قلوبهم بالعمل الصالح، فهم واجدون لفعلية الاستعدادت التي كانت كامنة فيهم، فهم متمكنون من الانقطاع القلبي عن هذه النشأة الدنيويّة بأسهل وجه كما علمت من قوله ﷺ: «واستلانوا ما استوعره المترفون» ومن الاتيان بالوظائف، بل لا يكاد يفتر أحد منهم من أقل هذه الأعمال الصالحة ثواباً، ومن الإخلاص إليه تعالىٰ حقيقة.

وبهذه المرتبة التي يأتي توضيحها وتقدّم بيانها سابقاً أيضاً، يمكنهم شهود ما وراء هذه النشأة، وشهود أنوار الجمال والجلال، ولعمري إنّ هذه درجة تلي درجة الأنبياء؛ ولذا سميت بدرجة المقربين؛ لقربهم إليه تعالىٰ، وإلى المقربين من الأنبياء والأوصياء.

ثم إنّ هؤلاء منهم من بلغ هذه الدرجة بالتعبد من دون واجديته لسائر العلوم، بل اكتفوا من العلم بما يصلحهم فقط، فهؤلاء وإن كانوا كاملين، إلّا أنّهم لا يمكنهم تربية غيرهم من الناقصين؛ لعدم إحاطتهم بما يربّيهم من ساير العلوم، وأما كمال أرواحهم فلا يكاد يستفيد منه الناقص، بل لابدّ من الحدّ الوسط بينهما؛ ليأخذ الوسط من هذا الكامل ويعطي الناقص كما لا يخفىٰ.

ومنهم: الذين فازوا بالحسنيين فعلموا ظاهر الشرع وباطنه مع بلوغهم إلىٰ الكمال الأقصىٰ، فهؤلاء هم الكاملون بقول مطلق، ويمكن الاستفادة منهم إلّا أنّهم أقلّ من الكبريت الأحمر، ولعلّه إلىٰ هذه الأقسام يشير ما ذكره الشهيد (رحمه الله تعالىٰ) في بيان أقسام العلماء، فقد تقدم كلامه بتمامه فراجعه.

هذه جملة من الأقسام للناس، ولعلّه يوجد هناك أقسام أُخر متوسطات بين تلك الأقسام كما لا يخفىٰ.

ثم إنّ الشارع لم يهمل هذه الأقسام، بل له بالنسبة إلىٰ أي قسم منهم خطاب يتوجه إليه، ولكلّ منهم عمل لا يمكن حصوله من القسم السابق عليه بدون العكس، فترىٰ أنّ القسم الثاني منهم يكون له من الخطابات والعتابات ما لم يكن

للقسم الأول من المنكرين له تعالىٰ، بل ربما اقتصر للأول بمجرد قول لا إله إلاّ الله محمد رسول الله علي ولي الله، بل بمجرد الإقرار بالتوحيد في بعض كما لا يخفىٰ.

وهذا بخلاف القسم الثاني فانه ربما جعل لهم مضافاً إلى الأعمال السياسات الشرعيّة كما ينبئ عنها كتاب الحدود، بل ويجعل لهم أحكاماً مستحبّة مؤكّدة لم تكن لغيرهم، ونرىٰ أنّ الشارع يُمكّن تلك الأعمال العبادية مطلقاً وترك المحرمات في قلوبهم بالوعد بالجنة والوعيد من النار، وهكذا بالنسبة إلى الطائفة الثالثة والرابعة يشتدّ الأمر والتكليف من لزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنسبة إلىٰ غيرهم، ومن لزوم تبليغ الأحكام للجاهلين، ومن اشتمالهم على الأخلاق الحميدة من الصبر على الأذىٰ وغيره في ترويج الدين، وفي تربية نفسه بما لا يكون علىٰ غيرهم.

ثم نرىٰ أنه تعالىٰ يعامل مع الطبقة الأخيرة من الكاملين بما هم من القسمين خصوصاً الأخير منهما، ما لم يعامل مع غيرها فنرىٰ أنه تعالىٰ يحثّهم علىٰ ترك أمر لم ينه عنه غيرهم كقوله لداود عليه السلام: «فإنّما أبحت الشهوات لضعفة خلقي، فما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فإنّها تنقص حلاوة مناجاتي».

والحاصل: أنه رب مباح للسابقة يكون منهياً عنه للأخيرة، ولذا قيل: «حسنات الأبرار سيئات المقربين» ثم إن هذه الدعوة الأكيدة منه تعالىٰ تكون لكلّ أحد إلّا أنه لم تكن لمن قبل هذه الطائفة، لقصورهم، وإلّا فجميع الخطابات الشرعيّة إنما هي بداعي إيصال العبد إلىٰ مقام الخلوص إليه ومقام معرفته، ولا يوجد كلام في الكتاب أو في السنة من أي باب فرض إلّا وهو مسوق بهذا الداعي، إلّا أنّ أهل البصيرة يدركون هذا الأمر لا محالة.

فعلم مما ذكرنا: أنّ المراد من قولهم: إنّ حديثنا صعب مستصعب يشير إلىٰ تلك المعارف الخفيّة، وسيجيء توضيحها قريباً.

خاتمة: قد علمت من الأحاديث السابقة أهمية أمر الولاية بما لها من المعنيين

فاعلم: أنه ربما يتوهم أنّ المخترعات التي التزمت بها الفرقة الضالة من الصوفية داخلة في واقع تلك الأمور والمعارف الصعبة، التي أُشير إليها في تلك الأحاديث مع أنه من البطلان بمكان من الوضوح فلابد من بيان ما يندفع به هذا التوهم.

فنقول مزيداً علىٰ ما مرّ من الكلام وتوضيحاً له قد علمت فيما سبق:

أنّ هٰذا الدين معارف جمّة لا يكاد يصل إليها إلّا من سبقت له من الله الحسنىٰ، ولا يكون إلّا لمن استجاب لدعوة ربّه لقوله تعالىٰ: ﴿**للذين استجابوا لربّهم الحسنىٰ**﴾[1] ومن شرح الله صدره للإسلام. وإن الغرض من إرسال الرسل، وإنزال الكتب هو سوق الناس إليها، وليتسببّوا بها إلىٰ تحصيل معرفته تعالىٰ، التي هي المقصود من الخلق، قال الله تعالىٰ: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلّا ليعبدون**﴾[2] ولا يكاد تحصل العبادة له تعالىٰ كما ينبغي له إلّا بمعرفته تعالىٰ.

قال الله تعالىٰ لنبيّه ﷺ ليلة المعراج في حق الكاملين العارفين: «ويعظّمونني حقّ عظمتي» فصحّ تفسيره بقولهم عليهم السلام: أي ليعرفون.

ويشير إليه ما رواه في تفسير الصافي عن الصادق عليه السلام: خرج الحسين بن علي عليه السلام علىٰ أصحابه فقال: «أيها الناس إنّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلّا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، وإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه، فقال له رجل: يابن رسول الله بأبي أنت وأُمي ما معرفة الله؟ قال: معرفة أهل كلّ زمان إمامهم، الذي تجب عليهم طاعته» فعلم منه أنّ المقصود الوحيد من الخلق هو المعرفة به تعالىٰ.

ثم إنّ تفسيره عليه السلام معرفة الله بمعرفة الإمام، فلأنه لما كانت معرفته عليه السلام مستلزمة لمعرفته تعالىٰ، أو أنّ معرفته تعالىٰ لا تكون ابتداءً إلّا من طريق معرفتهم، أو أنّ معرفتهم وجه لمعرفته تعالىٰ وشأن من شؤونه، ضرورة أنهم وجه الله، ومَن قصده

---

١ ـ الرعد: ١٨.
٢ ـ الذاريات: ٥٦.

توجّه بهم، أو أنّ معرفته تعالى منحصرة في بيانهم، وهو لا يكون إلا بعد معرفتهم؛ لِعدم معرفة غيرهم معرفة الله ولبيانها، فصحّ التعبير عن معرفته تعالىٰ بقوله ﷺ: «معرفة أهل كل زمان إمامهم».

ويمكن أن يكون الوجه في ذلك أن المخاطب لم يكن أهلاً لتفهّم معنىٰ معرفة الله تعالىٰ، ففسّرها ﷺ باللازم لها من معرفة الإمام ﷺ وسيجيء له مزيد توضيح في محلّه إن شاء الله تعالىٰ.

ولا ريب أنّ لتلك المعارف طريقاً يوصل السالك فيه إليها، وهو ما بيّنه الكتاب الكريم وفسّرته العترة الطاهرة لا غير، ثم إنّ ما بيّنه الشرع المبين يرجع إلىٰ قسمين:

الأول: بيان الأحكام بما لها من الأقسام الخمسة، ومن الأمور الأخلاقيّة وغيرها.

والثاني: بيان ما به كيفية العمل الموصل إلىٰ تلك المعارف.

أما الأول: فالمتكفّل لبيانه هو الكتب الفقهية والأخلاقية.

وأما نفس تلك المعارف فقد علمت أنّ لها وجوداً واقعيّاً قد حكى عنه لسان الشرع من الكتاب والسنة، كما صرّح به قوله تعالىٰ في سورة الأعراف: ﴿**ولكلّ نبإ مستقرّ وسوف تعلمون**﴾ أي أن لكلّ نبإ أخبر به الله أو الرسول مستقرّ في نفس الأمر، ومن المعلوم أنه لا طريق إليه إلّا بالعمل علىٰ وفق ما بيّنه الكتاب، فالعمل هو الواسطة بين التعلم والوصول إليه، ويتوقف العمل على العلم بالأحكام المتوقف عليها العمل.

وهذا العلم هو المقصود من تعبيرهم عن العلم المقصود لغيره بعلم الظاهر والشريعة، وعن المقصود لذاته بعلم الباطن والحقيقة، وعن المجموع بعلم الحكمة، قال الله تعالىٰ: ﴿**ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً**﴾[1] ومن تقسيمهم العلم إلىٰ: علم الشريعة وعلم الطريقة وعلم الحقيقة، ضرورة أنّ المراد من علم الظاهر

١ ـ البقرة: ٢٦٩.

والشريعة هو العلوم المتلقاة من الشرع بداعي سوق العباد إليه تعالىٰ؛ ولذا يكون مقصوداً لغيره.

والتعبير عنه بعلم الظاهر أو بالقشر كما في كلمات بعضهم، فإنما هو بلحاظ أنه لما كان واقع الدين ونفس المعارف الإلهية محفوظاً بظاهره فعبّروا عن الحافظ له بالظاهر، كما عبّروا عن الواقع بعلم اللّب والحقيقة، فكلّ أحد لا محالة له ظاهر من الشرع، فإن كان ظاهره سقيماً يكشف عن أنّ باطنه أيضاً كذلك.

ضرورة أنّ ظهور الباطن بآثار الظاهر حتىٰ قيل: إنّ الظاهر عنوان الباطن فإن كان صحيحاً فباطنه أيضاً كذلك، إلّا أنه مع ذلك قد يكون حسن الظاهر أعم من حسن الباطن كما ستجيء الأخبار الدالة عليه، فحينئذٍ عبّروا عن الظاهر بالقشر، ضرورة أنّ القشر كما يوجب عدّ الشيء في عداد الصحيح من نوعه إذا كان صحيحاً بظاهره، ولا يبدي باطنه وإن كان فاسداً، فكذلك من اشتمل على ظاهر الشرع فهو محكوم بالإيمان ظاهراً، وإن لم يعلم صحة باطنة وعدمها، كما لا يخفىٰ، وإن أُريد غير ما ذكر فمردود جدّاً.

وكذلك المراد من علم الطريقة هو العلم بكيفية المشي على الطريقة المحمدية ﷺ ولا نعني منه غير هذا كما يشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿وأَلَو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً﴾[1] في مجمع البيان: والأولىٰ أن تكون الاستقامة على الطريقة محمولة علىٰ الاستقامة في الدين والإيمان؛ لأنها لا تطلق إلّا علىٰ ذلك، أقول: أي استقامة عملية بأن يكون ثابتاً في العمل علىٰ طبق الوظائف الدينية إلىٰ أن قال ؒ: وفي تفسير أهل البيت عليهم السلام عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله ﴿إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا﴾ قال: هو والله ما أنتم عليه، ولو استقاموا علىٰ الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً، وعن بريد العجلي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: معناه لأفدناهم علماً كثيراً يتعلّمونه من الأئمة، انتهىٰ كلامه.

---

١ ـ الجن : ١٦.

أقول: وإليه يشير أيضاً قوله تعالىٰ: **﴿فاستقم كما أُمرت﴾** وما في الكافي تحت عنوان: إنّ الطريقة التي حثّ على الاستقامة عليها ولاية علي عليه السلام بإسناده عن يونس بن يعقوب، عمّن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالىٰ: **﴿وألّو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً﴾** قال: يعني لو استقاموا علىٰ ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين والأوصياء من ولده عليهم السلام وقبلوا طاعتهم في أمرهم ودينهم؛ لأسقيناهم ماءً غدقاً يقول: لأشربنا قلوبهم الإيمان بولاية علي والأوصياء.

وفي نهج البلاغة في مدح النبيّ صلى الله عليه وآله: ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن الأخلاق.

وفيه أيضاً تنبيهاً لعقيل: فظنّ أني أبيعه ديني وأتبع قياده مفارقاً طريقتي.

وفيه أيضاً في ذم المفارقين عن الطريقة: ولو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق.

وفي توحيد الصدوق رحمه الله بإسناده عن الحارث الأعور قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ أن قال عليه السلام: وأعينوا أنفسكم بلزوم الطريقة المستقيمة وهجر الأمور المكروهة، وقال عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق: اللّهمّ أسلك بي الطريقة المثلىٰ.

فعلم أنّ المشي علىٰ طبق الوظائف الشرعية بأجمعها هو المراد من الطريقة لا غير، والعلم المتكفّل لبيانها بهذا اللحاظ يسمىٰ بعلم الطريقة، وسيجيء لهذا مزيد توضيح.

والمراد من علم الحقيقة هو وجدان واقع المعارف الإلهية قلباً، التي يكون أخصّها هو معرفته تعالىٰ، وهو نور يقذفه الله في قلب مَن أراد أن يهديه، ولا يصل إليها إلّا من سبقت له من الله الحسنىٰ، ولا يكون لأحد فيه الصنع، كما تدل عليه الأخبار الآتية في محلّه.

ضرورة أنّ المشي على الطريقة المستقيمة إنما هو يوجب الاشتمال علىٰ مراتب

الدين علىٰ ما تقدم وما يأتي بيانها، وأما معرفته تعالىٰ فلا يكون معلولاً لشيء، نعم، المؤمن الكامل قابل لأن يقذف الله تعالىٰ نور معرفته في قلبه.

والحاصل: أنّ حقيقة معرفته منه تعالىٰ لا غير، ولا يكون إلّا لأخصّ أوليائه قال عليه السلام: يا مَن دلّ علىٰ ذاته بذاته، فلا دليل علىٰ معرفته إلّا به.

إذا علمت هذا فاعلم: أنّ تلك المعارف التي أُشير إليها إجمالاً وتأتي تفصيلاً قد خفيت علىٰ كثير من الأفاضل بل العلماء، والوجه فيه عدم التمييز بين حقّها وباطلها إذ قد اشتبه بعضها مع بعض المخترعات من الصوفية (عليهم لعائن الله أبد الآبدين) وحينئذ فخاف الخوض فيها من لم يتبع مظانها الحقيقية وهي كلمات أهل بيت العصمة عليهم السلام وحيث إنّ الأغلب غير عاملين بالوظائف الموصلة إليها مع أنّه لا يكاد يفهمها إلّا من كان مهذّباً بالعلم والعمل كما علمت، ولذا تخلّوا عنها واكتفوا ببعضها الذي لا سرة عليه ولم يتجاوزوا عنه شيئاً.

وهذا من مفاسد اختلاط الحقّ بالباطل، ضرورة أنه لم يزل منذ بعث الله النبيّ صلى الله عليه وآله لدولة الباطل جولة ولأهله صولة، وقد نسجوا لأهويتهم الباطلة الردية ما هو أهون من نسج العنكبوت وستروا بها محض الحق، ولكنّ الله تعالىٰ يحقّ الحق بكلماته ولو كره الكافرون.

قال عليه السلام في نهج البلاغة: «إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع، وأحكام تبتدع، يُخالفُ فيها كتابُ الله، ويتولّىٰ عليها رجالٌ رجالاً علىٰ غير دين الله، فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين، ولو أنّ الحقّ خلص من لَبس الباطل، انقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضِغث، ومن هذا ضِغث، فيمزجان، فهنالك يستولي الشيطان علىٰ أوليائه، وينجو **﴿الذين سبقت لهم من الله الحسنىٰ﴾**»[1].

هذا ولكن الحق وإن لم يزل تعارضه أهوية المبطلين، إلّا أنه واضح لأهل

---

١ ـ نهج البلاغة، الخطبة/ ٥٠.

التقوىٰ واليقين، ولا يكاد يضرّ هذا الخلط بين الحقّ والباطل إلّا بالذين يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، فيتجلّى الباطل عندهم بصورة الحقّ تارة، والحقّ بصورة الباطل أُخرىٰ، فهم في ريبهم يترددون، وليس إلّا لتركهم ما أُمروا أن يأخذوا به من متابعة العترة وكلماتهم، ورسوخهم فيما لم يكلّفوا به من ركونهم إلىٰ اصطلاحاتهم النفسانية، ولذا قد تَخلّوا عن المعارف عملاً بل وعلماً.

فلذا أصبحنا ولا نرىٰ من تخلّق بأخلاق الله تعالىٰ، ونال من المعارف الإلهية واقتدىٰ بسنة نبيّه والأئمّة الطاهرين عليهم السلام ليكون لنا سلواً في مصيبات الدهر وهزاهز الزمان، ومرجعاً لنيل تلك المعارف، فالمشتكىٰ إليه تعالىٰ، وها نحن في زمان لا يزداد الحقّ فيه إلّا إدباراً، والباطل فيه إلّا إقبالاً.

إذن علمت من مطاوي ما ذكرنا أنّ المعارف الإلهية قد اشتبه بعضها مع بعض المخترعات من الصوفية (لعنهم الله) فلابدّ أولاً من ذكرهم وذكر معتقداتهم إجمالاً بنحو يمتاز الحقّ عن باطلهم، فنذكر أولاً **الأخبار الواردة** في هذا الموضوع، ثم نردفه بما يحتاج إلى الكلام؛ لتميز الحقّ عن باطلهم، فنقول وعلى الله التوكل:

في سفينة البحار، عن البزنطي وإسمعيل بن بزيع، عن الرضا عليه السلام قال: «من ذكر عنده الصوفية ولم ينكرهم بلسانه وقلبه فليس منّا، ومن أنكرهم فكأنما جاهد الكفار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله».

وفيه عن البزنطي أنّه قال: قال رجل من أصحابنا للصادق جعفر بن محمد عليه السلام: قد ظهر في هذا الزمان قوم يقال لهم الصوفية فما تقول فيهم؟ قال: «إنّهم أعداؤنا، فمن مال إليهم فهو منهم ويحشر معهم، وسيكون أقوام يَدّعون حبّنا، ويميلون إليهم، ويتشبهون بهم، ويلقّبون أنفسهم بلقبهم، ويؤولون أقوالهم، ألا فمن مال إليهم فليس منّا وإنا منه براء، ومن أنكرهم وردّ عليهم كان كمن جاهد الكفار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله».

وفيه أيضاً بإسناده عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال: سئل أبو عبدالله (جعفر الصادق عليه السلام) عن حال أبي هاشم الكوفي فقال عليه السلام: «إنه كان فاسد العقيدة جدّاً، وهو الذي ابتدع مذهباً يقال له التصوف، وجعله مفراً لعقيدته الخبيثة» ورواه بسند آخر عنه عليه السلام: «وجعله مفرّاً لنفسه الخبيثة وأكثر الملاحدة، وجُنّةً لعقائدهم الباطلة».

وفيه عن السيد المرتضىٰ بسنده عن الإمام العسكري عليه السلام أنه قال لأبي هاشم الجعفري: «يا أبا هاشم سيأتي زمان على الناس وجوههم ضاحكة مستبشرة، وقلوبهم منكدرة، السنّة فيهم بدعة والبدعة فيهم سنّة، المؤمن بينهم محقّر، والفاسق بينهم موقّر، أُمراؤهم جائرون، وعلماؤهم في أبواب الظلمة سائرون، أغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء، وأصاغرهم يتقدّمون على الكبراء، كلّ جاهل عندهم خبير، وكلّ محيل عندهم فقير، لا يميّزون بين المخلص والمرتاب، ولا يعرفون الظأن من الذئاب، علماؤهم شرار خلق الله علىٰ وجه الأرض؛ لأنّهم يميلون إلى الفلسفة والتصوّف.

وأيم الله، إنّهم من أهل العدوان والتحرّف، يبالغون في حبّ مخالفينا، ويضلّون شيعتنا وموالينا، فإن نالوا منصباً لم يشبعوا عن الرشا، وإن خذلوا عبدوا الله على الريا، ألّا أنهم قطّاع طريق المؤمنين (الدين خ ل) والدعاة إلىٰ نحلة الملحدين، فمن أدركهم فليحذرهم، وليصن دينه وإيمانه، ثم قال: يا أبا هاشم هذا ما حدّثني أبي عن آبائه عن جعفر بن محمد عليه السلام وهو من أسرارنا فاكتمه إلّا عن أهله».

وفيه أيضاً عنه (أي السيد المرتضىٰ) بسنده عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب قال: كنت مع الهادي علي بن محمد عليه السلام في مسجد النبيّ، فأتاه جماعة من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفري رحمه الله وكان رجلاً بليغاً، وكانت له منزلة عظيمة عنده عليه السلام ثم دخل المسجد جماعة من الصوفية، وجلسوا في جانب مستدير وأخذوا بالتهليل.

فقال عليه السلام: لا تلتفتوا إلىٰ هؤلاء الخدّاعين فإنّهم حلفاء الشياطين، ومخربوا قواعد الدين، يتزهدون لراحة الأجسام، ويتهجدون لتصييد الإنعام، يتجوّعون عمراً حتىٰ يدّيخوا[1] للايكاف حمراً، لا يهلّلون إلّا لغرور الناس ولا يقلّلون الغذاء إلّا لملإ العساس[2] واختلاس قلب الدفناس[3] يتكلّمون الناس باملائهم في الحب، ويطرحونهم بأداليلهم (بادلائهم خ ل) في الجبّ أورادهم الرقص والتصدية، وأذكارهم الترنّم والتغنية، فلا يتبعهم إلّا السفهاء ولا يعتقد بهم إلّا الحمقاء.

فمن ذهب إلىٰ زيارة أحد منهم حيّاً أو ميتاً فكأنما ذهب إلىٰ زيارة الشيطان وعبدة الأوثان، ومَن أعان أحداً منهم فكأنما أعان يزيد ومعٰوية وأبا سفيان، فقال له رجل من أصحابه: وإن كان معترفاً بحقوقكم؟! قال: فنظر إليه شبه المغضب وقال: دع ذا عنك، من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا، أما تدري أنّهم أخسّ طوائف الصوفية، والصوفية كلّهم من مخالفينا، وطريقتهم مغايرة لطريقتنا، وإن هم إلّا نصارىٰ ومجوس هذه الأُمّة، أُولئك الذين يجهدون في إطفاء نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

وفيه أيضاً عن الرضا عليه السلام قال: لا يقول بالتصوف أحد إلّا لخدعة أو ضلالة أو حماقة، وأما من سمّىٰ نفسه صوفيّاً للتقية فلا إثم عليه.

وفي رواية أُخرىٰ عنه بزيادة قوله: وعلامته أن يكتفي بالتسمية، ولا يقول بشيء من عقائدهم الباطلة.

وفيه أيضاً نقل عن كشكول شيخنا البهائي رحمه الله عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: لا يقوم الساعة علىٰ أُمتي حتىٰ يقوم قوم من أُمتي اسمهم الصوفية ليسوا منّي، وأنهم يحلقون للذكر ويرفعون أصواتهم، يظنون أنهم علىٰ طريقتي بل هم أضل من الكفار

---

١ ـ ديّخه: ذلّله.

٢ ـ العسّ: القدح أو الإناء الكبير.

٣ ـ الدفنس والدفناس: الأحمق الدّني.

(وهم أهل النار) لهم شهيق كشهيق الحمار، وقولهم كقول الفجار، وعملهم عمل الجهال وهم ينازعون العلماء، ليس لهم إيمان وهم معجبون بأعمالهم، ليس لهم من عملهم إلّا التعب.

وفي المحكي عن كتاب الكافي بإسناده عن سدير قال: قال الباقر عليه السلام: يا سدير أفأريك الصّادين عن دين الله بلا هدىً من الله ولا كتاب مبين؟ هؤلاء الأخابث، ثم نظر إلىٰ أبي حنيفة وسفيان الثوري في ذلك الزمان وهم حلق في المسجد، فقال: هؤلاء الصادّون عن دين الله بلا هدىً من الله، ولا كتاب مبين، إنّ هؤلاء الأخابث لو جلسوا في بيوتهم، فجال الناس فلم يجدوا أحداً يخبرهم عن الله تبارك وتعالىٰ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله حتىٰ يأتونا نخبرهم عن الله وعن رسول الله صلى الله عليه وآله.

أقول: هذه جملة من الأخبار في هذا الباب وهناك أخبار أُخر أغنانا عنها ما ذكرناه، إذا علمت هذا فاعلم: أنّ لفظ الصوفي والتصوف بما هو لفظ مع قطع النظر عمّا يراد منه لا يكون محكوماً بشيء من المدح أو الذم، ضرورة أنّ الألفاظ قوالب للمعاني، ولها عنوان الحكاية عمّا استعملت فيه، فإذاً لابدّ من تحقيق المعنى الذي استعمل فيه لفظ الصوفي في لسان أهل البيت عليهم السلام ليميز عن غيره معنىً لا لفظاً.

ضرورة أنه لو يسمىٰ شخص تقية بالصوفي فهذا لا يكاد يتوجه إليه ذمّ؛ لعدم اتّصافه بمعناه كما دلّ عليه ما روي عن الرضا عليه السلام من قوله: «وأمّا من سمّىٰ نفسه صوفياً للتقية فلا إثم عليه». وفي رواية أُخرىٰ عنه عليه السلام بزيادة قوله: «وعلامته أن يكتفي بالتسمية ولا يقول بشيء من عقائدهم الباطلة». فهذا الخبر صريح بأنّ الصوفي الملعون هو الذي اتّصف روحاً بتلك العقائد الباطلة دون التسمية فقط، فالعبرة إذاً بالاتصاف بتلك العقائد فقط.

فنقول: المستفاد من الأخبار الكثيرة المذكورة في الكافي وتوحيد الصدوق وسيأتي ذكرها إن شاء الله: أنّ الله تعالىٰ خلق الأرواح قبل الأبدان، وفي عالم الذر، وكانت في ذلك العالم عارفة بربّها، ثم لمصلحة جعلها الله تعالىٰ في الأبدان وأهبطها

إلى الدنيا، ثم إنه تعالىٰ قد أعطىٰ لهذا الروح نوعين من القوة: العقل وما له من الجنود البالغ إلىٰ اثنين أو ثلاثة وسبعين جنداً ، والجهل الذي هو روح الشيطان وما له من الجنود كذلك.

فجاء الروح الإنساني في هذا الدنيا مع هاتين القوّتين، ثم إنه كما يكون للروح صفاء وبهاء حيث إنّه أقرب الأشياء إليه تعالىٰ، ولا يكاد يجده في نفسه إلّا المؤمن الكامل، ويكون للعقل وجنوده أيضاً صفاء؛ لأنّها الواسطة بين الروح والجهل، فلصفائه يكون سبباً لإخلاص الروح من الجهل إلىٰ صفائه الأصلي، فكذلك يكون للجهل أيضاً بما لها من الجنود أيضاً صفاء، لكن يختلف سنخ صفائه مع صفاء الروح نحو اختلاف صفاء النار مع النور.

فالجهل الذي هو روح الشيطان له صفاء وإلّا ما قدر الشيطان أن يغوي ابن آدم، ولأجل صفائه هذا اغترّ الشيطان وقال جواباً عما سأله الله تعالىٰ عن تركه للسجود بقوله: خلقتني من نار وخلقته من طين، فإنّه لمّا رأىٰ صفاء النار وأفضليّتها على الطين وكدورته إغتر بها، إلّا أنّه لمكان رسوخ الكبر فيه قد ستر عليه مشاهدة صفاء الروح، الذي كان في آدم عليه السلام وكذا مَن كان متكبّراً يكون محجوباً عن مشاهدة صفاء الروح.

والشيطان أيضاً له صفاء، ولذا ورد أنّ للشيطان سريراً بين السماء والأرض يلبّي أولياءَه، وقد كان بعض الصوفية (عليهم لعائن الله) رأىٰ هذا السرير ومن عليه فظن أنّه الله، وكان يعبده مدّة مديدة إلىٰ أن سمع هذا الحديث فجعل يضرب علىٰ وجهه لما انكشفت عليه ضلالته، ثم إنه كما يكون للشيطان صفاء، فكذلك لجنوده من الغضب والشهوة والحسد وغيرها يكون لكلّ منها بالنسبة إليه صفاء، ولهذا الصفاء الناري والوهمي أمكن أن يوسوس في قلوب بني آدم ليضلّهم عن سبيل الله.

قال بعض الأعاظم[١]: لما تمّت حيلة إبليس علىٰ آدم ونال بغيته بإيصال الأذية إليه، وبلغ أُمنيته بإيقاع الوسوسة عليه، سأل ربّه ـ بوسيلة بعض صفات الله كالعزة والجلال ـ الإنظار إلىٰ يوم يبعثون فأجيب: إلىٰ يوم الوقت المعلوم، أخذ لنفسه جَنةً، غرس فيها أشجاراً، وأجرىٰ فيها أنهاراً، ووضع فيها أشكالاً وهيئات وتماثيل وصوراً، شبيهة بما في الجنة من الصور الحسان؛ ليشاكل الجنة التي أسكنها الله آدم، وقاس عليها وهندس علىٰ مثالها هندسة فانية لا بقاء لها، وجعلها مسكن أهله وأولاده وذريته وجنوده، وهي كمثل السراب الذي يحسبه الظمآن ماءً حتىٰ إذا جاءه لم يجده شيئاً، وذلك أنه من الجنّ ومن شأن الجن كما قيل: التخييل والتمثيل لما لا حقيقة له، كذلك فعل إبليس وجنوده إنما هو تمويه وتزويق ومخاريق، وتنميق لا حقيقة ولا حق عندها كالقياس المغالطي السفسطي ليصدّ لها بها الناس عن سنن الحقّ والصراط المستقيم، وبذلك وعد ذريّة آدم كما حكى الله عنهم بقوله: **﴿ثمّ لأتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾**[٢].

وفي الآيات والأحاديث ما يدل علىٰ كيفية وسوسته لبني آدم، وكيف كان فهو لعنه الله بهذه الأمور من الحسنات الخيالية المشابهة للحسنات الواقعية يوسوس في قلب ابن آدم ليضلّه، ولعلّه إليه يشير قوله تعالىٰ: **﴿وزيّن لهم الشيطان أعمالهم﴾**[٣] والله العالم.

إذا علمت هذا فاعلم: أنّ الروح الذي علمت أنّه كان ـ مع قطع النظر عن هاتين القوتين، قوة العقل والجهل ـ في كمال الصفاء، قد تكدّر صفاؤه بعد أن صار في الأبدان؛ لأجل اتصافه بغرائز صفات الجهل وجنوده، فالإنسان في الدنيا العاري

---

١ ـ تفسير يس لملا صدرا ص ٢٣١.

٢ ـ الأعراف : ١٧.

٣ ـ النمل : ٢٤.

عن أي دين ترى روحه مظلمةً مكدّرةً.

وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: «ولا حجاب أظلم وأوحش بين العبد وبين الله تعالىٰ من النفس والهوىٰ» الحديث.

والنفس وما لها من الصفات الرذيلة هي الحجب علىٰ صفاء الروح، فمعها لا يتمكن من مشاهدة أنوار الجلال والجمال له تعالىٰ، إلّا أنه يجد في نفسه أن له طريقاً إلى السعادة التي يتصوّرها إجمالاً في نفسه، وله أيضاً طريق إلى الشقاوة كذلك، وذلك لما يرىٰ في نفسه من قوّة العقل والجهل في الجملة، فحينئذ إذا صار متابعاً لقوىٰ عقله، الذي هو الحجة الباطنية من الله تعالىٰ عليه، فلا محالة يسلك مسلك السعداء، وإذا صار متابعاً لقوىٰ جهله فلا محالة يسلك مسلك الأشقياء.

ولعلّ قوله تعالىٰ: ﴿وهديناه النجدين﴾[1] أي نجد الخير ونجد الشر كما في الحديث، يشير إلىٰ ما ذكرناه، ولهذا مزيد توضيح يأتي في محلّه.

ثمّ إن المتابع لنفسه ولقوىٰ جهله أيضاً يلتذ بها لا محالة، وكذا ساير القوىٰ إلّا أنّ الالتذاذ به سنخ خاصّ لا يتعدّىٰ مورده عن الماديات، ثم إنه لما كانت جميع الصفات النفسية للجهل شعباً من الشيطان فحينئذ كلّ من ترسّخ في أحدها فلا محالة يصل بروحه إلىٰ روح الشيطان، وعندها يصير مظهراً لآثار الشيطان، فترىٰ جميع ما للشيطان من القدرة والصفاء والتصرف يظهر من هذا الكامل في صفات الجهل.

فحينئذ يغترّ بنفسه وينكر جميع ما سوىٰ محسوساته، فإنّ سنخ روحه سنخ لا يجتمع مع نور العقل، فإنّ بينهما تطارداً وتمانعاً ضرورة أنّ العقل بما له من المراتب هو روح الإيمان والنور، والجهل هو روح الكفر والظلمة وجنوده شعبه، وقد ورد في الخبر: «إنّ الله تعالىٰ خلق الإيمان» واشترط عليه أن يبغض الكفر، وخلق الكفر

---

١ ـ البلد: ١٠.

واشترط عليه أن يبغض الإيمان. ومن المعلوم أنّ هذا الشرط هو الشرط التكويني والجبلي يعني أنّ أصل كلّ منهما وحقيقته يبغض الآخر.

وبهذا تمتاز الحالات الشيطانيّة التي تكون للمتصوّفة والملاحدة وللعصاة عن الحالات الربانيّة، فأيّ حالة ترىٰ نفسك فيها غير محبّ لبعض صفات العقل ولبعض المعارف المسلّمة من الشرع، فاعلم أنّه من حالات الشيطان، ومن شعب الكفر والجهل، وإن كنت مستأنساً بها وملتذّاً، ضرورة أنّ أيّ حال ربّانيّ يأتلف مع سائر المعارف والحالات الربانية كما لا يخفىٰ، وما كان من غيرها يخالفها، وهذا هو الفصل لهما أصلاً وفرعاً.

ولذا ترى الكافر الحقيقي يبغض المؤمن الحقيقي وبالعكس، وكذا من اشتمل علىٰ بعض مراتب الايمان فهو بهذا المقدار يبغض ما يقابله من مراتب الكفر، وبالعكس فترىٰ من اشتمل علىٰ بعض المراتب من الإيمان، ولكنه مع ذلك متّصف ببعض صفات الجهل والكفر، فهو حينئذ بهذا المقدار من صفات الجهل التي تكون عنده، يبغض ما يقابلها من مراتب الإيمان التي لم يشتمل عليها، ولذا يكون مؤمناً به تعالىٰ لما فيه من بعض مراتب الإيمان، ومشركاً به تعالىٰ لطاعته لغيره ولما أنكر من بعض مراتب الايمان، لأجل ما فيه من بعض مراتب الجهل، ولعلّه إليه يشير قوله تعالىٰ: ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون**﴾[1].

في تفسير الصافي وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية: «يطيع الشيطان من حيث لا يعلم فيشرك» وسيجيء لهذا مزيد توضيح في محلّه.

ثم إنّ من المعلوم أنّه لا يكاد يخلص الروح من صفات النفس والجهل كلّاً أو بعضاً إلّا بالعمل علىٰ طبق ما تقرر له في الشرع، وبمتابعة العقل وإحيائه وإماتة النفس والجهل وجنوده.

---

١ ـ يوسف: ١٠٦.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «قد أحيا عقله، وامات نفسه، حتىٰ دقّ جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق، وسلك به السبيل» الحديث.

وقد تقدم وورد أنّ العمل من الإيمان والإيمان من العمل والإيمان عمل كلّه، فالعمل له دخل تامّ بل تمام الدخل في الاتصاف بصفات العقل، والسير في مراتب الإيمان بواسطته، بل وكذا له الدخل في الاتّصاف بصفات الجهل فإنه أيضاً ترسّخ فيه صفاته، بالعمل علىٰ طبقه وبمتابعة الشيطان.

إذا علمت هذا فاعلم: أنّ بعض الناس لما لم يركنوا حقيقة إلى الشرع من الكتاب والسنة والعترة الهادية (صلوات الله عليهم أجمعين) إما لاغترارهم بما علموا من علم الفلسفة وقوانينها بظنّهم أنها تكفيهم للوصول إلى الدرجات العالية، ضرورة أنّ الفلسفة توجب الغرور لمن لم تتهذب نفسه بالأخلاق الحميدة أوّلاً ـ كما هو المشاهد من كثير من المشتغلين به ـ فترىٰ بعضهم يرىٰ نفسه فیٰ أعلىٰ محلّ لا يكاد يخطّئ نفسه في أمر مما بنىٰ عليه، فهذا الرجل لا يعرف الله ولا رسوله ولا الأئمة ولا الشرع إلّا بنظره الذي استنبطه من الفلسفة.

فتراه يتصرّف في جميع المعارف الإلهيّة من مباحث التوحيد وغيره فيأخذ منها ما يوافق عليه قواعد الفلسفة، فهو لا يعرف لأحد الفضل إلّا لنفسه، وقد ورد عن الصادق عليه السلام: «مَن لا يعرف لأحد الفضل فهو المعجب برأيه» فهذا أيضاً هو المعجب برأيه، والمعجب يكون خطأُه أكثر من إصابته.

والحاصل: أنّ الفلسفة مع إنّا في غنىٰ عنها ببركة القرآن وكلمات العترة الطاهرة، قلّ من يصيب فيها الحقّ إلّا من هذّب نفسه بالأخلاق الحميدة ـ ضرورة أنّ الفلسفة خصوصاً الإلهيّات منها تحكي عن مطالب تكون ما وراء عالم الطبيعة، وعمّا هو ما وراء طور العقل فكيف بتفهيمها من هو منغمر في الطبيعة وفي صفات الجهل؟ ـ وكيف كان فهؤلاء قوم ركنوا إلىٰ علم الفلسفة مع عدم تهذيبهم للأخلاق،

فوقعوا في سلك الصوفيّة من حيث لا يشعرون.

واما لأجل عدم قبولهم ولاية الأئمة عليهم السلام فهؤلاء أيضاً وإن علموا بعض المحاسن من الأخلاق والحالات الحسنة إلّا أنه لما انسدّ عليهم باب الولاية، فلا محالة يكون باب المعارف الإلهيّة منسدّاً عليهم، وإن بلغوا في الحالات ما بلغوا، فإنهم أيضاً يقولون بعقائد المتصوّفة بل هم هم من حيث لا يشعرون.

واما لأجل متابعة صفات النفس والإصرار على المعاصي مع عدم تهذيب الأخلاق، فإنّك ترىٰ من الشيعة من هو معتقد بأُصول الدين وفروعه إلّا أنه لأجل ابتلائه بالمعاصي وعدم تهذيب نفسه يشتغل بمطالعة بعض المعارف ودراسته، فلا يكاد يفهم منها إلّا ما يوجب انحرافه، ضرورة أنّ المعارف الإلهية هي واقع القرآن وبيان شؤونه وهو لا يزيد الظالمين إلّا خساراً.

نعم، من هذّب نفسه فصار مؤمناً فلا محالة يكون القرآن ومعارفه له شفاء، فالمعارف الحقة لا تؤثر في النفس غير المهذبة إلّا الضلال والخسران، ويجمع الكلّ أنه من اتّبع نفسه في المشتهيات، ولم يهذّب نفسه أوّلاً بالأخلاق الشرعية. فلو أخذ بمطالعة بعض المطالب الحقّة فلا يكاد يستفيد منها إلّا ما يوجب تقوية نفسه في طغيانها، ضرورة أنه يسير حينئذ في تقوية النفس وصفاته إلىٰ أن يتجلّىٰ له الشيطان بما له من الصفاء والبهاء فيغترّ به ضرورة أنّ النفس بما لها من القوىٰ أيضاً لها صفاء وقوّة وتصرّف في الماديات. فهذا الذي لم يهذّب نفسه بالشرع، لا يسير إلّا في صفاء النفس وترسّخ روحه في صفائها إلىٰ أن يتجبّل فيه الشيطان، فهو حينئذ مقتدر بقدرته، وعالم بعلمه، ومتصرّف بتصرّفه، ولذا ترىٰ كثيراً من الأقطاب من الصوفية يظهر منهم بعض ما لا يظهر من غيرهم فيغترّون به، فيضلّون ويضلّون غيرهم.

والحاصل: أنّ للنفس أيضاً صفاء واقعيّاً يصل إليه الانسان بمتابعة الشيطان إلىٰ أن يصير من أوليائه فيأخذ منه المطالب، قال الله تعالىٰ: ﴿إنّ الشياطين ليوحون

إلىٰ أوليائهم﴾ بل ورد أنّه كما يتنزّل الروح في ليلة القدر على الإمام عليه السلام فكذلك الشيطان يتنزل علىٰ أوليائه.

ثم إنّ السير في صفات النفس إلىٰ أن يصل إلىٰ الشيطان، قد يكون ممن لا يقرّ بدين أصلاً، وقد يكون ممن يعتقد الدين حقّاً، ولكنه يعمل علىٰ طبق مشتهيات النفس فهو يعبد هواه فأضلّه الله علىٰ علم، فالمعتقد بالحقّ أيضاً لمّا لم يعمل علىٰ طبق وظيفته، فربما ينسلخ عن الدين تدريجاً إلىٰ أن يترسّخ فيه الشيطان، وقد تقدم أنّ الجهل والكفر يبغضان الإيمان فإذا ترسّخ هذا الرجل في الجهل فيصل إلىٰ إنكاره وبغضه أخص المعارف، وأخص المعتقدات الحقّة من الدين، ويقول بالحلول تارة وبالإباحة أُخرىٰ، أو يدعي مقامات لم يدّعها أحد، ويتظاهر بها، كما هو المشاهد من أكابر المتصوفة (لعنهم الله).

نعم، للنفس كما علم مقامات عالية جدّاً إلّا أنه لما لم يصب بالحقّ فيغترّ بما أصابه من مراتب الجهل، مع أنّها في جنب مقامات المؤمن الكامل كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً، فالمتصوفة كلّهم سائرون في تقوية النفس، وما لها من القوىٰ، فهم في شؤون الكفر يتردّدون، فلا محالة يبغضون الحقّ وأهله، فترىٰ أكابرهم يبغض أكابرنا من الأئمة عليهم السلام وأتباعهم يبغضون العلماء الأبرار.

ثم إنّ سيرهم في النفس قد يكون من أول الأمر، ككثير من الصوفية من غير المسلمين، وقد يكون بعد مدة مديدة.

توضيحه: أنّ كثيراً من الناس يشتغلون في ابتداء أمرهم بالعلم النافع المأخوذ عنهم عليهم السلام ويعملون علىٰ طبقه إلّا أنه ربما تعرضهم بعض الصفات الكامنة في أنفسهم للنفس في طيّ سيرهم فينحرفون من هناك، فلذا نرىٰ كثيراً من الناس قد علموا وعملوا بالحقّ، وظهرت منهم الآثار الحسنة إلّا أنهم قد انحرفوا في أواخر

سيرهم، ضرورة أنّ مزال الأقدام للأرواح في مراتب السير كثيرة جدّاً، فكما أنه في ابتداء الأمر لابدّ من متابعة الشرع، والسير في الطرق المأثورة عنهم وإلّا فهو منحرف عن الحقّ، فكذلك في أثناء السير، وإن بلغ مقاماً عالياً فإنه كلما هذّب نفسه دقّ أمره وكثر خطره فإصابة الحقّ هناك لمكان دقّته أصعب.

ولذا ورد أنّ الصراط أدقّ من الشعر، وذلك لدقته وخفائه. وورد في الدعاء: «اللّهمّ اهدني لما اختلف فيه من الحقّ بإذنك» ضرورة أنّ الحقّ لدقته يُختلف فيه، فكلّ يدّعيه لنفسه.

والحاصل: أنّ هؤلاء الصوفية لا تظن أنّهم كانوا من أول الأمر من الصوفية بل كثير منهم كانوا متشرّعين جدّاً، بل بعد أن انحرفوا أيضاً هم من الأعمال الصالحة، إلّا أنهم في أواخر سيرهم وفي أثنائه انحرفوا، فإن الروح ما لم يتخلص من النفس فهو في خطر الانحراف بل وكذا بعده، وسيجيء أنّ السائر ربما يسير في مراتب الإيمان مع تمكّن بعض صفات النفس فيه، بحيث لم يكن له مجال للتأثير، فإذا أصابه أي أصاب مجالاً لتأثير ما كمن في نفسه من بعض صفاتها المذمومة منه أثّر أثره، وان كان بالغاً صاحبه في كثير من المراتب فحينئذ ينحرف من هناك.

فالسائر في النفس ابتداءً أو أثناءً لا محالة يكون منحرفاً، وهذا هو السبب لاغترار بعضهم بأكابر المتصوّفة، فإنّهم يرونهم عاملين بالشرع، متخلّقين بكثير من الأخلاق الحميدة، بل ربما صدر منهم بعض خوارق العادات، فكيف حينئذ يظن بهم الانحراف من لم يهذّب نفسه ولم يصب الحقّ؟ فيغترّ به فيقع في الهلاكة من حيث لا يشعر، هذا ولكن الشرع الأنور قد جعل لكلّ أحد في أيّ مرتبة كان وظيفة وعلامة بها يميّز الحقّ من الباطل.

وأكثر المتابعين لهم الجهلة من العوام يجلسون مجالسهم فيلتذّون بأقوالهم وأفعالهم فيحسبونه حبّاً لله تعالىٰ مع أنّه لذّة نفسيّة، ضرورة أنّ للنفس كما علمت لذة مغايرة للذة الروح من الإيمان تغاير لذة الإنسان من تقبيله امرأته للشهوة مع

تقبيله أبويه للاحترام، ففي كلّ منهما لذة مع أنّ بينهما بون بعيد، فالمحترق قلبه حبّاً لله يلتذ به ويقول: «أستغفرك من كلّ لذة بغير ذكرك» والسائر في نفسه أيضاً ملتذّ بنحو بينهما فرق وبون بعيد جدّاً، وهذا التفاوت مما ورد مضمونه من أنّ قبلة المرأة شهوة، وقبلة الأبوين عبادة، وقبلة الطفل شفقة فلكلّ منها قبلة لها لذة مع ما بينها من الفرق.

فالسالك إلى الله حقّاً ملتذ، والسالك في النفس ملتذ، ولكن أين هذا من ذاك؟!، ولعمري إنّ السالك إلى الله تعالىٰ لفي خطر من هذا عظيم، ولا ينجو منه إلّا من أدركته العناية الأزلية، نسأل الله العافية وحسن العمل.

ثم إنّ كتب الأصحاب (رضوان الله عليهم) مشحونة من ذكر حالات الصوفية (لعنهم الله وأخزاهم) فمن أراد فليطالعها، إلّا أنّي ذكرت منشأ هذا الانحراف عن الحق، وأنّه من متابعة النفس مع عدم تهذيب الأخلاق، وإلّا فرد أقاويلهم الباطلة مما لا يخفىٰ علىٰ أحد، ضرورة أنّ شناعة أفعالهم ظاهرة لكلّ أحد، وكفىٰ في بيانه ما تقدم عن الهادي عليه السلام مما قاله لأبي هاشم الجعفري من حال جماعة من الصوفية، الذين دخلوا المسجد فإنه عليه السلام بيّن حالهم وخصائصهم بما لا يخفىٰ علىٰ أحد، ولعمري إنه هو المايز بين المحق والمبطل من المدعي للمعارف الإلهية، الذي اشتبه علينا أمره، وبه النجاة من مكائدهم.

فإنهم (لعنهم الله) أضرّ على الإسلام والمسلمين من ضرر أهل السقيفة ومعاوية ويزيد وأشباههم، ولذا عبّر عنهم الباقر عليه السلام فيما تقدم عن سدير عنه عليه السلام بالصادين عن دين الله، وقرن أحد الأكابر من المتصوفة وهو سفيان الثوري مع أبي حنيفة في الصد عن الدين، فإنّ كلّاً منهما مضرّ بالدين غاية الأمر هذا بلسان وذاك بلسان آخر.

وقد صنّفوا في عصرنا في ردّهم كتباً عديدة إلا أنّه مع أنّهم ـ جزاهم الله خيراً ـ بالغوا في ردّ الصوفية (لعنهم الله) وأتو بالكلام الفصل، قد خلطوا في البيان بما ستروا

به عن المعارف، وصار نقصان بيانهم سدّاً لتعلّم الناس بل العلماء المعارف الإلهية، ولذا يلزم أن تكتب المعارف الإلهيّة مع مداركها لئلا يختلط بمخترعاتهم (لعنهم الله) ضرورة أنه قد أصبحنا عارين عن تلك المعارف، وعمن هو مصداق لها، هذا مع أنّ للصوفية (لعنهم الله) أعمالاً شنيعة ظاهرة في الشناعة يعرفها كلّ أحد كما تقدم، إلّا أنّهم (لعنهم الله) قد خلطوا أعمالهم بالأعمال الصحيحة؛ ليتسبّبوا بذلك إلىٰ نيل مشتهياتهم ولا ينكر عليهم أحد، وقد لفّقوا لذلك وجوهاً زعموا أنها المدرك لأفعالهم وإليه يشير ما تقدّم عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام عن حال أبي هاشم الكوفي من قوله: «وهو الذي ابتدع مذهباً يقال له التصوف وجعله مفرّاً لعقيدته الخبيثة» وفي رواية أُخرىٰ: «وجعله مفرّاً لنفسه الخبيثة وأكثر الملاحدة وجنّة لعقائدهم الباطلة» ضرورة أنّه يستفاد أنّه (لعنه الله) قد جعل لنفسه مذهباً قد خلط فيه الحقّ والباطل، فلولا فيه من الحقّ أيضاً لما أمكن به أن يجعله مفرّاً لنفسه ولعقيدته الخبيثة، فإنّ دأب المنافقين اختلاط الحقّ بالباطل، فيذكرون الحقّ ويريدون به الوصول إلىٰ باطلهم، وإنّما يأخذون بالحقّ؛ ليتمكّنوا به ردّ مخالفيهم بإظهار الحقّ، ولأن يغترّ به العوام، هذا وقد اشتهر في المثل قولهم: «كلمة حق يرَاد بها الباطل». ويستفاد من هذا الحديث أمران:

الأول: أنّ في الصوفية أيضاً من الأعمال الحسنة إلّا أنهم يأتون بها بداعي الوصول إلىٰ مرامهم كما علمت، فيعلم منه أنه لا ينبغي للإنسان الكامل أن يغترّ بهم لمكان تلك الأفعال الحسنة، بل لابد من الدقة في تطبيق جميع عقائدهم وأعمالهم مع الحقّ.

والثاني: مشاركة أعمال بعضهم كالأعمال الحسنة منهم مع أعمال المؤمن الكامل، فكما أنّه لا ينبغي الاغترار ببعض الأعمال الحسنة منهم بحيث يكون هذا سبباً لحسن الظنّ بهم، وإلحاقهم بالكاملين أو بالمحبين لله تعالىٰ، فكذلك لا ينبغي أن يساء الظن بالمؤمن الكامل البالغ مراتب الإيمان، الذي يصدر منه بعض الأعمال

الحسنة المشابهة لبعض الأعمال الحسنة الصادرة من الصوفية بتوهم أنه كما لا يكون حسن العمل هناك محسّناً لهم فكذلك هنا، أو يتوهم أن هذا المؤمن الكامل منهم بدعوىٰ صدور هذا العمل الحسن منه الذي يشبه أعمالهم الحسنة.

ضرورة أنّ العمل الحسن إنما يكون له الحسن واقعاً إذا صدر من المؤمن الكامل، وأما لو صدر من الصوفي فهو حسن صورة لا واقعاً، فهنا مردود لعدم حسنه الواقعي، وهذا لا يوجب كونه مردوداً مع عامله إذا صدر من الكامل، نعم قد يشتبه على الجاهل غير البالغ مراتب الإيمان حسن ذاك العمل واقعاً فيراه في الظاهر مشابهاً لعمل الصوفية فينكر علىٰ صاحبه، مع أنّ هذا جهل محض ضرورة أنّ اللازم أولاً في حمل العمل على الصحة أو الفساد تحقيق حال العامل، فإن عَلمه من المؤمنين فلا محالة من حمل عمله على الحسن، وإن كان لا يعرفه ظاهراً، ولهذا الكلام مزيد توضيح في محلّه.

فحال المتصوفة ظاهر بعدما بأيدينا من ميزان الشرع، فالعقائد الحقّة والأعمال الصالحة، أقوىٰ ميزاناً للتميز بين المحق والمبطل، ويكفيك في هذا ما قاله العسكري عليه السلام لأبي هاشم الجعفري فراجع، علىٰ أنّك ستعرف بعداً في الشرح وما له من المراتب والحالات بما لها من المدارك الحقّة، ولا أظن أنه يشتبه عليك الامر إذا أحطت بما نذكره خبراً، فالميزان الأصدق الأدقّ هو ما ثبت من الكتاب والسنّة القطعيّة المعمول بها عند الإمامية والعلماء الربانيين منهم (رضوان الله عليهم).

ثم إنه ينبغي علىٰ كلّ طالب للحقّ والحقيقة أن لا يعمل بعمل، ولا يعتقد بأمر إلّا إذا كان له من الكتاب والسنة دليل يعتدّ به في ذلك الأمر، وإلّا فهو يتردد في الاشتباه، ضرورة أنّ الشرع له علامات وآيات وأدلّة واضحة للوصول إلى المعارف الإلهية فمن سار فيها بما له من المحكمات من الأدلة لقوله وعمله فلا محالة يسير إلى الله ويصل إلىٰ معارفه، وإلّا فهو يسير في النفس وصفاتها فلا يجوز للمؤمن السير إلّا عن مدرك مسلّم من الكتاب والسنة.

ولعمري إنه قد كثر الأقطاب والمتصوفة في زماننا، وقد تبعهم الكثير من العوام، بل والخواص من حيث لا يشعرون ظناً منهم أنّ عندهم المعارف أو أنهم العارفون بمعارف الشرع مع أنّهم الكاذبون وأولياء الشياطين، والعجب عن بعض المنتحلين إلى الفضل كيف يركنون إليهم؟! وأعجب منه إنكار كثير من أهل العلم أغلب المعارف الإلهية لظنّهم أنها من المخترعات الصوفيّة وهذا هو الذي الجأني إلى أن أذكر المعارف الإلهية مع ما لها من المدرك؛ لكي يتضح الحقّ إن شاء الله في هذا الزمان ويبطل مخترعات الصوفية (لعنهم الله).

فإنّا قد أصبحنا في معارضة الأعلام بعضهم مع بعض في هذا الأمر مع كثرة علمهم، وليس هذا إلّا لتركهم العمل بما أمروا أن يعملوا به، وخلطهم المعارف الحقة مع المعارف المستحدثة من الفلسفة أو التصوف، ضرورة أنه من لم يعمل علىٰ طبق ما علم من الشرع، أو لم يهذّب نفسه لا يكاد يصل إلىٰ فهم تلك المعارف أبداً، وإنما أطلنا الكلام في هذا الأمر؛ لتكون علىٰ ذكر من مخترعاتهم، لكي لا يشتبه عليك الأمر، مع إنا لم نذكر إلّا بعضاً من مفاسدهم، وإنّما ذكرنا أمراً كليّاً كان منشأ لانحرافهم، ليحذر منهم السالك إلى الله حقّاً حذراً من الضلال والإضلال، ضرورة أن البحث عن أحوالهم وعقائدهم وحالات كلّ واحد منهم مما يطول به الكلام جدّاً، مع أنّ العلماء (رضوان الله عليهم) قديماً وحديثاً بالغوا في ردّ أباطيلهم فجزاهم الله عن الإسلام خيراً، هذا ولا بأس بالإشارة إلىٰ بيان أنّ الهداية منه تعالىٰ لا من غيره، وأنها تشمل من اتبع رضوانه فنقول:

لا ريب في أنّ الهداية منه تعالىٰ إلىٰ معارفه، ولا تكون منه تعالىٰ إلّا لمن تبع محمداً وآله عليهم السلام فقط علماً وعملاً وتوسلاً، قال الله تعالىٰ: **﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾**[1].

---

١ ـ القصص: ٥٦.

وفي الكافي بإسناده، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال: إنّ الله عزوجل إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور، وفتح مسامع قلبه، ووكّل به ملكاً يسدده، وإذا أراد بعبد سوءاً نكت في قلبه نكتة سوداء، وسدّ مسامع قلبه،ووكّل به شيطاناً يضله ثم تلا هذه الآية: ﴿فمن يُرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يُرد أن يُضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً كأنّما يصّعّد في السماء﴾[1].

وفي الدعاء عن السجاد عليه السلام: «سبحانك ما أضيق الطرق علىٰ من لم تكن دليله! وما أوضح الحقّ عند من هديته سبيله!».

ثم: لا تتوهم أنّه إذا كان لا يمكن العمل الصالح إلّا لمن هداه الله فما فائدة الجد في تحصيل المعرفة بل هو أمر منه تعالىٰ لا دخل للعمل فيه، بل ورد أنّه لا صنع لأحد في معرفة الله، وحينئذ فكيف التوفيق بينه وبين ما دلّ على الحث علىٰ الأعمال الصالحة وتأكيدها، وتحصيل معارفه تعالىٰ، وذلك لأنّ الآيات الأُخر فسّرت خبر سليمان المتقدم وما فيه من الآية كقوله تعالىٰ: ﴿وما يُضل به إلّا الفاسقين﴾[2] وقوله: ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾[3] أو ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾[4] فدلّت علىٰ أنّ الإضلال منه تعالىٰ لا يكون إلّا لمن كان فاسقاً بسوء اختياره، فالإضلال منه تعالىٰ في رتبة متأخرة عن فسقه بسبب طغيانه عما هداه الله إليه.

فعلم أنّه تعالىٰ أولاً قد هداه بإرسال الرسل وإنزال الكتب، ثم هو صار فاسقاً فأضلّه الله، وأما ما يأتي من إنه لا صنع لأحد في المعرفة فهو صحيح، ولكنه لا ينافي ما قلنا، ضرورة أن الكلام في أنّ الهداية إلىٰ معارفه لا تكون إلّا من الله، وهي أمر يمنحه الله لمن عمل علىٰ طبق الشرع، فهذا لا ينافي تأكيد العمل علىٰ طبق الوظائف،

---

١ ـ الانعام: ١٢٥.

٢ ـ البقرة: ٢٦.

٣ ـ الجمعة: ٥.

٤ ـ التوبة: ٨٠.

وكيف كان فالطريق منحصر في متابعتهم:

ففي الكافي بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «ليس عند أحد من الناس حقّ ولا صواب، ولا أحد من الناس يقضي بقضاء الحقّ إلا ما خرج منا أهل البيت، وإذا تَشعّبت بهم الأمور كان الخطأ منهم والصواب من علي عليه السلام» وهذه الرواية وإن كان ذيلها ناظراً إلىٰ تخطئة أهل الخلاف إلّا أن صدرها ينفي الحق والصواب مطلقاً من الاصول والمعارف وغيرهما عن كلّ أحد إلّا ما كان منهم.

وفيه بإسناده عن أبي حمزة قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: إنّما يعبد الله من يعرف الله، فأمّا من لا يعرف الله فإنما يعبد هكذا ضلالاً، قلت: جعلت فداك فما معرفة الله؟ قال: تصديق الله عزوجل وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله وموالاة علي عليه السلام والايتام به وبأئمة الهدىٰ عليهم السلام والبراءة إلى الله عزوجلّ من عدوّهم.

فقوله: والايتام به وبأئمة الهدىٰ عليهم السلام ظاهر في أنّ معرفته تعالىٰ حاصلة بهذا لا غير.

وفي الوافي نقلاً عن التهذيب بإسناده عن حمّاد عن محمد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال في حديث طويل: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: «الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتىٰ بيّنت للأمّة ما تحتاج إليه» وعنه صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها».

وفي الكافي بإسناده عن أحمد بن عمر قال: سألت أبا الحسن عليه السلام لِمَ سمي أمير المؤمنين؟ قال: «لأنّه عليه السلام يميرهم العلم، أما سمعت كتاب الله: ونمير أهلنا».

وفي أُخرىٰ في الكافي أيضاً قال: لأنّ ميرة[1] المؤمنين من عنده يميرهم العلم.

أقول: الميرة هو الطعام، أي يطعمهم العلم. ويكفيك في كونهم الواسطة إلىٰ

---

١ ـ الميرة:الطعام الذي يدخره الانسان. جمع مير.

تحصيل المعارف لا غيرهم الجمل الواردة في زيارة الجامعة الكبيرة التي نحن بصدد شرحها، وما في الصلوات الواردة في أعمال شعبان.

ومن المعلوم بالبداهة أنهم عليهم السلام هم الوسائط الشرعية والتكوينية للوصول إلىٰ معرفته تعالىٰ. والأخبار بها متضافرة في كتب الأصحاب (رضوان الله عليهم) كما لا يخفىٰ على المتتبع قليلاً، وعليه فكيف يمكن للانسان الركون إلىٰ غيرهم فهل فيه إلّا الضلال والإضلال؟!

ولعمري إنّ هذا واضح وسيأتي في طي الكلمات الآتية ما يدل عليه. هذا ولكن هناك شبهة وهي أنه ربما يتوهم اختصاص المعارف بهم عليهم السلام ولا يمكن لغيرهم الوصول إليها، ولكنها شبهة ما أوهنها!

ومحصّل الكلام في الجواب عنها مضافاً علىٰ ما تقدم بأمرين:

الأول: الأخبار الواردة في هذا الموضوع وهي كثيرة نذكرها في باب كيفية السير إلى المعارف، وعند بيان المراد من معرفته تعالىٰ في محلّه إلّا أنّنا نذكر بعضها:

ففي التوحيد بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قلت له أخبرني عن الله عزوجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة فقلت: متىٰ؟ قال: حين قال لهم: ﴿ألست بربّكم قالوا بلىٰ﴾ ثم سكت ساعة ثم قال: وإنّ المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة، ألست تراه في وقتك هذا؟ قال أبو بصير: فقلت له: جعلت فداك فأُحدّث بهذا عنك؟ فقال: لا، فإنّك إذا حدّثت به فأنكره منكر جاهل بمعنىٰ ما تقوله ثم قدّر أنّ ذلك تشبيه، كفر، وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى الله عما يصفه المشبّهون والملحدون»[1].

وفيه أيضاً عن هشام في حديث الزنديق حين سأل الصادق عليه السلام عن حديث نزوله تعالىٰ إلىٰ سماء الدنيا «بأنه ليس كنزول جسم عن جسم إلىٰ جسم، إلىٰ أن

---

١ ـ التوحيد ص١١٧.

قال: ولكنه ينزل إلىٰ سماء الدنيا بغير معاناة ولا حركة فيكون كما في السماء السابعة على العرش، كذلك في سماء الدنيا إنما يكشف عن عظمته، ويرى أولياءه نفسه حيث شاء، ويكشف ما شاء من قدرته، ومنظره بالقرب والبعد سواء» وقد تقدّم بعض الأخبار وسيأتي ما يدل علىٰ ما ذكرنا.

وهاتان الروايتان دلّتا علىٰ إمكان حصول المعرفة به للمؤمن في الدنيا، وسيجيء توضيح المراد من المعرفة به تعالىٰ مع ما له من الكلام في شرح قوله ﷺ: «السلام علىٰ محالّ معرفة الله».

الثاني: إنه لا ريب في أنّ عالم الدنيا إنما هو ظاهر للعالم المحيط به وهو باطنه، وهكذا إلىٰ أن يصل إلىٰ العالم الربوبي، وقد تحقق أيضاً في محلّه أنّ النسبة بين هذه النشأة وبين النشأة المحيطة بها هي نسبة العلّية والمعلولية والكمال والنقص في سلسلة الخلق التي مجموعها مخلوق له تعالىٰ.

فالعالم المادي معلول لعالم الباطن فهو ظاهر له، ونسبته إليه نسبة الظاهر مع الباطن، ومن الثابت في محلّه أيضاً أنّ الظاهر من أطوار وجود الباطن، ومرتبة من مراتبه قد تجلّىٰ فيه، وله كمال الربط بالنسبة إليه، وعلىٰ هذا فشهود الظاهر لا يخلو من شهود الباطن من وجه، فالباطن مشهود أيضاً في الظاهر غاية الأمر بالآثار وبلباس الظاهر، بحيث لو رفع هذا اللباس لانجلى الباطن بنفسه من دون سترة عليه.

نعم: لكلّ من الباطن والظاهر عين تخصّه بالنظر بها إليه فلا يمكن مشاهدة الباطن بعين قد أُعدّت لمشاهدة الظاهر، كيف والظاهر هو الداني والباطن هو العالي؟ فما يلاحظ به الداني لا يناسب أن يلاحظ به العالي لاختلاف الرتبة وإلّا لتساوت والمفروض خلافه، بل لابد من تحصيل عين بها مشاهدة الباطن قال ﷺ: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» لأنه ﷺ كان يرى الباطن بعين تخصّه لا بعين الظاهر، ولا تكون مشاهدة الباطن إلّا برفع اليد عن الظاهر وإزالته.

ضرورة أنّ الظاهر هو حدّ للباطن ومرتبة نازلة له، فالباطن بهذا الحدّ صار متباذلاً عن سعة وجوده وصار ظاهراً محدوداً، فالحد لمكان أنّه عرضي ممكن الإزالة والزوال بالاعراض عنه، نعم إزالة الحد ليس كإزالة ظاهر بعض الأجسام عن بعض، بل إنما هي بما بيّنه الشارع حيث إنه هو الذي جعل الظاهر حدّاً للباطن، فلا محالة يعلم بكيفية إزالة هذا الحد، وحاصل ما بيّنه الشارع يرجع إلىٰ تفصيل نذكره فيما بعد.

وأما إجماله وهو عبارة عن نسيان الظاهر وعدم عقد القلب عليه، فهو وإن كان ببدنه في عالم الظاهر إلّا أنّه بروحه ناس عنه ومتوجّه إلى الباطن علىٰ حسب حاله، وإليه يشير قوله عليه السلام: «وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالملإ الأعلىٰ» وعن الصادق عليه السلام قال: «إنّ القلب اذا صفا ضاقت به الأرض حتىٰ يسمو» وقال عليه السلام: «طوبىٰ لمن جعل بصره في قلبه، ولم يجعل بصره في عينه».

ضرورة أنّ البصر في العين لا يرىٰ إلّا الظاهر، وأما لو نسي الظاهر فلم يلتفت إليه إلتفات المحبوبية وجعل بصره في قلبه فلا محالة يرى الباطن علىٰ حسب حاله.

والحاصل: أنّ إزالة الحدّ إنما هو بالأعمال الصالحة وتهذيب النفس عن الأوصاف الرذيلة، ومراقبة المولىٰ جلّ شأنه، والمجاهدة بين يدي مرضاته.

وبعبارة أُخرىٰ: إنّ النفس قد جعلها الله بنحو يترسّخ فيها ما تعلّقت به فهي بأيّ شيء تعلقت انقلبت إليه ملكة وتتصف به حقيقة، فالنفس إذا تعلّقت بالبدن وبشؤونه وما تحتاج إليه من زخارف الدنيا وعناوينها، فلا محالة تغفل عما سوىٰ البدن من ساير العوالم العلوية، وتتحد مع البدن بحيث تنمو وتتخلق بما فيه، وتبرز فيه خصوصياته وآثار القوى الحيوانية إلىٰ أن يشتبه على النفس نفسها فتظن أنها هي البدن وأنه لا شيء سوى البدن، وما يلائمه من مشتهياته لا غير.

وإليه يشير قوله تعالىٰ: ﴿ولا تكونوا كالّذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾[1]

---

١ ـ الحشر: ١٩.

ضرورة أنه بعد ما نسي الحقّ وغفل عنه واشتغل بملاذّ[١] النفس فقد نسي النفس، وما أُريد منها في عالم الاختيار أيضاً، وحينئذ لو سمع شيئاً من المعارف يراه خارجاً عن نفسه ومنفصلاً عنها إذ نفسه لا تدرك حينئذ إلّا الماديات، فالمعارف عندها خارجة عن حيطة دركها ولذا ربما تنكر ما سوى المادة بأشدّ النكر كما هو دأب الطبيعيّين.

وكيف كان: فلمكان رسوخها في المادة قد نسيت حقيقتها الأصليّة ومرتبتها العليا علىٰ هذه النشأة من عالم المثال، فضلاً عما هو فوقه منساير العوالم أو المعارف الإلهية، ولذا ترىٰ أنّك لو تكلّمت معه بشيء من المعارف تجده كالحيوان لا يدرك منها شيئاً، وأما إذا نسي الحدّ والماديات، وتعلّق قلبه بالتوجه إليه تعالىٰ، فلا محالة يكشف عنده المثال، فإن نسي حدوده انكشف عنده عالم العقل المحيط به، وإن نسي حدوده انكشفت له الحقائق، وسيأتي بيانها، وحينئذ أيضاً تنكشف له حقيقة نفسه التي نسيها المتوغل في المادة، وهي محفوظة في جميع العوالم المعبر عنها فيها بقوله: أنا.

فتحقق بهذا البيان العلمي إمكان الوصول إلى المعارف لكلّ أحد، وإمكان مشاهدته باطنه الخفيّ من مراتبه، وموجودات عوالمه، والأسرار الكامنة فيه، كلّ ذلك بالعمل الصالح والتوجه الدائم إليه تعالىٰ.

وهنا بيان آخر مجمل لإمكان الوصول إلى المعارف، وحاصله أنّ النفس بما لها من الصفات والجنود حجب ظلمانية للروح، قال ﷺ: «ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظلمانياً» وفي الحديث: «إنّ بين الله وبين خلقه سبعين ألف حجاب من نور وظلمة» وعن الصادق ﷺ كما في مصباح الشريعة: «لا حجاب أظلم وأوحش بين الله وبين خلقه من النفس والهوىٰ».

فيعلم أنّ الروح قد سترت عنه المعارف لمكان هذه الصفات النفسية، وكيفية حابها له مدرك بالوجدان في الجملة لكلّ أحد، ضرورة أنّ الانسان إذا اشتدّ

---

١ ـ ملذّ: موضع اللّذة جمع ملاذّ.

غضبه يرىٰ نفسه خالياً عن العقل فلا يرىٰ إلّا ما يأمره الغضب من الانتقام، وكذا الشهوة إذا تحرّكت ذهب ثلثا العقل، فترىٰ أنه يصدر منهما مالا يصدر ممّن لا غضب له ولا شهوة. وهما أي النفس والعقل أيضاً إذا ذهب الغضب والشهوة يدركان غفلتهما، وأنهما كانا محجوبين حينهما، ولذا يندمان علىٰ ما صدر منهما حالهما.

فالإنسان بمعونة العقل وجنوده الذي هو الحجة الباطنة منه تعالىٰ يمكنه التخلص من صفات النفس، فإذا تخلص من الجهل وجنوده ومن علائق الدنيا تكون روحه في كمال الصفاء فيمكنه مشاهدة ما وراء عالم الطبيعة.

والحاصل: أنّ الجاهل كما أنه لا ينكشف لديه كثير من العلوم لجهله، وكذلك الأسير لنفسه وإن كان عالماً، لا ينكشف لديه كثير من المعارف لمكان صفات نفسه، وأما إذا أحيا عقله وأمات نفسه، فينكشف لديه الواقع، قال عليه السلام: «قد أحيا عقله وأمات نفسه حتىٰ دقّ جليله ولطف غليظه، فبرق له لامع كثير البرق فأبان له الطريق وسلك به السبيل» الخطبة، وقد تقدم لهذا مزيد بيان.

ثم إنه كما علمت من بعض الأخبار السابقة أنّ العلم الصحيح لا يكون إلّا ما خرج منهم عليهم السلام كيف لا وهم معدن العلم وأهل بيت الوحي؟ فاعلم أيضاً أنّ السير الروحي والمشي على الطريقة المحمدية روحاً لا يكون إلّا بالتوسل بهم والاستمداد منهم روحاً.

وتوضيحه بعد بيان الآيات والأخبار في فنقول:

قال الله تعالىٰ: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾** وفي تفسير الصافي والقمي قال: «تقرّبوا إليه بالإمام عليه السلام» وفي زيارة الجامعة: «ومن قصده توجه بكم» وسيأتي شرحه.

وفي العيون عن النبيّ صلى الله عليه وآله: **الأئمة من ولد الحسين عليه السلام مَن أطاعهم فقد أطاع الله، ومَن عصاهم فقد عصى الله، هم العروة الوثقىٰ والوسيلة إلى الله.**

وفي السفينة نقلاً عن البحار قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لكميل: يا كميل قال رسول الله صلى الله عليه وآله قولاً أعلنه والمهاجرون والأنصار متوافرون يوماً بعد العصر يوم النصف من شهر رمضان قائم علىٰ قدميه من فوق منبره: «علي منّي وابناي منه والطيّبون منّي ومنهم وهم الطيبون بعد أُمّهم، وهم سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف فيها هوىٰ، الناجي في الجنة والهاوي في لظىٰ».

وفيه أيضاً روى الشيخ الشهيد رحمه الله في إجازاته إلىٰ أن قال: عن داود بن سليمان العازي، عن الإمام المرتضىٰ أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح مَن ركبها نجا، ومن تخلّف عنها زجّ في النار».

وفي النهج: من خطبة له عليه السلام يذكر فيها آل محمد عليهم السلام: «هم عيش العلم، وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حِكَم منطقهم، لا يخالفون الحقّ ولا يختلفون فيه، هم دعائم الإسلام، وولائج الاعتصام، بهم عاد الحقّ إلى نصابه، وانزاح الباطل عن مُقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية، فإنّ رواة العلم كثير، ورعاته قليل»[1].

وفي الصلوات عليهم: «اللهم صل علىٰ محمد وآل محمد، الفلك الجارية في اللجج الغامرة، يأمن من ركبها، ويغرق من تركها، المتقدم لهم مارق، والمتأخر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق».

وفي الكافي، باب أوصاف الإمام حديث طويل منه قوله عليه السلام: «والحارّ لمن يصطلي به» ويكفيك في هذا الأمر الجمل الواردة في زيارة الجامعة الكبيرة وسيأتي شرحها، بل الأخبار المعتبرة كثيرة جدّاً، وقد دلّت علىٰ أنّ المعارف الإلهية عندهم بل هي هم وليس عند غيرهم منها شيء إلّا ما خرج منهم، وإنّ السير هو ما كان

---

١ ـ نهج البلاغة الخطبة ٢٣٩.

بهم لا غير.

إذا علمت هذا فاعلم: أن الله تعالىٰ قبل أن يخلق الخلق أجمع، كان ولم يكن معه شيء، ثم إنّ أول ما خلق هو نور محمد وآل محمد عليهم السلام فهم أول المخلوقين وأقربهم إليه تعالىٰ، فلا محالة هم العارفون الكاملون بمعارفه تعالىٰ، فالمعارف والخلق يدور مدار وجودهم، ففي الزيارة: «بكم فتح الله وبكم يختم» وسيأتي بيانه، وفي الخبر: «أوّل ما خلق الله الحجّة وآخر من يموت الحجة» فالأمر بيدهم وهم العارفون بحقيقة الأمر، وكيفية السير إليه تعالىٰ، فحينئذ لا يكون الطريق إلّا بما بيّنوا، فلابدّ من الاقتصار والأخذ بما قالوا لا غير.

وأما معنى السير الروحي معهم فحاصله: أنّ المعارف مما علمت أنها ترجع إلىٰ أرواحهم المطهّرة، فلا محالة هم الآيات الإلهية والأسماء الحسنىٰ، ومظاهر صفات الجلال والجمال، ومن المعلوم أنهم الوسائط التكوينية لتكميل البشر، ومعنىٰ ذلك أنهم بروحهم متصرفون في الأرواح، فالفيض منه تعالىٰ يشمل الأرواح الضعيفة بواسطتهم فلابدّ من الاستمداد منهم في السير إلى المعارف بنحو دلّ عليه قوله عليه السلام: «ومن قصده توجه بكم».

فالتوجه بهم سبب لقصده تعالىٰ، وهذا أمر دقيق لا يفهمه الذهن المشوب، بل ربما يتوهم منه الشرك ولكنه عين الإيمان، وسيأتي تفصيله في شرحه في الزيارة، ولكن إجماله هو أنّ الروح قاصد إليه تعالىٰ لا غير لكنه لضعفه يتوجه بهم، أي ينظر إليه تعالىٰ بالنظر إليهم، فهم وجه الله كما في الخبر، وهم عين صفاته الجلالية والجمالية.

ومن المعلوم: أنّ النظر إلى الموصوف فإنما هو بالنظر عن طريق صفاته، بل هم الطريق الواسع إليه تعالىٰ كما يشير إليه قوله عليه السلام في الدعاء: «وطريقاً إليك مهيعاً» أي اجعل النبي صلى الله عليه وآله لي طريقاً مبسوطاً إليك.

فالمنظور هو الله تعالىٰ وما به النظر هو أرواحهم الطاهرة، وليس هذا غلواً في

حقّهم، بل لهم مقامات منيعة لا يسع بيانها في هذا المختصر، وفي الخبر: «نزّلونا عن الربوبية وقولوا في حقّنا ما شئتم» وسيأتي توضيحه أزيد من ذلك، فلابدّ للسالك حينئذ من التوسل بهم في جميع حالاته، فإنهم هم الأدلاء إليه تعالىٰ تشريعاً وتكويناً.

ولعمري إنّ هذا واضح للتابع لهم عليهم السلام كما لا يخفىٰ. ثم إنه سيجيء بيان حقيقة الإيمان وما له من المراتب والشؤون في شرح قوله عليه السلام «وأبواب الإيمان» ونذكر هنا في الجملة بيان مراتب الإيمان وكيفية تحققها في نفس الأمر فنذكر أولاً الأخبار الواردة في هذا الأمر بما لها من العناوين المختلفة، ثم نردفه بما يحتاج إلى الكلام، فنقول وعليه التوكل: لا ريب في أنّ أول مراتب الاعتقاد بعد الإقرار بالتوحيد هو الإقرار بالرسالة، الذي به يصير المقرّ مسلماً وهو أعم من الإيمان.

ففي الوافي عن الكافي بإسناده عن سماعة قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أخبرني عن الإسلام والإيمان أهما مختلفان؟ فقال: «إنّ الإيمان يشارك الإسلام والإسلام لا يشارك الإيمان» فقلت: فصفهما لي، فقال: «الإسلام شهادة أن لا إله إلّا الله، والتصديق برسول الله، به حقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلىٰ ظاهره جماعة الناس، والإيمان الهدىٰ وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام، وما ظهر من العمل به، والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة، إنّ الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر، والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن وإن اجتمعا في القول والصفة».

ففي هذه الرواية جعل الفرق بينهما بأنّ الإسلام هو الإقرار اللساني، والإيمان هو الإقرار القلبي، فهما وإن اشتركا ظاهراً إلّا أنّ الإسلام يفارق الإيمان؛ لاختصاص الإسلام بالظاهر وهو بالباطن.

وفيه بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «الإيمان يشارك الإسلام والإسلام لا يشارك الإيمان».

وفيه بإسناده عن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ

الإيمان يشارك الإسلام ولا يشاركه الاسلام، إنّ الإيمان ما وقر في القلوب، والإسلام ما عليه المناكح والمواريث وحقن الدماء، والإيمان يشارك الإسلام والإسلام لا يشارك الإيمان».

وفيه عن محمد عن أحدهما عليهما السلام قال: الإيمان إقرار وعمل والإسلام إقرار بلا عمل.

وهاتان الروايتان بيّنتا أنّ الموجب لثبوت صفة الإسلام في القلب ليصير مؤمناً هو العمل لا غير.

ويدل عليه ما فيه أيضاً بإسناده عن جميل بن درّاج قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الإيمان فقال: «شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله» قال: قلت: أَليس هذا عملاً؟ قال: بلىٰ، قلت: فالعمل من الإيمان؟ قال: لا يثبت له الإيمان إلّا بالعمل.

أقول: المجرور في له للمؤمن المدلول عليه بالإيمان، فثبت أنّ العمل علىٰ طبق الوظائف هو الموجب لتحقق الإيمان.

فإن قلت: لو كان العمل موجباً للإيمان، فالجماعة أيضاً مؤمنون؛ لكونهم عاملين، ولا أقل من الشهادتين فإنهما أيضاً من العمل كما دلّ خبر جميل بن دراج.

قلت: المستفاد من الأخبار في هذا الباب هو: أنّ قوام الإيمان بالتصديق القلبي، كما دلّ ما في خبر فضيل بن يسار من قوله عليه السلام: «إن الإيمان ما وقّر[1] في القلوب، فلو كان مُصدّقاً لواقع الإسلام قلباً فهو القلب المؤمن».

ويدل عليه ما فيه أيضاً بإسناده عن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالىٰ: **﴿قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم﴾** فقال لي: ألا ترىٰ أنّ الإيمان غير الإسلام، فصريح قوله عليه السلام تفسير للآية المباركة هو: أنّ الإيمان ما دخل في القلب والإسلام ما كان بمجرد اللسان كما هو صريح الآية المباركة.

---

١ ـ وقرَ الدابة: سكّنها.

وعليه فمجرّد العمل لا يوجب تحقق الإيمان في القلب، ولو بمثل الشهادتين، بل العمل الذي يكون عن تصديق قلبي هو الذي محقق للإيمان أزيد مما كان قبلاً، ضرورة أنّ الايمان كما سيجيء له مراتب ويدل عليه خبر جميل بن درّاج من قوله عليه السلام قلت: أليس هذا عمل؟ قال: بلىٰ.

توضيحه: إنّ السؤال فيه إنّما عن الايمان وحده، فتفسيره عليه السلام بالشهادتين أوهم في ذهن جميل بن دراج أن يكون مجرّد الاقرار اللساني إيماناً، ولذا سئل عنه عليه السلام قال: قلت: أليس هذا عملاً؟ فصدّقه عليه السلام بقوله: بلىٰ، ثم قال: قلت: فالعمل من الايمان، يعني أن هذا العمل أعني الشهادتين من الايمان فيكفي في تحققه مجرد الإقرار اللساني، فأجاب عنه بقوله عليه السلام: لا يثبت له الإيمان إلّا بالعمل، أي أن هذا الإيمان أعني الإقرار بهما لا يثبت له، أي لا يكون مصداقاً للإيمان بمجرّده إلّا إذا كان مع العمل بالوظائف الناشئ عن التصديق القلبي.

فتحصّل منه أن كون الإقرار بهما إيماناً ليس علىٰ إطلاقه، بل لو كان عن بصيرة القلب الموجبة للعمل الصالح، وإلّا فالعمل بدون البصيرة لا يفيد إلّا بعداً.

ففي الكافي بإسناده عن طلحة بن زيد قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «العامل علىٰ غير بصيرة كالساير علىٰ غير الطريق لا تزيده سرعة السير إلّا بعداً» ولا بصيرة أوجب لتقبّل الأعمال وأثرها في القلب مثل القول بولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام كما سيجيء قريباً، فمجرد القول بالإقرار ليس إلّا الإسلام كما هو ظاهر غيرها من الأخبار.

والحاصل: أنّ الايمان صفة للقلب وبالعمل تزيد مراتبه، وأصله نور أثره ما ذكره الله تعالىٰ في قوله: ﴿**إنّما المؤمنون الّذين إذا ذكر اللهُ وجلت قلوبُهم وإذا تُليت عليهم آياتُه زادتهم إيماناً وعلىٰ ربّهم يتوكّلون * الّذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم يُنفقون * أُولئك هم المؤمنون حقّاً لهم درجات عند ربّهم ومغفرة ورزق**

كريم﴾[1].

فهذه الآية المباركه بيّنت الايمان بالآثار، ضرورة أن الذي دخل في قلبه نور الايمان هو الذي يوجل قلبه بذكر الله، وإذا سمع من آيات ربه أحسّ حقيقتها بنور إيمانه فلا محالة يزداد إيماناً منها، فإذا زاد إيمانه فهو منقطع عن الخلق إلى الحقّ فلا محالة يتوكل علىٰ ربه، هذا بحسب القلب.

وأمّا بحسب الأعمال فهم ﴿الذين يقيمون الصلوة﴾ الآية، علىٰ أنّه سيأتي أنّ العمل الصحيح وما كان به الإيمان القلبي هو الإقرار بولاية الأئمة عليهم السلام فانتظر.

الفصل الثاني: معنى الولاية وأقسامها:

أما لغة: في المجمع: قوله تعالىٰ: ﴿هنالك الولاية لله﴾ هي بالفتح: الربوبية.. الخ، والولاية أيضاً: النصرة، وبالكسر: الإمارة، مصدر وليت، ويقال: هما لغتان بمعنىٰ الدولة وفي النهاية هي بالفتح: المحبة، وبالكسر: التولية والسلطان.. إلىٰ أن قال: والوليّ: الوالي، وكلّ من ولي أمر أحد فهو وليّه، والوليّ هو الذي له النصرة والمعونة، والوليّ الذي يدبر الأمر، يقال: «فلان ولي المرأة» إذا كان يدبر أمر نكاحها. ووليّ الدم: من كان إليه المطالبة بالقود. والسلطان وليّ أمر الرعية.

ومنه قول: كميت في حقّ علي بن أبي طالب عليه السلام:

ونِعمَ وليّ الأمر بعد وليّه ... ومنتجع التقوىٰ ونعم المقرَّب

قوله تعالىٰ: ﴿النبيّ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم﴾ روي عن الباقر عليه السلام: أنها نزلت في الإمرة يعني الإمارة، أي هو صلى الله عليه وآله أحقّ بهم من أنفسهم، حتىٰ لو احتاج إلىٰ مملوك لأحد هو محتاج إليه جاز أخذه منه.

---

١ ـ الانفال: ٢ ـ ٤.

ومنه الحديث: «النبي أولىٰ بكلّ مؤمن من نفسه، وكذا علي من بعده».. إلىٰ أن قال: والتولية تكون إقبالاً، ومنها قوله تعالىٰ: **﴿ولكلٍّ وجهة هو موليها﴾**، أي مستقبلها. وتكون انصرافاً، ومنه قوله تعالىٰ: **﴿يولّوكم الأدبار﴾**. وتكون بمعنى التولي يقول: وليت وتوليت.

والتولي يكون بمعنى الإعراض وبمعنى الاتباع، قال تعالىٰ: **﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم﴾**، أي ان تعرضوا عن الإسلام. وقوله تعالىٰ: **﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾**، أي ومن يتبعهم وينصرهم.. إلىٰ أن قال: قوله: **﴿وإني خفت الموالي﴾**، هم العمومة وبنو العم.. وقوله تعالى: **﴿لبئس المولىٰ ولبئس العشير﴾**، أي لبئس الناصر ولبئس الصاحب.. وفيه: «بني الإسلام علىٰ خمس» منها: الولاية، الولاية بالفتح: محبة أهل البيت، واتباعهم في الدين، وامتثال أوامرهم ونواهيهم.. إلىٰ أن قال: وأصل الكلمة (أي كلمة الولاية) من الولي وهو القرب، يقال: «تباعد بعد ولي» أي بعد قرب.

وقال: والولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، وما لم يجتمع فيه ذلك لم يطلق عليه اسم الوالي.. وقال: ووالىٰ بين الشيئين: تابع. واستولىٰ عليه الشيء: بلغ الغاية. قال: وفلان أولىٰ بكذا أي أحرىٰ به وأجدر، ويقال: هو الأولىٰ وهم الأوالي والأولون مثل الأعلىٰ والأعالي والأعلون.. قال: والولي ضدّ العدو.

أقول: قال في مقدمة تفسير البرهان في معنى الولي: وجاء أيضاً بمعنى المحب والصديق والنصير والقريب ونحو ذلك، ولكن الأصل فيه الأول أي الإمارة من الولاية بالكسر، ومن معانيه: المالك والعبد والمعتق (بالكسر) والمعتق (بالفتح) والمنعم والمنعم عليه والناصر والصاحب والمحب والتابع والنزيل والشريك والقريب أي من انتسب كابن العمّ ونحوه، والجار والحليف والظهر، وبعضها أشهر من بعض. انتهىٰ، وتقدم بعضها عن المجمع.

أقول: هذا بعض معانيه لغة فهو من المشترك فلابدّ في حمله علىٰ أحد معانيه من

قرينة معينة، حالية أو مقالية كما لا يخفىٰ، فحينئذ في أي مورد ورد من الشرع في الكتاب والسنة لابد من حمله علىٰ ما تساعده القرينة كما سيأتي في محلّه إن شاء الله تعالىٰ. فحينئذ نقول: الولاية قد تطلق علىٰ غير الأئمة عليهم السلام من ساير الناس من أصناف الشيعة كما في بعض الأحاديث من التعبير: بأهل الولاية أو أهل ولايتنا، فحينئذ قد يراد منها معنى المحب أو التابع أو الناصر، أي أهل المحبة والنصرة والمتابعة. ولكن الأغلب يطلق عليهم بمعنىٰ أنهم أهل الولاية أي أهل الاعتقاد بإمامتهم وولايتهم، التي تكون ثابتة لهم منه تعالىٰ كما لا يخفىٰ علىٰ أحد، وسيأتي الكلام فيه فيما بعد، وقد يطلق عليهم عليهم السلام وهذه هي التي يقع الكلام في تحقيق معناها فنقول:

أقسام الولاية:

الولاية التي تطلق عليهم إنما هي بمعنى التولية للأمور والتدبير لها، وهي علىٰ قسمين:

الأول: الولاية التشريعية بمعنىٰ أن لهم الآمرية والناهوية الشرعية، فزمام أمر الشرع في الامر والنهي والسياسة، وتدبير أمور المسلمين من بيان الحكم والقضاوة، وإجراء الحدود وسوقهم إلى الحرب وأمثاله.

والحاصل: أن هذه كلّها أمرها بيدهم عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وهي بهذا المعنىٰ ثابتة لهم بكلّ ما دلّ علىٰ إمامتهم ووصايتهم بعد النبيّ صلى الله عليه وآله من الآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب، وقد تقدم كثير منها، وهذا مما لا ينكره أحد من الشيعة.

الثاني: الولاية التكوينية وهذه هي المقصود بيانها وإثباتها لهم عليهم السلام في هذا الفصل بالآيات والأحاديث فنقول وعليه التوكل.

الولاية التكوينية:

إنه لابدّ أولاً من بيان معنى الولاية التكوينية وتعريفها ثم إثباتها بالآيات والأحاديث الصحيحة، ثم الكلام في بعض ما تتعلق بها فنقول: قال بعض الأعاظم من أهل المعرفة[1]: ثم إنّ هذه الولاية التيعرضت لجميع أصناف المخلوقين من الجماد والنبات والحيوان والإنسان والملائكة إنما هي ولاية الولي المطلق، التي كانت في رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وخلفائهما الأحد عشر عليهم السلام وهي كما قاله بعض المحققين: باطن النبوّة المطلقة، التي هي اطلاع النبي المخصوص بها علىٰ استعداد جميع الموجودات بحسب ذواتها وماهياتها، واعطاء كلّ ذي حقّ حقّه الذي يطلبه بلسان استعداده من حيث الانباء الذاتي والتعليم الحقيقي الأزلي.

وصاحب هذا المقام هو الموسوم بالخليفة الأعظم، وقطب الأقطاب، والإنسان الكبير، وآدم الحقيقي المعبّر عنه بالقلم الأعلىٰ والعقل الأول والروح الأعظم، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «أول ما خلق الله نوري، وكنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين» وإليه استند كلّ العلوم والأعمال، وإليه ينتهي جميع المراتب والمقامات نبيّاً كان أو وليّاً، رسولاً كان أو وصياً، ومرجعه إلىٰ فناء العبد في الحقّ وبقائه به، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «أنا وعلي من نور واحد».

وقوله ﷺ: خلق الله روحي وروح علي بن أبي طالب قبل أن يخلق الخلق بألفي عام، وبعث عليّاً مع كلّ نبيّ سرّاً ومعي جهراً، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «كنت وليّاً وآدم بين الماء والطين» وقوله: «أنا وجه الله وأنا جنب الله وأنا يد الله، وأنا القلم الأعلىٰ، وأنا اللوح المحفوظ» إلىٰ آخر ما قاله في خطبة البيان.

وهذا هو المراد بقول الصادق عليه السلام: «الصورة الإنسانية هي أكبر حجج الله علىٰ خلقه، وهو الكتاب الذي كتبه بيده، وهو يجمع صور العالمين، وهو النسخة

---

١ ـ هو المولى الحاج ميرزا جواد آقا التبريزي الملكي في كتاب أعمال السنة ٢٥٨.

المختصرة من اللوح المحفوظ، وهو الجسر الممدود بين الجنة والنار، وقد كانت هذه الولاية في النبيّ والوصي وهما فاتحها وخاتمها»[١] الخ.

وقال بعض الأعلام[٢]: فحقيقة الولاية الرتق والفتق في المولىٰ عليه بإمساكه عما عليه وجريه فيما له.

وبعبارة أُخرىٰ: استحقاق تربية المملوك؛ لكونه أولىٰ به من نفسه، فهو اسم له تعالىٰ باعتبار أولويته بخلقه من أنفسهم، ثم إن هذه الولاية منشأها هو احتواء المولي للمولىٰ (عليه ـ ظ) قادراً على الاستبداد به، الذي هو حقيقة الملك فهو الولاية الحقيقية، وإما منشأها الخلافة من المولى الحقيقي؛ لكونه متعالياً عن مجانسة مخلوقاته وجليلاً عن ملائمة كيفياتهم، فينصب الخليفة لتربية المملوكين ما هو يستحقه منهم عليه؛ لحفظ علو شأنه وصون ضياع مماليكه عما له عليهم.

مثلاً من لوازم ولايته تعالىٰ على العباد بذل ماهم، ووقف أنفسهم عليه تعالى، وتفديتهم أنفسهم وأولادهم فلمّا كان غنياً عن ذلك، ومنزهاً عما هو من صفات المخلوقين، وكان عباده لا يظهر صدقهم وحقيقة عبوديتهم إلّا بأمثال ذلك من لوازم العبودية، فنصب الخليفة لمثل هذه اللوازم؛ لأن نترتبّها عليه والعباد ملتزمون بها فقال: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكٰوة وهم راكعون﴾ فالرسول والمؤمنون إنما هم خلفاؤه تعالىٰ في الولاية لا شركاؤه تعالىٰ أن يكون له ولي من الذل علواً كبيراً.

أقول: فلعمري لقد بيّن حقيقة الولاية التكوينية والتشريعية بالوجه العقلي، مع بيان اختصاص الولاية الحقيقية له تعالىٰ بنحو لا يتوهم فيه الغلو والشرك كما لا يخفىٰ وسيأتي توضحيه.

وقال بعض العارفين[٣]: اعلم: أنه لما اقتضىٰ كلمة الإلهية الجامعة لجميع

---

١ ـ فاتحاها وخاتماها.

٢ ـ وهو العلّامة المحقق السيد حسن الهمداني في رسالته في شرح الأسماء الحسنى ١٠٣.

٣ ـ وهو صاحب كتاب هداية المسترشد ص٢٢٦.

الكمالات، المشتملة على الأسماء الحسنىٰ والصفات العليا بسط مملكة الإيجاد والرحمة، ونشر لواء القدرة والحكمة بإظهار الممكنات، وإيجاد المكوّنات، وخلق الخلائق، وتسخير الأمور وتدبيرها، وكانت مباشرة هذا الأمر من الذات القديمة الأحدية بغير واسطة بعيدة جدّاً.

أقول: الأحسن أن يقال: واقتضت الحكمة الأزلية عدم مباشرة الأمور بذاته المقدسة، بل اقتضت الوساطة؛ كما أُشير إليه في بعض الأخبار، وذلك لأن التعبير المذكور ربما يعطي عدم إمكان المباشرة بلا واسطة، مع أنه لا ريب في إمكان ذلك له تعالىٰ بقدرته، نعم لا بالمباشرة الحسية بل بالقدر والخلق لكلّ شيء حين لزومه بلا واساطة فتدبر تفهم، لبعد المناسبة بين عزة القِدم وذلة الحدوث:

فقضىٰ سبحانه بتخليف نائب عنه في التصرف والولاية والحفظ والرعاية، فلا محالة له وجه إلى القدم يخلف عنه في التصرف، وخلع عليه خلع جميع أسمائه وصفاته، ومكّنه في مسند الخلافة بإلقاء مقادير الأمور إليه وإحالة الجمهور عليه.

فالمقصود من وجود العالم أن يوجد الإنسان، الذي هو خليفة الله في العالم، فالغرض من الأركان حصول النباتات، ومن النباتات حصول الحيوانات، ومن الحيوان حصول الإنسان، ومن الإنسان حصول الأرواح، ومن الأرواح الناطقة حصول خليفة الله في الأرض كما قال الله تعالىٰ: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾.

فالنبيّ لابد من أن يكون آخذاً من الله، متعلماً من لدنه، معطياً لعباده، هادياً لهم، فهو واسطة بين العالمين سمعاً من جانب ولساناً إلىٰ جانب، وهكذا حال سفراء الله إلىٰ عباده وشفعاء يوم تناده، فلقلب النبي بابان مفتوحان: باب مفتوح إلىٰ عالم الملكوت، وهو عالم اللوح المحفوظ، ومنشأ الملائكة العلمية والعملية. وباب مفتوح إلى القوى المدركة؛ ليطلع علىٰ سوانح مهمات الخلق، فهذا النبي يجب أن يلزم الخلائق في شرعه الطاعات والعبادات؛ ليسوقهم بالتعويد عن مقام الحيوانية إلىٰ مقام الملكية، فإن الأنبياء رؤوس القوافل.

وقال في الفرق بين النبوة والولاية: اعلم: أن النبوة وضع الآداب الناموسية، والولاية كشف الحقائق الإلهية، فإن ظهر من النبي تبيين الحقائق فهو بما هو ولي، فإن كلّ نبيّ ولي و لا عكس، فإن النبي كمرآة لها وجهان: وجه إلى الحقّ، ووجه إلى الخلق، فولايته من وجهه إلى الحقّ، ونبوته من وجهه إلى الخلق.

وقيل: النبوة وضع الحجاب، والولاية رفع الحجاب؛ لأن دفع الفساد أهم في نظر النبي، وهو لا يتأتىٰ إلّا بوضع الحجاب.

أقول: في هذا الذيل ما لا يخفىٰ، وتقدم هذا الكلام وما يقرب منه في لزوم الخليفة الإلٰهي في الرسالة وفي الولاية فراجعه.

وفي شرح الصحيفة السجادية علىٰ منشيها آلاف الثناء والتحية ما ملخصه: الولي فعيل: بمعنى المفعول، وهو من يتولى الله أمره كما قال تعالىٰ: **﴿وهو يتولى الصالحين﴾**[1] وقيل: بمعنى الفاعل أي الذي يتولىٰ عبادة الله، ويوالي طاعته من غير تخلل معصية، وكلا الوصفين شرط في الولاية.

وقال المتكلمون: الولي من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل، وبالأعمال الشرعية، والتركيب يدل على القرب، فكأنه قريب منه تعالىٰ لاستغراقه في أنوار معرفته وجمال جلاله.

وقيل في بيانه: الولي من يتولى الله تعالىٰ بذاته أمره، فلا تصرف له أصلاً إذ لا وجود له ولا ذات ولا فعل ولا وصف، فهو الفاني بيد المفني يفعل به ما يشاء حتىٰ يمحو رسمه واسمه، ويمحق عينه وأثره، ويحييه بحياته ويبقيه ببقائه، هذا عام يشمل غير الأئمة عليهم السلام.

وقيل: الولي هو المطلع على الحقائق الإلهية، ومعرفة ذاته تعالىٰ وصفاته وأفعاله كشفاً وشهوداً من الله خاصّة من غير واسطة ملك أو بشر.

وقيل: هو من ثبتت له الولاية، التي توجب لصاحبها التصرف في العالم

---

١ ـ الأعراف: ١٩٦.

العنصري، وتدبيره بإصلاح فساده وإظهار الكمالات فيه؛ لاختصاص صاحبها بعناية إلهية توجب له قوة في نفسه، لا يمنعها الاشتغال بالبدن عن الاتصال بالعالم العلوي، واكتساب العلم الغيبي منه في حال الصحة واليقظة، بل تجمع بين الأمرين لما فيها من القوة التي تسع الجانبين، والولاية بهذا المعنىٰ مرادفة للإمامة عند الإمامية.

وفي الكلمات المكنونة للمولى العارف الكامل الفيض الكاشاني (رضوان الله تعالىٰ عليه) كلمة فيها إشارة إلى النبوة والولاية: الإنسان الكامل إما نبيّ أو وليّ، ولكلّ من النبوة والولاية اعتباران: اعتبار الإطلاق، واعتبار التقييد، أي العام والخاص.

فالنبوة المطلقة وهي النبوة الحقيقية الحاصلة في الأزل، الباقية إلى الأبد، وهو اطلاع النبي المخصوص لها علىٰ استعداده من حيث إنه الإنباء الذاتي والتعليم الحقيقي الأزلي المسمىٰ بالربوبية العظمىٰ والسلطنة الكبرىٰ.

وصاحب هذا المقام هو الموسوم بالخليفة الأعظم، وقطب الأقطاب، والإنسان الكبير، وآدم الحقيقي المعبّر عنه بالقلم الأعلىٰ، والعقل الأول، والروح الأعظم، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: أول ما خلق الله نوري، وكنت نبياً وآدم بين الماء والطين ونحو ذلك، وإليه استند كلّ العلوم والأعمال، وإليه ينتهي جميع المراتب والمقامات نبياً كان أو ولياً، رسولاً كان أو وصياً.

وباطن هذه النبوة هي الولاية المطلقة، وهي عبارة عن حصول مجموع هذه الكمالات بحسب الباطن في الأزل وبقائها إلى الأبد، ويرجع إلىٰ فناء العبد في الحق وبقائه به، وإليه الاشارة بقوله: أنا وعلي من نورواحد، وخلق روحي وروح علي ابن أبي طالب قبل أن يخلق الخلق بألفي عام، وبعث علياً مع كل نبي سرّاً ومعي جهراً، وبقول أمير المؤمنين عليه السلام: كنت وليّاً وآدم بين الماء والطين إلىٰ غير ذلك.

والنبوة المقيدة هي الإخبار عن الحقائق الإلهية أي معرفة ذات الحق وأسمائه

وصفاته وأحكامه، فإن ضمّ مع تبليغ الأحكام والتأديب بالأخلاق والتعليم، وبالحكمة والقيام بالسياسة، فهي النبوة التشريعية وتختص بالرسالة، وقس عليها الولاية المقيدة.

فكلّ من النبوة والولاية من حيث هي صفة إلهية مطلقة، ومن حيث استنادها إلى الأنبياء والأولياء مقيدة، والمقيد متقوم بالمطلق، والمطلق ظاهر في المقيد فنبوة الأنبياء كلّهم جزئيات النبوة المطلقة، وكذلك ولاية الأولياء جزئيات الولاية المطلقة، ولكلّ من الأقسام الأربعة ختم، أي مرتبة ليست فوقها مرتبة أُخرىٰ، ومقام لا نبي علىٰ ذلك المقام ولا ولي سوى الشخص المخصوص به، بل الكلّ يكون راجعاً إليه وإن تأخر وجود طينة صاحبه فإنه بحقيقته موجود قبله.

وخاتم النبوة المطلقة نبينا ﷺ وخاتم الولاية المطلقة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والنبوة المقيدة إنما كملت وبلغت غايتها بالتدريج، فأصلها تمهد بآدم عليه السلام ولم تزل تنمو وتكمل حتىٰ بلغ كمالها إلىٰ نبينا ﷺ ولهذا كان خاتم النبيين، وإليه الإشارة بما روي عنه ﷺ: مثل النبوة مثل دار معمورة لم يبق فيها إلّا موضع لبنة، وكنت أنا تلك اللبنة، أو لفظ هذا معناه.

وكذلك الولاية المقيدة إنما تدرجت إلى الكمال حتىٰ بلغت غايتها إلى المهدي الموعود ظهوره، الذي هو صاحب الأمر في هذا العصر، وبقية الله اليوم في بلاده وعباده (صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آبائه المعصومين).

وقال بعضهم[1]: الولاية هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وعند ذلك يتولى الحق إياه حتىٰ يبلغه مقام القرب والتمكين، وشرحه بعضهم بقوله: الولاية مأخوذة من الولي وهو القرب ولذا يسمى الحبيب وليّاً؛ لكونه قريباً من محبّه. وفي الاصطلاح: هو القرب من الحقّ وهي عامة وخاصة، والعامة حاصلة لكلّ نبيّ آمن بالله وعمل صالحاً، والخاصة هي الفناء في الله ذاتاً وصفة وفعلاً، فالولي هو الفاني

---

١ ـ وهو الملا عبدالرزاق الكاشاني علىٰ ما في عقائد الإيمان.

في الله القائم به الظاهر بأسمائه وصفاته.

وعن السيد نعمة الله الجزائري ﷺ قال: الولاية بقاء العبد بالحق في حال الفناء. وقيل: هي التخلق بأخلاق الله تعالىٰ والفناء بعد الفناء وصحو بعد المحو.

وقال السبزواري في شرحه على الأسماء الحسنىٰ ص ٩: الولي له معان كثير منها: المتولي لأمور العالم المتصرف فيه، إلىٰ أن قال: وهو بما هو ولي أتم وأكمل منه بما هو نبيّ؛ لأن ولايته جنبته الحقانية واشتغاله بالحق ونبوته وجهه الخلق وتوجيهه إليهم. ولا شك في أن الأولىٰ أشرف لكونها أبدية، بخلاف الثانية فإنها منقطعة.

فإذا سمعتم يقولون: الولاية أفضل من النبوة، فيعنون ذلك في شخص واحد وهو: أن النبيّ من حيث هو ولي أفضل من حيث هو نبيّ لا الولي التابع.

أقول: وبهذا يتم النزاع الواقع بينهم من أن النبي أفضل أو الولي، فقيل بالثاني، واستشكل عليه بأمور، فينحل بما ذكر من أنه أفضل في شخص واحد بالبيان المذكور.

نعم: ما ذكره وجهاً للأشرفية من حيث إن النبوة منقطعة لقوله ﷺ «لا نبيّ بعدي» دون الولاية. وإن كان حسناً إلّا أنه لا ينحصر الوجه فيه، وله وجوه أُخر تذكر في محلها إن شاء الله تعالىٰ.

ثم إنهم ذكروا للأولياء طبقات لا يهمنا التعرض لها، فمن أرادها فليراجع الشرح المذكور صفحة ٢٠٤، والله العالم بحقائق الأمور.

أقول: هذا بعض التعاريف في معنى النبوة والولاية في كلمات القوم، وهناك تعاريف متقاربة اللفظ والمعنىٰ وحاصلها يرجع إلىٰ ما ذكرنا بضرب من التأويل.

ثم إن حقيقة الولاية أمر واحد لها **ظهوران**:

- **ظهور** في التشريع وهو ما قلنا سابقاً.
- **ظهور** في التكوين.

فما ذكرنا من التعاريف يشير إلىٰ تعريفها الحقيقي الوجداني الجامع، ولكن

علمت من الأخبار السابقة الواردة في أن حديثهم عليهم السلام صعب مستصعب، أن تلك الأحاديث تشير إلىٰ حقيقة ولايتهم التي منحها الله تعالىٰ إياهم. وهي من غوامض معارفهم، فأصل حقيقتها لم يحتملها أحد بل هي أمر مخصوص بهم، وربما منحوا بعض أوليائهم بعض شؤونها كما علمت من حديثي أبي الصامت. إذن: فأصل الولاية لم تظهر حقيقتها لأحد. وأما ما سمعت من التعاريف لها فهي التي عرفها كلّ منهم علىٰ حسب دركه، وإلا فحقيقتها بعد مبهمة علينا، والوجه في ذلك عدم قابليتنا لدركها كما أُشير إليه في حديث جابر المتقدم عن البصائر حيث قال عليه السلام: «يا جابر ما سترنا عنكم أكثر مما أظهرنا لكم».

وفي حديث مفضل في البصائر قوله عليه السلام: «فأحسن الحديث حديثنا، لا يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله حتىٰ يحده، لأنه من حدّ شيئاً فهو أكبر منه» وقد تقدم شرحه.

ونظيره قوله عليه السلام في حديث مرازم عن التوحيد من قوله عليه السلام ثم قال: «لو أجبتك فيه لكفرت» أي لعدم إمكان الدرك فيوجب الكفر، كما لا يخفىٰ.

ولذا ترى الأئمة عليهم السلام إنما بينوا ولايتهم المطلقة التكوينية ببيان آثارها إما علماً أو عملاً:

ـ أما **الأول**: فكالأحاديث الواردة في بيان شؤون ولايتهم بالسنة وهي مختلفة، التي منها الزيارة الجامعة والتي نحن بصدد شرحها إن شاء الله تعالىٰ.

ـ وأما **الثاني**: فكالمعجزات التي صدرت عنهم، فإنها تحكي حقيقة ولايتهم التكوينية وهي أكثر من أن تحصىٰ، وقد ذكر كثيراً منها السيد السند السيد هاشم البحراني (رضوان الله تعالىٰ عليه) في كتاب مدينة المعاجز فليراجع.

بل وشأن القرآن الكريم أيضاً هكذا، فإنه سبحانه يبين فيه غالباً ولاية أوليائه بأفعالهم الغريبة التي أقدرهم الله عليها، ونحن نذكر شطراً من كلّ منهما ليتضح الحال بأحسن المقال في صورة المثال. فنقول:

أما الآيات الشريفة:

ـ قوله تعالىٰ: **﴿ولو أن قرآناً سُيرت به الجبالُ أو قطِّعت به الأرض أو كُلِّم به الموتىٰ بل لله الأمر جميعاً..﴾**[1].

عن تفسير علي بن إبراهيم: قوله: ولو أن قرآناً الخ الآية قال: لو كان شيء من القرآن كذلك لكان هذا، أقول: يعني لوكان شيء مما أقدره الله لعباده فيما أنزل عليهم من الوحي مما فيه هذه القدرة، التي بها تسير الجبال وتقطع الأرض ويحيى الموتىٰ لكان هو هذا القرآن المنزل عليه ﷺ.

ولا ريب أن هذه الآثار الثلاثة تنبئ عن أن المنزّل عليهم هذا القرآن، قد أمكنهم الله من هذه الأمور، بما أعطاهم من القدرة، التي بها يتصرفون في الموجودات، وهذه هي حقيقة الولاية التكوينية الثابتة لهم بنصّ هذا القرآن.

وإليه يشير ما عن أُصول الكافي بإسناده عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي الحسن الأول عليه السلام «قال: قلت له: جعلت فداك، أخبرني عن النبيّ ورث النبيين كلّهم قال: نعم، قلت: من لدن آدم حتىٰ انتهىٰ إلىٰ نفسه؟ قال: ما بعث الله نبياً إلّا ومحمد ﷺ أعلم منه، قال: قلت: إن عيسىٰ بن مريم كان يحيي الموتىٰ بإذن الله، قال: صدقت، وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، وكان رسول الله ﷺ يقدر علىٰ هذه المنازل؟

قال: فقال: إن سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وغضب عليه **﴿لأُعذبنّه عذاباً شديداً أو لأذبحنّه أو ليأتينّي بسلطان مبين﴾**، وإنما غضب لأنه كان يدلّه على الماء فهذا وهو طائر قد أعطي ما لم يعط سليمان، وقد كانت الريح والنمل والإنس والجن والشياطين المردة له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكان الطير يعرفه، وإن الله يقول في كتابه: **﴿ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطّعت به الأرض**

---

١ ـ الرعد: ٣١.

أو كُلّم به الموتىٰ﴾.

وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسيّر به الجبال، وتقطع بـه البـلدان، ويحيى به الموتىٰ، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وأن في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلّا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله بما كتبه الماضون جعله الله لنا في أُم الكتاب، إن الله يقول: **﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلّا في كتاب مبين﴾** ثم قال: **﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾** فـنحن الذيـن اصـطفانا الله عـزوجل وأورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كلّ شيء».

أقول: دلّ هذا الحديث عـلىٰ أنـه تـعالىٰ أعـطىٰ أنـبياءَه والأئمـة عليهم السلام قـدرة يتصرفون بها في الأمور الغريبة، التي يعجز عنها غيرهم مـن إحـياء المـوتىٰ كـما لعيسىٰ عليه السلام ومن تسيير الجبال وتقطيعها وتكليم الموتىٰ وغيرها ممـا ستأتي الإشارة إليه. ثم بين عليه السلام جامعاً كلياً في هذا الأمر مما جعله الله لهم في أمّ الكتاب. واسـتدل عليه بأن قوله تعالىٰ: **﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلّا في كتاب مبين﴾** يدل علىٰ أن أي أمر غائب عن الناس مما هو ثابت في السماء أو الأرض يكون في كتاب مبين.

ثم بين أن قوله تعالىٰ: ثم أورثنا الكتاب، دل علىٰ أن الكتاب الذي ما من غائبة سماوية أو أرضية إلّا وهي فيه، هو هـذا الكـتاب الذي أورثـه الله تـعالىٰ إيـاهم، فقوله عليه السلام: فنحن الذين اصطفانا الله عزوجل، وأورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كـلّ شيء، بيان لأن المراد من العباد في الآية المباركة هو النبي والأئمة عليهم السلام.

ثم إن المراد من قوله عليه السلام: فيه تبيان كلّ شيء، اقتباساً من الآية الشريفة لايراد التبيان العلمي بل المراد الأعم منه، ومن التبيان الشهودي والعلمي بأعمال القدرة وما أقدرهم الله عليه كما لا يخفىٰ على الناقد البصير، والله العالم وأولياؤه بكلامه.

ـ وقوله تعالىٰ: ﴿وإذ استسقىٰ موسىٰ لقومه فـقلنا اضـرب بـعصاك الحـجر

فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كلّ أُناس مشربَهم﴾[1].

في تفسير البرهان عن الإمام العسكري.. إلىٰ أن «قال عليه السلام: ثم قال الله عزوجل: **﴿وإذ استسقىٰ موسىٰ لقومه﴾** قال: واذكروا يا بني إسرائيل إذ استسقىٰ موسىٰ لقومه، طلب لهم السقيا لما لحقهم العطش في التيه، وضجّوا بالبكاء، وقالوا: أهلكنا العطش يا موسىٰ.

فقال موسىٰ: إلهي بحقّ محمد سيد الأنبياء، وبحقّ علي سيد الأوصياء، وبحقّ فاطمة سيدة النساء، وبحق الحسن سيد الأولياء، وبحقّ الحسين أفضل الشهداء، وبحقّ عترتهم وخلفائهم سادة الأزكياء لما سقيت عبادك هؤلاء، فأوحى الله تعالىٰ إليه: يا موسىٰ اضرب بعصاك الحجر، فضرب بها، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كلّ أُناس مشربهم، كلّ قبيلة من أولاد يعقوب مشربهم، فلا يزاحمهم الآخرون في مشربهم» الحديث.

فظاهر هذا الحديث ونحوه اعطاؤه تعالىٰ هذه القدرة لموسىٰ عليه السلام بظهور هذا المعجز منه بواسطة ضرب العصا، وحقيقته ترجع إلىٰ أنه تعالىٰ مكّنه من هذا الأمر المعجز بما منحه من الولاية التكوينية، التي أثرها التصرف في الموجودات وسيجيء قريباً توضيحه.

ولعصا موسىٰ معاجز أُخرىٰ، منها ما في تفسير نور الثقلين، عن تفسير العياشي، عن عاصم بن المصري في قضية بعثة موسىٰ إلىٰ فرعون.. إلىٰ أن قال: فمكث بذلك ما شاء الله يسأله أن يستأذن له، قال: فلما أكثر عليه (أي على الاذن) قال له: أما وجد ربّ العالمين من يرسله غيرك؟ قال: فغضب موسىٰ عليه السلام فضرب الباب بعصاه، فلم يبق بينه وبين فرعون باب إلّا انفتح حتىٰ نظر إليه فرعون وهو في مجلسه. الخبر.

وفيه عن أُصول الكافي بإسناده إلىٰ محمد بن الفيض، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

---

[1] ـ البقرة: ٦٠.

كانت عصا موسىٰ لآدم عليه السلام فصارت إلىٰ شعيب عليه السلام ثم صارت إلىٰ موسىٰ عليه السلام وإنها لعندنا، وإن عهدي بها آنفاً وهي خضر كهيئتها حين انتزعت من شجرتها، وإنها لتنطق إذا استنطقت، أُعدت لقائمنا يصنع بها ما كان يصنع موسىٰ، وإنها لتروّع ولتلقف[١] ما يأفكون وتصنع ما تؤمر به، إنها حيث أقبلت، تلقف ما يأفكون تفتح لها شفتان، إحداهما في الأرض والأُخرىٰ في السقف وبينهما أربعون ذراعاً تلقف ما يأفكون بلسانها.

وفي تفسير البرهان عند قوله تعالىٰ: ﴿وقطّعناهم اثنتي عشرة أسباطاً﴾ أي وأوحينا إلىٰ موسىٰ إذا استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر[٢] محمد بن يعقوب بإسناده عن أبي سعد الخراساني قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إن القائم إذا قام بمكة وأراد أن يتوجه إلى الكوفة نادىٰ مناديه: ألا لا يحمل أحد منكم طعاماً ولا شراباً، ويحمل حجر موسىٰ بن عمران وهو وقر بعير، فلا ينزل منزلاً إلّا انبعثت عين منه، فمن كان جائعاً شبع، ومن كان ظامئاً روي، فهو زادهم حتىٰ ينزلوا النجف من ظهر الكوفة.

وفيه وعنه بإسناده عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: ألواح موسىٰ عندنا وعصا موسىٰ عندنا ونحن ورثة النبيين.

فهذه الآيات تثبت هذا النحو من التصرف لأنبياء الله، وهذه الأحاديث دلّت علىٰ أنها للأئمة عليهم السلام أيضاً كما سيجيء بيان هذا.

ـ ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿قال الذي عنده علمٌ من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك﴾[٣].

---

١ ـ لتروع أي تخوف، تلقف أي تلقم.

٢ ـ الأعراف الايه

٣ ـ النمل: ٤٠.

فـي تـفسير البرهـان: السـيد الرضي في الخـصائص قـال: روي أن أمـير المؤمنين عليه السلام كان جالساً في المسجد، إذ دخل عليه رجـلان فـاختصما إليـه، وكـان أحدهما من الخوارج، فيوجه الحكم على الخارجي، فحكم عليه أمير المؤمنين عليه السلام فقال له الخارجي: والله ما حكمت بالسوية، ولا عدلت في القضية، وما قضيتك عند الله بمرضية، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إخسأ عدو الله فاستحال كلباً.

فقال من حضره: فوالله لقد رأينا ثيابه تطاير عنه في الهواء، فـجعل يـبصّص لأمير المؤمنين عليه السلام، ودمعت عيناه في وجهه، ورأينا أمير المؤمنين عليه السلام وقد رقّ له، فلحظ السماء، وحرّك شفتيه بكلام لم نسمعه، فوالله لقد رأيناه وقد عـاد إلىٰ حـال الإنسانية، وتراجعت ثيابه من الهـواء حتىٰ سقطت علىٰ كتفيه، فرأيناه وقد خـرج من المسجد، وأن رجليه لتضطربان، فبهتنا ننظر إلىٰ أمير المـؤمنين عليه السلام فـقال لنـا: مالكم تنظرون وتعجبون؟ فقلنا: يا أمير المؤمنين كيف لا نتعجب وقد صنعت مـا صنعت؟

فقال: أما تعلمون أن آصف بن برخيا وصيّ سليمان بن داود عليه السلام قد صنع ما هو قريب من هذا الأمر، فقصّ الله جلّ اسمه قصته حيث يقول: ﴿.. **أيّكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين * قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين * قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلمّا رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي لِيبلوني أَشكر أم أكفر**﴾ الآية، فأيّما أكرم على الله نبيكم أم سليمان عليه السلام؟ فقالوا: بل نبينا أكرم يا أمير المؤمنين.

قال: فوصي نبيكم أكرم من وصي سليمان عليه السلام، وإنما كان عند وصي سليمان من اسم الله الأعظم حرف واحد، سأل الله جلّ اسمه فخسف له الأرض، ما بينه وبين سرير بِلقيس، فتناوله في أقل من طرف العين، وعندنا من اسم الله الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله تعالىٰ استأثر به دون خلقه، فقالوا: يا أمير المؤمنين فإذا كان هذا عندك فما حاجتك إلى الأنصار في قتال معاوية وغيره واستنصارك

(واستنفارك خ‌ل) الناس إلىٰ حربه ثانية؟!

فقال: بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، إنما أدعو هؤلاء القوم إلىٰ قتاله ليثبت الحجة وكمال المحنة، ولولا أذن في إهلاكه لما تأخر، لكن الله تعالىٰ يمتحن خلقه بما شاء، قالوا: فنهضنا من حوله ونحن نعظم ما أتىٰ به عليه السلام[١].

وفيه[٢] وعنه (أي عن محمد بن الحسن الصفار) عن إبراهيم بن هاشم، عن سليمان عن سدير قال: كنت أنا وأبو بصير وميسر ويحيى البزاز وداود الرقي في مجلس أبي عبدالله عليه السلام إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه قال: عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلّا الله، لقد هممت بضرب خادمتي فلانة فذهبت عني، فما عرفتها في أي البيوت هي من الدار، فلما أن قام من مجلسه وصار إلىٰ منزله، دخلت أنا وأبو بصير وميسر علىٰ أبي عبدالله عليه السلام فقلنا له: جعلنا فداك سمعناك تقول في أمر خادمتك، ونحن نعلم أنك تعلم علماً كثيراً لا ينسب إلىٰ علم الغيب؟!

فقال: يا سدير أما تقرأ القرآن؟ قلت: قد قرأناه جعلنا الله فداك، فقال: وجدت فيما قرأت من كتاب الله: ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾؟ قلت: جعلت فداك قد قرأته، قال: فهل عرفت الرجل، وعرفت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال: قلت: فأخبرني حتىٰ أعلم، قال: قدر قطرة من المطر الجور في البحر الأخضر، ما يكون ذلك من علم الكتاب، قلت: جعلت فداك ما أقل هذا؟! قال: يا سدير ما أكثره لمن لم ينسبه إلى العلم الذي أخبرك به، يا سدير فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله: ﴿قل كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب﴾ كلّه والله عندنا، ثلاثاً.

---

١ ـ تفسير البرهان ج ٣ ص ٢٠٥.

٢ ـ تفسير البرهان ج ٣ ص ٢٠٤.

أقول: فظهر من هذه الآيات والأحاديث أن الله قد أقدرهم على أعمال القدرة، أزيد مما أقدر آصف بن برخيا بزيادة كثيرة، كما يظهر من مثاله ﷺ، وليس هذا إلّا أثراً من آثار ولايتهم التكوينية حيث يتصرفون بها في الموجودات، وستأتي في شرح الزيارة في الفصل الثالث الأحاديث الأُخر، وما يوضح هذا إن شاء الله تعالىٰ.

ومنها: قوله تعالىٰ: **﴿ويعلّمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل * ورسولاً إلىٰ بني إسرائيل أنّي قد جئتكم بآية من ربّكم إنّي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفُخُ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص..﴾**[١].

وقوله تعالىٰ: **﴿.. وإذ تخلُقُ من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخُ فيها فتكون طيراً بإذني..﴾**[٢].

في أُصول الكافي بإسناده عن أبي بصير قال: دخلت علىٰ أبي جعفر ﷺ فقلت له: أنتم ورثة رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قلت: رسول الله ﷺ وارث الأنبياء علم كلما علموا؟ قال: نعم، قلت: فأنتم تقدرون علىٰ أن تحيوا الموتىٰ وتبرأوا الأكمه والأبرص؟ قال لي: نعم بإذن الله.

ثم قال لي: إدن مني يا أبا محمد، فدنوت منه، فمسح علىٰ وجهي وعلىٰ عيني فأبصرت الشمس والسماء والأرض والبيوت وكلّ شيء في الليلة.

ثم قال لي: أتحب أن تكون هكذا ولك ما للناس، وعليك ما عليهم يوم القيامة، أو تعود كما كنتَ ولك الجنة خالصاً؟ قلت: أعود كما كنتُ، فمسح علىٰ عيني فعدت كما كنت، فحدثت ابن أبي عمير بهذا، فقال: أشهد أن هذا حقّ كما أن النهار حقّ[٣].

وفيه[٤] وفي عيون الأخبار في باب مجلس الرضا ﷺ مع أهل الأديان وأصحاب المقالات في التوحيد، قال الرضا ﷺ: يا نصراني أسألك عن مسألة،

---

١ ـ آل عمران: ٤٨ ـ ٤٩.

٢ ـ المائدة: ١١٠.

٣ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٢٨٤.

٤ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٥٧١.

قال: سل فإن كان عندي علمها أجبتك، قال الرضا عليه السلام ما أنكرت أن عيسىٰ كان يحيي الموتىٰ بإذن الله عزوجل؟ قال الجاثليق: أنكرت ذلك من قبل، أن من أحيا الموتىٰ وأبرأ الأكمه والأبرص فهو ربّ مستحق لأن يعبد، قال الرضا عليه السلام: فإن اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسىٰ عليه السلام مشىٰ على الماء وأحيا الموتىٰ وأبرأ الأكمه والأبرص فلم تتخذه أمتُه ربّاً، ولم يعبده أحد من دون الله تعالىٰ، ولقد صنع حزقيل النبي عليه السلام مثل ما صنع عيسىٰ بن مريم عليه السلام وأحيا خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستين سنة.

ثم التفت إلىٰ رأس الجالوت فقال: يا رأس الجالوت أتجد هؤلاء في شباب بني إسرائيل فيمن اختارهم بخت نصر من بني إسرائيل حين غزا بيت المقدس ثم انصرف بهم إلىٰ بابل، فأرسله الله عزوجل إليهم فأحياهم، هذا في التوراة لا يدفعه إلّا كافر منكم، قال رأس الجالوت: قد سمعنا به وعرفناه، قال: صدقت.

ثم قال: يا يهودي خذ عليّ هذا السفر من التوراة، فتلا عليه السلام علينا من التورا آيات، فأقبل اليهودي يترجح قراءته ويتعجب، ثم أقبل على النصراني فقال: يا نصراني فهؤلاء كانوا قبل عيسىٰ أم عيسىٰ كان قبلهم؟ قال: بل كانوا قبله.

قال الرضا عليه السلام: ولقد اجتمعت قريش إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه أن يحيي لهم موتاهم، فوجه معهم علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: اذهب إلى الجبانة[1] فناد أسماء بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلىٰ صوتك: يا فلان ويا فلان يقول لكم رسول الله محمد صلى الله عليه وآله: قوموا بإذن الله عزوجل، فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم، فأقبلت قريش تسألهم عن أمورهم، ثم أخبروهم أن محمداً قد بعث نبياً، فقالوا: أردنا أن انّا أدركناه فنؤمن به، ولقد أبرأ الأكمه والأبرص والمجانين وكلّمه البهائم والطير والجن والشياطين، ولم نتخذه ربّاً من دون الله تعالىٰ، ولم ننكر لأحد من هؤلاء فضلهم، الحديث.

---

١ ـ أي الصحراء التي فيها المقابر.

ـ ومنها: قوله تعالىٰ **﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبالُ أوِّبي معه والطيرَ وألَنا له الحديد * أن اعمل سابغات وقدّر في السّرد وآعملوا صالحاً إنّي بما تعملون بصير * ولسليمان الريحَ غدوّها شهرٌ ورواحها شهرٌ وأسلنا له عين القِطر﴾**[1].

ففي تفسير نور الثقلين عن كتاب الاحتجاج للطبرسي ﵀ روىٰ عن موسىٰ بن جعفر عن أبيه عن آبائه، عن الحسين بن علي ﵉ قال: إن يهودياً من يهود الشام وأحبارهم قال لأمير المؤمنين ﵇: فإن هذا داود بكىٰ علىٰ خطيئته حتىٰ سارت الجبال معه لخوفه، قال له علي ﵇: لقد كان كذلك ومحمد ﷺ أعطىٰ ما هو أفضل من هذا، إنه كان إذا قام إلىٰ الصلٰوة سمع بصدره وجوفه أزيراً كأزير المرجل علىٰ الأثافي من شدة البكاء، وقد آمنه الله عزوجل من عقابه، فأراد أن يتخشع لربّه ببكائه، ويكون إماماً لمن اقتدىٰ به، ولقد قام ﷺ عشر سنين علىٰ أطراف أصابعه حتىٰ تورمت قدماه واصفر وجهه. يقوم الليل أجمع حتىٰ عوتب في ذلك، فقال الله عزوجل: **﴿طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقىٰ﴾** بل لتسعد به، ولقد كان يبكي حتىٰ يغشىٰ عليه، فقيل: يا رسول الله أليس الله عزوجل قد غفر لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: بلىٰ، أفلا أكون عبداً شكوراً، ولئن سارت الجبال وسبّحت معه، لقد عمل لمحمد ﷺ ما هو أفضل من هذا، إذا كنا معه علىٰ جبل حراء إذ تحرك الجبل، فقال له: قرّ فإنه ليس عليك إلّا نبيّ صديق شهيد، فقرّ الجبل مجيباً لأمره ومنتهياً إلىٰ طاعته.

ولقد مررنا معه بجبل وإذا الدموع تجري من بعضه وقال له: ما يبكيك يا جبل؟ فقال: يا رسول الله كان المسيح مرّ بي وهو يخوّف الناس بنار وقودها الناس والحجارة، وأنا أخاف أن أكون من تلك الحجارة، قال له: لا تخف تلك الحجارة الكبريت، فقرّ الجبل وسكن وهدأ وأجاب لقوله.

قال له اليهودي: فهذا داود ﵇ قد لين الله عزوجل له الحديد ، قد يعمل منه الدروع، قال له علي ﵇: لقد كان كذلك ومحمد ﷺ أعطي ما هو أفضل من هذا،

---

١ ـ سبأ: ١٠ ـ ١٢.

لين الله عزوجل له الصم الصخور الصلاب وجعلها غاراً، ولقد غـارت الصـخرة تحت يده ببيت المقدس لينة حتىٰ صارت كهيئة العجين، قد رأيـنا ذلك والتمسـناه تحت رايته.

وفيه عن كتاب المناقب لابن شهر آشوب: الأصبغ بـن نـباتة قـال: سألت الحسين عليه السلام فقلت: يا سيدي أسألك عن شيء أنا به موقن، وإنه من سرّ الله وأنت المسرور إليه ذلك السرّ فقال: يا أصبغ أتريد أن ترىٰ مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي دون يوم مسجد قبا؟ قال: هو الذي أردت، قال: قم، فإذا أنا وهو بالكوفة فنظرت فإذا المسجد من قبل يرتد إليّ بصري، فتبسم في وجهي، ثم قال: يا أصبغ إن سليمان ابن داود أعطى الريح غدوها شهر ورواحها شهر، وأنا قد أعطيت أكثر مما أُعطي سليمان. فقلت: صدقت والله يابن رسول الله، فقال: نحن الذين عندنا علم الكتاب وبيان ما فيه، وليس عند أحد من خلقه ما عندنا لأنـا أهـل سرّ الله، ثم تـبسم في وجهي، ثم قال: نحن آل الله وورثة رسول الله، فقلت: الحمد لله علىٰ ذلك، ثم قال لي: أدخل، فدخلت فإذا برسول الله صلى الله عليه وآله محبب في المحراب بردائه، فنظرت فإذا أنا بأمير المؤمنين عليه السلام قابض علىٰ تلابيب الأعسر، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يعضّ على الأنامل وهو يقول: بئس الخلف خلفتني أنت وأصحابك عليكم لعنة الله ولعـنتي، الخـبر، إنتهىٰ.

أقول: هذه جملة من الآيات تدل علىٰ ثبوت الولاية التكوينية، أي التصرف في الموجودات، وهناك آيات أُخر تدل علىٰ هذا المعنىٰ، ولعلّها يأتي ذكرها فيما يأتي.

وأما الأحاديث الدالة علىٰ ولايتهم التكوينية فهي أكثر من أن تحصىٰ، وقـد تقدم بعضها في ذيل الآيات السابقة، وسيأتي بعضها أيضاً في طي المباحث الآتية.

وإن شئت أكثر مما ذكر فعليك بمراجعة كتاب مدينة المعاجز للسيد البـحراني (رضوان الله عليه) فإنه كما سماه مدينة لمعاجز الأئمة عليهم السلام في موارد متعددة ومواضع عديدة، ونحن نذكر بعضها تيمّناً وتبركاً بها واستدلالاً على المدعىٰ فنقول:

في مدينة المعاجز، محمد بن يعقوب، عن محمد بن يحيىٰ، عن سلمة بن الخطاب، عن عبدالله بن محمد، عن عبدالله بن القاسم، عن عيسىٰ بن شلقان قال: سمعت أبا عبدالله عليه‌السلام يقول: إن أمير المؤمنين عليه‌السلام له خوؤلة في بني مخزوم، وإن شاباً منهم أتاه فقال: يا خالي إن أخي مات، وقد حزنت عليه حزناً شديداً، قال: فقال له: تشتهي أن تراه؟ قال: بلىٰ، قال: فأرني قبره، قال: فخرج ومعه بردة رسول الله متّزراً بها، فلما انتهىٰ إلى القبر تلملمت شفتاه، ثم ركض برجله، فخرج من قبره وهو يقول بلسان الفرس، فقال أمير المؤمنين عليه‌السلام: ألم تمت وأنت رجل من العرب؟ قال: بلىٰ ولكنّا علىٰ سنة فلان وفلان فانقلبت ألسنتنا[1].

وفيه[2] روىٰ صاحب منهج التحقيق إلىٰ سواء الطريق، عن سلمان الفارسي (رضوان الله عليه) قال: كنّا جلوساً مع أمير المؤمنين عليه‌السلام بمنزله ـ لما بويع عمر بن الخطاب ـ ومحمد بن أبي بكر، وعمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود الكندي (رضوان الله عليهم) قال له ابنه الحسن: يا أمير المؤمنين: إن سليمان عليه‌السلام سأل ربّه مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه ذلك، فهل ملكت مما ملك سليمان بن داود؟ قال عليه‌السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إن سليمان بن داود سأل الله عزوجل الملك فأعطاه، وإن أباك ملك ما لم يملكه بغير جدك رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ولا يملكه أحد بعده.

فقام أمير المؤمنين عليه‌السلام فتوضأ وصلّىٰ ركعتين ودعا الله عزوجل بدعوات لم يفهمها أحد، ثم أومَأ إلىٰ جهة المغرب، فما كان بأسرع من أن جاءت سحابة فوقعت على الدار، وإذ أجابتها سحابة أُخرىٰ، فقال أمير المؤمنين عليه‌السلام: أيتها السحابة اهبطي بإذن الله تعالىٰ، فهبطت وهي تقول: أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله وإنّك خليفته ووصيّه، مَن شك فيك فقد هلك سبيل النجاة قال: ثم انبسطت السحابة إلى الأرض حتىٰ كأنها بساط موضوع.

---

١ ـ مدينة المعاجز ص٣٦.

٢ ـ مدينة المعاجز ص٣٧.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إجلسوا على الغمامة، فجلسنا وأخذنا مواضعنا، فأشار إلى السحابة الأُخرىٰ، فهبطت وهي تقول كمقالة الأُولىٰ، وجلس أمير المؤمنين عليه السلام عليها ثم تكلم بكلام وأشار إليها بالمسير إلى المغرب، وإذا بالريح قد دخلت السحابتين فرفعتهما رفعاً رفيعاً فتمايلت نحو أمير المؤمنين، وإذا به علىٰ كرسيّ والنور يسطع من وجهه يكاد يخطف بالأبصار.

فقال الحسن: يا أمير المؤمنين: إن سليمان بن داود كان مطاعاً بخاتمه وأمير المؤمنين بماذا يطاع؟

فقال عليه السلام: أنا عين الله الناظرة في أرضه، أنا لسانه الناطق في خلقه، أنا نور الله الذي لا يطفىٰ، أنا باب الله الذي يؤتىٰ منه وحجته علىٰ عباده.

ثم قال: أتحبّون أن أريكم خاتم سليمان بن داود؟ قلنا: نعم، فأدخل يده إلىٰ جيبه فأخرج خاتماً من ذهب فصّه من ياقوتة حمراء عليه مكتوب محمد وعلي.

قال سلمان: تعجبنا من ذلك، فقال: من أي شيء تعجبون، وما العجب من مثلي؟ أنا أريكم اليوم ما لم تروه أبداً.

وساق الحديث إلىٰ أن قال: فقال عليه السلام: أتريدون أن أريكم سليمان بن داود؟ فقلنا: نعم، فقام ونحن معه فدخل بستاناً ما رأينا أحسن منه، وفيه من جميع الفواكه والأعناب والأنهار تجري والأطيار يتجاوبن على الأشجار، فحين رأته الأطيار أتته ترفرف حوله حتىٰ توسطنا البستان، وإذا سرير عليه شاب ملق علىٰ ظهره، واضع يده علىٰ صدره، فأخرج أمير المؤمنين عليه السلام الخاتم من جيبه وجعله في إصبع سليمان عليه السلام فنهض قائماً وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، ووصي رسول ربّ العالمين، أنت والله الصديق الأكبر والفاروق الأعظم، قد أفلح من تمسك بك، وقد خاب وخسر من تخلّف عنك، وإني سألت الله بكم أهل البيت فأُعطيت ذلك الملك.

قال سلمان: فلما سمعنا كلام سليمان بن داود عليه السلام لم أتمالك نفسي حتىٰ وقعت علىٰ أقدام أمير المؤمنين عليه السلام أقبلها، وحمدت الله تعالىٰ علىٰ جزيل عطائه بهدايته إلىٰ

ولاية أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وفعل أصحابي كما فعلت.

وفي توحيد الصدوق[1] بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: أنا الهادي وأنا المهتدي، وأنا أبو اليتامىٰ والمساكين وزوج الأرامل، وأنا ملجأ كلّ ضعيف، ومأمن كل خائف، وأنا قائد المؤمنين إلى الجنة، وأنا حبل الله المتين، وأنا عروة الله الوثقىٰ وكلمة التقوىٰ، وأنا عين الله ولسانه الصادق ويده، وأنا جنب الله الذي يقول: ﴿أن تقول نفسٌ يا حسرتى علىٰ ما فرطت في جنب الله﴾ وأنا يد الله المبسوطة علىٰ عباده بالرحمة والمغفرة وأنا باب حطة، مَن عرفني وعرف حقّي فقد عرف ربّه؛ لأني وصي نبيه في أرضه وحجته علىٰ خلقه، لا ينكر هذا إلّا رادّ على الله ورسوله.

وفيه[2] بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن لله عزوجل خلقاً من رحمته خلقهم من نوره ورحمته من رحمته لرحمته، فهم عين الله الناظرة، وأذنه السامعة، ولسانه الناطق في خلقه بإذنه، وأُمناؤه علىٰ ما أنزل من عذر أو نذر أو حجّة، فبهم يمحو السيئات، وبهم يدفع الضيم، وبهم ينزّل الرحمة، وبهم يحيي ميتاً، وبهم يميت حيّاً، وبهم يبتلى خلقه، وبهم يقضي في خلقه قضيته، قلت: جعلت فداك من هؤلاء؟ قال: الأوصياء.

وفي المحكي عن بحار الأنوار من المجلد الرابع عشر منه، عن بعض مؤلفات القدماء بإسناده عن الشيخ المعمّر الرقي، رفعه إلىٰ أبي جعفر ميثم التمار، في ذكر إسناد خطبة الشقشقية وهي من طرق عديدة، إلىٰ أن قال ساق الحديث، فقال عليه السلام: رحم الله من سمع فوعىٰ، أيها الناس يزعم أنه أمير المؤمنين (أي معاوية لعنه الله) والله لا يكون الإمام إماماً حتىٰ يحيي الموتىٰ، أو ينزل من السماء مطراً، أو يأتي بما يشاكل

---

١ ـ باب معنىٰ جنب الله عزوجل ص ١٦٤.

٢ ـ التوحيد ص ١٦٧.

ذلك مما يعجز عنه غيره، الحديث بطوله.

أقول: هذه الأحاديث المتضافرة دلت علىٰ ثبوت الولاية التكوينية، التي من آثارها الولاية التشريعية لهم عليهم السلام وإمعان النظر فيها مع كثرتها تعطي اليقين بثبوت هذه المنزلة الرفيعة لهم، والتصرف منهم في عالم الوجود.

وهنا بيان آخر في معنى الولاية، وحاصله: أنّ الولاية التكوينية الثابتة بالوجدان للنبيّ والأئمة عليهم السلام من الأحاديث والآيات السابقة هو أنه تعالىٰ لما كان ذاته المقدسة علم كله وقدرة كله ونور كله كما في توحيد الصدوق[1] بإسناده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لم يزل الله جل وعز ربنا، والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر والقدرة على المقدور. وأراد أن يخلق الخلق لكي يعرف، فخلق الخلق كلّهم مظاهر لعلمه وقدرته ونوره، أي وجوده، فجميع ما في الوجود مظاهر لصفاته وأفعاله، فالموجوداُت لها مراتب مختلفة في اتصافها بالمظهريّة حسب اختلافها في القرب إليه تعالىٰ والبعد عنه تعالىٰ، فكلّ موجود كان أقرب إليه تعالىٰ كان أكثر مظهراً لصفاته وأفعاله تعالىٰ .

ومن المعلوم أن المستفاد من الآيات والأحاديث المتقدمة، وسيأتي أكثرها أيضاً في الشرح هو: أن أول الموجودات قرباً حدوثاً وبقاءً بالنسبة إليه تعالىٰ هو أرواح محمد وآله الطاهرين الأئمة المعصومين (عليه وعليهم السلام).

فلذا هم المظاهر الأتمّ لصفاته وأفعاله تعالىٰ، فكلّ موجود كان أتمّ وأكمل في المظهرية فهو أكبر من كونه آية وعلامة ودليلاً عليه تعالىٰ، وحيث لا أقرب إليه تعالىٰ ولا أتم في المظهرية منهم عليهم السلام فهم الآية الكبرىٰ.

ولذا قال النبيّ صلى الله عليه وآله والوصيّ عليه السلام: «ما لله آية أكبر مني» وجهة كونهم أتم

---

١ ـ توحيد الصدوق ص ١٣٩.

المظاهر؛ لكونهم أقرب الموجودات إليه تعالىٰ، ولأن علمه تعالىٰ وقدرته ونوره أكثر ظهوراً فيهم عليهم السلام وذلك لأنهم الأسماء الحسنىٰ.

ففي كتاب التوحيد من الكافي، في باب النوادر بإسناده عن معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها﴾[1] قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا[2].

وشرحه الإجمالي ما قاله الصادق عليه السلام ففيه في ذلك الباب بإسناده عن مروان ابن صباح قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إن الله خلقنا فأحسن خلقنا، وصورنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه في عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة علىٰ عباده بالرأفة والرحمة، ووجهه الذي يؤتىٰ منه، وبابه الذي يدل عليه، وخزّانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار، وأينعت الثمار، وجرت الأنهار، وبنا ينزل غيث السماء، وينبت عشب الأرض، وبعبادتنا عبد الله، ولولا نحن ما عبد الله، وهكذا غيره من الأحاديث الأُخر.

ولازم ذلك هو أنّ آثار القدرة وآثار العلم فيهم عليهم السلام أكثر ظهوراً مما ظهر من غيرهم. ومن المعلوم أن قدرته تعالىٰ هي النافذة في الأشياء والمتصرفة فيها، بل لا وجود لغيره تعالىٰ مطلقاً إلّا بالقدرة، فحينئذ لازمه أن قدرتهم هي قدرة الله الظاهرة فيهم عليهم السلام النافذة في الأشياء بإذنه تعالىٰ، فهم بهذا المعنىٰ أولياؤه تعالىٰ أي المتصرفون بإذنه في الوجود.

ثم إنه كما علمت أن جميع الموجودات مظاهر له تعالىٰ في هذه الأمور المذكورة إلّا أنه يختلف علىٰ حسب قربهم إليه وبعدهم عنه تعالىٰ، فعليه: فكلّ موجود هو مظهر لقدرته تعالىٰ مثلاً فهو بقدرته تعالىٰ يتصرف في الأمور.

ومن هنا يظهر: أن الولاية تنقسم إلىٰ قسمين: مطلقة ومقيدة.

---

١ ـ الأعراف: ١٨٠.

٢ ـ الكافي ـ كتاب التوحيد ج ٢ ص ١١٥.

أما المطلقة: فهي الثابتة لهم عليهم السلام حيث علمت أنها أتم فيهم؛ لكونهم أقرب إليه تعالىٰ.

وأما المقيدة: فلغيرهم مع ما لها من المراتب المختلفة في المظاهر المختلفة من ساير الأنبياء والأولياء إلىٰ أن تنتهي إلىٰ أقل الخليقة، فالولاية ثابتة للكلّ، نعم المطلقة منها تختص بهم عليهم السلام.

ثم إنّ المراد من المطلقة بالنسبة إلىٰ من دونهم، فإنها مطلقة أي أوسع ظرفاً وتصرفاً في الوجود من غيرهم. وأما بالنسبة إليه تعالىٰ فهي مقيدة أيضاً كما علمت من بعض التعاريف السابقة للولاية.

فظهر أن الولاية مع قطع النظر عن الاطلاق والتقيد أمر بديهي لا يخلو منه أي موجود كما دل عليه قوله عليه السلام: وبأسمائك التي ملأت أركان كلّ شيء، فكلّ موجود تحققت أركانه بأسمائه تعالىٰ حسب حدوده التي جعلها الله تعالىٰ له، نعم هي بالنسبة إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام ثابتة بنحو وسعت جميع ما في الوجود، بل هذا ثابت للملائكة أيضاً، التي هي من شؤونهم، فالملائكة أيضاً لهم التصرف في الموجودات، ففي ثواب الأعمال وعقاب الأعمال للصدوق رحمه الله بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عزّوجل فوّض الأمر إلىٰ ملك من الملائكة، فخلق سبع سموات وسبع أرضين وأشياء، فلما رأى الأشياء قد انقادت له، قال: مَن مثلي؟ فأرسل الله عزوجل نويرة من نار ـ قلت: وما نويرة من نار؟ قال نار بمثل أنملة، قال: فاستقبلها بجميع ما خلق، فتحللت لذلك حتىٰ وصلت إليه لما أن دخله العجب.[1]

فحينئذ يمكن أن يقال: إنّ خلق السموات والأرضين إنما هو بإعمال القدرة من أمير المؤمنين عليه السلام ولا إشكال فيه.

بيانه: أنه بعد ما علمت أن الولاية التكوينية ثابتة لكلّ أحد حسب اختلاف

---

١ ـ ص٢٩٩.

مراتب الموجودات، كما هو مفاد قول: لا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم، فكلّ فرد له التصرف في الممكنات حسب ما أُعطي من القدرة قلة وكثرة، نعم ربما يتوهم أنه كيف يجوز إسناد التصرفات العجيبة إليهم عليهم السلام فهل هذا إلّا الشرك بالله تعالىٰ؟

والحاصل: أن إثبات الولاية التكوينية بما لها من السعة والأهمية لهم عليهم السلام إن كانت بنحو الاشتراك في العلة فهو شرك أو الاستقلال فهو الكفر؛ لأن ذلك يرجع إلى القول بإلٰهيتهم والغلو فيهم وكلاهما باطل.

ولكن تدفعه أنه بعدما ثبت في محلّه أنه لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين، فلو قلنا بالجبر فيلزم منه نفي الاختيار ولازمه إبطال الشرايع، وهو كما ترىٰ. فمعنىٰ نفي الجبر هو أن للعبد اختياراً في الفعل، ولو قلنا بالتفويض فلازمه تعطيل الحقّ تعالىٰ عن الفعل والخلق والأمر وهو باطل؛ لأن هذا قول اليهود حيث قالوا: ﴿.. يد الله مغلولة﴾ فردّ الله عليهم بقوله: **﴿غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان﴾**[1]

وحينئذ معنىٰ نفي التفويض أن للحق تعالىٰ دخلاً وتأثيراً بإعمال قدرته تعالىٰ في أفعال العباد المبين بقوله عليه السلام: هو المالك لما ملكهم والقادر علىٰ ما أقدرهم، الحديث.

فتحصل أن لكلّ فعل في عين استناده إلى العبد وإلىٰ اختياره بالضرورة والوجدان فهو مستند أيضاً إليه تعالىٰ ولهذين الاستنادين توضيح يذكر في محلّه.

وحاصله: فلو قلنا: إنّ العبد مستقل بالفعل فهو كفر وغلو، وإن قلنا: إنه شريك مع الباري في التأثير بالنسبة فهو شرك، أو أنه لا تأثير له في الفعل فهو الجبر الذي قد علمت بطلانه، فحينئذ يكون الفعل مستنداً إلى العبد وهو مع فعله واختياره واستناده يكون متعلقاً لمشيته وقدرته وإرادته واختياره تعالىٰ، فالعبد باختياره يفعل أي يعمل القدرة فيما ملكه الله تعالىٰ فيوجد الفعل، وكلّ هذا في حال مملوكية

---

١ ـ المائدة: ٦٤.

العبد بما له من الاختيار والقدرة والعمل لله تعالىٰ، فله تعالىٰ دخل في عبده وفيما مكنه فيه، وهذا يجري في كلّ فعل قليل أو كثير حقير أو خطير صغير أو كبير.

فعليه: فما هو الجواب في أقل فعل لاقل الخليقة، فهو الجواب لأعظم عمل لأكبر الخليقة، فلو قلنا: إن السموات والأرضين يمسكهن أمير المؤمنين أو الأربعة عشر من المعصومين فليس فيه شرك ولا غلو، وذلك لأن هذا كلّه منهم بإذنه تعالىٰ، أي كما أنه مستند إليه تعالىٰ بنحو عرفته في تحقيق معنى الأمر بين الأمرين، فحينئذ لا شرك ولا غلو ولا كفر في إثبات وثبوت الولاية التكوينية لهم عليهم السلام كيف وقد علمت تصريح القرآن باستناد أفعال عظيمة عجيبة إلى الأنبياء وأوصيائهم وإلىٰ الملائكة المدبّرات أمراً.

والحاصل: أنّ عوامل القدرة لله تعالىٰ في الخلق كثيرة علىٰ حسب اختلافها كماً وكيفاً، فلم ينكر عليهم أحد، ولا استشكل عليهم بشيء، هذا مع أنه سيأتي في الشرح ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ أنه لا مقايسة بين الأنبياء وأوصيائهم والأولياء المتصرفين في العالم بما يرىٰ منهم من صدور أفعال عجيبة خارقة للعادات، وبين أئمّتنا عليهم السلام وذلك لأنهم أشرف من الكلّ، وأتم كمالاً من الكلّ كما علمت فيما سبق من الأخبار، وسيأتي فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ.

وحينئذ فلا إشكال ثبوتاً بل ولا إثباتاً في صدور الأفعال الخارقة والمعجزة عنهم عليهم السلام بمقتضىٰ ولايتهم التكوينية الثابتة لهم بالآيات والأحاديث المذكورة.

ثم إنّ الغلو في حقهم ناشئ إما للاعتماد على العقل في درك الحقائق والمعارف. ومن المعلوم أن العقول ناقصة بذاتها في الأغلب في درك المعارف، كيف لا وقد وردت أحاديث كثيرة بأن دين الله لا يصاب بالعقول، بل لا يمكنه الدرك كما علمته من الأحاديث الوارد من أنها صعبة، ومن حديث أبي الصامت المتقدم؟ فحينئذ تراه إذا سمع شيئاً من تلك الحالات والأفعال العجيبة، التي لا يمكنه تحملها فينسبه إلى الغلو خصوصاً بالنسبة إلى الأشخاص الذين خلطوا في أغلب أوقاتهم مع

المحجوبين الأُسراء لظلمة النفس، فإنهم لا يبصرون الحقّ ومعاشرتهم تؤثر في ظلمة القلب.

فهؤلاء تراهم بالفطرة الناقصة إما يردّون تلك الأحاديث، أو يؤولونها علىٰ آرائهم الفاسدة، هذا خصوصاً مع خفاء أهل الحقّ غالباً، فلا يمكنهم إظهار المعارف تقية من المخالفين، فلا تنتشر تلك الحقائق بل تبقىٰ في خفائها عند أهلها.

وكيف كان فأغلب الناس لا يقدرون علىٰ فهم الأحاديث ودركها لقصورهم فلا محالة يكونون محرومين منها.

ففي المحكي عن الخرائج بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أتى الحسين عليه السلام رجل فقال: حدثني بفضلكم الذي جعل الله لكم، فقال: إنك لا تطيق حمله، قال: بلىٰ حدثني يابن رسول الله إني أحتمله، فحدثه بحديث فما فرغ الحسين عليه السلام من حديثه حتىٰ ابيضّ رأس الرجل ولحيته وأنسىٰ الحديث. فقال الحسين عليه السلام: أدركته رحمة الله حيث أُنسي الحديث.

وفي رواية أُخرىٰ: أنّ ثلاثة رجال جاءوا إليه وسألوه ذلك، فلما حدّث أحداً منهم قام طائر العقل ومرّ علىٰ وجهه، وذهب وكلّمه صاحباه فلم يرد عليهما شيئاً.

وعن كتاب منهج التحقيق عن ابن أبي عمير، عن المفضل قال: قال الصادق عليه السلام: لو أذن لنا أن نعلم الناس حالنا عند الله ومنزلتنا عنده لما احتملوا الخبر.

ونظائرها كثيرة ولأجل هذه الجهة نهوا عليهم السلام بعض الصحابة عن إذاعة الأحاديث.

فعن جابر بن يزيد الجعفي[1] قال: حدثني أبو جعفر عليه السلام خمسين ألف حديث ما حدثت بها أحداً، وقال عليه السلام: إن حدثت بها أحداً، فعليك لعنتي ولعنة آبائي إلىٰ يوم القيامة.

---

١ ـ في مقدمة تفسير البرهان ص ٦٠.

ولعلّ الوجه فيه أنه لو حدث بها فإما ينكره الجاهل بمعناه فهو علىٰ حدّ الكفر كما تقدم، أو يحمله على الغلو لقصوره فهمه.

ثم إن نسبة الغلو إليهم عليهم السلام تكون علىٰ حدّ طرفي الإفراط والتفريط فمنهم من فرّط وقال: حذراً من الغلو عنهم إنهم عليهم السلام لا يعرفون كثيراً من الأحكام الدينية، حتىٰ ينكت في قلوبهم، أو منهم من قال: إنهم كانوا يلجأون في حكم الشريعة إلى الرأي والظنون! ومنهم من أنكر جواز صدور المعجزة منهم عليهم السلام ونفى سماعهم كلام الملائكة ولو بدون رؤيتهم! ومنهم من أنكر تفضيلهم علىٰ غير النبي صلى الله عليه وآله من سائر الأنبياء، وكذا الملائكة حتىٰ أنه قال بعضهم: بتفضيل جبرئيل وميكائيل عليهما السلام وأولو العزم من النبيين عليهم السلام عليهم!! بل قال بعضهم بتفضيل ساير الأنبياء عليهم!! حتىٰ أن بعضهم عدّ من الغلو نفي السهو عنهم!! أو القول إنهم يعلمون ما كان وما يكون إلىٰ يوم القيٰمة، بل ومن السفهاء منهم من يتعجب من أن الإمام عليه السلام كيف يتكلم بالفارسية أو أخبر أحداً باسمه؟! هذا مع إنا نرىٰ صدور أكثر من هذا ممن لا يكونون من العلماء، بل هم من أهل العقائد الفاسدة فتظهر منهم أُمور غريبة كما عن بعض مرتاضي الهند.

ولعمري إنّ هذا الأمر مما يوجب الحزن والأسف، كيف أصبح الأئمة عليهم السلام غرباء الأحوال في الناس بل عند كثير من شيعتهم؟

فعن الصفار في بصائر الدرجات بسند صحيح عن زرارة قال: دخلت علىٰ أبي جعفر عليه السلام فسألني: ما عندك من أحاديث الشيعة؟ قلت: إن عندي منها كثيراً قد هممت أن أوقد لها ناراً ثم أحرقها، قال عليه السلام: ولِمَ؟ هات ما أنكرت منها، فخطر علىٰ بالي الأمور فقال لي: ما كان علم الملائكة حيث قالوا: **﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾**؟!

فلو كان زرارة كذلك في عدم تعقله معنىٰ تلك الأحاديث، فما ظنك بالبعداء منهم؟! ولذا قال شيخنا العلامة في المحكي عنه من البحار: الظاهر أن زرارة كان

ينكر أحاديث من فضائلهم لا يحتملها عقله، فنبهه عليه السلام بذكر قصة الملائكة وإنكارهم فضل آدم وعدم بلوغهم إلىٰ معرفة فضله، قال: علىٰ أن نفي هذه الأمور من قلة المعرفة ولا ينبغي أن يكذب المرء بما لم يحط به علمه، بل لابد من أن يكون في مقام التسليم، فمع قصور الملائكة مع علّو شأنهم عن معرفة آدم لا يبعد عجزك عن معرفة الأئمة عليهم السلام. إنتهىٰ.

أقول: فحينئذ، فما ظنك بكثير من الناس في فهم هذه الأحاديث الواردة في شأنهم؟ فلا يسلم الإنسان إلّا إذا لم ينكر ما لا يفهمه منها، بل يرد علمه إليهم ويؤمن بما هو واقع الأمر.

فعن يحيىٰ بن زكريا[1] قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: مَن سرّه أن يستكمل الايمان فليقل القول مني في جميع الأشياء قول آل محمد عليهم السلام فيما أسرّوا وفيما أعلنوا، وفيما بلغني، وفيما لم يبلغني.

نعم، هناك عقائد وأقوال نسبت إليهم ظاهرة في الغلو، فيجب تنزيههم عنها وهذا هو حدّ الإفراط في شأنهم:

فمنهم: القائلون بإلوهيتهم أو بكونهم شركاء لله تعالىٰ في العبودية أو في الخلق أو الرزق بنحو الاشتراك في التأثير لا بنحو الوساطة في العطاء، أو أن الله تعالىٰ حلّ فيهم واتحد بهم، أو أنهم يعلمون الغيب بغير وحي وإلهام وتعليم إلهي منه تعالىٰ.

ومنهم: القائلون بأنهم عليهم السلام أنبياء، أو بتناسخ أرواح بعضهم إلىٰ بعض، أو القول: أنّ معرفتهم تغني عن فعل الطاعات، ولا تكليف معها بترك المعاصي، أو القول: بإنكار موتهم وشهادتهم بمعنىٰ أنهم لم يقتلوا بل شبّه لهم، ومن الغلو تفضيل أحدهم عليهم السلام على النبي صلى الله عليه وآله في العلم أو الشجاعة أو غيرهما.

ومنهم: عبدالله بن سبإ الذي روى الكشي أخباراً في لعنه، منها ما رواه عن أبان بن عثمان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لعن الله عبدالله بن سبإ ادعى الربوبية

---

١ ـ في مقدمة تفسير البرهان ص٦٢.

في علي عليه السلام وكان والله أمير المؤمنين طائعاً صالحاً أخا رسول الله صلى الله عليه وآله ما نال الكرامة من الله إلّا بطاعته لله ولرسوله، الويل لمن كذب علينا.

وذكر عن بعض أهل العلم: أن عبدالله بن سبإ كان يهودياً فأسلم ووالىٰ علياً عليه السلام وكان يقول وهو على اليهودية في يوشع بن نون وصي موسىٰ عليه السلام بالغلو فقال في إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام مثل ذلك، قال: ومن هيهنا قال من خالف الشيعة: أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية.

وهناك أقوال سخيفة فمن أرادها فليراجع مقدمة تفسير البرهان ص ٦٢ و ٦٣، ففيها ذكر أقوالهم وأسماء القائلين بتلك السخائف.

وفيه فقد روى الكشي: أن الكاظم عليه السلام قال: إني أبرأ إليك مما يدعيه فيّ محمد بن بشير، اللهم أرحني منه، ثم قال عليه السلام: ما أحد اجترىٰ أن يتعمد علينا الكذب إلّا أذاقه الله حرّ الحديد، أن بناناً كذب علىٰ علي بن الحسين عليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد، وأن أبا الخطاب كذب علىٰ أبي فأذاقه الله حرّ الحديد، وأن بشيراً (لعنه الله) يكذب عليّ برئت منه إلى الله، الخبر.

وروى الكشي: أن بعض أصحابنا كتب إلىٰ أبي الحسن العسكري عليه السلام: جعلت فداك أن علي بن حسكة يدعي أنه من أوليائك، وأنك الأول القديم، وأنه بابك وبيتك، أمرته أن يدعو إلىٰ ذلك، ويزعم أن الصلوة والزكوة والحج والصوم كل ذلك معرفتك ومعرفة من كل في مثل حال ابن حسكة فيما يدعي من النبوة والبابية، الخبر..إلىٰ أن قال: فكتب عليه السلام: كذب ابن حسكة (عليه لعنة الله) فوالله ما بعث الله محمداً والأنبياء قبله إلّا بالحنيفيّة والصلوة والزكوة والحج والصوم والولاية وما دعا محمد إلّا إلى الله وحده، وكذلك نحن الأوصياء من ولده عبيد الله لا نشرك به شيئاً، الخبر.

أقول: فهؤلاء وأمثالهم من الذين اعتقدوا العقائد الفاسدة: من ترك العبادات وتحليل المحرمات وتعطيل أحكام الله تعالىٰ، وادعاء الربوبية للنبي والأئمة (عليه

وعليهم السلام) أو القائلين بالتفويض الكلي إلى الأئمة عليهم السلام (وسيجيء في الشرح بيان معنى التفويض وأنه علىٰ أقسام، فبعضها منفي عنهم دون بعض، عند شرح قوله عليه السلام: «وأمره إليكم، فانتظروا») فكلّ هؤلاء غلاة مفرطون في حقهم عليهم السلام.

ثم إن هناك أحاديث تدل علىٰ أن الغلو في حقهم هو ماذا؟ وأن الغلاة ملعونون قد برئوا عليهم السلام منهم، وهناك حديث جامع لبيان الولاية ومقامهم فنقول:

روى الكشي بسند صحيح عن أبي بصير قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا أبا محمد أبرأ ممن زعم أنّا أرباب، فقلت: برِئ الله منه، فقال: أبرَأ ممن زعم أنّا أنبياء، فقلت: برئ الله منه.

وفيه عن ابن مسكان قال: لعن الله من قال فينا ما لم نقله في أنفسنا، ولعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا وإليه مآبنا ومعادنا وبيده نواصينا.

وقد ورد في خبر أنّ هؤلاء أشد من أهل التفريط، كما في أمالي الشيخ عن الفضيل بن يسار قال: قال الصادق عليه السلام: اِحذروا علىٰ شبابكم الغلاة لا يفسدوهم، فإن الغلاة شرّ خلق الله، يصغّرون عظمة الله ويدّعون الربوبية لعباد الله، ثم قال عليه السلام: إلينا يرجع الغالي فلا نقبله وبنا يلحق المقصر فنقبله، فقيل له: كيف ذلك يابن رسول الله؟ قال: لأن الغالي قد اعتاد ترك الصلوة والصيام والزكوة والحج فلا يقدر علىٰ ترك عادته، والرجوع الىٰ طاعة الله عزوجل أبداً، وأن المقصر إذا عرف عمل وأطاع.

وعن الخصال عن الأصول الأربعة قال أمير المؤمنين عليه السلام: إيّاكم والغلو فينا إنّا عبيد مربوبون، وقولوا في فضلنا ما شئتم.

وعن تفسير الإمام عليه السلام: والاحتجاج عن الرضا عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تتجاوزوا بنا العبودية ثم قولوا ما شئتم ولن تبلغوا، وإيّاكم والغلو كغلو النصارىٰ فإني برئ من الغالين الخ.

وعن مالك الجهني قال في حديث له: إن الصادق عليه السلام قال: يا مالك قولوا فينا ما

شئتم واجعلونا مخلوقين وكرّر هذا الكلام له.

وعن كتاب نوادر الحكمة وغيره من ميثم التمار قال: قال لي أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له: حدثوا عن فضلنا ولا حرج، وعن عظيم أمرنا ولا أثم.

وعن البصائر بأسانيد عن إسمٰعيل بن عبدالعزيز، عن الصادق عليه السلام قال له يا إسمٰعيل لا ترفع البناء فوق طاقته فينهدم، اجعلونا مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا، الخبر.

وفيه أيضاً عن كامل التّمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يا كامل اجعلوا لنا ربّاً نؤب إليه، وقولوا فينا ما شئتم، ثم قال: وما عسىٰ أن تقولوا وعسىٰ أن تقولوا، ما خرج إليكم من علمنا إلّا ألف غير معطوفة.

وفي المحكي عن الكافي بإسناده إلىٰ يونس بن رباط قال: دخلت أنا وكامل التمار علىٰ أبي عبدالله عليه السلام فقال كامل: جعلت فداك حديث رواه فلان، فقال: أذكره، فقال: حدثني أن النبيّ صلى الله عليه وآله حدث علياً عليه السلام بألف باب يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وآله كلّ باب يفتح ألف باب فذلك ألف ألف باب، فقال: لقد كان ذلك، قلت: جعلت فداك ذلك يظهر لشيعتكم ومواليكم؟ فقال: باب أو بابان قال: فقال: وما عسيتم أن ترووا من فضلنا، ما تروون من فضلنا إلّا ألفاً غير معطوفة.

أقول: اختلفت كلمات العلماء في معنىٰ هذا الحديث وفهمه، وأحسن ما قيل فيه ما نقل عن شيخنا البهائي رحمه الله فقال: إنّ الألف تكتب بخط الكوفي هكذا (ا) معطوفة، وإذا كتب غير معطوفة فهي نصف الألف فالمراد أنكم ما تروون من فضلنا إلّا نصف باب.

وقيل: أي نصف حرف كناية عن نهاية القلة فإن الألف بالخط الكوفي نصفه مستقيم ونصفه معطوف هكذا (ا).

وقيل: أي الألف ليس بعده شيء، وقيل: ألف ليس قبله صفر أي باب الواحد.

أقول: بل المراد من قوله ألف غير معطوفة ما تقدم من البهائي رحمه الله مع توضيح

منا وحاصله: أنّ العلوم كلّها ينبئ عنها ويبيّنها ويشار إليها بتسع وعشرين حرفاً أولها ألف وهو يقرأ علىٰ قسمين معطوفة (لا) وغير معطوفة (ا) والمعطوفة منها أكثر معنىٰ من غير المعطوفة لكثرة مبانيه فبين عليه السلام أنه لم يؤذن تكويناً للعقول فهم المعارف الخارج منا إليكم إلّا بقدر الألف غير المعطوفة، أو إنّا لم نبين لكم إلّا بقدر الألف غير المعطوفة يعني أن هناك معارف لنا لم تبين بعد، ولم يؤذن لكم تكويناً فهمها كما دلّ عليه بعض الأحاديث وسيأتي حديثها وتفصيلها إن شاء الله تعالىٰ في الشرح.

وفيه أيضاً وفي أمالي الصدوق بسند كالصحيح عن الثمالي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: يا ثمالي لا تجعلوا علياً عليه السلام دون ما وضعه الله، ولا ترفعوه فوق ما رفعه الله، كفىٰ علياً أن يقاتل أهل الكرة وأن يزوّج أهل الجنة.

أقول: المراد بأهل الكرة قتاله عليه السلام في الرجعة أهل الخلاف، والله العالم وبيده عليه السلام في الجنة أمر تزويج المؤمنين والمؤمنات.

وعن أمالي الشيخ وغيره عن المفيد رحمه الله بإسناده عن محمد بن زيد الطبري قال: كنت قائماً علىٰ رأس الرضا عليه السلام بخراسان وعنده جماعة من بني هاشم منهم إسحق ابن العباس بن موسىٰ عليه السلام فقال: يا إسحٰق بلغني أنكم تقولون: إن الناس عبيد لنا، لا وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله ما قلته قط، ولا سمعته من أحد من آبائي، ولا بلغني عن أحد منهم، قال له: لكنّا نقول: الناس عبيد لنا في الطاعة، موال لنا في الدين، فليبلغ الشاهد الغائب.

أقول: دلّت هذه الأخبار الصحيحة علىٰ موارد الغلو المنفية عنهم عليهم السلام وعلىٰ أن جميع الفضائل التي وردت فيهم كتاباً وسنة قليلة بالنسبة إليهم بعد القول والاعتقاد بكونهم عبيد الله تعالىٰ، خصوصاً حديث كامل التمار حيث دلّ علىٰ أن ما يقولون ما عسىٰ أن يبلغ واقع فضائلهم عليهم السلام.

هذا وأحسن حديث ورد في بيان نفي الغلو مع بيان معناه وثبوت الولاية لهم،

والإشارة إلىٰ بعض آثارها بحيث يجمع جميع الأحاديث ويكون معياراً لتميز الحق من الافراط والتفريط هو ما رواه في الكافي وفي رياض الجنان، واللفظ عن رياض الجنان، بإسناده عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فذكرت اختلاف الشيعة، فقال: إن الله لم يزل فرداً متفرداً في الوحدانية، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة عليهم السلام فمكثوا ألف دهر، ثم خلق الأشياء واشهدهم خلقها وأجرى عليها طاعتهم وجعل فيهم ما شاء وفوّض أمر الأشياء إليهم في الحكم والتعرّف والارشاد والأمر والنهي في الخلق؛ لأنهم الولاة، فلهم الأمر والولاية والهداية، فهم أبوابه ونوّابه وحجّابه يحللون ما شاءوا ويحرمون ما شاءوا ولا يفعلون إلاّ ما شاء، عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، فهذه الديانة التي من لزمها لحق ومن تقدمها غرق في بحر الإغراق، ومن نقّصهم عن هذه المراتب التي رتّبهم الله فيها زهق في برّ التفريط ولم يعرف آل محمد حقهم فيما يجب على المؤمن من معرفتهم. ثم قال: خذها إليك يا محمد فإنها من مخزون العلم ومكنونه.

أقول: المراد من اختلاف الشيعة أي في معرفة الأئمة وأحوالهم وصفاتهم ودرجاتهم عند الله تعالىٰ، والدهر يطلق على الزمان الطويل، وقيل: يطلق علىٰ ألف سنة، وقيل: يطلق علىٰ عمر الدنيا بآخرها.

وقوله عليه السلام: وأشهدهم خلقها، أي أمر خلقها كان بحضرتهم وعلمهم بحيث صاروا مطلعين علىٰ أطوار الخلق وأسراره، فلهذا صاروا مستحقين للإمامة الكبرىٰ، ومتقدمين علىٰ ساير الخلق، وذلك لعلمهم الكامل النافذ في الأشياء وبالشرايع والأحكام وعلل الخلق وأسرار الغيوب.

وهذا لا ينافي قوله تعالىٰ: ﴿ما أشهدتهم خلق السمٰوات والأرض﴾[1] بل يؤيده ويدل عليه، بيانه: أن الضمير في ما أشهدتهم راجع إلى المشركين وإلى الشيطان وذريته بدليل قوله تعالىٰ سابقاً عليه: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من

---

١ ـ الكهف: ٥١.

دوني﴾[1] فالآية تعريض علىٰ أنه تعالىٰ لم يعتن بالمشركين حيث ما أشهدهم خلق السمٰوات والأرض بل اعتنىٰ بغيرهم من بعض أوليائه حيث أشهدهم خلقها.

وهذا نظير ما في تفسير نور الثقلين، عن تفسير علي بن إبراهيم قال: حدثني أبي عن حنان بن سدير، عن عبدالله بن الفضل الهمداني، عن أبيه عن جده، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: مر عليه رجل عدو لله ولرسوله فقال عليه السلام: فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين، ثم مرّ عليه الحسين بن علي عليه السلام فقال: لكن هذا لتبكين عليه السماء والأرض، وما بكت السماء والأرض إلّا علىٰ يحيىٰ بن زكريا وعلى الحسين بن علي عليهما السلام.

قوله عليه السلام: وأجرىٰ عليها طاعتهم، أي علىٰ جميع الأشياء حتى الجمادات من السماويات والأرضيات كما سيأتي في بيان عرض ولايتهم على الأشياء، وأن الأشياء كلها مطيعة لهم كما يظهر من شق القمر وإقبال الشجر وتسبيح الحصىٰ وتكليم الحيوانات وغيرها من ساير معجزاتهم كما في مدينة المعاجز قوله عليه السلام: وجعل فيهم ما شاء، أي من الفضائل والولاية وآثارها التي سيأتي شرحها في شرح الزيارة إن شاء الله.

قوله: وفوض أمر الأشياء إليهم، سيأتي في الشرح بيان التفويض الجائز بالنسبة إليهم وغير الجائز عند شرح قوله عليه السلام: وإياب الخلق إليكم وحسابه عليكم، وأمره إليكم.

وقوله عليه السلام: يحللون ما شاءوا الخ، إشارة إلىٰ ما سيأتي بيانه من معنى التفويض من الله تعالىٰ إليهم، وحاصله إجمالاً: أنه بعد ما أكمل الله النبي والأئمة عليهم السلام بحيث لم يكونوا مختارين إلّا ما اختاره الله، فوض إليهم أمر الخلق من الأشياء الماضية والآتية.

فعن البصائر عن غير واحد من أصحابنا عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال: إن الله

---

١ ـ الكهف: ٥٠.

جعل قلوب الأئمة مورداً لارادته فإذا شاء الله شاءوا وهو قول الله عزوجل: **﴿وما تشاءُون إلّا أن يشاء الله..﴾**[١].

وكما في بعض الأخبار: أن الإمام عليه السلام وكر لإرادة الله لا يشاءون إلّا ما يشاء الله، وإلىٰ ما ذكر يشير قوله عليه السلام في الحديث: ولا يفعلون إلّا ما شاء الله **﴿عباد مكرمون﴾** الآية.

وأحسن كلام يقال في شأن الولي الكامل الواجد للولاية المطلقة، بحيث يجمع بين كمالاته وبين كونه عبداً لله، ولا يكون فيه إفراط ولا تفريط هو ما قاله الشيخ رجب البرسي (رضوان الله تعالىٰ عليه).

وحاصل ملخصه: أن الولي وإن اتصف بصفات الربوبية، وأنعمه الله بتلك المقامات والمعجزات، وخصّه بكلّ كمال إلّا أنه مع ذلك عبد الله والفقير إليه تعالىٰ، وهو أخو رسوله ووصيه وأسده، والله فضلّه على الكل، وَوَلّاهُ بعد رسوله أمر الكلّ، فهو المولىٰ على الكل وعبد المولى الحقيقي، وليس فوقه في الرفعة والعلم والحكم إلّا ذات الربّ.

ونوره مع نور النبي واحد إلّا أنه انقسم في الشخصية إلىٰ قسمين، فهو أي الولي في عالم النور نفس نور النبي، وفي عالم الظهور لحمه ودمه كما علمت من قول النبي لعلي عليه السلام فهما الاسم الأعظم المتصرف في عالم الوجود بإذن ربهما، ومقامهما في الخلق مقام الرب، كما أُشير قوله في إذن الدخول الثاني للمشاهد المشرفة في مفاتيح الجنان: والحمد لله الذي منّ علينا بحكام يقومون مقامه، لو كان حاضراً في المكان.

فهم أي النبي والأئمة كهو في وجوب الطاعة والعدل والأمر والنهي والعلم والحكم، وليس هو هم بالذات المقدسة، نعم: هم خلقها ونورها وحجابها كما سيأتي التصريح به في كلام علي عليه السلام: وهم عباد مكرمون **﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾**.

---

١ ـ التكوير: ٢٩.

وإليه يشير قوله ﷺ: لا فرق بينهم وبينك إلّا أنهم عبادك وخلقك، الدعاء اي ليسوا إلّا صفاتاً لذاته المقدسة، فقلوبهم خزانة الحي الذي لا يموت، وصورهم معاني الملك والملكوت، وجميع ما سواه خلق لأجلهم، وسلّم حكمها إليهم، كما سيأتي البيان في شؤون ولايتهم في شرح الزيارة إن شاء الله.

وهم أظهر مصاديق لقوله تعالىٰ كما في الحديث القدسي حيث يقول الله تعالىٰ: عبدي أطعني أجعلك مثلي أنا حي لا أموت، أجعلك حيّاً لا تموت، أنا عين لا أفتقر، أجعلك عيناً لا تفتقر، أنا مهما أشاء يكن أجعلك مهما تشاء يكن. وحيث همعليهم السلام أول مصداق العابد والعبودية فألبسهم خلعة التشريف بتلك المقامات والكرامات العالية، وسيأتي بيانه أزيد من هذا في شرح قوله ﷺ: أتاكم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين، فانتظر.

فأين هذا من الغلو المنفي عنهم؟ هذا مع أن الإمامة لا يكاد يصل إليها، فهم الذين قد شقوا الشعر بشعرتين كما تقدمت الإشارة، وسيأتي أيضاً مفصلاً، وهنا نذكر شطراً قليلاً منها:

فعن الكافي والاحتجاج وعلل الشرايع وعيون الأخبار وإكمال الدين وأمالي الصدوق وغيرها، عن الرضا ﷺ أنه قال في حديث له طويل، ذكر فيه صفات الإمام وعظم شأنه: إن الامامة أجل قدراً، وأعظم شأناً وأعلى مكاناً، وأمنع جانباً، وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، ويقيموا إماماً باختيارهم، إن الإمامة خص الله عزوجل بها إبراهيم ﷺ بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة وفضيلة شريفة شرفه بها. إلىٰ أن قال ﷺ: هيهات هيهات ضلت العقول، وتاهت الحلوم وحارت الألباب، وحسرت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيرت الحكماء، وحسرت الخطباء، وجهلت الألباب، وعجزت الأدباء، وكلّت الشعراء، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله، فأقرت بالعجز والتقصير وكيف يوصف، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من

يقوم مقامه، أو يغني غناه لا كيف وأنىٰ؟! الخبر، وسيأتي تمامه في الشرح إن شاء الله تعالىٰ.

وهناك أيضاً حديث غامض نقله الشيخ رجب البرسي (رضوان الله عليه) في المحكي عنه ما لفظه، قد نقل عنهم في هذا الباب أنهم عليهم السلام قالوا: إن في كتاب علي عليه السلام ما هذا لفظه: إن الله سبحانه لم يزل فرداً منفرداً، فلما أراد أن يتم أمره تكلم بكلمة فصارت نوراً، ثم تكلم بكلمة فكانت روحاً، وأسكنها الأعلين ذلك النور، وجعلها حجاباً فهي كلمته ونوره وروحه وحجابه الاسمين الاعلين الذين جمعا فاجتمعا، ولا يصلحان إلا معاً يسميان فيفترقان، ويوضعان فيجتمعان، وتمامهما في تمام أحدهما في منازلهما.

أقول: قوله عليه السلام: تكلم بكلمة فصارت نوراً، إشارة إلىٰ نور الحضرة المحمدية، التي صدرت عن ذاته المقدسة بأن خلقه، فهذا النور قطب الأقطاب وعليه مدار جميع العوالم من الأزل إلى الأبد.

قوله عليه السلام: ثم تكلم بكلمة فكانت روحاً، إشارة إلىٰ نور الولاية مشتق من نور الحضرة المحمدية صلى الله عليه وآله فالتراخي في الرتبة، فروح الولاية هي روح الله المنفوخ في آدم، وفي كلّ موجود بحسبه، فهي من الدين مكان الروح من الجسد.

فكما أنّه اذا لا روح فلا جسد.، فكذلك أنه إذا لم تكن ولاية فلا دين من النبوة والرسالة.

قوله عليه السلام: وأسكنها ذلك النور، أي أسكن روح الولاية في باطن نور الرسالة، فالنبوة محيطة بالولاية وهي سرّها الباطني وباطنها السرّي. وإليه يشير قوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: أنت روحي التي بين جنبي ولساني الظاهر، أنت المؤدي عني إلىٰ من بعدي.

وقوله عليه السلام: فهي كلمته الخ، إشارة إلىٰ أن الولاية لا تحجب عن الذات المقدسة، بل هي نوره وروحه أي المضافة إليه، وحجابه أي احتجب الربّ به، وإليه أُشير

بقوله قبله: وجعلها حجاباً، أي الولاية حجاباً للذات المقدسة عن ساير الخلق وكلاهما، أي نور النبوة والولاية كلمة الله التامة، في عالم الأرواح واحد، وفي عالم الأشباح نبيّ وولي محمد وعلي (عليهما وآلهما السلام).

قوله عليه السلام: جمعاً، أي حيث أسكنهما الله ذلك النور فاجتمعا مصداقاً، فهما حينئذ نور واحد إلّا أنهما أي النورين الاسمين الاعلين، فالنصب بلحاظ أن الاسمين بدل أو عطف بيان لكلمتي النور والروح المنصوبين بتكلّم كما لا يخفىٰ.

والحاصل أنهما واحد لا يصلحان إلّا معاً لا يفترقان في الخلق وفي جميع شؤون النبوة والرسالة والولاية، فكلّ منهما مستمد من الآخر، وصلاحه منوط بالآخر.

نعم فرق بينهما وهو أنه يسميان فيفترقان أي إذا قيل محمد صلى الله عليه وآله يمتاز عن علي عليه السلام وإذا قيل علي يمتاز عن محمد ويوضعان أي لا يشار إلىٰ أحدهما فيجتمعان أي هما نور واحد كما قال عليه السلام: وكلّنا محمد.

وقوله عليه السلام: تمامها في تمام أحدهما، يعني كمال الولي وتمام أمره من النبي وتمام النبي بالولي، فهما نور واحد ملتزم أحدهما بالآخر، لا يكمل أحدهما إلّا بالآخر في جميع شؤونهما.

روىٰ جابر بن عبدالله عن أبي جعفر عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأمير المؤمنين عليه السلام: أنت الذي احتج الله بك على الخلايق حين أقامهم أشباحاً عند ابتدائهم، ثم قال: ألست بربكم قالوا: بلىٰ، قال: ومحمد نبيكم؟ قالوا: بلىٰ، قال: وعلي وليكم؟ قال: فأبى الخلق عن ولايتك، والإقرار بفضلك إلا قليل منهم وهم أصحاب اليمين وهم أقل القليل، وإن في السماء السابعة ملك يقول في تسبيحه: سبحان من دلّ هذا الخلق القليل من هذا العالم الكثير علىٰ هذا الفضل الجليل وهو حبّ علي وعترته عليهم السلام.

فتبين بحمد الله تعالىٰ أنهم الحجج البالغة لله تعالىٰ، والواجدون مرتبة الولاية الإلهية، مع أنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

ولعمري إنه كيف يتوهم القول بـالوهيتهم عليهم السلام مـع مـا يـرىٰ مـن عـبادتهم وتقواهم وزهدهم بحيث لا نرىٰ أحداً مثلهم؟! فهم الكاملون في الأعمال العبادية وصفات العبودية وحقيقة العبودية.

فعن النبي صلى الله عليه وآله كما في الرسالة المنسوبة إلى السيد بحر العلوم (رضوان الله عليه): مَن أراد أن ينظر إلىٰ ميت وهو يمشي فلينظر إلىٰ عـلي بـن أبي طـالب عليه السلام حـيث دلّ صلى الله عليه وآله بكلامه علىٰ أنه عليه السلام في قبال الرب كأنه ميت، وهو باق ببقاء الله فان عـن النفس كما يشير إليه قوله صلى الله عليه وآله أيضاً، كما في تلخيص الرياض للسيد عليخان علىٰ شرح الصحيفة السجادية: إن علياً ممسوس في ذات الله.

وقوله صلى الله عليه وآله: إن علياً لأخيشن في ذات الله أي أنه عليه السلام شديد التصلّب والتشديد في الأمور الإلهية لا يداري فيها ولا يداهن ولا تأخذه لومة لائم.

وقال السيد عليخان الحسيني (رضوان الله عليه) في شرحـه عـلى الصـحيفة السجادية في معنىٰ قوله صلى الله عليه وآله: عـلي ممسـوس في ذات الله: شـبهه صلى الله عليه وآله في تشـدده وتصلبه عليه السلام في الأمور الإلهية، وعدم ملاحظته للوم لائم أو رعاية جانب بالمجنون، الذي لا يبالي بما يقال فيه من لوم أو مذمة، ولذا نسبه أعداؤه إلى الحمق، وعـدم المعرفة بتدبير الحروب، واستمالة قلوب الرجال حتىٰ فارقه كـثير مـن أصـحابه، والتحقوا بمعاوية. وهو عليه السلام لا يلتفت إلىٰ شيء من ذلك في التصميم علىٰ إيثار الحق والعدل، والعمل بهما ولو كره الكافرون.

ثم قال رحمه الله: ويحتمل أن يكون وجه التشبيه له بالممسوس، ما كان يعتريه عليه السلام من الغشية والهزّة لخشية الله عند اشتغال سرّه بملاحظة جلال الله، ومراتب عظمة الله سبحانه كما تضمنه حديث أبي الدرداء الذي حكىٰ فيه شدة عبادته عليه السلام حـتىٰ قال: فأتيته فإذا هو كالخشبة ملقاة، فحرّكته فلم يتحرك، فأتيت منزله مبادراً نعاه فقالت فاطمة عليها السلام: ما كان في شأنه؟ فأخبرتها فقالت: هي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله تعالىٰ، إنتهىٰ.

فمن كان هذا شأنهم وحالهم وعبادتهم كيف يحتمل في حقهم الغلو، نعم مقام ولايتهم عالي الشأن رفيع المكان عظيم الدرجة كما علمت.

ثم إنه يعجبني أن أذكر حديثين في زهده وعبادته؛ لنبين به المقصود ويكون إرشاداً إلى الهدىٰ:

في غاية المرام للسيد البحراني (رضوان الله عليه) قال في رسالة الأهواز للصادق عليه السلام قال أبي: قال علي بن الحسين عليه السلام: سمعت أبا عبدالله الحسين عليه السلام يقول: حدثني أمير المؤمنين عليه السلام قال: إني كنت بفدك في بعض حيطانها، وقد صارت لفاطمة عليها السلام قال: فإذا بامرأة قد قحمت عليّ وفي يدي مسحاة وأنا أعمل بها، فلما نظرت إليها طار قلبي مما تداخلني من جمالها فشبهتها ببثينة بنت عامر الجمحي وكانت من أجمل نساء قريش فقالت: يابن أبي طالب هل لك أن تتزوج بي، فأغنيك عن هذه، وأدلك علىٰ خزائن الأرض، فيكون لك المال ما بقيت ومن بعدك؟ فقلت لها: من أنت حتىٰ أخطبك من أهلك؟

قالت: أنا الدنيا، قلت: فارجعي واطلبي زوجاً غيري، وأقبلت علىٰ مسحاتي وأنشأت أقول:

لقد خاب من غرته دنيا دنية ... وما هي إن غرت قروناً بطائل

أتتنا علىٰ ذي العزيز بثينة ... وزينها في مثل تلك الشمائل

فقلت لها غرّي سواي فإنني ... عزوف عن الدنيا ولست بجاهل

وما أنا والدنيا فإن محمّداً ... أحلّ صريعاً بين تلك الجنادل

وهبها أتتنا بالكنوز ودرّها ... وأموال قارون وملك القبائل

أليس جميعاً بالفناء مصيرها؟ ... وتطلب من خزانها بالطوائل

فغري سواي إنني غير راغب ... بما فيك من ملك وعزّ ونائل

فقد قنعت نفسي بما قد رزقته ... فشأنك يا دنيا وأهل الغوائل

فإني أخاف الله يوم لقائه ... وأخشىٰ عذاباً دائماً غير زائل

فخرج من الدنيا وليس في عنقه تبعة لأحد حتىٰ لقي الله محموداً غير ملوم ولا مذموم، ثم اقتدت به الأئمة من بعده بما قد بلغهم عنه ولم يتلطّخوا بشيء من بوائقها صلى الله عليهم أجمعين وأحسن مثواهم.

وفيه: ابن شهر آشوب وغيره واللفظ له: قال معاوية (لعنه الله) لضرار بن ضمرة: صف لنا علياً، فقال: كان والله صوّاماً بالنهار، قوّاماً بالليل، يحب من اللباس أخشنه، ومن الطعام أجشبه، وكان يجلس فينا، ويبتدي إذا سكتنا، ويجيب إذا سألنا، يقسم بالسوية ويعدل في الرعية، لا يخاف الضعيف من جوره، ولا يطمع القوي في ميله، والله لقد رأيته ليلة من الليالي وقد أسبل الظلام سدولَهُ، وغارت نجومه، وهو يتململ في المحراب تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ولقد رأيته مسيلاً للدموع، قابضاً علىٰ لحيته يخاطب دنياه فيقول:

يا دنيا أبي تشوّقت وإليّ تعرضت، لأن حان حينك فقد بتلتك تبلاً (التبل في اللغة هو القطع منه) لا رجعة لي فيك، فعيشك قصير، وخطرك يسير، آه من قلة الزاد وبعد السفر، ووحشة الطريق!

بقي شيء وهو: أنه قد عرفت أن الولاية قد تطلق علىٰ غيرهم من شيعتهم فيقال: أهل الولاية أو أهل ولايتنا، وهم بهذه المناسبة مقامات عند الله تعالىٰ، ذكرها العلامة المجلسي ﷺ في البحار في باب صفات خيار الشيعة، فحينئذ ينبغي أن يعلم: أنّ أهل الولاية مَن هم، وما شرائط الولاية الأصلية؟

فنقول: أصل الولاية إنما تتحقق في أحد إذا كان بعد تلك العقائد الحقة محباً لهم ومبغضاً لأعدائهم.

بيانه: قال الله تعالىٰ: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءَكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأُولئك هم الظالمون**﴾[1].

---

١ ـ التوبة : ٢٣.

﴿يا أيها الذين لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم﴾[١].

﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون مَن حادّ الله ورسولَه ولو كانوا آباءَهم أو أبناءَهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾[٢].

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار﴾[٣].

أقول: في تفسير نور الثقلين عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن هذه الآية في قول الله: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءَكم وإخوانكم أولياء (إلىٰ قوله) الفاسقين﴾** فأمّا **﴿لا تتخذوا آباءَكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان﴾**، فإن الكفر في الباطن في هذه الآية ولاية الأول والثاني وهو كفر، وقوله: علىٰ الإيمان، فالإيمان ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال: **﴿ومن يتولهم منكم فأُولئك هم الظالمون﴾** دلّ علىٰ وجوب التبرّي من أهل الكفر، والذين استحبوا الكفر على الإيمان ولو كانوا آباءَهم أو إخوانهم، ففي النهج قال عليه السلام: ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءَنا وأبناءَنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلّا إيماناً وتسليماً ومضيّاً على اللقم[٤] وصبراً علىٰ مضض الألم، وجدّاً علىٰ جهاد العدو.. الخ.

وفي تفسير نور الثقلين: في كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمه الله عن النبيّ صلى الله عليه وآله حديث طويل يقول فيه: وقد ذكر عليّاً وأولاده عليهم السلام إلّا أن أعداء علي عليه السلام هم أهل الشقاق هم العادون وإخوان الشياطين الذين يوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غروراً. إلّا أن أولياءَهم الذين ذكرهم الله في كتابه هم المؤمنون، فقال عزوجل: **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله﴾**[٥].

---

١ ـ الممتحنة : ١٣.

٢ ـ المجادلة : ٢٢.

٣ ـ هود : ١١٣.

٤ ـ قوله على اللقم أي مضياً على السرعة منه.

٥ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥ ص٢٦٨.

أقـول: قوله ﷺ: إلّا أن أولياءَهم، أي أولياء علي وأولاده عليهم السلام المؤمنون هـم الذين ذكرهم الله فقال: لا تجد قوماً يؤمنون بالله، الآية، أي المؤمن الذي آمن بالله واليوم الآخر ولم يوادّ من حادّ الله، كما لا يخفىٰ.

وفي نهج البلاغة في المختار المائة والسابع والأربعين قوله عليه السلام: واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتىٰ تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حـتىٰ تـعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتىٰ تعرفوا الذي نبذه، فالتمسوا ذلك من عند أهـله، فإنهم عيش العلم.

الخطبة دلت علىٰ أن الرشد والأخذ بميثاق الكتاب والتمسك به إنما هو بمعرفة التارك للرشد، والناقض لميثاق الكتاب، والنـابذ له، ومـعرفتهم لا تكـون إلّا أن تلتمسوه أي تعرفوهم من عند أهله وهم أهل البيت عليهم السلام.

وفي المحكي عن البحار عن تفسير العياشي، عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: يا أبا حمزة إنما يعبد الله من عرف الله، وأما من لا يعرف الله كأنمـا يـعبد غيره هكذا[1] ضالّاً، قلت: أصلحك الله وما معرفة الله؟ قال: يصدق الله ويـصدق محمداً رسول الله ﷺ في موالاة علي والايتام به وبأئمة الهدىٰ من بعده، والبراءة إلى الله من عـدوهم وذلك عـرفان الله، قـلت: أصـلحك الله أي شيء إذا عـلمته أنـا استكملت حقيقة الإيمـان؟ قال: توالي أولياء الله، وتعادي أعداء الله، وتكـون مـع الصادقين كما أمرك الله.

قال: قلت: ومَن أولياء الله ومَن أعداء الله؟

فقال: أولياء الله محمد رسول الله وعلي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ثم انتهىٰ الأمر إلينا ثم ابني جعفر، وأومأ إلىٰ جعفر عليه السلام وهو جالس، فمن والىٰ هؤلاء فقد والىٰ أولياء الله، وكان مع الصادقين كما أمره الله.

---

١ ـ أي أشار إلى اليمين والشمال.

قلت: ومَن أعداء الله أصلحك الله؟ قال: الأوثان الأربعة.

قال: قلت: مَن هم؟ قال: أبو الفصيل[١] ورمع ونعثل ومعاوية ومن دان دينهم، ومن عادىٰ هؤلاء فقد عادىٰ أعداء الله.

وعن روضة الكافي: من سرّه أن يعلم أن الله يحبه فليعمل بطاعة الله وليتبعنا، إلىٰ أن قال عليه السلام: ولا، والله لا يتبعنا أحد إلّا أحبّ الله، ولا يدع أحد اتباعنا إلّا أبغضنا، ولا، والله لا يبغضنا أحد أبداً إلّا عصى الله، ومن مات عاصياً لله أخزاه الله وأكبه الله علىٰ وجهه في النار، والحمد لله ربّ العالمين.

وفي البحار[٢] عن تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ فيحب بهذا ويبغض بهذا، فأما محبتنا فيخلص الحب بنا كما يخلص الذهب بالنار لا كدر فيه، من أراد أن يعلم حبنا، فليمتحن قلبه، فإن شاركه في حبنا حبّ عدونا فليس منا ولسنا منه، والله عدوهم وجبرئيل وميكائيل والله عدو للكافرين.

فدل علىٰ أن حبّهم لا يجتمع مع حبّ عدوهم بل إن أحب عدوهم فهو من الكافرين كما يستفاد من ذكر الآية في الذيل.

وفيه عن قرب الإسناد، ابن عيسىٰ عن البزنطي قال: كتب إلى الرضا عليه السلام قال أبو جعفر عليه السلام: من سرّه أن لا يكون بينه وبين الله حجاب حتىٰ ينظر إلى الله وينظر الله إليه فليتول آل محمد ويبرَأ من عدوهم، ويأتم بالإمام منهم، فإنه إذا كان كذلك نظر الله إليه ونظر إلى الله.

وفيه عن الخصال في خبر الأعمش عن الصادق عليه السلام قال: حبّ أولياء الله واجب والولاية لهم واجبة، والبراءة من أعدائهم واجبة، ومن الذين ظلموا آل محمد (صلىٰ الله عليهم) وهتكوا حجابه، وأخذوا من فاطمة عليها السلام فدكاً، ومنعوها

---

١ ـ أي أبو بكر فيكنىٰ عنه بأبو الفصيل ورمع مقلوب عمر ونعثل أي عثمان كما في كتب اللغة.

٢ ـ هذه الأحاديث عن البحار ج ٢٧ ص ٥١ ـ ٦٣.

ميراثها، وغصبوها وزوجها حقوقهما، وهمّوا بإحراق بيتها، وأسسوا الظلم، وغيّروا سنة رسول الله ﷺ. والبراءة من الناكثين والقاسطين والمارقين واجبة، والبراءة من الأنصاب والأزلام أئمة الضلال وقادة الجور كلّهم أولهم وآخرهم واجبة، والبراءة من جميع قتلة أهل البيت عليهم السلام واجبة.

والولاية للمؤمنين الذين لم يغيروا ولم يبدّلوا بعد نبيّهم ﷺ واجبة مثل سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود الكندي، وعمار بن ياسر، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وحذيفة بن اليمان، وأبي الهيثم بن التيهان، وسهل بن حنيف، وأبي أيوب الأنصاري، وعبدالله بن الصامت، وعبادة بن الصامت، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وأبي سعيد الخدري ومَن نحا نحوهم وفعل مثل فعلهم، والولاية لاتباعهم والمقتدين بهم وبهداهم واجبة.

وفيه عن أمالي الصدوق بإسناده عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: مَن جالس لنا عائباً، أو مدح لنا قالياً، أو واصل لنا قاطعاً أو قطع لنا واصلاً، أو والى لنا عدواً، أو عادىٰ لنا ولياً فقد كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم.

وفيه عن الخصال بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: عشر من لق الله عزوجل بهنّ دخل الجنة: شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله عزوجل وإقام الصلوة وإيتاء الزكٰوة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، والولاية لأولياء الله، والبراءة من أعداء الله، واجتناب كلّ مسكر.

وفيه عن مجالس المفيد رحمه الله بإسناده عن حبيش بن المعتمر، قال: دخلت علىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، كيف أمسيت؟ قال: أمسيت محباً لمحبنا ومبغضاً لمبغضنا، وأمسىٰ محبنا مغتبطاً برحمة من الله كان ينتظرها، وأمسىٰ عدونا يؤسّس بنيانه علىٰ شفا جرف هار، فكان ذلك الشفا قد انهار به في نار جهنم، وكأنّ أبواب الرحمة قد فتحت لأهلها، فهنيئاً لأهل الرحمة رحمتهم، والتعس لأهل النار والنار لهم.

يا حبيش مَن سرّه أن يعلم أمحب لنا أم مبغض فليمتحن قلبه، فإن كان يحب ولياً لنا فليس بمبغض لنا، وإن كان يبغض ولياً لنا فليس بمحب لنا. إن الله تعالىٰ أخذ الميثاق لمحبينا بمودّتنا، وكتب في الذكر اسم مبغضنا، نحن النجباء وافراطنا إفراط الأنبياء.

وفيه عن أمالي ابن الشيخ بإسناده عن الحسين بن مصعب قال: سمعت جعفر ابن محمد عليه السلام يقول: من أحبّنا لله وأحبّ محبنا لا لغرض دنيا يصيبها منه، وعادىٰ عدونا لا لاحنة[1] كانت بينه وبينه، ثم جاء يوم القيمة وعليه من الذنوب مثل رمل عالج وزبد البحر، غفر الله تعالىٰ له.

وفيه عن تفسير العسكري عليه السلام ومعاني الأخبار وعيون الأخبار وعلل الشرايع المفسر بإسناده إلىٰ أبي محمد العسكري عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لبعض أصحابه ذات يوم: يا عبد الله أحب في الله وأبغض في الله، ووال في الله وعاد في الله فإنه لا تنال ولاية الله إلّا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان ـ وإن كثرت صلوته وصيامه ـ حتىٰ يكون كذلك. وقد صارت مواخاة الناس ليومكم هذا أكثرها في الدنيا، عليها يتوادّون، وعليها يتباغضون، وذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً.

فقال له: وكيف لي أن أعلم أني قد واليت وعاديت في الله عزوجل ومَن ولي الله عزوجل حتىٰ أواليه؟ ومَن عدوه حتىٰ أعاديه؟

فأشار له رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ علي عليه السلام فقال: أترىٰ هذا؟ فقال: بلىٰ، قال ولي هذا ولي هذا، فواله، وعدو هذا عدو الله، فعاده، قال: وال وليّ هذا ولو أنه قاتل أبيك وولدك، وعاد عدو هذا ولو أنه أبوك أو ولدك.

✓ وفيه عن أمالي الصدوق عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله مَن سرّه أن يجمع الله له الخير كلّه فليوال علياً بعدي وليوال أولياءَه وليعاد أعداءَه.

---

١ ـ الاحنة (بالكسر) الحقد.

وفيه عن ثواب الأعمال بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مَن أحبنا وأبغض عدونا في الله من غير ترة وترها إياه في شيء من أمر الدنيا، ثم مات على ذلك فلقى الله وعليه من الذنوب مثل زبد البحر غفرها الله له.

وفيه عن ثواب الأعمال للصدوق رحمه الله بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: مَن لم يعرف سوء ما أتىٰ إلينا من ظلمنا وذهاب حقنا وما ركبنا به، فهو شريك من أتىٰ إلينا فيما ولينا به، أي استولى علينا وقرب منا بسببه.

وفيه عن المحاسن بإسناده عن أبي خالد الكابلي قال: أتىٰ نفر إلىٰ علي بن الحسين بن علي عليه السلام فقالوا: إن بني عمّنا وفدوا إلىٰ معاوية بن أبي سفيان طلب رفده وجائزته، وإنا قد وفدنا إليك صلة لرسول الله صلى الله عليه وآله فقال علي بن الحسين عليه السلام: (قصيرة من طويلة) مَن أحبّنا لا لدنيا يصيبها منّا، وعادىٰ عدونا لا لشحناء كانت بينه وبينه، أتى الله يوم القيٰمة مع محمد وإبراهيم وعلي.

وفيه عن المحاسن عن عمر بن مدرك بن علي الطائي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: أيّ عرى الايمان أوثق؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: قولوا فقالوا: يابن رسول الله الصلٰوة، فقال: إن للصلوة فضلاً ولكن ليس بالصلوة، قالوا: الزكوة، فقال: إن للزكوة فضلاً وليس بالزكوة، قالوا: صوم شهر رمضان فقال: إن لرمضان فضلاً وليس برمضان، قالوا: فالحجّ والعمرة، قال: إن للحجّ والعمرة فضلاً وليس بالحجّ والعمرة، قالوا: فالجهاد في سبيل الله، قال: إن للجهاد في سبيل الله فضلاً وليس بالجهاد.

قالوا: فالله ورسوله أعلم، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أوثق عرى الإيمان الحبّ في الله والبغض في الله، وتوالي ولي الله وتعادي عدو الله.

وفيه عن تفسير العياشي عن سعدان عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالىٰ: **﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾** قال: حقيق على الله أن لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال

حبّة من خردل من حبهما (أي الأول والثاني).

وفيه عن السرائر من كتاب أنس العالم للصفواني قال: إن رجلاً قدم علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إني أحبك وأحب فلاناً، وسمىٰ بعض أعدائه!! فقال عليه السلام: أما الآن فأنت أعور فإما أن تعمىٰ وإما أن تبصر.

وقيل للصادق عليه السلام: إن فلاناً يواليكم إلّا أنه يضعف عن البراءة من عدوكم! فقال: هيهات كذب من ادعىٰ محبّتنا ولم يتبرأ من عدونا.

وروي عن الرضا عليه السلام أنه قال: كمال الدين ولايتنا والبراءة من عدونا.

وفيه عن كنز الكراجكي بإسناده عن سليمان الأعمش عن جعفر بن محمد عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي أنت أمير المؤمنين وإمام المتقين، يا علي أنت سيد الوصيين ووارث علم النبيين، وخير الصديقين وأفضل السابقين، يا علي أنت زوج سيدة نساء العالمين، وخليفة خير المرسلين، يا علي أنت مولى المؤمنين والحجّة بعدي على الناس أجمعين، استوجب الجنة مَن تولاك، واستوجب دخول النار من عاداك.

يا علي والذي بعثني بالنبوة واصطفاني على جميع البرية، لو أن عبداً عبد الله ألف عام ما قبل ذلك منه إلّا بولايتك وولاية الأئمة من ولدك، وإن ولايتك لا تقبل إلّا بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمة من ولدك، بذلك أخبرني جبرئيل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

وعن كتاب السرائر لابن إدريس بإسناده عن سماعة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إذا كان يوم القيمة مرّ رسول الله بشفير النار وأمير المؤمنين والحسن والحسين، فيصيح صائح من النار: يا رسول الله أغثني يا رسول الله ثلاثاً، قال: فلا يجيبه.

قال: فينادي يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين ثلاثة أغثني، فلا يجيبه.

قال: فينادي يا حسين يا حسين يا حسين أغثني أنا قاتل أعداءَك.

قال: فيقول له رسول الله ﷺ: قد احتج عليك، قال: فينقض عليه كأنه عقاب كاسر، قال: فيخرجه من النار.

قال: فقلت لأبي عبدالله عليه السلام: ومن هذا جعلت فداك؟! قال: المختار، قلت له: ولِمَ عذّب بالنار وقد فعل ما فعل؟! قال: إنه كان في قلبه منهما شيء، والذي بعث محمداً بالحق لو أن جبرئيل وميكائيل كان في قلبهما شيء؛ لأكبهما الله في النار علىٰ وجوههما.

ومما يقرب من هذا الحديث ما روي عن التهذيب عن أبي عبدالله عليه السلام فراجع، فيعلم أنه لابدّ من بغض أعدائهم، وإن محبتهم وإن كانت قليلة توجب دخول النار كما هو صريح قوله عليه السلام: والذي بعث محمداً .. الخ.

فظهر من هذه الأحاديث أن المحبة والولاية لهم إنما تتم ببغض أعدائهم والبراءة منهم، ونحن نسأل الله تعالىٰ ذلك بأن يرزقنا موالاتهم وموالاة أوليائهم، ومعاداة أعدائهم في الدنيا والآخرة بمحمد وآله الطاهرين.

الفصل الثالث: شؤون الولاية:

في بيان شؤون الولاية الحقّة الثابتة لهم عليهم السلام من الله تعالىٰ بما لها من المعنى الأعم من التشريعي والتكويني، وهي كثيرة جداً كما يظهر من الأحاديث الكثيرة الواردة في بيان المعجزات، الصادرة عنهم التي تُنبئ عنها وعن منازلهم عند الله تعالىٰ.

وقد علمت أن ولايتهم عليهم السلام لها التصرف في جميع العوالم من عوالم الملائكة والدنيا والآخرة، وجميع ما سوى الله تعالىٰ، كما يظهر في مطاوي الشرح إن شاء الله تعالىٰ. ونحن نقتصر في بيان شؤونها المذكورة في الزيارة الجامعة الكبيرة، فإنها كما علمت تضمنت منها ما لم تتضمنه ساير الزيارات، فنقول وعليه التوكل:

في تهذيب الشيخ الطوسي (رضوان الله عليه)[1] والفقيه للصدوق (رضوان الله عليه)[2] روىٰ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه قال: حدثنا علي بن أحمد بن موسىٰ والحسين بن إبراهيم بن أحمد الكاتب، قالا: حدثنا محمد بن أبي عبدالله الكوفي، عن محمد بن إسماعيل البرمكي (الفقيه): روىٰ محمد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدثنا موسىٰ بن عبدالله النخعي، قال: قلت لعلي بن محمد بن علي ابن موسىٰ بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: علمني يابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم.

فقال: إذا صرت إلى الباب فقف واشهد الشهادتين، وأنت علىٰ غسل، فإذا دخلت (ورأيت القبر ـ فقيه) فقف وقل: الله أكبر، الله أكبر ثلاثين مرّة ثم امش قليلاً، وعليك السكينة والوقار، وقارب بين خطاك ثم قف وكبّر الله عزوجل ثلاثين مرّة، ثم ادن من القبر وكبّر الله أربعين تكبيرة، تمام المائة تكبيرة ثم قل: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة.. الزيارة.

أقول: قال الصدوق في أول الفقيه ما لفظه: ولم أقصد فيه قصد المصنفين في إيراد جميع ما رووه، بل قصدت إلىٰ إيراد ما أفتي به وأحكم بصحته، وأعتقد فيه أنه حجّة فيما بيني وبين ربّي ـ تقدس ذكره وتعالت قدرته ـ وجميع ما فيه مستخرج من كتب مشهورة عليها المعوّل وإليها المرجع مثل كتاب ضرير إلىٰ أن قال ﷺ: وغيرها من الأُصول والمصنفات التي طرقي إليها معروفة في فهرس الكتب، التي رويتها عن مشايخي وأسلافي (رضي الله عنهم) وبالغت في ذلك جهدي، مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه ومستغفراً من التقصير، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وهو حسبي ونعم الوكيل.

أقول: هذه الزيارة الشريفة قد اشتهرت بين الشيعة وعلمائهم بنحو تلقّوها

---

١ ـ ج٦ ص٩٥ باب٤٦ عدد١٧٧.

٢ ـ ج٢ ص٣٧٠ باب٢٢٥ عدد١٦٢٥.

بالقبول بأجمعهم بدون خلاف من أحدهم؛ لما علموا يقيناً بصدورها منه عليه السلام فلا راد ولا معترض، بل ولا متأمل في صدورها عنه عليه السلام.

فعليه فلا يحتاج إلىٰ بيان تصحيح إسناد الزيارة، والاستشهاد عليها ببعض المنامات المرئيّة في المقام، وإن كانت مؤيّدة بل مصححة لها جدّاً فهي رُئيت ورويت عن الأكابر كما لا يخفىٰ على المراجع لشرح الفقيه للعلّامة المجلسي الأول (رضوان الله عليه).

هذا ويكفي في صحة صدورها ما علمت من قول الصدوق رحمه الله في أول الفقيه: بل قصدت إيراد ما أفتي به وأحكم بصحته وأعتقد فيه أنه حجّة فيما بيني وبين ربّي تقدس ذكره.. الخ. فإنه ظاهر وصريح في صحتها عنده رحمه الله وكفىٰ به معتمداً في ذلك.

قال العلامة المجلسي رحمه الله في البحار بعد شرحه بعض جمل الزيارة ما لفظه: أنا بسطت الكلام في شرح تلك الزيارة قليلاً وإن لم أستوف حقّها حذراً من الاطالة؛ لأنها أصح الزيارات سنداً، وأعمّها مورداً، وأفصحها لفظاً، وأبلغها معنىً وأعلاها شأناً.

أقول: قد اهتم كثير من العلماء (رضوان الله تعالىٰ عليهم) في شرح هذه الزيارة بخصوصها، مع ورود كثير من الزيارات الجامعة كما لا يخفىٰ، وذلك اعتناءً منهم بشأن هذه الزيارة الشريفة؛ لأنها عندهم كما علمت أصحها سنداً وأبلغها معنىً ولفظاً.

وقد ذكرهم الشيخ الحجة الحاج آقا بزرگ الطهراني (رضوان الله عليه) في الجلد الثالث عشر من الذريعة وهم:

١ ـ الشيخ أحمد بن زين الدين الاحسائي المتوفىٰ سنة ١٢٤٣ أو ١٢٤١ قال رحمه الله: وعندي منه نسخة مخطوطة كتبت في حياة المؤلف في سنة ١٢٣٨ بعد تأليفه بثمان سنين.

٢ ـ المولىٰ محمد تقي المجلسي والد شيخنا الباقر مؤلف البحار.

٣ ـ السيد حسين بن محمد تقي الهمداني واسم شرحه الشموس الطالعة.

٤ ـ السيد عبدالله شبّر الحسيني واسم شرحه الأنوار اللامعة.

٥ ـ السيد ميرزا علي نقي بن المجاهد الطباطبائي الحائري.

٦ ـ الميرزا محمد علي بن محمد نصير الچهاردهي الرشتي.

٧ ـ السيد محمد بن محمد باقر الحسيني النائيني المختاري.

٨ ـ السيد محمد بن عبدالكريم الطباطبائي البروجردي واسم شرحه الأعلام اللامعة.

٩ ـ الحاج ميرزا محمد أحمد آبادي الاصفهاني الشهير بطبيب زاده الفارسية واسم شرحه شمس طالعة وهو مطبوع.

هذا مضافاً إلىٰ أن مضامين الزيارة التي تضمنت من الدقائق والأسرار العجيبة، وشؤون الولاية بعبارات فصيحة عالية بليغة تنبئ عن صدورها عنه عليه السلام ولا يتأمل فيه ذو مسكة أبداً، فإذا لا تصغ إلىٰ قول من يتأمّل في صحة السند والقدح فيها، فإنه ناشئ عن الجهل أو القصور والتقصير في حقهم عليهم السلام كما لا يخفىٰ.

وقبل الشروع في الشرح لابد من تقديم أمور:

الأمر الأول: في معنى الزيارة وفضلها، فنقول وعليه التوكل:

في المجمع: وزاره يزوره زيارة: قصده.. إلىٰ أن قال: والزيارة في العرف قصد المزور إكراماً له وتعظيماً له واستيناساً به. وقيل: الزيارة هي الحضور عند المزور. وقيل: هي التشرف بمحضر الإمام عليه السلام مثلاً. ولا ريب في أن المعنى الأول يعمّ الزيارة من قريب أو بعيد، فإن القصد عام وإن كان يتبادر منه أي من القصد الزيارة من قريب.

وكيف كان فأكثر مصاديقها يلاحظ فيها المعنى العرفي، فهي إذا لوحظت بالنسبة إلى العرف فمصاديقها ظاهرة عندهم، وإذا لوحظت بالنسبة إلى الإمام عليه السلام حيّاً كان أو ميتاً فلها شرائط خاصة زائدة علىٰ معناها اللغوي والعرفي كما تعرفه إن

شاء الله.

هذا وإن الزيارة أمر مرغوب فيه مطلقاً، وقد وردت أحاديث كثيرة في فضلها:

الأول: في فضل زيارة الاخوان والمؤمنين أحياءً وأمواتاً.

الثاني: في فضل زيارة النبيّ والأئمة عليهم السلام أحياءً وأمواتاً.

أما الأول، فنقول: استحباب زيارة المؤمنين بعضهم لبعض أحياء إنما هو وثوابه لأجل ما يترتب عليه من التعاطف، وإحياء أمر الدين والعلم وقضاء حوائجهم يقتضي حينئذ، وتأليف القلوب وما أشبه ذلك، ولذا ترىٰ أن الأحاديث أكّدت في الزيارة لأجل هذه الأمور المترتبة عليها حيث أشارت إليها أيضاً.

ففي البحار[1] عن الكافي، بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من زار أخاه لله لا لغيره التماس موعد الله، وتنجز ما عند الله وكّل الله به سبعين ألف ملك ينادونه: ألّا طبت وطابت لك الجنة.

وفيه عنه بإسناده عن خثيمة قال: دخلت علىٰ أبي جعفر عليه السلام أودعه، فقال: يا خثيمة أبلغ من ترىٰ من موالينا السلام، وأوصِهم بتقوى الله العظيم، وأن يعود غنيهم علىٰ فقيرهم، وقويهم علىٰ ضعيفهم، وأن يشهد حيّهم جنازة ميتهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم فإن لقيا بعضهم بعضاً حياة لأمرنا، رحم الله امرأً أحيا أمرنا. يا خثيمة أبلغ موالينا انا لا نغني عنهم من الله شيئاً إلّا بالعمل، وأنهم لن ينالوا ولايتنا إلّا بالورع، وأن أشدّ الناس حسرة يوم القيٰمة من وصف عدلاً ثم خالفه إلىٰ غيره.

وفيه عن الكافي بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من زار أخاه في الله، قال الله عزوجل: إيّاي زرت وثوابك عليّ، ولست أرضىٰ لك ثواباً دون الجنة.

وفيه عن الكافي بإسناده عن أبي غزّة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: من زار أخاه في الله في مرض أو صحة لا يأتيه خداعاً واستبدالاً، وكّل الله به سبعين ألف

---

١ ـ ج ٧٤ كتاب العشرة ص ٣٤٢، أقول: هذه الأحاديث كلها أنقلها منه.

ملك ينادون في قفاه: أن طبت وطابت لك الجنة، فأنتم زوار الله، وأنتم وفد الرحمن حتىٰ يأتي منزله. فقال له يسير: جعلت فداك وإن كان المكان بعيداً قال: نعم يا يسير وإن كان المكان مسير سنة، فإن الله جواد والملائكة كثيرة يشيّعونه حتىٰ يرجع إلىٰ منزله.

وفيه عن الكافي بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من زار أخاه في الله ولله جاء يوم القيمة يخطر بين قباطي من نور، لا يمر بشيء إلّا أضاء له حتىٰ يقف بين يدي الله عزوجل، فيقول الله عزوجل: مرحباً، وإذا قال الله مرحباً أجزل الله عزوجل له العطية.

وفيه عن الكافي عن محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن لله عزوجل جنة لا يدخلها إلّا ثلاثة: رجل حكم علىٰ نفسه بالحق، ورجل زار أخاه المؤمن في الله، ورجل آثر أخاه المؤمن في الله.

وفيه عن الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن المؤمن ليخرج إلىٰ أخيه يزوره فيوكل به ملك فيضع جناحاً في الأرض وجناحاً في السماء يظله، فإذا دخل إلىٰ منزله ناد الجبار تبارك وتعالىٰ: أيها العبد المعظم لحقّي المتتبع لآثار نبيّ حقّ عليّ إعظامك، سلني أعطك، أُدعني أجبك، أسكت أبتدئك، فإذا انصرف شيّعه الملك يظلّه بجناحه حتىٰ يدخل إلىٰ منزله، ثم يناديه تبارك وتعالىٰ: أيها العبد المعظم لحقّي حق عليّ إكرامك، قد أوجبت لك جنتي وشفعتك في عبادي.

وفيه عن الكافي بالإسناد المتقدم عن صالح بن عقبة عن عقبة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لَزيارة مؤمن في الله خير من عتق عشر رقاب مؤمنات، ومن أعتق رقبة مؤمنة وقىٰ (الله عزوجل بها) بكلّ عضو عضواً من النار حتىٰ أن الفرج يقي الفرج.

وفيه عن الكافي بالإسناد عن صالح بن عقبة، عن صفوان الجمال، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أيّما ثلاثة مؤمنين اجتمعوا عند أخ لهم، يؤمنون بوائقه، ولا يخافون

غوائله، ويرجون ما عنده، إن دعو الله أجابهم، وإن سألوا أعطاهم، وإن استزادوا زادهم، وإن سكتوا ابتدأهم.

وفيه عن الكافي بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لقاء الاخوان مغنم جسيم وإن قلّوا.

وفيه عن قرب الإسناد، ابن سعد عن الأزدي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لفضيل: تجلسون وتحدثون؟ قال: نعم، جعلت فداك، قال: إن تلك المجالس أحبّها فأحيوا أمرنا، يا فضيل يرحم الله من أحيا أمرنا، يا فضيل من ذكرنا أو ذكرنا عنده، فخرج من عينيه مثل جناح الذباب، غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر.

وفيه عن أمالي الطوسي بإسناده عن العقرقوقي قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لأصحابه وأنا حاضر: إتقوا الله وكونوا أُخوة بررة متحابين في الله، متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا وأحيوا أمرنا.

وفيه عن الخصال بإسناده عن عمار بن صهيب قال: سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام يحدث قال: إن ضيفان (ضيوف) الله عزوجل رجل حج واعتمر فهو ضيف الله حتىٰ يرجع إلىٰ منزله، ورجل كان في صلاته فهو في كنف الله حتىٰ ينصرف، ورجل زار أخاه المؤمن في الله عزوجل فهو زائر الله في ثوابه وخزائن رحمته.

وفيه عن مجالس المفيد وأمالي الطوسي بإسناده عن عبدالعظيم الحسني، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: ملاقاة الاخوان نشرة وتلقيح وإن كان فوزاً قليلاً.

وفيه عن أمالي الطوسي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن من روح الله تعالىٰ ثلاثة: التهجد بالليل وإفطار الصائم ولقاء الاخوان.

وفيه عن الخصال بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله سبعة في ظلّ عرش الله عزوجل يوم لا ظل إلّا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عزوجل، ورجل تصدق بيمينه فأخفاه عن شماله، ورجل ذكر الله عزوجل خالياً ففاضت عيناه من خشية الله، ورجل لقىٰ أخاه المؤمن فقال: إني لأحبك في الله

عزوجل، ورجل خرج من المسجد وفي نيّته أن يرجع إليه، ورجل دعته إمرأة ذات جمال إلىٰ نفسها فقال: إني أخاف الله رب العالمين.

وفيه عن كتاب الامامة والتبصرة بإسناده عن السكوني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الزيارة تنبت المودة.

وقال صلى الله عليه وآله: زر غباً تزدد حبّاً.

أقول: هذه الأحاديث دلّت بتظافرها علىٰ أهمية أمر الزيارة بما لها من الآثار، ومنها يعلم شرائط الزيارة من حيث النيّة وغيرها كما لا يخفىٰ.

وفيه أيضاً عن المحاسن، عن صفوان الجمال، عن أبي عبدالله عليه السلام: ما التقىٰ مؤمنان قط إلّا كان أفضلهما أشدهما حبّاً لأخيه.

وفيه عن مجالس المفيد بإسناده عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المتحابون في الله عزوجل علىٰ أعمدة من ياقوت أحمر في الجنة، يشرفون علىٰ أهل الجنة، فإذا اطلع أحدهم ملأ حسنه بيوت أهل الجنة، فيقول أهل الجنة: أخرجوا ننظر المتحابين في الله عزوجل، قال: فيخرجون وينظرون إليهم، أحدهم وجهه مثل القمر في ليلة البدر علىٰ جباههم، هؤلاء المتحابون في الله عزوجل، إذا علمت هذا فعليك بالزيارة خصوصاً للمؤمنين والعلماء الربانيين، فإن في زيارتهم إحياء أمر الدين، وإحياء النفوس الميتة عن الحقائق والمعارف.

ففيه عن الكافي بإسناده عن سماعة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: قول الله عزوجل: **﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾** قال: ومن أخرجها من ضلال إلى الهدىٰ فكأنما أحياها، ومن أخرجها من هدىً إلىٰ ضلال فقد قتلها.

أقول: كفىٰ في فضل زيارة المؤمنين ومعانقتهم أن فيه حياة الإيمان، وظهور آثار المحبة والألطاف الإلهية، ومشاهدة آثار الربوبية في الاخوان المؤمنين عند الملاقاة، وهي روح وصفاء لقلب المؤمن بل نتيجة الإيمان وسرور الرحمن وغاية ظهور

العرفان، كيف لا وإن أرواح المؤمنين متصلة بروح الله تعالىٰ؟ ؛ في ظرف. الملاقاة يظهر آثار التوحيد والربوبية بينهما بنحو لا يكون لغيرهم من الملائكة المقربين.

فعن الكافي بإسناده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إن اشتكىٰ شيئاً منه، وجد ألم ذلك في ساير جسده، وأرواحهما من روح واحدة، وإن روح المؤمن لأشد اتصالاً بروح الله من شعاع الشمس بها.

قال الفيض (رضوان الله عليه) ـ بيان ـ وذلك: لأن المؤمن محبوب لله عزوجل كما قال سبحانه: يحبهم ويحبونه، ومن أحبه الله تعالىٰ كان سمعه وبصره ويده ورجله، فبالله يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه يمشي، وأيّ اتصال أشد من هذا، إنتهىٰ.

وفي الكافي بإسناده عن إسحق بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن المؤمنين إذا اعتنقا غمرتهما الرحمة، فإذا التزما لا يريدان بذلك إلّا وجه الله، ولا يريدان غرضاً من أغراض الدنيا قيل لهما: مغفوراً لكما فاستأنفا، فإذا أقبلا على المساءلة قالت الملائكة بعضها لبعض: تنحّوا عنهما فإن لهما سرّاً، وقد ستر الله عليهما.

قال إسحق: فقلت: جعلت فداك فلا يكتب عليهما لفظهما، وقد قال الله عزوجل: ﴿ما يَلفِظُ من قول إلّا لديه رقيبٌ عتيدٌ﴾[1] قال: فتنفس أبو عبدالله عليه السلام الصعداء، ثم بكىٰ حتىٰ أخضلت دموعه لحيته وقال: يا إسحق إن الله تبارك وتعالىٰ إنما أمر الملائكة أن تعتزل عن المؤمنين إذا التقيا إجلالاً لهما، وأنه وإن كانت الملائكة لا تكتب لفظهما ولا تعرف كلامهما، فإنه يعرفه ويحفظه عليهما عالم السرّ وأخفىٰ.

أقول: فانظر إلىٰ لطفه تعالىٰ لهما في حال المعانقة، وإجلاله تعالىٰ لهما ثم اعتبر ببكائه عليه السلام فإنه عليه السلام إنما بكىٰ لما علم من ظهور آثار اللطف منه تعالىٰ لهما، التي هي المشتاقة إليها لأولياء الله تعالىٰ، فحينئذ يعلم أن السبب الوثيق لهذه الألطاف الحسنة

---

١ ـ سورة ق: ١٨.

الخاصة من الله تعالىٰ هو المعانقة مع المؤمنين، مع هذه الشرائط المذكورة وكفىٰ بـه فضلاً وفوزاً وسروراً، هذا كلّه في زيارة المؤمنين أحياء وما لها من الآثار، وهناك أحاديث دلّت علىٰ استحباب زيارة المؤمن ميتاً.

في البحار[١] عن ثواب الأعمال، ابن الوليد عن الصفار عن ابن عيسىٰ رفعه عن الصادق عليه السلام قال: من لم يقدر علىٰ صلتنا فليصل صالحي موالينا، ومن لم يقدر علىٰ زيارتنا فليزر صالحي موالينا يكتب له ثواب زيارتنا. وفي كـامل الزيـارات مثله بتفاوت يسير.

وفيه: حدثني أبي ومحمد بن يعقوب وجماعة مشايخي عن محمد بن يحيىٰ، عن محمد بن أحمد بن يحيىٰ قال: كنت بفيد[٢] فمشيت مع علي بن بلال إلىٰ قبر محمد بن إسماعيل بن بزيع قال: فقال لي علي بن بـلال: قـال لي صـاحب هـذا القـبر عـن الرضا عليه السلام قال: من أتىٰ قبر أخيه المؤمن، ثم وضع يده على القبر، وقرأ إنـا أنـزلناه سبع مرّات أمن من يوم الفزع الأكبر.

أقول: قال المحدث القمي في السفينة[٣] في زور ما لفظه: وكذا يستحب زيارة كلّ من يعلم فضله وعلوّ شأنه ومرقده ورمسه من أفاضل صحابة النبي صلى الله عليه وآله كسلمان وأبي ذر والمقداد وعمار وحذيفة وجابر الأنصاري. وكذا أفاضل أصحاب كلّ من الأئمة عليهم السلام المعلوم حالهم من كتب رجال الشيعة كميثم التمار ورشيد الهجري وقنبر وحجر بن عدي، وزرارة ومحمد بن مسلم وبريد وأبي بصير والفضيل بن يسـار، وأمثالهم مع العلم بموضع قبرهم. وكذا المشـاهير مـن محـدثي الشـيعة وعـلمائهم الحـافظين لآثار الأئمة الطاهرين وعلومهم كالمفيد والشـيخ الطـوسي والسـيدين الجليلين المرتضىٰ والرضي والعلامة الحلي وغيرهم (رضـوان الله تـعالىٰ عـليهم)

---

١ ـ بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٣٥٤.

٢ ـ بلدة في نصف طريق مكة من الكوفة.

٣ ـ سفينة البحار ص ٥٦٦.

ومقابر قم مملوءة من الأفاضل والمحدثين. وتعظيمهم من تعظيم الدين، وإكرامهم من إكرام الأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين). إنتهىٰ.

أقول: ويدل علىٰ ما ذكر إطلاق قول الصادق عليه السلام في الحديث المتقدم: فليزر صالحي موالينا، كما لا يخفىٰ، هذا كله بالنسبة إلىٰ زيارة المؤمنين أحياءً وأمواتاً.

وأما الثاني: أعني فضل زيارة النبي والأئمة عليهم السلام أحياءً وأمواتاً فنقول وعليه التوكل:

في السفينة[1] في حديث عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي عليه السلام: ومن زار قبوركم عدل ذلك سبعين حجّة بعد حجة الاسلام، وخرج من ذنوبه حتىٰ يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمّه، فأبشر وبشّر أولياءَك ومحبيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر، ولكن ضالة من الناس يعيّرون زوار قبوركم كما تعير الزانية بزنائها، أولئك شرار أمتي لا أنالهم الله شفاعتي ولا يردون حوضي.

وفي كامل الزيارات[2]، حدثني علي بن الحسين، عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن عثمان بن عيسىٰ، عن المعلّىٰ بن أبي شهاب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال الحسن لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبت ما جزاء من زارك؟ قال: بني من زارني حيّاً أو ميتاً، أو زار أباك كان حقاً على الله عزوجل أن أزوره يوم القيٰمة فأخلصه من ذنوبه.

وعن الفقيه[3]، وروى الحسن بن علي الوشاء، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إن لكلّ إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإن من تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيٰمة.

---

١ ـ سفينة البحار ج١ ص٥٦٣.

٢ ـ باب ١٠.

٣ ـ ص٢٩٧.

أقول: زيارتهم عليهم السلام أمواتاً كزيارتهم أحياءً عليهم السلام فهو أمر مندوب أيضاً كما يستفاد من أحاديث الحج.

فعن الفقيه[١]، عن عمر بن أذينة عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوها ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم.

وروي فيه[٢] عن هشام بن المثنى، عن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال له: ابدأوا بمكة واختموا بنا.

هذا ولكن الميسور لنا فعلاً بحمد الله زيارة قبورهم عليهم السلام فإنها نعمة منه تعالى، فيالها من نعمة!

نسأل الله تعالى أن يرزقنا بلطفه وكرمه زيارة مولانا الحجة (روحي له الفداء وصلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين) بمحمد وآله المعصومين، وسيأتي في شرح زيارة الوداع أحاديث كثير في فضل زيارتهم عليهم السلام وثوابها.

الأمر الثاني: في بيان حقيقة زيارتهم ووظائفها

أقول: قد عرفت معنى الزيارة لغة وعرفاً، وعلمت ثوابها للمؤمنين أحياءً وأمواتاً، وثوابها وتأكيدها لهم عليهم السلام أحياءً وأمواتاً، وهناك أحاديث كثيرة دلّت على ما ذكر كما في البحار وكامل الزيارات ولكن فيما ذكرنا كفاية.

هذا ولكن لابدّ من بيان معنى زيارتهم عليهم السلام فإن لها شأناً خاصاً، لابدّ من ملاحظته حال زيارتهم عليهم السلام فنقول:

قد علمت أن حقيقة الزيارة هو الحضور عند المزور، وحينئذ فنقول: تحقق هذا

---

١ ـ ص ٢٦٩.

٢ ـ الفقيه ص ٢٩٢.

المعنىٰ من الزائر لهم إنّما هو مشكل جدّاً إلّا إذا عمل بوظائفه وهي علىٰ قسمين:

الأول: الوظائف التي تجب مراعاتها ظاهراً.

الثاني: التي تجب مراعاتها باطناً.

أما الأول: ففيه أمور:

الأمر الأول: قال الله تعالىٰ: **﴿.. فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوًى﴾**[1]، وقال تعالىٰ: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالُكم وأنتم لا تشعرون * إن الّذين يغضّون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوىٰ لهم مغفرة وأجر عظيم﴾**[2].

دلّت هذه الآيات علىٰ لزوم إكرام الروضات المقدسة، وخلع النعلين بعيداً عنها ولاسيما في الطف والغري لما روي أن الشجرة كانت في كربلاء وأن الغري قطعة من الطور، فهما المحل الذي أمر موسىٰ عليه السلام بتلك الآداب، كما دلّت هذه الآيات علىٰ لزوم خفض الصوت عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وعدم جهر الصوت لا بالزيارة ولا بغيرها إلّا بالنحو المتعارف الذي يكون مصداقاً للصوت.

ولما روي، كما عن المجلسي رحمه الله: إن حرمتهم بعد موتهم كحرمتهم في حياتهم.

وكذا عند قبور الأئمة عليهم السلام لما ورد: أن حرمتهم كحرمة النبي صلى الله عليه وآله.

فعلم أنه لابد من إزالة ما به هتك إحترامهم، ولابدّ من خفض الصوت عندهم.

الأمر الثاني: أن يكون متطّهراً من الحدث والخبث.

قال الشهيد رحمه الله في الدروس: للزيارات آداب، أحدها: الغسل قبل دخول المسجد، والكون علىٰ طهارة، فلو أحدث أعاد الغسل، قاله المفيد رحمه الله، وإتيانه

---

١ ـ سورة طه: ١٢.

٢ ـ الحجرات: ٢ و٣.

بخضوع وخشوع في ثياب طاهرة نظيفة جدد.

أقول: أما الطهارة من الخبث فما دلّ علىٰ لزوم الكون مع الطهارة والغسل كما سيجيء، دل علىٰ لزوم الطهارة من الخبث بطريق أولىٰ.

مضافاً إلىٰ ما رواه في البحار[1] عن قرب الإسناد عن أبي سعد، عن الأزدي قال: خرجنا من المدينة نريد منزل أبي عبدالله عليه السلام فلحقنا أبو بصير خارجاً من زقاق من أزقة المدينة وهو جنب، ونحن لا علم لنا حتىٰ دخلنا علىٰ أبي عبدالله عليه السلام فسلمنا عليه فرفع رأسه إلىٰ أبي بصير فقال له: يا أبا بصير أما تعلم أنه لا ينبغي للجنب أن يدخل بيوت الأنبياء، فرجع أبو بصير ودخلنا.

وفيه عن رجال الكشي بإسناده عن بكير قال: لقيت أبا بصيرالمرادي فقلت: أين تريد؟ قال: أريد مولاك، قلت: أنا أتبعك فمضىٰ معي ودخلنا عليه، وأحدّ النظر، فقال: هكذا تدخل بيوت الأنبياء وأنت جنب؟! قال: أعوذ بالله من غضب الله وغضبك، فقال: أستغفر الله ولا أعود. روىٰ ذلك أبو عبدالله البرقي عن بكير.

أقول: يمكن أن يقال: إن أحد الدواعي للغسل من الجنابة هو للدخول في المشاهد المشرفة لزيارتهم أحياءً وأمواتاً، ثم إن الطهارة من الحدث والخبث لازمة للزائر.

مضافاً إلىٰ استحباب الغسل كما علمته عن الشهيد رحمه الله ولما في البحار عن التهذيب، عن العلاء بن سيابة، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿**خذوا زينتكم عند كلّ مسجد**﴾، قال عليه السلام: الغسل عند لقاء كلّ إمام.

وفيه عن كامل الزيارات بإسناده عن معاوية بن عمار قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا أردت أن تخرج من المدينة فاغتسل ثم أئت قبر النبي صلى الله عليه وآله.

وفيه[2] عن كتاب فرحة الغري بإسناده عن يونس بن ظبيان، عن أبي

---

١ ـ بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ١٢٦.

٢ ـ بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٢٧١.

عبدالله عليه السلام قال: إذا أردت زيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام فتوضأ واغتسل وامش علىٰ هيئتك وقل، الخبر.

والأخبار الدالة عليه كثيرة في مطاوي أحاديث الزيارات، إلّا أنه وقع الكلام في وقت غسل الزيارة، وأنه لابد من اتصاله بالزيارة، أو يكفي غسل اليوم إلى الليل، وغسل الليل إلىٰ طلوع الفجر وإن نام وأحدث.

ففي البحار عن التهذيب عن عمر بن يزيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من اغتسل بعد طلوع الفجر كفاه غسله إلى الليل في كل موضع يجب فيه الغسل، ومن اغتسل ليلاً كفاه غسله إلىٰ طلوع الفجر.

قال المجلسي رحمه الله: الظاهر أن المراد بالوجوب هنا اللزوم والاستحباب المؤكّد.

وفيه عن السرائر: جميل عن حسين الخراساني عن أحدهما عليهما السلام أنه سمعه يقول: غسل يومك يجزيك لليلتك، وغسل ليلتك يجزيك ليومك.

قال رحمه الله: هذا الخبر الذي أخرجه ابن إدريس من كتاب جميل، الذي أجمعت العصابة علىٰ تصحيح ما يصح عنه، تدل علىٰ ما هو أوسع من الخبر المتقدم، وأنه إذا اغتسل في أول اليوم يجزيه إلىٰ آخر الليل وبالعكس.

الأمر الثالث: الطواف بمراقد النبي والأئمة

أنه قد اشتهر في أنه هل يجوز الطواف بمراقد النبي والأئمة عليهم السلام أم لا؟ فقيل بالثاني استناداً إلىٰ ما عن علل الشرايع كما في البحار[1] بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا تشرب وأنت قائم ولا تطف بقبر، ولا تبل في ماء نقيع فإنه من فعل ذلك فأصابه شيء فلا يلومنّ إلّا نفسه، ومن فعل شيئاً من ذلك لم يكن يفارقه إلّا ما شاء الله.

---

١ ـ بحار الأنوار ج١٠٠ ص١٢٦.

أقول: فيه ما لا يخفىٰ من المنع توضيحه: قال في المجمع: والطواف الغائط ومنه الخبر: لا يصل أحدكم وهو يدافع الطواف، ومنه الحديث: لا تبل في مستنقع ولا تطف بقبر.

فعلم أن المراد من قوله: ولا تطف بقبر، هو النهي عن التغوط.

ويؤيده ما قاله في النهاية: الطوف: الحدث من الطعام، ومنه الحديث نهىٰ عن متحدثين علىٰ طوفهما أي عند الغائط.

وهناك شواهد أُخر من الأحاديث علىٰ أن المراد منه هو التغوط، ففي حديثين وردا عن راو واحد بسياق واحد في بيان موجبات تسرّع الشيطان إلى الإنسان وهي أُمور: منها التخلي عند قبر وذكر في الآخر ولا تطف بقبر مكانه فيعطى الظن القوي بأن المراد من قوله لا تطف بقبر هو النهي عن التخلي عند قبر، وتوضيحه في محله علىٰ أنه يمكن النهي عنه بعنوان طواف البيت من حيث العدد المخصوص.

مضافاً إلىٰ إنه ورد في الزيارة الجامعة لأئمة المسلمين عليهم السلام إلّا أن نطوف حول مشاهدكم. وفي بعض الروايات: قبّل جوانب القبر.

وفي الكافي بإسناده عن محمد بن أبي العلاء قال: سمعت يحيىٰ بن أكثم قاضي سامراء بعد ما جهدت به وناظرته وحاورته، وواصلته وسألته عن علوم آل محمد صلى الله عليه وآله قال: بينا أنا ذات يوم دخلت أطوف بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله فرأيت محمد بن علي الرضا عليه السلام يطوف به فناظرته في مسائل عندي فأخرجها إليّ، الخبر.

في فهذا الخبر صريح بأنه عليه السلام كان يطوف بالقبر الشريف.

نعم الأحوط أن لا يطوف إلّا للإتيان بالأدعية والأعمال المأثورة لما حول القبر.

والحاصل: أن المشي حول القبر مطلقاً بقصد تقبيل جوانب القبر، أو ذكر الأدعية الواردة ليس طوافاً كطواف البيت، وإن أطلق عليه لفظ الطواف، بل الظاهر أن المشي حول البيت بدون قصد المأمور به ليس الطواف الشرعي الذي هو

من أعمال الحج والعمرة. نعم هو طواف لغوي كالطواف حول القبور.

فالظاهر أنه لا إشكال في الطواف بهذا المعنىٰ حول قبور الأئمة عليهم السلام.

هذا مع أنه يمكن تخصيص المنع بقبر غير المعصوم جمعاً بينه وبين ما دلّ علىٰ عمل المعصوم الطواف به كما تقدم.

الأمر الرابع: تقبيل القبور:

فالظاهر أنه مما لا خلاف فيه بين الإمامية في جوازه بل استحبابه.

ويدل عليه ما في مطاوي أحاديث الزيارات من قوله عليه السلام: قبّل جوانب القبر وغيره، وقد نقل الشهيد رحمه الله في الدروس بوجود نص على التقبيل.

نعم: هل يجوز تقبيل العتبة أم لا؟ قولان، أقواهما الأول، قال الشهيد في الدروس: ولا كراهة في تقبيل الضرائح بل هو سنة عندنا، ولو كان هناك تقيّة فتركه أولىٰ.

وأما تقبيل الأعتاب فلم نقف فيه علىٰ نص يعتد به، ولكن عليه الإمامية، ولو سجد الزائر ونوىٰ بالسجدة الشكر لله تعالىٰ علىٰ بلوغه تلك البقعة كان أولىٰ.

أقول: لم نعلم كون الهوي لتقبيل العتبة من السجدة حتىٰ يقصد بها سجدة الشكر، وإلا لكان مطلق الهوي لتقبيل زوجته النائمة سجدة، وهو كما ترىٰ بل المتراءى من العوام أن القصد من الهوى هو التعظيم له عليه السلام بتقبيل العتبة، علىٰ أن الكلام في هذا الهوى المطلق، وإلا فلا ريب في عدم جواز السجدة لغير الله تعالى حتىٰ يقال في المقام بأولوية قصد سجدة الشكر فراراً عن السجدة لغيره تعالىٰ بل هو واجب حينئذ. فتأمّل[1]

---

١ ـ وجه التأمل أنه لعل المراد من قوله رحمه الله ولو سجد الزائر الخ انه يسجد لله تعالىٰ عوض الهوى للتقبيل لا ان الهوى للتقبيل يكون سجدة مطلقاً فيكون الأولىٰ قصد سجدة الشكر فتدبّر.

وعلىٰ أيّ حال تقبيل العتبة لا إشكال فيه، ولو لم يقصد السجدة تمسكاً بمطلقات تقبيل العتبة.

نعم قد يقال: إن المنصرف من العتبة هو الخشبة الرافعة في أطراف الباب لا الملتصقة بالأرض، وفيه ما لا يخفىٰ من البعد ومنع الانصراف.

وفي المجمع: والعتبة أُسكفّة الباب والجمع عتب، وهو كما ترىٰ مطلق يشمل الخشبة الملتصقة بالأرض.

الأمر الخامس: في وقت الزيارة ومحلّها:

أما أصلها فيقتصر على الإتيان بها في المأثور في الزيارات أو الإتيان بها رجاءً.

وأما وقتها: قال الشهيد ﷺ في الدروس: ومن دخل المسجد والامام يصلي بدأ بالصلوة قبل الزيارة، وكذلك لو كان حضر وقتها وإلّا فالبدءة بالزيارة أولىٰ؛ لأنها مقصده، إلىٰ أن قال: وينبغي مع كثرة الزائرين أن يخفف السابقون إلى الضريح الزيارة وينصرفوا؛ ليحضر من بعدهم فيفوزوا من القرب إلى الضريح بما فاز أولئك.

وقال في مكان الزيارة: وثالثها من الآداب: الوقوف على الضريح ملاصقاً له أو غير ملاصق، وتوهم أن البعد أدب وهم فقد نصّ على الاتكاء على الضريح وتقبيله.

وأما محل صلوة الزيارة، قال فيه ﷺ: سادسها: صلوة ركعتين للزيارة عند الفراغ، فإن كان زائراً للنبي ﷺ ففي الروضة، وإن كان لأحد الأئمة ﵈ فعند رأسه، ولو صلاهما بمسجد المكان جاز، ورويت رخصة في صلوتهما إلى القبر ولو استدبر القبلة وصلىٰ جاز، وإن كان غير مستحسن إلّا مع البعد.

أقول: رخصة في صلوتهما إلى القبر أي بأن يجعل القبر قبلة بأن يسجد عليه،

قوله: ولو استدبر القبلة، بأن يصلي علىٰ جهة القبر مستدبر القبلة جاز في الصلوٰة المستحبة علىٰ قول ضعيف ولو مع البعد، والمشهور فعلاً عدم الجواز.

فعن الاحتجاج: كتب الحميري إلى الناحية المقدسة يسأل عن الرجل يـزور قبور الأئمة عليهم السلام هل يجوز أن يسجد على القبر أم لا؟ وهل يجوز لمن صلىٰ عند بعض قبورهم عليهم السلام أن يقوم وراء القبر ويجعل القبر قبلة، أم يقوم عند رأسه أو رجـليه؟ وهل يجوز أن يتقدم القبر ويصلي ويجعل القبر خلفه أم لا؟

فأجاب (صلوات الله عليه): أما السجود على القبر فـلا يجـوز في نـافلة ولا فريضة ولا زيارة، والذي عليه العمل أن يضع خدّه الأيمن على القبر، وأما الصلوٰة فإنها خلفه، ويجعل القبر أمامه، ولا يجوز أن يصلي بين يديه ولا عن يمينه ولا عن يساره، لأن الامام عليه السلام لا يتقدم عليه ولا يساوىٰ.

وفيه عن علل الشرائع بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قـال: قـلت له: الصلوة بين القبور؟ قال: صل بين خلالها ولا تتخذ شيئاً منها قـبلة، فـان رسـول الله صلى الله عليه وآله نهىٰ عن ذلك، وقال: لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً، فإن الله عـزوجل لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم قبلة.

أقول: لا إشكال في جعل القبر أمامه في الصلوة، وأما السجود عليه فلا، وأما التقدم أو التساوي على القبر ففتاوى العلماء مختلفة والأغلب عدم الجواز، كلّ ذلك بلا فرق بين الصلاة الواجبة أو المستحبة بأقسامها.

نعم ربما يقال بجواز الصلاة المندوبة إلى القبر بأن يجعل القبر قبلة؛ لأن يسجد عليه ولو مستدبراً للقبلة كما علمته عن الشهيد.

ولكن عمل الأصحاب فعلاً علىٰ خلافه، والله العالم بأحكامه.

بقي شيء وهو أنه لو سبق إلىٰ موضع من الأمكنة الشريفة مثل مكّة أو حرم الرسول أو الأئمة عليهم السلام أو ساير المساجد والأمكنة الشريفة فلا ريب في أنه أحقّ به من غيره، ولا يجوز إخراجه وإزالته عنه ما دام مشغولاً فيه بالعمل، وأما إذا فارقه

ورجع فهل هو أحق بمكانه أم لا؟ أقوال.

في البحار عن كامل الزيارات بإسناد يرفعه إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت: نكون بمكة أو بالمدينة أو الحيرة أو المواضع التي يرجىٰ فيها الفضل، فربما يخرج الرجل يتوضأ فيجيء آخر فيصير مكانه قال: من سبق إلىٰ موضع فهو أحق به يومه وليلته.

أقول: قال المجلسي رحمه الله: بيان ظاهر الخبر بقاء حقه وإن لم يبق فيه رحله، وحمله بعض الأصحاب علىٰ ما إذا بقي رحله فيه، فالتقييد باليوم والليلة أما مبني على الغالب من عدم بقاء الرجل في مثل ذلك المكان أزيد من هذا الزمان، أو يقال: بأن مع بقاء الرجل أيضاً لا يبقىٰ حقه أكثر من ذلك، أقول: أي فيجوز بعد هذا القدر من الزمان إخراجه وإشغال مكانه.

ثم قال: رحمه الله: قال الشهيد رحمه الله: لا خلاف في زوال ولايته مع انتقاله عنه بنية المفارقة، أما مع خروجه عنه بنية العود إليه فإن كان رحله باقياً، وهو شيء من أمتعته، وإن قلّ فهو أحق به للنص علىٰ ذلك هنا، وقيّده في الذكرىٰ بأن لا يطول زمان المفارقة وإلّا بطل حقه أيضاً، وإن لم يكن رحله باقياً، فإن كان قيامه لغير ضرورة سقط حقه مطلقاً في المشهور أي سواء كان بنية الرجوع أم لا، وإن كان قيامه لضرورة كتجديد الطهارة وإزالة نجاسة بقضاء حاجة ففي بطلان حقه وجهان، إنتهىٰ.

أقول: وهناك أمور اخر لابد من ملاحظتها، فعن الشهيد رحمه الله أنه ذكر أمورا في الدروس تقدم بعضها.

ومنها: أيضاً: استقبال وجه المزور واستدبار القبلة حال الزيارة.

أقول: هذا في زيارة الإمام عليه السلام وأما غيره فالأمر بالعكس كما ذكره المحدث القمي رحمه الله.

ومنها: الزيارات المأثورة للنهي عن الزيارات والأدعية المخترعة.

روى الكليني رحمه الله عن عبدالرحيم القصير قال: دخلت على الصادق عليه السلام فقلت: جعلت فداك قد اخترعت دعاء من نفسي، فقال عليه السلام: دعني اختراعك، إذا عرضتك حاجة فلذ برسول الله صلى الله عليه وآله وصل ركعتين واهدهما إليه، الخبر.

ومنها: الدعاء خصوصاً بعد الصلوة.

ومنها: التصدق بشيء على السدنة والحفظة للمشهد الشريف.

ومنها: تعجيل الخروج عند قضاء الوطر من الزيارة لتعظم الحرمة، ويشتد الشوق كما علمت من قوله صلى الله عليه وآله: زرني غبّاً تزود حبّاً.

ومنها: إن الخارج يمشي القهقري حتىٰ يتوارى كما روي.

ومنها: تلاوة القرآن عند المزور وإهدائه له فإن ذلك تعظيم للمزور.

ومنها: إذا دخل قدّم رجله اليمني وإذا خرج فباليسرىٰ كالمسجد.

أقول أيضاً: منها: أن يلبس ثياباً طاهرة نظيفة ويحسن أن تكون بيضاء.

ومنها: أن يقصر خطاه إذا خرج إلى الروضة المقدسة لما له من ثواب حج وعمرة لكلّ خطوة كما روي وأن يسير وعليه السكينة والوقار بحال الخشوع والخضوع مطأطأً رأسه غير ملتفت إلى الجوانب، ومع هذا يكون لشأنه مشتغلاً بالتكبير والتسبيح والتهليل والتمجيد والصلوة علىٰ محمد وآله، وأن يزور الإمام قائماً علىٰ قدميه إلّا إذا استولىٰ عليه الضعف ونحوه من الأعذار.

ومنها: التطيب بالطيب فيما عدا زيارة الحسين عليه السلام فإن زيارته له أدب خاص.

ففي كامل الزيارات بإسناده عن كرام بن عمرو قال: قال أبو عبدالله عليه السلام لكرام: إذا أردت أنت قبر الحسين عليه السلام فزره وأنت كئيب حزين شعث مغبّر فإن الحسين عليه السلام قتل وهو كئيب حزين شعث مغبّر جائع عطشان.

وهناك أحاديث أُخر فيها تذكر آداب مخصوصة في حال السفر وحال زيارته عليه السلام مذكورة في كتب الزيارات.

وأما الثاني أعني الوظائف التي تجب مراعاتها باطناً، قال الشهيد رحمه الله، في

الآداب: وثانيها: الوقوف علىٰ بابه والدعاء والاستيذان بالمأثور، فإن وجد خشوعاً ورقّة دخل وإلا فالأفضل له تحري زمان الرقّة، لأن الغرض الأهم حضور القلب ليلق الرحمة النازلة من الرب.

وقال: وتاسعها: إحضار القلب في جميع أحواله مهما استطاع، والتوبة من الذنب والاستغفار والإقلاع (أي البناء علىٰ ترك العود إلى الذنب بنية صادقة جازمة).

أقول: المستفاد من الأحاديث هو لزوم تحصيل حضور القلب في الزيارة خصوصاً عند الاستيذان وقبل الزيارة وهي بأمور: منها التفكر في عظمة صاحب القبر، وأنه يرىٰ مقامه ويسمع كلامه ويرد سلامه، والتدبر في لطفهم وحبهم لشيعتهم وزائريهم، والتأمل في فساد حاله وجفائه لهم عليهم السلام بالتقصير عن أداء حقوقهم وحقوق شيعتهم، والعمل بوظائفه بالنسبة إلىٰ دينه وشرعه، وأن يتمثل نفسه بحالات توجب له البكاء والرقة والحنين.

والحاصل: أن هذا كله للاستعطاف، وأن يصير مورداً للألطاف الخاصة منه عليه السلام وأن يتفكر في مقام المزور، وأنه في جوار الرب تعالىٰ فكيف له زيارته.

فعن التهذيب بإسناده عن عطية الأبراري قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لا تمكث جثّة نبي ولا وصي نبي في الأرض أكثر من أربعين يوماً.

وعن كامل الزيارات بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما من نبي ولا وصي نبي يبقىٰ في الأرض أكثر من ثلاثة أيّام حتىٰ يرفع روحه وعظمه ولحمه إلى السماء، فإنما تؤتىٰ مواضع آثارهم، لأنهم يبلغون من بعيد السلام ويسمعونهم في مواضعهم آثارهم من قريب.

وفيه بإسناده عن عبدالله بن بكير قال: حججت مع أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل، فقلت: يابن رسول الله لو نبش قبر الحسين بن علي عليهما السلام هل كان يصاب في قبره شيء؟ فقال: يابن بكير ما أعظم مسائلك! إن الحسين عليه السلام مع أبيه وأمّه وأخيه

في منزل رسول الله ﷺ ومعه يرزقون ويحبرون، الحديث.

أقول: هذه الأحاديث دلّت علىٰ كونهم في العرش عند الله تعالىٰ بأرواحهم وأجسادهم المثالية دون الجسمانية، وبه يجمع بين هذه وما دل علىٰ بقاء أبدانهم في الأرض بل وجدوها فيها.

ولها تأويل آخر ذكره العلماء ولست من أهل ذلك حتىٰ أذكر لها وجهاً، والله ورسوله العالم بما قالوا.

وكيف كان يستفاد من هذه الأحاديث علوّ مقامهم بعد وفاتهم عليهم السلام فالفكرة فيه يعطي خضوعاً وخشوعاً للزائر كما لا يخفىٰ.

ولكن المهمّ هو بيان كيفية الحضور القلبي بالنسبة إليهم؛ لتحقق معنى الزيارة حيث علمت أنها الحضور عند المزور، وهذا أمر مشكل جدّاً بيانه.. إنه وإن كانت الآيات والأحاديث كما سيجيء إن شاء الله دلّت علىٰ أنهم عليهم السلام لهم الإحاطة بالجميع والحضور مع الجميع بحيث لا يخفىٰ عليهم شيء من السماء والأرض وما فيهما كما ستأتي الاشارة إليه مفصلاً.

وهذا والإيمان به يكفي في صحة إلقاء السلام إليهم عليهم السلام بنحو الخطاب كما لا يخفىٰ، إلّا أنه ليس بالخطاب الجامع الكامل الموجب لحضور الزائر عند المزور إلّا بضرب من التأويل، كيف وهو بعيد عنهم روحاً لكونه محجوباً بحجب الظلمة، وحينئذ فإلقاء السلام بنحو الخطاب الكامل يحتاج إلى المشاهدة القلبيّة للزائر بالنسبة إلى المزور، وحيث إن المزور هو النبي أو الإمام عليهما السلام وهما في مقام العلو والرفعة فلابد من ملاحظة أمور تحصل به المشاهدة القلبيّة لصحة توجيه الكلام والسلام بنحو الخطاب إليهم، ولذا ورد في مقدمة هذه الزيارة كما علمت أعمالاً تشير إلىٰ تحصيل هذه المشاهدة القلبية، فنقول في توضيحه وعليه التوكل:

في تفسير البرهان في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿سبحان الذي أسرىٰ بعبده﴾ علي بن إبراهيم،عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل إلىٰ أن قال عليه السلام: فقال جبريل يا محمد

تعظم ما ترىٰ إنما هذا خلق من خلق ربّك فكيف بالخالق خلق ما ترىٰ وما لا ترىٰ أعظم هذا من خلق ربك، إن بين الله وبين خلقه تسعين ألف حجاب، وأقرب الخلق إلى الله أنا وإسرافيل وبيننا وبينه أربعة حجب، حجاب من نور، وحجاب من ظلمة، وحجاب من غمام، وحجاب من الماء، الحديث.

وهناك أحاديث أُخر دلّت علىٰ أنه بين الله وبين خلقه تسعين ألف حجاب من ظلمة.

وفي الوافي[1]، عن السيد الداماد (رضوان الله عليه) وفي الحديث: إن لله سبعاً وسبعين ألف حجاب من نور، لو كشف عن وجهه لأحرقت سبحات وجه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه، الخ.

وحينئذ نقول: هذه الحجب عبارة عن الخلق بأقسامهم من أرواح النبيين والأئمة والملائكة، فهي تختلف قرباً وبعداً ونوراً وظلمة، فإن الخلق هو بنفسه حجاب.

ففي توحيد الصدوق بإسناده عن أبي إبراهيم موسىٰ بن جعفر عليه السلام أنه قال: إن الله تبارك وتعالىٰ لم يزل بلا زمان ولا مكان وهو الآن كما كان لا يخلو منه مكان ولا يشغل به مكان ولا يحل في مكان ﴿**ما يكون من نجوىٰ ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنىٰ من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أين ما كانوا**﴾[2] ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه، احتجب بغير حجاب محجوب واستتر بغير ستر مستور لا إله إلّا هو الكبير المتعال.

فعلم من هذا الحديث أن الخلق مطلقاً هو الحجاب بينه وبين الله تعالىٰ، وعلم من المجموع أن جميع الحجب هو الحجب الخلقية.

وأما الخالق فلا حجاب له بل الحجب النورية بما لها من المعنىٰ الذي سيجيء

---

١ ـ الوافي ج ١ ص٨٩.
٢ ـ المجادلة : ٧.

بيانه، وكذلك الحجب الظلمانية هي التي تكون حجاباً، ولا ريب في أن الخلق هو حدود محضة مظاهر له تعالىٰ.

وقد علمت في الفصل الأول في معنىٰ كون الهداية من الله تعالىٰ، وأنها ممكنة بالنسبة إلىٰ أيّ أحد.. إن الإعراض عن الحدود هو الموجب لظهور الحقيقة، ففي ظرف المحو عن الحدود يصحو الحق كما حقق في محله، ولعله سيجيء في مطاوي الشرح بيانه إن شاء الله تعالىٰ.

فتحصل أن الإنسان وإن كان محجوباً بتلك الحجب الكثيرة إلّا أنه في ظرف الاعراض عن الحدود والجهات الخلقية يكشف له الحق، وهذا الاعراض له موجبات:

منها: التوجه التام إليه تعالىٰ بتوضيح يأتي في محله.

ومنها: بالتوجه إليه تعالىٰ في ضمن التوجه إلىٰ كبريائيته التي يشار إليها بقول الله أكبر، ضرورة إن إمرار معنىٰ الكبريائية على القلب، بحيث يشمل شراشر الوجود ظاهراً وباطناً، يوجب الانقطاع إليه تعالىٰ خصوصاً لأهل المعرفة، حيث إن هذا التحصيل يكون بالنسبة إليهم أسهل من غيرهم.

إذا علمت هذا (أعني محجوبية الزائر) فاجعله في ذكرك وحينئذ نقول: إنّ النبي والأئمة عليهم السلام بما هم الولاية الكبرى الإلهية التي علمت أن حقيقتها القرب المعنوي بالنسبة إليه تعالىٰ، فحينئذ يكون الامام بروحه المولوي أقرب الخلائق إليه تعالىٰ فهو دائماً في مقام القرب والمكاشفة والمعاينة وهذا ثابت لهم بالآيات والأخبار الكثيرة.

أما الآيات، فمنها قوله تعالىٰ: **﴿إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويُسبحونه وله يسجدون﴾**[1]

في تفسير نور الثقلين، وفي تفسير علي بن إبراهيم: إن الذين

---

١ ـ الأعراف: ٢٠٦.

عند ربك يعني الأنبياء والرسل والائمة عليهم السلام لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وله من في السموات والأرض ومَن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾[٢].

روى المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام حين ذكر بعض ما خصهم الله تعالىٰ، قال له المفضل: هل بذلك شاهد من كتاب الله تعالىٰ؟ قال: نعم يا مفضل قوله تعالىٰ: ﴿وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يُسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ إلىٰ قوله: ﴿ولا يشفعون إلّا لمن ارتضىٰ وهم من خشيته مشفقون﴾ ويحك يا مفضل أتعلمون أن من في السموات هم الملائكة ومن في الأرض هم الجن والبشر وكلّ ذي حركة، فمن الذين قال: ومن عنده، قد خرجوا من جملة الملائكة والبشر وكل ذي حركة، فنحن الذين كنا عنده ولا كون قبلنا ولا حدوث سماء ولا أرض ولا ملك ولا نبي ولا رسول. الحديث.

فعن الكافي[٣]، بإسناده عن المفضل بن عمر قال: سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخىٰ عليه ستره فقال: يا مفضل إن الله تبارك وتعالىٰ جعل في النبي صلى الله عليه وآله خمسة أرواح، روح الحيٰوة فيه دبّ ودرج، وروح القوة فيه نهض وجاهد، وروح الشهوة فيه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الايمان فيه امن وعدل، وروح القدس فيه حمل النبوة، فإذا قبض النبي انتقل روح القدس فصار إلى الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو، والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتلهو وتزهو، وروح القدس كان يرىٰ به.

وفيه[٤] بإسناده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ﴿يسألونك عن

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج٢ ص١١٦.

٢ ـ الأنبياء: ١٩.

٣ ـ الكافي ج١ ص٢٧٦.

٤ ـ أصول الكافي ج١ ص٢٧٣.

الروح قل الروح من أمر ربّي﴾[1] قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل لم يكن مع أحد ممن مضىٰ غير محمد ﷺ وهو مع الأئمة يسدّدهم وليس كلّ ما طلب وجد أي من غيرهم عليهم السلام.

وفيه[2] بإسناده عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾[3] قال: خلق من خلق الله أعظم من جبرئيل كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده.

أقول: دلت هذه الأخبار علىٰ أن الروح التي أوحي إليه ﷺ خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل وهو غيرهما وفوقهما وهو مع الأئمة عليهم السلام فبه يرى الإمام من دون العرش إلىٰ ما تحت الثرىٰ، وسيجيء تحقيقه في شرح قوله عليه السلام: «وإلىٰ جدكم بعث الروح الأمين» بما يوضح المقصود ويتضح به المقام.

وفي بصائر الدرجات: إن هذا الروح هو عمود من نور طرف منه متصل به تبارك وتعالىٰ والطرف الآخر متصل بالنبي ﷺ.

ففيه بإسناده عن إسحق الحريري قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فسمعته وهو يقول: إن لله عموداً من نور حجبه الله عن جميع الخلائق، طرفه عند الله وطرفه الآخر في أُذن الامام ونظيره كثير، وهذا النور هو الروح الذي أوحى إليه ﷺ وهو مع الأئمة عليهم السلام.

وفيه بإسناده عن جعيد الهمداني قال: سألت علي بن الحسين عليه السلام ثم بأي حكم تحكمون ؟ قال: نحكم بحكم آل داود فإن عيينا شيئاً تلقّانا به روح القدس.

وفيه بإسناده عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إن الله خلق الأنبياء والأئمة

---

١ ـ الإسراء : ٨٥.

٢ ـ أصول الكافي ج ٢ ص ٢٧٢.

٣ ـ الشورىٰ : ٥٢.

علىٰ خمسة أرواح، روح القوة وروح الإيمان وروح الحيوة وروح الشهـوة وروح القدس، فروح القدس من الله وساير هذه الأرواح يصيبها الحدثان، فروح القدس لا يلهو ولا يتغير ولا يلعب، وبروح القدس علموا يا جابر ما دون العرش إلىٰ ما تحت الثرىٰ.

فمن هذه الآيات والأحاديث علم أن روح الإمام وحقيقته القدسية التي هـي الروح القدس يكون متصلاً بالله تعالىٰ.

كيف لا وقد علمت فيما سبق أن روح المؤمن لأشد إتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها؟ فهم عليهم السلام دائماً مقيمون عند الله، مستفيضون من جنابه الأقدس بحيث لا يشاركهم فيه أحد.

وقد علمت أن أرواحهم بل وأجسادهم بعد موتهم مع النبي صلى الله عليه وآله في العرش، وعن يمين العرش كما عن كامل الزيارات فهم في المحل الأعلىٰ أحياءً وأمواتاً، ولذا كانوا يحدثون عنه تعالىٰ بلا واسطة كما في الأحاديث القدسية.

ففي الوافي في باب ما جاء في أبي جعفر محمد بن عـلي عليه السلام بـإسناده عـن أبي عبدالله عليه السلام إلىٰ أن قال: فكان محمد بن علي عليه السلام يأتيه (أي الجابر) علىٰ وجه الكرامة لصحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله قال: فجلس يحدثهم عن الله تبارك وتـعالىٰ، فـقال أهـل المدينة: ما رأينا أحداً أجرأ من هذا، فلما رأىٰ ما يقولون حدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال أهل المدينة: ما رأينا أحداً أكذب من هذا يحدثنا عمن لم يره، فـلما رأىٰ مـا يقولون حدثهم عن جابر بن عبدالله فصدقوه، وكان جابر بن عبدالله يأتيه ويتعلم منه.

ومثله الأحاديث القدسية التي وردت عن الأئمة عليهم السلام فإنهم يذكرون عـن الله تعالىٰ وهي كثيرة جدّاً.

ففي الجواهر السنية في الأحاديث القدسية تأليف الشيخ الحر العاملي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله: وعزتي وجلالي وعظمتي وبهائي وعـلوّ ارتـفاع

مكاني، لا يؤثر عبد مؤمن هواي علىٰ هواه في شيء من أمر الدنيا إلّا جعلت غناه في نفسه وهمّه في آخرته، وضمّنت السموات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر.

فظهر من هذا أنهم عليهم السلام عند الله تعالىٰ، إذا علمت هذا فاعلم أن الزيارة الحقيقية هي ما كانت عن حضور حقيقي، وأنهم في مقام شامخ عند الله تعالىٰ، والزائر كما هو الأغلب في مقام سجن النفس والطبيعة كما علمت فكيف له الحضور الحقيقي لكي يخاطبهم؟

فإن كان من الأئمة والأنبياء فروحه من سنخ روحهم، فله التمكن من الخطاب. وإن كان من غيرهم وكان من العارفين، فهو أيضاً له التمكن من ذلك علىٰ قدر تهذيب نفسه ومعرفته. وإن كان من غيرهم فلابد من عمل به يحصل الحضور؛ لكي يصح الخطاب الحقيقي ولو في الجملة، ولذا وردت أمور لابد من نقلها؛ لكي يخرج الزائر بها من حجب الظلمانية والنورانية التي علمتها، ثم يخاطبهم بنحو كأنه يشاهدهم.

وحاصل تلك الأعمال: أنه لا ريب في أن للإنسان مرتبتين «الظاهرية والباطنية» فلابدّ من تطهيرها لتحقق القابلية لدرك الحضور.

أما الظاهرية فبالغسل ولبس الثياب النظيفة، وساير الأعمال التي تقدمت الإشارة إليها من الاشتغال بالذكر مثلاً ونحوه.

وأما الباطنية فتطهيرها إنما هو بتحصيل حقيقة العبودية في مقام تمام مراتبها بتسليم ما له إلىٰ مولاه، وإزالته كل صفة رذيلة، ورفعه كل حجب نورية أو ظلمانية، وهذا إنما يحصل بالدخول تحت ولاية الله وولاية رسوله والأئمة عليهم السلام بالمشاهدة القلبية؛ ولذا قال عليه السلام: إذا صرت بالباب فقف وأشهد الشهادتين وأنت علىٰ غسل، فبهذين الشهادتين اللتين حاصلهما مشاهدة وحدانيته تعالىٰ ورسالة نبيه وولاية الأئمة عليهم السلام بما لها من المعنى المتقدم.

ثم تستشعر بقلبك أنك واقف علىٰ حظيرة القدس، ومهوى الأفئدة من الملائكة والجن والإنس، ومأوى الذين لهم الملك العظيم حيث أوجب الله تعالىٰ على الخلق أجمع إطاعتهم. وتجعل نفسك في مقام الخضوع والخشوع والأدب حيث إنك حينئذ صرت في محل الملائكة قلباً، وفي عالم الأنوار أي أنوار الأدب محمد وآله الطاهرين، وناظراً إلىٰ ما نظروا إليه من عظمة الجلال والجبروت للحيّ الذي لا يموت، ولمظاهره العالية بالقدس والطهارة الإلهية، أعني حقيقة أرواحهم عليهم السلام وولايتهم، فبتجلي أنوارهم تشاهد عظمتهم.

وحينئذ ترىٰ ذلة نفسك وتقصيرك في حقّ معبودك ومواليك، فتحصل لك حالة الاستغفار والتوبة والذلة والإنابة فتسترحمهم وتستعطفهم لتنال بذلك منهم القدح الأدنىٰ، وتشرب من حبّهم الكأس المعين من عين سلسبيل.

وحصول هذه المراتب ورفع هذه الحجب إنما هو كما علمت بأمور:

منها: الاستغفار المذكور.

ومنها: التكبير حيث علمت أن إمرار حقيقة التكبير، يوجب رفع الحجب، التي هي حجب الغفلة كما لا يخفىٰ، قال عليه السلام: فإذا دخلت ورأيت القبر فقف وقل: الله أكبر ثلاثين مرة.

وإنما أمر عليه السلام بالتوقف لتأخذ أهبّتك واستعدادك، كما أن الملائكة وقفت في مثل هذه الأماكن المعنوية لهذه الجهة وتحصيل الاستعداد هو التفكر فيما ذكر قبلاً؛ لكي تتهيأ لملاقاتهم، قال عليه السلام: ثم امش قليلاً وعليك السكينة والوقار وقارب بين خطاك (لما تقدم وجهه) ثم قف وكبر الله ثلاثين مرة.

وإنما أمر عليه السلام بالوقوف ثانياً؛ لأنه بعدما حصل بتلك التكبيرات الأولى قرب معنوي، فلا محالة يشاهد من أنوارهم ما يبهر العقول ويحار فيه اللب فتحصل منه الدهشة والقلق.

فلابد من الوقوف أيضاً؛ لتحصيل الهدوء والسكينة والاستعداد لما يلقاه بعد

ذلك.

وبعبارة أُخرىٰ: انه كما إذا أراد أحد الدخول علىٰ ملك عظيم المنزلة ذي بأس وبطشة فلا محالة يدخل وفي قلبه منه هيبة عظيمة، فيمشي قليلاً فيهيج في قلبه الخوف والهيبة منه فيقف ليتهيأ لحال إمكان الوصول إليه، فالأمر بالوقوف بعد ثلاثين تكبيرة لهذه الجهات كما لا يخفىٰ، والله العالم بمراد أوليائه عليهم السلام.

قال عليه السلام: «ثم ادن من القبر وكبّر الله أربعين تكبيرة» تمام مائة تكبيرة التي بها يحصل رفع الحجب مطلقاً، وتحصل القابلية للمشاهدة والحضور القلبي، فحينئذ يمكنه توجيه الخطاب إليهم.

نعم علىٰ قدر دركه عظمتهم ومشاهدته أنوارهم، ومعرفته بحقائقهم النورية، التي ظهرت له في تلك الحال وهو حال الوصول إلىٰ مقام العظمة الكبريائية بحيث تأثرت الكبرياء إلىٰ شراشر وجوده حتىٰ إلىٰ بدنه، وبه يحصل اجتماع المقبول والقابل وذلك مقام الاتصال وهو أخص أحوال الزائر لهم.

ولعمري إنها أحسن حال للعبد حيث يرىٰ نفسه في محضر محبوبه، وعند ساداته ومواليه فيلتذ بما لا يمكن بيانه، ويرىٰ ما لا يدرك غوره ويستضيء من نورهم ما لا يستقصىٰ توصيفه.

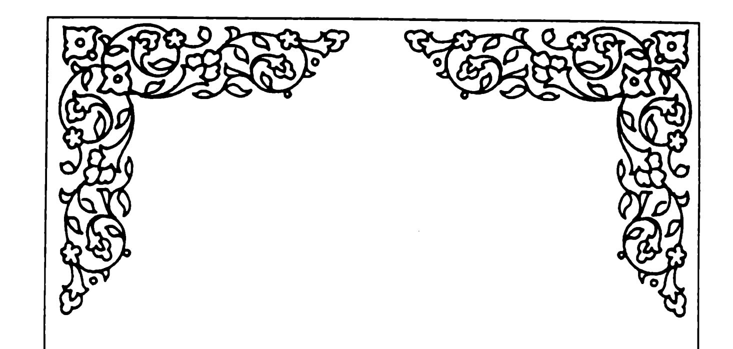
ولقد ذكرت هذه الحالات لبعضهم حين تشرفه للزيارة بنحو يبهر العقول، ويشتاق إليها ذو اللب وأهل المعرفة والميل إلى الوصلة والوصول فهنيئاً لهم بما منحهم الله تعالىٰ.

ولعمري هذا مقام لا مطمع لأحد في سواه، ولا مقام أرفع منه في معناه، رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

قال عليه السلام: ثم قل: «السلام عليكم». أقول: قد يقال: التعبير بثم الذي هو للتراخي، مع أنه حينئذ في مقام القرب والوصول غير مناسب له، فالتراخي بينه وبين السلام لا وجه له، ولكن يدفعه أن كلمة ثم هذه كأخواتها المتكررة من قبل إنما

هي لبيان التراخي بين المراتب الحاصلة له من القرب المعنوي.

ضرورة أن قول السلام عليكم لابد من أن يكون في مقام التوجه التام إليهم عليهم السلام وهذا يختلف مع ملاحظة آثار الربوبية والولاية لهم عليهم السلام، التي هي فوق كلّ مقام معنوي كان قبله، وذلك لأن طور التكبير والحال الحاصل به غير طور التسليم ومقتضى المغايرة المهلة المبيّنة بثم.



شرح متن الزيارة

مرَّ الكلام في بيان ما يلزم لزائريهم. وأما الكلام في شرح متن الزيارة التي هي بيان شؤون الولاية فنقول:

قوله عليه السلام: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة.

أقول: الكلام في شرح هذه الجملة يقع في أمور أربعة.

الأول: في معنى السلام.

الثاني: في معنى الأهل وما يرادفه من الآل.

الثالث: في المعاني التي يمكن أن تراد من المخاطب الملقىٰ إليه الخطاب.

الرابع: في معاني بيت النبوة، فنقول:

أما الأول: السلام، معناه السلامة من الآفات أي خلّو السالم مما يوجب نقصه أو عدم كماله أو زواله أو مقرونيّته ببعض المضار المانعة عن السلامة، وعلىٰ أي حال هو اسم عام وضع لهذا المعنى العام وهو إما يستعمل بما هو ثلاثي أو مزيد فيه وكلاهما إما بمعنى الاسمية أو المصدرية أو المشتقات من المصدر، ففي جميع هذه الموارد قد استعملت فيه السلامة بما لها من المعنى العام.

غاية الأمر أن السلامة من الآفات في كل مورد يراد منها ما يناسب ذلك المورد، فموارد الاستعمال مطلقاً مصاديق لهذا المعنى العام وهو (أي السلام) بما له من معنى السلامة العامة يستعمل في هذه المصاديق المختلفة بنحو الحقيقة.

ونحن نذكر بعض مواردها ثم بيان المراد من قوله السلام عليكم في الزيارة.

فنقول أولاً: ان تحقق معنى السلام أي السلامة من كلّ آفة إما ذاتي في مصداقه وإما عرضي كسبي أو موهبتي.

فالأول: هو الله تعالىٰ، فإطلاق السلام عليه تعالىٰ كما أطلق هو تعالىٰ علىٰ نفسه بلحاظ تحقق السلامة فيه ذاتاً لا عرضاً، بل هو المعطي لغيره السلامة كما لا يخفىٰ.

والثاني: جميع موارد مصاديق السلام المستعمل في غيره تعالىٰ فإنها إنما يتحقق فيه معنى السلام مع اختلاف مواردها؛ لكونها تحققت فيها السلامة المخصوص بها علىٰ ما أعطاه الله تعالىٰ، وذلك لأن لازم كون السلامة له تعالىٰ ذاتاً ولغيره عرضاً، هو أن المعطى منها في غيره إنما هو بإعطائه تعالىٰ. فأول مصداق حقيقي للسلام بما له من معنى السلامة الكلية الذاتية الأزلية والأبدية بجميع جهات السلامة هو ذاته المقدس المبرئ من كلّ عيب ونقص، فالسلام اسم له تعالىٰ بهذا المعنىٰ.

ففي توحيد الصدوق قال ﷺ: (السلام) السلام معناه المسلّم وهو توسع؛ لأن السلام مصدر، والمراد به أن السلامة تنال من قبله، والسلام والسلامة مثل الرضاع والرضاعة واللذاذ واللذاذة، ومعنىٰ ثان أنه يوصف بهذه الصفة لسلامته مما يلحق الخلق من العيب والنقص والزوال والانتقال والفناء والموت.. الخ.

أقول: سمىٰ نفسه سلاماً بصيغة المبالغة؛ لتحقق معنى السلامة بكمالها وحقائقها كما علمت فيه تعالىٰ.

وقوله: وهو توسع، فيه نظر لما علمت من أنه يستعمل في جميع معانيه حقيقة لا مجازاً.

وإذا علمت ما قلناه تعلم كيفية موارد إستعمال السلام في موارد معانيه اللغوية.

فمنها: اتّصاف القول بالسلامة وهو قوله: **﴿إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾** فالقول السالم الذي يقولونه عند مخاطبة الجاهل هو ما ليس فيه تعدّ ولا تأثم، ومثله: إلا قيلاً سلاماً سلاماً، وقوله: سلام لك من أصحاب اليمين.

ومنها: اتّصاف الدار بها كقوله تعالىٰ: **﴿لهم دار السلام﴾** أو سميت الجنة دار السلامٰ، ومنه قوله في الدعاء: لبيك داعياً إلىٰ دار السلام؛ لأن سكانها سالمون من كلّ آفة؛ لسلامة الدار وخلوها من الآفات خصوصاً داره تعالىٰ عزوجل، التي هي أخصّ من الجنة كما حقق في محلّه.

ومنها: اتصاف الطريق بها كقوله: سبل السلام، يعني طريقاً اتصفت بالسلامة من العذاب.

وهكذا في جميع موارد استعمال السلام، ومنه: السلام عليكم عند الورود علىٰ أحد، أي أنتم في سلامة منّا لم تصل إليكم آفة منّا توجب نقص السلاَمة، وحيث إن السلامة تلازم الحفظ في بعض الموارد.

فلذا قيل: معنى السلام عليكم أي الحافظ عليكم.

وحيث إن أتم مصداق الحافظ هو الله تعالىٰ فيقال: الله الحافظ عليكم في معنىٰ السلام عليكم.

وكيف كان فالسلام بما هو مشتمل على السلامة فيكون تحية للمسلم عليه.

ولذا جعل مصداقاً للتحية في آيات عديدة كقوله تعالىٰ: **﴿تحيتهم فيها سلام﴾**[1] في آيتين، وقوله تعالىٰ: **﴿وإذا حييتم بتحية فحيّوا بأحسن منها﴾**[2] وفسّر بالسلام وجوابه كما في الأخبار.

وقد يقال: بأن السلام مصدر سلّم بتشديد العين، فهو حينئذ بمعنى التسليم

---

١ ـ إبراهيم: ٢٣.

٢ ـ النساء: ٨٦.

للمسلم عليه، فقولك: السلام عليك بهذا المعنىٰ أي سلمت نفسي بما لها السلامة وعليه فقولك: السلام عليكم، أي السلامة من جميع الآفات التي هي منه تعالىٰ عليكم، والمعنيان محتملان في الزيارة.

أما **الأول**: أي يسلم الزائر نفسه وماله ومطلق ما يتعلق به من بدو وجوده إلىٰ الأبد إلى الإمام عليه السلام بحيث لا يرغب بشيء مما يتعلق بعالم وجود هذا الزائر عن الإمام عليه السلام بل وطّن نفسه بإفنائها في إرادته عليه السلام ووقفها عليه عليه السلام فيكون هذا إقراراً منه بالرقيّة لهم في الطاعة بل والمملوكية ـ كما سيجيء ـ من أعلىٰ مراتب الرقية إلىٰ أدناها؛ لأن الإمام عليه السلام هو الذي يستأهل لاسترقاقه وولايته عليه دون غيره، وذلك لما أعطاهم الله الولاية والملك وسياسة الخلق كما سيجيء في الشرح إن شاء الله تعالىٰ.

وأيضاً يسلم أي يؤدي الأمانة التي عرضها الله تعالىٰ عليه، وقبلها من أمر الولاية لهم عليهم السلام ويعمل علىٰ طبقها، وحينئذ لا يكون قوله: السلام عليكم، دعاء بل إخباراً بتسليمه لهم بنحو ما ذكر، هذا إذا أُريد من السلام السلام من نفسه عليهم عليهم السلام.

وأما إذا أُريد منه السلام منه تعالىٰ عليهم بهذا المعنىٰ، فمعناه أن التسليم الكلي منه تعالىٰ إلىٰ خلقه إنما هو عليكم لا علىٰ غيركم؛ لأنه تعالىٰ بعدما خلقهم في عالم الأنوار كما سيجيء في قوله عليه السلام: «خلقكم الله أنواراً» سلم إليهم أمر جميع العوالم وفوض لهم أمر دينه بعدما أدّبهم بأحسن تأديب الرب لمربوبه؛ ولذا أخذ الله تعالى ميثاق نبوة النبي صلى الله عليه وآله وولاية الأئمة عليهم السلام من تمام ذوي الأرواح وغيرهم.

فالله تعالىٰ أوكل أمور مملكته وسياسة رعيته وخلقه إليهم عليهم السلام في كلّ جزئي وكلي كما علمته في معنى الولاية التكوينية، وسيجيء توضيحها مفصلاً في محاله إن شاء الله.

ولذا كانت طاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصيته، وحبهم حب الله، وليس

هذا إلّا لمكانتهم عنده، وأنهم المفوض إليهم أمر التشريع والتكوين بالمعنى الصحيح للتفويض كما سيجيء وتقدمت الاشارة إليه.

وأما الثاني: وهو كونه مصدراً لسلم (بالتخفيف) فمعناه الدعاء، أي أن السلامة التي هي معنىٰ اسم الله تعالىٰ أعني السلام عليكم، وحاصله أنه تعالىٰ يمنحكم السلامة منه بالمعنى الكامل من كلّ آفة فيما أنعم به عليكم من العلوم والاسم الاكبر والطهارة من كلّ رجس، والعصمة في جميع أعمالكم وأسراركم وأقوالكم وأحوالكم والزلفىٰ، ويحفظهم من كلّ ما يكره.

وهنا معنىٰ آخر لقولك: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة.

وحاصله: أن السلامة التي علمتها حيث إنها منه تعالىٰ حقيقة، فللزائر أن يسلم عليهم أي يطلب منه تعالىٰ تلك السلامة لهم وهو في محله.

وأما إذا أُريد منه السلام من الزائر فكيف يكون سلام منه إليهم بمعنى السلامة مع أنه فاقدها ذاتاً، وما عنده منها فإنما هي من عنده تعالىٰ فحينئذ ما معنىٰ قوله السلام عليكم أي السلامة مني عليكم؟

وحاصل هذا المعنىٰ أنه روي في الكافي، والحسن بن سليمان الحلّي في المحكي عنه في كتابه مختصر بصائر سعد بن عبدالله الأشعري، عن محمد بن يعقوب عن (كا) بعض أصحابه رفعه عن محمد بن سنان، عن داود بن كثير الرقي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما معنى السلام على الله[1] وعلىٰ رسوله؟ فقال: إن الله لما خلق نبيه ووصيه وابنيه وابنته وجميع الأئمة عليهم السلام وخلق شيعتهم، أخذ عليهم الميثاق، وأن يصبروا ويصابروا وأن يتقوا الله، ووعدهم أن يسلم لهم الأرض المباركة والحرم الآمن، وأن ينزل لهم البيت المعمور، ويظهر لهم السقف المرفوع، ويريحهم (وينجيهم نخ) من عدوهم. والأرض التي يبدّلها من السلام، ويسلم ما فيها لهم لا شبهة (لاشية) فيها، قال: لا خصومة فيها لعدوهم، وأن يكون لهم فيها ما يحبون، وأخذ

---

١ ـ ليس في الكافي على الله بل هو منقول عن البصائر.

رسول الله ﷺ علىٰ جميع الأئمة وشيعتهم الميثاق بذلك، وإنما هو عليه السلام تذكرة نفس الميثاق وتجديد له على الله تعالىٰ لعلّه أن يعجله ويعجل السلام لكم بجميع ما فيه. إنتهىٰ.

أقول: قوله عليه السلام: والأرض التي يبدلها من السلام، أي من الله تعالىٰ.

وقال المحقق الكاشاني (رضوان الله عليه): لعلّ المراد بالأرض المباركة أرض عالم الملكوت، فإن البيت المعمور والسقف المرفوع هنالك، وأُشير به إلىٰ رجعتهم عليهم السلام التي ثبت عنهم عليهم السلام وقوعها.. الخ.

هذا وقد علمت أن السلام هو التحية، ومعناه السلامة عن الآفات والمحن والفتن، والعقوبة الدنيوية والأُخروية إلىٰ غير ذلك.

وعلمت أن إبلاغ هذا من الزائر إليهم لعلّه نحو من سوء الأدب، ولعلّه كان هذا المعنىٰ في ذهن السائل فيسأل عنه عليه السلام: هل للسلام معنىٰ آخر إذا سلم على الله وعلىٰ رسوله؟ فأجابه عليه السلام بأن له معنى آخر يناسب المقام.

وحاصله: أنه تعالىٰ لما خلق نبيه ووصيّه وابنيه وابنته وجميع الأئمة عليهم السلام وشيعتهم، أخذ علىٰ شيعتهم أو على الجميع الميثاق والعهد بالربوبية والنبوة والولاية والصبر والمصابرة والمرابطة والتقوىٰ، ووعدهم أن يسلم لهم الأرض المباركة وهي هذه الأرض مطلقاً. وإنما سميت مباركة؛ لكونها منازل الأنبياء والأوصياء والأولياء والصلحاء، ومعبدهم ومحل اشتياقهم، أو خصوص بيت المقدس أو الكوفة أو الجميع، وأن يسلم لهم الحرم الآمن وهو حرم مكّة أو مدينة أو كلاهما، وأن ينزل لهم البيت المعمور فهو إما كناية عن بيت الشرف والمجد، أو البيت الذي في السماء حيال الكعبة في عصر الحجة وزمان الرجعة.

ومعنىٰ إنزاله لهم هو ظهور ما فيه من الملائكة وحقائق العبودية ومظاهر القدرة لهم، وأن ينزل لهم السقف المرفوع وهو كناية عن التحفظ لهم عما يكرهونه؛ وذلك لأن السقف يراد منه الحفظ.

وحيث إنه في زمان دولة الباطل يكون الحفظ مرتفعاً عنهم، فأوعدهم الله تعالىٰ بأن ينزل السقف المرفوع أي يمنحهم الحفظ في الدنيا، أو المراد منه عيسىٰ عليه السلام؛ لكونه عالماً مرفوع المنزلة، أو مرفوعاً من الأرض إلىٰ السماء كذا قيل وهو كما ترىٰ.

أو هو كناية عن إرسال عزاليها وإنزال أمطارها الموجب للخصب والرخاء وسعة العيش.

ووعدهم أن يريحهم من عدوهم بقهر المهدي وإهلاكه عليه السلام إيّاهم، ووعد لهم الأرض التي يبدلها من دار السلام وهي الجنة أي يجعل الأرض الدنيوية كالجنة من حيث وفور النعم الظاهرية والباطنية، كما مر كثير من الآيات القرآنية المبيّنة للجنة ونعيمها بزمان المهدي عليه السلام حيث تصير الدنيا حينئذ كالجنة، ووعدهم بأن يسلم لهم ما فيها، لا خصومة فيها لعدوهم؛ لانتفاء قدرتهم وزهوق الباطل هناك.

أو يراد من تبدل الأرض تبدلها بالجنة في الآخرة، فمعناه أنه تعالىٰ وعدهم بأن يدخلهم الجنة، ويكون فيها ما يحبون مما لا عين رأت ولا أُذن سمعت.

وأخذ أيضاً رسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ جميع الأئمة والشيعة الميثاق بذلك، وحينئذ يكون معنى السلام علىٰ الله (علىٰ نسخة البصائر): إنما هو تذكرة نفس الميثاق بما ذكر، ووعد لهم أن يؤجرهم بالوفاء به، وأن يسلّم لهم الأُمور المذكورة. ومعنى السلام على النبي صلى الله عليه وآله تذكّر للعهد وطلب لتعجيل الوعد.

وحاصله: أن المسلم على النبي يبين أنه علىٰ عهده الذي أخذ الله تعالىٰ ميثاقه عليه وأنه باق علىٰ سلامته بدون آفة من نقض العهد، أو رفع اليد عن الدين، وعمّا يلزمه من الصبر والمصابرة والتقوىٰ، بل هو باق علىٰ ما عهد عليه من هذه الأمور، ومتحمل للمشاق في أمر الدين وينتظر الفرج، وبذلك يطلب منه تعالىٰ تعجيل الوعد منه تعالىٰ بإنجازه تعالىٰ تلك المواعيد.

وسيأتي في آخر الشرح ـ في بيان الصلوات عليهم وما له من المباحث ـ الفرق بينها وبين السلام، وبيان ما قيل: إن أحدهما الثناء المتصل والآخر الثناء المنفصل

أقول: وأنت أيها الزائر إذا قلت: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، فليكن ما قرأناه عليكَ في ذكر منك، ولتكن عاملاً به؛ لتكون صادقاً في قولك عندهم عليهم السلام وإلّا فلا يكون معنى السلام عليكم ما ذكرناه كما لا يخفىٰ.

الأمر الثاني: في المعنى المراد من كلمة آل وأهل.

في مجمع البحرين: قوله تعالىٰ: ﴿**ولا يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم**﴾ التأويل إرجاع الكلام وصرفه عن معناه الظاهري إلىٰ معنى أخفىٰ منه مأخوذ من آل يَؤُل: إذا رجع وصار إليه، وتأوّلَ فلان الآية أي نظر إلىٰ ما يؤل معناه.. إلىٰ أن قال: وفي حديث: العالم الذي لا ينتفع بعلمه «يستعمل آلة الدين في الدنيا» أي يجعل العلم الذي هو آلة ووسيلة إلى الفوز بالسعادة وسيلة موصلة إلىٰ تحصيل الدنيا الفانية.. إلىٰ أن قال: والآلة: الأداة، والجمع الآلاة[1] والإيال ككتاب اسم منه. وقد استعمل في المعاني فقيل: آل الأمر إلىٰ كذا. وآل إبراهيم: إسماعيل وإسحق وأولادهما. وآل عمران: موسىٰ وهرون أبناء عمران بن يصهر، إلىٰ أن قال: وعن بعض أهل الكمال في تحقيق معرفة الآل: إنّ آل النبي صلى الله عليه وآله كان من يؤل إليه وهم **قسمان**:

الأول: من يؤل إليه مآلاً صورياً جسمانياً كأولاده، ومن يحذو حذوهم من أقاربه الصوريين الذين يحرم عليهم الصدقة في الشريعة المحمدية صلى الله عليه وآله.

والثاني: من يؤل إليه مآلاً معنوياً روحانياً، وهم أولاده الروحانيون من العلماء الراسخين والأولياء الكاملين، والحكماء المتألهين المقتبسين من مشكاة أنواره. إلىٰ أن قال: ولا شك في أن النسبة الثانية آكد من الأولىٰ، وإذا اجتمعت النسبتان كان نوراً علىٰ نور كما في الأئمة المشهورين من العترة الطاهرة ثم قال: وكما حرم على الأولاد الصوريين الصدقة الصورية، كذلك حرم على الأولاد المعنويين الصدقة المعنوية أعني تقليد الغير في العلوم والمعارف. وآل حم: سور أولها حم أو

---

١ ـ الآلات: جمع آلة.

يراد نفس حم. وآل أصله أهل قلبت الهاءُ همزةً بدليل اهيل فإن التصغير يرد الأشياءَ إلىٰ أُصولها.

إلىٰ أن قال: أهل الرجل آله، وهم أشياعه وأتباعه وأهل ملته، ثم كثر استعمال الأهل والآل حتىٰ سمّي بهما أهل بيت الرجل؛ لأنهم أكثر من يتبعه، وأهل كلّ نبي: أُمته. قيل: ومنه قوله تعالى: ﴿وامر أهلك بالصلاة﴾ .. أنهم أهل بيته خاصة.. وكذا أهل الماء ومنه الحديث: «إن للماء أهلاً» أي سكّاناً يسكنونه، وأهل الإسلام: من يدين به. إنتهىٰ ما عن المجمع.

أقول: الأهل والآل في استعمال أهل اللغة وأهل الشرع بينهما عموم وخصوص من وجه، وإن كان أصل آل أهل كما علمت.

لكن قد يطلق الآل ويراد به أشراف الأهل فهو حينئذ أخص من أهل.

وقد يستعمله أهل الشرع على العكس فيراد من الأهل شرعاً أخص من ينسب إلى الرجل فيراد حينئذ من الأهل في موارد إطلاقه الأئمة المعصومين عليهم السلام.

ففي معاني الأخبار، بإسناده عن محمد بن سليمان الديلمي عن أبيه قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك مَن الآل؟ قال: ذرية محمد صلى الله عليه وآله قال: فقلت: ومن الأهل؟ قال: الأئمة عليهم السلام فقلت: قوله عزوجل: أدخِلُوا آلَ فرعون أشدّ العذاب؟ قال: والله ما عنىٰ إلّا ابنته.

وفيه بإسناده عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: مَن آل محمد صلى الله عليه وآله؟ قال: ذريته، فقلت: أهل بيته؟ قال: الأئمة الأوصياء، فقلت: من عترته؟ قال: أصحاب العباء، فقلت: مَن أُمته؟ قال: المؤمنون الذين صدّقوا بما جاء به من عند الله عزوجل، المتمسكون بالثقلين الذين أمروا بالتمسك بهما كتاب الله عزوجل وعترته أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وهما الخليفتان علىٰ الأمة بعده صلى الله عليه وآله.. إنتهىٰ.

ففي هذا الحديث استعمل الأهل على الأئمة والأوصياء عليهم السلام.

وكيف كان فالمراد في مثل هذه الموارد من الأهل هم الأئمة عليهم السلام لا غيرهم بنص من الاحاديث، وسيجيء في بيان معنىٰ العترة ما يوضح هذا إن شاء الله.

الأمر الثالث: في المعاني التي يمكن أن يراد منها من المخاطب الملقىٰ إليه الخطاب، فنقول: المتبادر من قوله: عليكم، هو الخطاب إلى الأئمة الاثني عشر عليهم السلام مثلاً، خصوصاً إذا كان الزائر أحد الأئمة عليهم السلام في مثل هذه العبارة من الخطاب، أو كان من أهل الكمال والمعرفة فحينئذ يراد من الأهل في الخطاب هو الأئمة كما لا يخفىٰ.

وأما إذا كان غيرهم فربما يقال: بأن المراد هو الأعم منهم عليهم السلام ومن شيعتهم الخلّص، فإنهم منهم عليهم السلام بالتبعية الروحية فقد خلقوا من فاضل طينتهم، وعجنوا بماء ولايتهم كما وردت الروايات الكثيرة علىٰ هذا، راجع إقبال ابن طاووس رحمه الله والبحار في باب صفات خيار الشيعة وربما تأتي في طي المباحث الآتية الإشارة إليها.

ثم إن قصد الأعم إما يقال به لأجل دخولهم معهم عليهم السلام بالتبعية بالضرورة العقلية؛ لاقتضاء التبعية ذلك بيانه: إن خلق أرواح الشيعة من فاضل طينتهم يبين ملابسة أرواحهم مع طينة أجسادهم كملابسة شعاع الشمس بها، فالتابع المتلبس بالمتبوع ليس له استقلال في شأن من الشؤون، بل هو بحكم متبوعه قهراً لعدم استقلاله بذاته.

ويوضح لك هذا قولك: جاء زيد القائم، فإن المجيء لم يسند إلّا إلىٰ زيد، وأما القائم فلم يسند إليه المجيء أصلاً، بل هو أمر تبعي جيء به لذكر بيان الإجمال الثابت لزيد فبيّنه أنه قائم، وأما المجيء فلم يسند إلى القائم، وإنما ارتفع لمكان تبعيته لزيد وعدم استقلاله، فسرىٰ إليه حكم زيد أي الرفع بالفاعلية.

فالشيعة حيث إنهم روحاً لا استقلال لهم، بل متلبسون بمتبوعهم عليهم السلام؛ ولذا يحزنون لحزنهم ويفرحون لفرحهم؛ لأجل التلبس من دون تكلّف وتعمّل، فيسري إليهم الحزن والفرح من المتبوع إليهم بالضرورة.

وعليه فشيعتهم يدخلون معهم لملابستهم لهم فيما يسند إليهم مما يخصون عليهم السلام به من الأمور المشتركة بين طينة أجسادهم عليهم السلام وأرواح شيعتهم، فحينئذ خواص الشيعة يدخلون في تبعية السلام علىٰ أئمته هذا في الخواص ظاهر، وأما غيرهم فيشملهم السلام بقدر تحقق التبعية وعدم انقطاعها عنهم باطناً وظاهراً كما لا يخفىٰ.

وأما يقال: إن قصد الأعم لأجل إدخال الشيعة معهم التماساً وحكماً، لكي تشملهم الألطاف الإلهية، فالإلحاق حينئذٍ حكمي بإدخال عموم الشيعة معهم للعلم بعطوفتهم عليهم السلام لهم، فيعطي الإذن لنا بإدخالهم في مثل هذه الموارد معهم عليهم السلام فتأمل.

وقد يقال: بأن المراد من المخاطب هو الشيعة فقط وذلك **لوجهين**:

أحدهما: ان الزائر حين تشرفه إلىٰ مراقدهم يرىٰ نفسه عندما تفكّر في حاله بنحو تقدم ذكره في غاية الذلة والخشوع والخضوع، بحيث لا يرىٰ نفسه أهلاً لأن يخاطب مولاه الذي هو في المحل الرفيع عند الله تعالىٰ، فلا يقدر من نفسه أن يخاطبهم عليهم السلام ذلة وخشوعاً يخاطب شيعتهم، كما قيل بالفارسية:

چه کسم چه کاره‌ام من که رسم بعاشقانت

شرف است آنکه بوسم قدم ملازمانت

الخ.

وهذا أمر متعارف عند العرف فترىٰ بعضهم يكتب الكتاب، ويوجه الكلام نحو خدمة المقصود بالكتاب تعظيماً له وتحقيراً لنفسه فيقول: إلىٰ خدمة حضرة الفلاني مثلاً، وفي الفارسية قد اشتهر قولهم: خدمت بندگان حضرت آية الله مثلاً، وقد يكون هذا الخضوع لنفسه والتعظيم لمولاه عملاً، فتراه يدخل بيت مولاه فلأجل انفعاله يذهب إلى الخدمة وإلىٰ أولاد المولىٰ ولا يرىٰ نفسه لمولاه حياء وذلة كذلك.

فربما يكون الزائر بنحو من الذلة والخضوع النفساني، بحيث لا يمكنه التشرف في الحضرة الشريفة، بل يقف بالباب مستكيناً، ويزور مولاه في صف نعال الزائرين كما رأىٰ عن بعضهم.

وإلىٰ هذا يشير قول الشاعر:

سلامي علىٰ جيران ليلىٰ فإنها   أعزّ على العشاق من أن يسلّما
فإن ضياء الشمس نور جبينها   نعم وجهها الوضاح يشرق حيثما

ولأهل المعرفة والمحبة والحال في مثل هذه الموارد حالات ما أحسنها وألذّها! فهنيئاً لهم.

وثانيهما: ان الزائر لما تفكر في علوّ مقامهم ورفعة منزلتهم عند الله تعالىٰ بما مرت الإشارة إليه في الجملة، وتفكر في كونه مسجوناً بسجن النفس والطبيعة، ومحجوباً بحجب الغفلة الظلمانية، ولم يمكنه من إزالتها، فلا يرىٰ لمقامه في مشاهدهم محلاً وحالاً يصحّ معه الخطاب إليهم عليهم السلام فلا محالة يخاطب شيعتهم الذي يمكنه معرفتهم له، فحينئذ يقصد بالخطاب خصوص شيعتهم فقط.

وعلىٰ أيّ حال فالزائر إن كان من أهل المعرفة والكمال فله إمكان التخاطب معهم، وإلّا فلابد من ملاحظة حاله في مقامه وعند تشرفه لديهم، فيعمل بما هو مقتضىٰ حاله، فربما أنعموا عليه ولطفوا به فمنحوه حال الخطاب والأُنس معهم، وربما أوقفوه دون الوصول إلىٰ مخاطبتهم والأُنس بهم، فلابد مِن التخاطب بنحو مما تقدم علىٰ حسب حاله، ويلاحظ الأدب عند تشرفه إلىٰ مراقدهم حالاً، والله الموفق للصواب.

الأمر الرابع: في بيان معاني بيت النبوة.

أقول: سيجيء في شرح قوله عليه السلام: وموضع الرسالة، بيان الفرق بين النبوة والرسالة وما لهما من الكلام، والكلام فعلاً في معنىٰ **بيت النبوة** فنقول وعلىٰ الله

التوكل:

الأول: في القاموس: البيت من الشعر وهو معروف، وقال الهروي: وبيت الرجل داره وقصره.

أقول: وقد يطلق في السنة والآيات والأخبار وكلمات الأعاظم علىٰ البيوت المعنوية وعلىٰ الأئمة عليهم السلام.

في معاني الأخبار بإسناده عن علي بن جعفر، عن أخيه موسىٰ بن جعفر عليه السلام قال: إنما شيعتنا المعادن والأشراف والبيوتات، ومَن مولده طيب، قال علي بن جعفر: فسألته عن تفسير ذلك فقال: المعادن من قريش والأشراف من العرب، وأهل البيوتات من الموالي ومن مولده طيب من أهل السواد.

وعن تفسير فرات بن إبراهيم عن الباقر عليه السلام قال: نحن بيت الله والبيت العتيق وبيت الرحمة وأهل النبوة.

وعن البصائر عن الصادق عليه السلام قال: نحن والله أهل بيت الرحمة.

وعن كتاب سليم بن قيس عن المقداد قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: إن علياً بيت الله الذي من دخله كان آمناً من النار، الخبر.

وعن مناقب ابن شهر آشوب عن الباقر عليه السلام وعن علي عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿**وليس البر بأن تأتوا البيوت...**﴾ الآية، قالا: نحن البيوت التي أمر الله تعالىٰ أن تؤتىٰ من أبوابها، نحن باب الله وبيوته التي يؤتىٰ منه فمن تابعنا وأقرّ بولايتنا فقد أتىٰ البيوت من أبوابها، ومَن خالفنا وفضّل علينا غيرنا فقد أتىٰ البيوت من ظهورها.

وعن كشف الغمة عن أنس وبريدة قال: لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع..**﴾ الآية، قيل: يا رسول الله أي البيوت هذه؟ فقال: بيوت الأنبياء فقال أبو بكر: هذا البيت منها؟ (يعني بيت علي وفاطمة) قال: نعم من أفاضلها.

وعن أمالي الشيخ في خطبة الحسن عليه السلام بعد صلح معاوية (عليه اللعنة).. إلىٰ أن قال عليه السلام: والبيت هو المسجد المطهّر، وهو الذي قال الله تعالىٰ: أهل البيت، فنحن

أهل البيت، ونحن الذين طهّرنا من الرجس، الحديث.

فعلم مما ذكر أن البيت مع قطع النظر عن معناه اللغوي (أي بيت الشعر والأحجار) يستعمل في معنيين آخرين في السنة والأخبار:

الأول: بيت محمد ﷺ الظاهري كما قال ﷺ: **وعترتي أهل بيتي في حديث** الثقلين، فأهل البيت بهذا المعنىٰ أي ذريته ومن هم من صلبه كما **تقدم توضيحه في** معنى الأهل والآل وسيجيء بيانه في شرح وعترته إن شاء الله.

وأيضاً يمكن أن يراد منه بيت العلم حيث إن النبي ﷺ **هو بيت العلم، وأهله** أهل بيت هذا العلم النبوي الظاهري؛ لأنهم عليهم السلام **حفظته وورثته في الأمة.**

وإنما صار النبي بيت العلم؛ لأنه مورد الوحي الإلهي **فهو ﷺ لا ينطق عن** الهوىٰ إن هو إلّا وحي يوحىٰ **فأهل بيته عليهم السلام أهل بيت العلم يعني أن علومهم عليهم السلام** منه ﷺ.

الثاني: أن يراد منه البيت المعنوي، فرسول الله ﷺ **هو بيت النبوة، وكذلك** الأئمة البيوت كبيت النبي ﷺ إلّا أنه ﷺ البيت الأعظم والمدينة، وهم عليهم السلام البيوتات المنشعبة عنه وأبواب البيت الأعظم كما أُشير في الأخبار السابقة، وقال ﷺ: أنا مدينة العلم وعلي بابها، ولا تؤتى المدينة إلّا من بابها، **ومثله قوله ﷺ**: أنا مدينة الحكمة والحكمة هو العلم.

وقد مرّ حديث ابن شهر آشوب الدال علىٰ هذا، ومثله ما عن الاحتجاج للطبرسي عن الأصبغ بن نباتة قال: كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام **فجاءه ابن الكوّا** فقال: يا أمير المؤمنين قول الله عزوجل: **﴿وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكنّ البرَّ من اتقىٰ وأتوا البيوت من أبوابها﴾** فقال عليه السلام: نحن البيوت التي أمر الله أن يؤتى من أبوابها، فنحن أبواب الله وبيوته التي يؤتىٰ منها، فمن بايعنا وأقرّ بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها، ومن خالفنا وفضّل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها، إن الله عزوجل لو شاء عرف الناس نفسه حتىٰ يعرفوه ويأتوه من بابه،

ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله وبابه الذي يؤتىٰ منه، قال فمن عدل عن ولايتنا وفضّل علينا غيرنا فقد أتىٰ البيوت من ظهورها وإنهم عن الصراط لناكبون.

أقول: قوله عليه السلام: وإنهم عن الصراط لناكبون، إشارة إلىٰ أن الذي أتى البيوت من ظهورها يهوي إلىٰ جهنم حيث أتىٰ من غير ما أذن له، فتحصل مما ذكر أن محمداً صلى الله عليه وآله وأهل بيته هم البيوت المعنوية التي أذن الله أن ترفع، فإذا أُريد بالبيت محمد صلى الله عليه وآله فالأبواب آله عليهم السلام وإذا أُريد به المدينة فهم عليهم السلام أبوابها التي لا يؤتىٰ إلّا منها، بل يمكن أن يراد من البيت نفس علي عليه السلام بدليل آية المباهلة من قوله تعالىٰ: ﴿وأنفسنا﴾.

فبيت النبوة هو بيت علي وأهل هذا البيت هو أولاد علي عليه السلام أعني الأئمة الأحد عشر وفاطمة الزهراء (صلوات الله عليهم أجمعين).

فجميع الآيات والأحاديث الدالة علىٰ أن علم النبي وباطنه أعني ولايته هو المنتقل إلىٰ علي عليه السلام تدل علىٰ إن علياً هو البيت كالنبي صلى الله عليه وآله نعم في مرتبة متأخرة معنىً عن النبي صلى الله عليه وآله كما لا يخفىٰ بل وساير الأئمة عليهم السلام، كذلك فهم من حيث اشتمالهم لعلمه صلى الله عليه وآله البيوت، ومن حيث تأخر رتبتهم وإنهم المبيّنون لتلك المعارف فهم أبواب بيت النبي صلى الله عليه وآله وسيتضح لك هذا في طيّ الشرح بما لا مزيد عليه إن شاء الله.

وقد يراد بالنبوة الرفعة والرسالة والفتوة ومن البيت المجد والحسب كما أُشير إليه في الحديث السابق عن معاني الأخبار، فحينئذ يكون معنىٰ أهل بيت النبوة أي السلام عليكم يا أهل بيت الرفعة والشأن العظيم والرسالة والفتوة والمجد والحسب الشريف، ومن حيث إنهم أهل بيت الرفعة.

قال عليه السلام في الزيارة: طأطأ كلّ شريف لشرفكم، وبخع كلّ متكبر لطاعتكم، وذلّ كل جبار لفضلكم، وسيجيء إن شاء الله تحقيقه.

وفي البحار[1] عن كنز الفوائد بإسناده عن عبدالله بن عجلان السكوني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: بيت علي وفاطمة من حجرة رسول الله صلوات الله عليهم، وسقف بيتهم عرش ربّ العالمين، وفي قعر بيوتهم فرجةٌ مكشوطة إلىٰ العرش معراج الوحي، والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً وفي كل ساعة وطرفة عين، والملائكة لا ينقطع فوجهم فوج ينزل وفوج يصعد وإن الله تبارك وتعالىٰ كشط لإبراهيم عليه السلام عن السماوات حتىٰ أبصر العرش، وزاد الله في قوة ناظره، وإن الله زاد في قوة ناظرة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، وكانوا يبصرون العرش ،ولا يجدون لبيوتهم سقفاً غير العرش فبيوتهم مسقّفة بعرش الرحمن ومعارج معراج الملائكة والروح فوج بعد فوج لا انقطاع لهم، وما من بيت من بيوت الأئمة منّا إلّا وفيه معراج الملائكة لقول الله: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم بكلّ أمر﴾ قال: قلت: من كلّ أمر ـ قال ـ بكلّ أمر قلت: هذا التنزيل، قال: نعم :قوله عليه السلام فرجة مكشوطه. في الجمع الكشط الكشف. أقول: قد تبين هذا الحديث الذي هو من غرر أحاديثهم في أمر الولاية الإلهية الثابتة لهم عليهم السلام معنىٰ البيت المعنوي لهم عليهم السلام كما لا مزيد عليه، حيث بيّن أن بيتهم المعنوي هو انكشاف عرض الرحمن لهم عليهم السلام بما فيه من العلوم الإلهية وملكوت السماوات والأرض، والروح الذي هو أعظم من جبرئيل وميكائيل والملائكة بما لها من الأقسام والأحوال علىٰ ولي الله في أرضه، ولهذا الحديث شرح غريب يذكر في محله ولا يفهم أحد حقيقة الإيمان حتى يمنحه الله تعالىٰ فهمه ودركه وكشفه، رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

وأما كونهم أهل الفتوة المعبر عنه بالفارسية (جوانمردى) فلأجل أنهم حقيقة الإيمان التي تلازم الفتوة؛ ولهذه الجهة قد سمىٰ الله تعالىٰ أصحاب الكهف بأنهم فتية مع أنه كان فيهم شيوخ لايمانهم كما في الحديث.

---

١ ـ البحار ٢٥ ص٩٧.

وفي الحديث أيضاً الفتىٰ المؤمن، وفيه أن النبي ﷺ هو الفتىٰ وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام.

ففي معاني الأخبار[1]، بإسناده عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: إن أعرابياً أتىٰ رسول الله ﷺ فخرج إليه في رداء ممشّق فقال: يا محمد لقد خرجت إليّ كأنك فتىٰ!! فقال ﷺ: نعم يا أعرابي أنا الفتىٰ بن الفتىٰ وأخو الفتىٰ، فقال: يا محمد أما الفتىٰ فنعم وكيف ابن الفتىٰ وأخو الفتىٰ؟ أما سمعت الله عزوجل يقول: ﴿**سمعنا فتىً يذكرهم يقال له إبراهيم**﴾ فأنا ابن إبراهيم، وأما أُخو الفتىٰ فإن منادياً نادىٰ في السماء يوم أُحد: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتىٰ إلّا علي، فعلي أخي وأنا أخوه، فحينئذ يكون معناه السلام عليكم يا أهل بيت الفتوة، وأما كونهم أهل المجد والشرف والحسب فأظهر من الشمس وأبين من الأمس كما لا يخفىٰ.

أقول: وتقدمت وستجيء كيفية الدخول في هذا البيت المعنوي، وكيف يكون التمسك بتلك الأبواب المعنوية لدخول مدينة العلم والمعارف والاشتغال بها فانتظر. ثم إنه يأتي في بيان قوله عليه السلام: وطهّركم تطهيراً، أن مصاديق أهل هذا البيت أي بيت النبوة بما له من المعاني إنما هو خصوص الأئمة وفاطمة الزهراء عليهم السلام بنصّ من النبي ﷺ بطرق مختلفة مسلمة من الفريقين، والحمد لله رب العالمين.

قوله عليه السلام: وموضع الرسالة.

أقول: الموضع المحل، فيقع الكلام في أمرين:

الأول: في الفرق بين النبوة والرسالة.

والثاني: في معنىٰ كونهم محل الرسالة.

---

١ ـ معاني الأخبار ص١١٨.

أما الأمر الأول: فنقول وعليه التوكل: قال في المجمع: النبأ واحد الأنباء وهي الأخبار، إلىٰ أن قال: والنبي هو الانسان المخبر عن الله بغير واسطة بشر، أعم من أن يكون له شريعة كمحمد ﷺ أو ليس له شريعة كيحيىٰ.

قيل: سمي نبياً لأنه أنبأ من الله تعالىٰ أي أخبر، إلىٰ أن قال: وفرق بينه وبين الرسول بأن الرسول هو المخبر عن الله بغير واسطة أحد من البشر، وله شريعة مبتدأة كآدم عليه السلام أو ناسخة كمحمد ﷺ وبأن النبيّ هو الذي يرىٰ في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول هو الذي يسمع الصوت ويرىٰ في المنام ويعاين، وبأن الرسول قد يكون من الملائكة بخلاف النبي.

إلىٰ أن قال: وفي حديث الصادق عليه السلام: «الأنبياء والمرسلون علىٰ أربع طبقات: فنبي منبأ في نفسه لا يعدو غيرها، ونبيّ يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاينه في اليقظة ولم يبعث إلىٰ أحد وعليه إمام مثل ما كان إبراهيم علىٰ لوط، ونبي يرىٰ في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك، وقد أرسل إلىٰ طائفة قلّوا أو كثروا كيونس عليه السلام قال تعالىٰ: ﴿وأرسلناه إلىٰ مائة ألفٍ أو يزيدون﴾ قال: يزيدون ثلاثين ألفاً وعليه إمام. والذي يرىٰ في نومه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو إمام مثل أولي العزم، وقد كان إبراهيم نبياً وليس بإمام حتىٰ قال الله: ﴿.. إنّي جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينالُ عهدي الظالمين﴾ مَن عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً»، انتهىٰ ما عن المجمع[1].

وقال بعض الأعاظم: النبوة الإخبار عن مراد الله بغير واسطة أحد من البشر، وقيل: النبوة هي الإخبار عن الحقائق الالهية والمعارف الربانية، التي هي الإخبار عن ذات الحق وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه وتنقسم إلىٰ: نبوة تعريف وهي الاخبار والانباء عن معرفة الذات والصفات والأسماء والأفعال، وإلىٰ نبوة تشريع وهي ذلك، مع زيادة تبليغ الأحكام والتأديب بالأخلاق الحميدة، والتعليم

---

١ ـ مجمع البحرين ج ١ ص ٤٠٥.

للأحكام والقصاص بالسياسة وتسمىٰ هذه رسالة.

وقيل: النبوة قبول النفس القدسية حقائق المعلومات والمعقولات من جوهر العقل الأول، والرسالة تبليغ تلك المعلومات والمعقولات الىٰ المستعدين.

وقيل: النبوة وضع الآداب الناموسية التي يكون كشفها بسبب الولي، وقد تقدم بيانه.

وقد يطلق كل من النبي والرسول علىٰ الآخر في بعض موارد الاستعمال كما لا يخفىٰ.

وقال السيد عليخان الحسيني الحسني المدني (رضوان الله عليه) في شرحه على الصحيفة السجادية: فقيل: الرسول الذي معه كتاب من الأنبياء، والنبي الذي ينبئ عن الله تعالىٰ وإن لم يكن معه كتاب، هكذا قال غير واحد من المفسرين، وفيه بحث لأن لوطاً وإسمعيل وأيوب ويونس وهرون كانوا مرسلين كما ورد في التنزيل، ولم يكونوا أصحاب كتب مستقلة.

فقيل: الرسول من بعثه الله تعالىٰ بشريعة جديدة يدعو الناس إليها، والنبي يعمّه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام.

ويدل عليه أنه عليه السلام سئل عن الأنبياء، فقال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، قيل: وكم الرسول منهم؟ فقال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً.

وقيل: الرسول من يأتيه الملك بالوحي عياناً ومشافهة، والنبي يقال له ولمن يوحىٰ إليه في المنام، وهذا القول مروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام قالا: إن الرسول الذي يظهر له الملك يكلمه، والنبي هو الذي يرىٰ في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذي يسمع الصوت ويرىٰ في المنام ويعاين الملك.

أقول: في الكافي باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث، بإسناد صحيح عن الأحول قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرسول والنبي والمحدث، قال: الرسول الذي

يأتيه جبرئيل قبلاً فيراه ويكلّمه فهذا الرسول.

وأما النبي فهو الذي يرىٰ في منامه نحو رؤيا إبراهيم، ونحو ما كان لرسول الله ﷺ من أسباب النبوة قبل الوحي حتىٰ أتاه جبرئيل عليه السلام من عند الله بالرسالة، وكان محمد ﷺ حين جمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله يجيئه بها جبرئيل ويكلّمه بها قبلاً، ومن الأنبياء من جمع له النبوة ويرىٰ في منامه ويأتيه الروح ويكلّمه ويحدثه من غير أن يكون يرىٰ في اليقظة.

وأماالمحدث فهو الذي يحدث فيسمع ولا يعاين ولا يرىٰ في منامه.

قال المجلسي في مرآة العقول: واعلم أن تحقيق الفرق بين النبيّ والإمام عليهما السلام واستنباطه من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال.. إلىٰ أن قال: وأما الفرق بين الإمام والنبي وبين الرسول إن الرسول يرىٰ الملك عند إلقاء الحكم، والنبي غير الرسول والامام لا يريانه في تلك الحال، وإن رأياه في ساير الأحوال إلىٰ آخر ما قاله رحمه الله.

أقول: الفرق بينهما هو ما ذكره في صحيح الأحول وحاصله ما هو المشهور من أن النبي الذي أخبر عنه تعالىٰ ولم يؤمر بالتبليغ، والرسول ما أمر بالتبليغ أيضاً، فكل رسول نبي ولا عكس، فإن قوله: الرسول الذي يأتيه جبرئيل قبلاً، أي قبل التبليغ فيأمره بالتبليغ فيراه ويكلّمه فهذا الرسول أي بعدما أمر بالتبليغ يكون رسولاً.

وأما النبي إلىٰ قوله عليه السلام: من عند الله بالرسالة أي الذي يرىٰ في منامه وينبأ عنه تعالىٰ قبل نزول جبرئيل لأمره بالتبليغ فهو نبي كما لا يخفىٰ، وأما ما في ذيل الحديث من تعريف المحدث فتحقيقه موكول إلىٰ محله.

هذا ولبعض أهل المعرفة كلام في سرّ النبوة والرسالة لا بأس بذكر الملخّص منه.

قال بعض العارفين: النبي من أطلعه الله من صفوة خلقه علىٰ ما يشاء من أحكام وحيه وأسرار غيبه وأمره، تارة بالمشافهة، وتارة بواسطة ملك، وتارة

بإلقاء ذلك في قلبه.

قال بعض المحققين: ومن صفاته أن يكون صافي النفس في قوته النظرية صفاءً تكون شديدة الشبه بالروح الأعظم فتصل به متىٰ أراد من غير كثير تعمّل وتفكّر، حتىٰ تفيض عليه العلوم اللدنية من غير توسط تعليم بشري بل يكاد زيت عقله يضيء ولو لم تمسسه نار التعليم البشري بمقدحة الفكر وزند البحث والتكرار، فإن النفوس متفاوتة في درجات الحدس والاتصال بعالم النور.

فمن محتاج إلى التعلم في جلّ المقاصد بل كلّها، ومن غبّي لا يفلح في فكره ولا يؤثر فيه التعليم أيضاً حتىٰ خوطب النبي الهادي في حقه: ﴿إنك لا تهدي من أحببت..﴾[1] ﴿وما أنت بسمع من في القبور﴾[2] ﴿إنك لاتسمع الموتىٰ * ولا تسمع الصمّ الدعاء..﴾[3] وذلك لعدم وصولهم بعد إلىٰ درجة استعداد الحياة العقلية، فلم يكن لهم سمع باطني يسمع به الكلام المعنوي.

وكيف كان فالنبي جالس بين حدّ المشترك بين عالم المعقول وعالم المحسوس، قال بعض العلماء: السر في إطلاع النبي على الملك الموحىٰ دون غيره أنه لما كان صقل روحه بصقالة العقل للعبودية التامة، وزالت عنه غشاوة الطبيعة ورين المعصية بالكلية، وكانت نفسه قدسية شديدة القوىٰ قوية الانارة لما تحتها، لم تشغلها جهة فوقها عن جهة تحتها فتضبط الطرفين وتسمع الجانبين، ولا يستغرقها حسّها الباطن عن حسّها الظاهر، فإذا توجّهت إلىٰ الأُفق الأعلىٰ، وتلقّت أنوار المعلومات بلا تعليم بشري من الله يتعدىٰ تأثيرها إلىٰ قواها ويتمثّل صورة ما يشاهده لروحها البشري.

ومنها: إلىٰ ظاهر الكون فتمثل للحواس الظاهرة سيّما السمع والبصر؛ لكونها أشرف الحواس الظاهرة وألطفها، فيرىٰ شخصاً محسوساً، ويسمع كلاماً منظوماً في غاية الجودة والفصاحة، أو ترىٰ صحيفة مكتوبة. فالشخص هو الملك النازل الحامل للوحي الالهي، والكلام هو كلام الله، والكتاب كتابه، وقد نزل كل منها من

---

١ ـ القصص: ٥٦.

٢ ـ فاطر: ٢٢.

٣ ـ النمل: ٨٠.

عالم الأمر القولي القضائي وذاته الحقيقية وصورته الأصلية إلىٰ عالم الخلق الكتابي القدري في أحسن صورة، وأجمل كسوة كتمثل جبرئيل عليه السلام لنبينا صلى الله عليه وآله في صورة دحية الكلبي الذي كان أجمل أهل زمانه.

ويقال: ما رآه في صورته الحقيقية إلّا مرّتين وذلك أنه صلى الله عليه وآله سأله أن يريه نفسه علىٰ صورته فواعده ذلك بحراء فطلع به جبرئيل عليه السلام فسدّ الأُفق من المشرق إلى المغرب.

وفي رواية كان له ستمائة جناح، ورآه مرة أُخرىٰ علىٰ صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهىٰ، إنتهىٰ.

أقول: هذه التعاريف التي سمعتها من الأعلام كلام لم يؤد حقّ المطلب.

والتحقيق أن يقال: إن حقيقة النبوة هو اتصال قلب النبي وروحه به تعالىٰ، فتتجلىٰ فيه حقيقة أسمائه الحسنىٰ تبارك وتعالىٰ، كل نبيّ علىٰ حسب ما تجلىٰ له، ففي النبي صلى الله عليه وآله إنما هو التجلي الأعظم وحقيقة التجلي هو عين الولاية، وهي مظهر الوحدانية.

فربما أمر من عنده تعالىٰ بالتبليغ فيكون رسولاً، فيبلغ علىٰ نحو ما أمره تعالىٰ كمّاً وكيفاً فهو منصب إلهي في الرسالة يحكي عن كمال معنوي حاصل بالتجلي الأعظم. وأوصياؤه يقومون مقامه في جميع ما للنبي غير الإنباء عن الله تعالىٰ ابتداءً، نعم يعلم الامام من الروح الملق إلى النبي حدوثاً الباقي في الأوصياء بقاءً.

وبهذا يفرق بين الامام والرسول وإن أخبرا عنه تعالىٰ.

وتوضيحه: أنه قد وردت روايات كثيرة دلت علىٰ أن الامام يخبر عن الله تعالىٰ بواسطة الروح القدس، فيمتاز الإمام عن النبي بكونه إماماً لا نبياً مع أنه يخبر عنه تعالىٰ بأنه يخبر عنه بواسطة الروح الذي أوحي إلى النبي صلى الله عليه وآله فهو نبي لما أُوحي إليه الروح فيخبر عنه تعالىٰ بلا وساطة أحد والامام يخبر عنه تعالىٰ بواسطتين الرسول والروح القدس والنبي بواسطة واحدة وهو الروح القدس.

نعم قد يكون الروح القدس متمثلاً بصورة جبرئيل لا مطلقاً كما حقق في محله وستجيء الاشارة إليه.

والحاصل: أن النبوة الكاملة هي الذكر الأول وهي مبدأ وجود محمد ﷺ الذي اخترعه من نور ذاته تعالىٰ وهو حقيقته وكتابه ﷺ والاسم الأعظم الذي له ثلاثة وسبعون حرفاً استأثر الله تعالىٰ بواحد منها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل وأعطىٰ محمداً ﷺ اثنين وسبعين حرفاً وهو فوق مرتبة قاب قوسين الذي هو مرتبة الوجود المطلق وفوقها مرتبة الحق تعالىٰ، وهو عالم الحيرة لا يمكن فيه إثبات النفي لشيء ولا نفي الاثبات لشيء ولذلك سمي عالم الحيرة المعبر عنه بسدرة المنتهىٰ.

فمرتبة الذكر الأول هو الصادر الأول الذي أذهب عنه رجس الحدود، وطهّره من تمام القيود الذي لازمه نفي الشك هناك، ولذا فسّر الرجس المنفي في آية التطهير بالشك، واخترعه من نور ذاته وهو الاسم الذي ليس كمثله شيء.

ولكونه ﷺ الذكر الأول سمي ﷺ في القرآن بالذكر في قوله: ﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً * رسولاً يتلوا عليكم آيات الله﴾.

فعن العيون بعد ذكر الآية عن الرضا عليه السلام: فالذكر رسول الله ونحن أهله فمرتبة الذكر التي هي حقيقة النبي ﷺ هي مرتبة أو أدنىٰ الذي هو التجلي الأول الأعظم.

والحاصل: أن حقيقة رسول الله ﷺ هي حقيقة النبوة التي هي حقيقة الذكر الأول وهي فوق تمام المراتب ليس فوقها مرتبة إلّا مرتبة الربوبية.

فهذه المرتبة هي إنيّته وحقيقته وكتابه ﷺ وبيته الذي أسكنه الله فيه، وآله بيوت منشعبة من هذا البيت، وهي البيوت التي أذن الله أن ترفع، أي فوق جميع المراتب الوجودية.

وحينئذ إذا أضيف إليه ﷺ شيء من الأهل والآل والميراث والعترة والعلم في هذه المرتبة فيقال: أهل بيت النبوة وميراث النبوة وعلم النبوة ونحوه فلابد من أن

يراد منها أهله في هذه المرتبة الرفيعة، وإذا أضيف إليه بغير هذه الصفة فيراد إضافتها إليها ﷺ باعتبار تلك الصفة دون غيرها كما لا يخفىٰ، وبيانه مفصل موكول إلىٰ محله، والحمد لله رب العالمين.

الأمر الثاني: في معنىٰ كونهم عليهم السلام موضع الرسالة.

فنقول وعليه التوكل: الموضع اسم مكان بمعنى المحل فهو بمعنىٰ كون الشيء ظرفاً لوضع شيء فيه أو أن يحل فيه شيء.

فحينئذ ظاهر العبارة أن النبي ﷺ الذي عرفت أنه المخبر عن ذات الحق وصفاته وأفعاله وأحكامه، حيث كان في مرتبة الرسالة وهي مرتبة التبليغ أي لتبليغ ما يمثّل له من الله تعالىٰ بالوحي الإلهي، فهو رسول أي هو حامل لأعباء الرسالة وعنده حمولة الرب للتبليغ، فهذه الحمولة التي هي واقع الرسالة وحقيقة النبوة قد وضعها الرسول المعظم بأمر الله تعالىٰ في أهل بيته الأئمة الاثني عشر فهم موضع الرسالة أي محل وضع حمولة الرب وأنه حلت تلك الحمولة فيهم عليهم السلام فهم موضع الرسالة النبوية ومحل الحمولة الالهية، وهذه العبارة من جهة المعنىٰ ترادف أو تقرب من قوله عليه السلام: السلام علىٰ محال معرفة الله ، كما سيجيء بيانه.

إذا علمت هذا فاعلم أن الكلام هنا يقع في مقامين:

الأول: في بيان ما دل علىٰ أنهم عليهم السلام موضع الرسالة ومحلها وأن النبي ﷺ قد أعطاهم تلك الحمولة بأمر الله تعالىٰ.

والثاني: في بيان تلك الحمولة التي هي واقع الرسالة التي وضعت عندهم عليهم السلام فنقول:

أما الأول: في الوافي عن الكافي بإسناده عن حمران بن أعين عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن جبرئيل أتىٰ رسول الله ﷺ برّمانتين فأكل رسول الله ﷺ إحداهما وكسر الأُخرىٰ بنصفين فأكل نصفاً وأطعم علياً نصفاً، ثم قال له رسول الله ﷺ: يا أخي هل تدري ما هاتان الرمانتان؟ قال: لا قال: أما الأُولىٰ فالنبوة ليس لك فيها

نصيب، والأُخرىٰ فالعلم أنت شريكي فيه؟ فقلت: أصلحك الله كيف كان يكون شريكه فيه قال: لم يعلم الله محمداً ﷺ علماً إلّا وأمره يعلّمه علياً.

أقول: خصّ رسول الله ﷺ النبوة التي هي جهة الانباء عن الله تعالىٰ بنفسه الشريفة، وأما العلم الذي هو حمل النبوة فقد جعل علياً شريكه فيه بأمره تعالىٰ.

وفيه[١] عنه، محمد بن أحمد، عن علي بن نعمان رفعه عن أبي جعفر عليه السلام قال يمصّون الثماد ويدعون النهر العظيم، قيل له: وما النهر العظيم؟ قال: رسول الله ﷺ والعلم الذي أعطاه الله، إن الله تعالىٰ جمع لمحمد ﷺ سنن الأولين من آدم وهلم جرّاً إلىٰ محمد ﷺ.

قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره وإن رسول الله ﷺ صيّر ذلك كله عند أمير المؤمنين، فقال له رجل: يابن رسول الله فأمير المؤمنين أعلم أم بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: اسمعوا ما يقول!! إن الله يفتح مسامع من يشاء، إني حدثته: إن الله جمع لمحمد ﷺ علم النبيين وإنه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام وهو يسألني أهو أعلم أم بعض النبيين!!

وفيه[٢] عنه، بإسناده عن بعض أصحابنا عن خثيمة قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا خثيمة نحن شجرة النبوة وبيت الرحمة ومفاتيح الحكمة، ومعدن العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة، وموضع سرّ الله، ونحن وديعة الله في عباده، ونحن حرم الله الأكبر، ونحن ذمة الله، ونحن عهد الله فمن وفىٰ بعهدنا فقد وفىٰ بعهد الله، ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده.

أقول: الخفر بالخاء المعجمة والفاء نقض العهد.

وفيه، عنه بإسناده عن المفضل بن عمر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما جاء به علي عليه السلام أُخذ به وما نهىٰ عنه انتهي عنه، جرىٰ له من الفضل مثل ما جرىٰ لمحمد ﷺ

---

١ ـ الوافي ج ١ باب ٨٤ ص ١٤٠.

٢ ـ الوافي ج ١ باب ٧٢، ٧٣ ص ١٢٨، ١٢٩، أبواب خصائص الخ.

ولمحمد ﷺ الفضل علىٰ جميع من خلق الله، المتعقّب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقب على الله وعلىٰ رسوله ﷺ والراد عليه في صغيرة أو كبيرة علىٰ حدّ الشرك بالله. كان أمير المؤمنين عليه السلام باب الله الذي لا يؤتىٰ إلّا منه، وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وكذلك يجري لأئمة الهدىٰ واحداً بعد واحد جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها، وحجته البالغة علىٰ من فوق الأرض ومن تحت الثرىٰ.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً ما يقول: أنا قسيم الله بين الجنة والنار، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب العصا والميسم، ولقد أقرّت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقروا به لمحمد ﷺ، ولقد حملتُ علىٰ مثل حمولته وهي حمولة الرب وإن رسول الله ﷺ يدعىٰ فيكسىٰ وأُدعىٰ فأكسىٰ، ويستنطق وأُستنطق فأنطق علىٰ حدٍّ منطقة، ولقد أُعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي علمت البلايا والمنايا والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما غاب عني أبشّر بإذن الله وأُؤَدي عنه كل ذلك من الله مكنني فيه بعلمه.

أقول: هذا الحديث الشريف بيّن أنّ علياً والأئمة عليهم السلام موضع الرسالة، وأنهم حمّلوا حمولة الرب كرسول الله ﷺ وسيجيء بيان تلك الحمولة في المقام الثاني.

وفي غاية المرام[1]، للسيد البحراني (رضوان الله عليه) بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لي: يا محمد إن الله عزوجل لم يعط الأنبياء شيئاً إلّا وقد أعطاه محمداً ﷺ قال: وقد أعطىٰ محمداً ﷺ جميع ما أعطىٰ الأنبياء، وعنده الصحف التي قال الله عزوجل: ﴿صحف إبراهيم وموسىٰ﴾.

وفيه بإسناده عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سأله عن قول الله عزوجل: ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ما الزبور وما الذكر قال الذكر عند الله والزبور الذي أنزل علىٰ داود وكل كتاب نزل، فهو عند أهل العلم ونحن هم.

---

١ ـ غاية المرام ص٥٣٨.

وفيه[١] عن بصائر الدرجات بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: علّم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام ألف باب يفتح كل باب ألف باب، ونحوه كثير مذكور فيه من طرق الخاصة والعامة.

أقول: ستأتي أخبار أُخر في بيان هذا المعنىٰ في شرح قوله عليه السلام: «وعندكم ما نزلت به رسله وهبطت به ملائكته».

فعلم من هذه الأحاديث أنهم عليهم السلام موضع الرسالة أي محل حقيقة الرسالة وحمولة الرب بأمر منه تعالىٰ.

المقام الثاني: في بيان حقيقة الحمولة الإلهية، التي هي واقع الرسالة والتي وضعت عندهم فنقول وعليه التوكل:

في بصائر الدرجات، روي عن أبي محبوب عن مرازم قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ أمرنا هو الحق وحق الحق، وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن، هو السر وسرّ السرّ وسرّ المستسرّ وسرّ مقنع بالسرّ.

وفي المحكي عن جابر بن عبدالله الأنصاري، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: يا جابر عليك بالبيان والمعاني، قال: فقلت: وما البيان والمعاني؟ قال عليه السلام: أما البيان فهو أن تعرف الله سبحانه ليس كمثله شيء، فتعبده ولا تشرك به شيئاً. وأما المعاني فنحن معانيه ونحن جنبه ويده ولسانه وأمره وحكمه وعلمه وحقه، إذا شئنا شاء الله ويريد الله ما نريد، فنحن المثاني الذي أعطانا الله نبينا صلى الله عليه وآله ونحن وجه الله الذي يتقلب في الأرض بين أظهركم، فمن عرفنا فامامه اليقين ومن جهلنا فامامه السجين، ولو شئنا خرقنا الأرض وصعدنا السماء، وإن الينا إياب الخلق ثم إن علينا حسابهم.

أقول: وفي مدينة المعاجز ما دل علىٰ أن الصادق عليه السلام صعد إلى السماء وهو ما

---

١ ـ غاية المرام ص٥١٨.

رواه فيه[١] مسنداً عن عبدالله بن بشير: سمعت الأحوص يقول: كنت مع الصادق عليه السلام إذ سأله قوم عن كأس الملكوت، فرأيته وقد تحذّر نوراً، ثم علا حتىٰ أنزل ذلك الكأس فادارها علىٰ أصحابه، وهي كأس مثل البيت الأعظم أخف من الريش من نور محضور مملو شراباً، فقال لي: لو علمتم بنور الله لعاينتم هذا في الآخرة.

أقول: في المجمع عن الباقر عليه السلام: الحذر السلاح في قوله: ﴿خذوا حذركم﴾.

وفيه عن بعض المفسرين: والحذر هو امتناع القادر من شيء لما فيه الضرر، ورجل حاذر أي محترز متيقظ، فعليه فقوله: وقد تحذر نوراً أي احترز بالنور، وتسلح به للعلو والارتفاع إلى السماء كما لا يخفىٰ.

وفيه بإسناده عن قبيصة بن وائل قال: كنت مع الصادق عليه السلام فارتفع حتىٰ غاب، ثم رجع ومعه طبق من رطب فرجع، قال: وكانت رجلي اليمنىٰ علىٰ كتف جبرئيل، واليسرىٰ علىٰ كتف ميكائيل حتىٰ لحقت بالنبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي وأبي عليهم السلام فحيّوني.

وفي البحار[٢] عن كتاب عتيق جمعه والده رحمه الله وفيه قال: حدثني أحمد بن عبدالله، قال: حدثنا سليمان بن أحمد، قال: حدثنا جعفر بن محمد، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الموصلي، قال: أخبر أبي عن خالد عن القاسم، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن علي بن الحسين عليه السلام في حديث طويل ثم تلا قوله تعالىٰ: ﴿فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ والله آياتنا وهذه إحداها، وهي والله ولايتنا يا جابر.. إلىٰ أن قال عليه السلام: يا جابر أو تدري ما المعرفة؟ المعرفة إثبات التوحيد أولاً، ثم معرفة المعاني ثانياً، ثم معرفة الأبواب ثالثاً، ثم معرفة الامام رابعاً، ثم معرفة الأركان خامساً، ثم معرفة النقباء سادساً، ثم معرفة

---

١ ـ مدينة المعاجز ص٣٥٦.

٢ ـ البحار ج٢٦ ص١٣.

النجباء سابعاً وهو قوله عزوجل **﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفِد البحر قبل أن تنفَد كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مددا﴾** وتلا أيضاً: **﴿ولو أنّما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾**.

يا جابر أتدري ما إثبات التوحيد ومعرفة المعاني؟

أما إثبات التوحيد فمعرفة الله القديم الغايب، الذي لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير، وهو غيب باطن ستدركه كما وصف به نفسه.

وأما المعاني فنحن معانيه ومظاهره، فيكم اخترعنا من نور ذاته، وفوض إلينا أُمور عباده. الحديث.

أقول: هذا الحديث ذكره مع صدره الطويل في البحار في بيان معجزات الباقر عليه السلام[1].

ثم إن المستفاد من هذه الأحاديث وأمثالها أن أمرهم وولايتهم المعبر عنه بالسرّ والباطن وباطن الباطن وأمثال هذه التعابير له مقامات أربعة وهي: حقيقة الرسالة وحمولة الرب يجمعها قوله الولاية الالهية الثابتة لهم، الأول: مقام البيان، **الثاني**: مقام المعاني، الثالث: مقام الأبواب، والرابع: الامام.

وأما معرفة الأركان والنقباء والنجباء، التي ذكرت في حديث جابر فهي راجعة إلىٰ مقامات جزئية في موارد مخصوصة مكتسبة من الامام عليه السلام كما لا يخفىٰ وستجيء الإشارة إليها، وهذه المقامات الأربعة مأخوذة من حديث جابر، والعمدة تحقيق معانيها، وأنه ما المراد منها، فنقول وعليه التوكل:

أما المقام الأول: فهو (أي البيان) كناية عن معرفة التوحيد بنحو البيان والظهور كما قال تعالىٰ: **﴿حتىٰ يتبين لهم أنه الحق﴾**، وكيف كان فهو مقام إثبات التوحيد كما قال عليه السلام في حديث جابر بن عبدالله بعدما سأله بقوله: فقلت: وما البيان

---

١ ـ بقية الحديث في البحار باب معرفتهم بالنورانية ج٢٦ ص١٦.

والمعاني؟

قال عليه السلام: أما البيان فهو أن تعرف الله سبحانه ليس كمثله شيء، فتعبده ولا تشرك به شيئاً، وهو المعبّر عنه أيضاً في حديث جابر الجعفي بقوله عليه السلام المعرفة إثبات التوحيد أولاً، وعبّر عنه في حديث الصادق عليه السلام المروي في البصائر بقوله عليه السلام: إن أمرنا هو الحق وحق الحق، وقوله: السرّ المقنع بالسرّ وهو إشارة إلىٰ مقام التوحيد الحقيقي المشهود بنحو يخصّهم دون غيرهم، الذي عبّر عنه في قوله تعالىٰ: ﴿شهد الله أنه لا إله إلّا هو والملائكة وأُولوا العلم﴾.

حيث إن أُولي العلم الذي فسّر بهم عليهم السلام هم الشاهدون لوحدانيته تلوا شهادته تعالىٰ لنفسه بالوحدانية، فاصل الولاية التي هو باطن النبوة والرسالة ما ظهر فيها هذه المعرفة البيانية له تعالىٰ، وكذلك المطلوب من غيرهم هو هذه المعرفة، وهو معرفته بنفسه تعالىٰ من نفسه كما في حديث سدير عن الصادق عليه السلام الطويل ولعلّه يجيء ذكره، وإليه يشير قول أمير المؤمنين عليه السلام في النهج: لا تحيط به الأوهام بل تجلّىٰ لها بها، وبها امتنع منها.

وإليه وإلىٰ مأخذه أُشير في الحديث المشهور عنهم من قوله عليه السلام: نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا أي هٰذه المعرفة إنما يكون من طريقنا كما سيجيء بيانه مفصلاً في شرح قوله عليه السلام: السلام علىٰ محال معرفة الله.

والحاصل: أن مقام البيان هو إثبات التوحيد ومعرفة الله بصفته، التي وصف بها نفسه لعباده الذين أراد أن يعرفوه بها، وهذه الصفة التي تكون بها معرفة الله تعالىٰ هو مقامهم المولوي الذي هو باطن النبوة والرسالة وهو المعبّر عنه في قوله عليه السلام في دعاء رجب عن الحجة عليه السلام: فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركاناً لتوحيدك وآياتك ومقاماتك، التي لا تعطيل لها، في كل مكان يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك وخلقك، فتقها ورتقها بيدك، بدؤها منك وعودها إليك، أعضاد وإشهاد ومناة واذواد وحفظة ورواد، فبهم ملأتَ سماءَك

وأرضك حتىٰ ظهر أن لا إله إلّا أنت، الدعاء.

فقوله: يعرفك بها من عرفك، صريح في أن معرفة الله إنما هي بمعرفة الأئمة عليهم السلام المشار إليهم في قوله: معادن لكلماتك.. الخ، كما دلت عليه كثير من الأخبار وسيجيء ذكرها.

وقوله: حتى ظهر أن لا إله إلّا أنت، ظاهر في أن هذه المقامات التي ملأت كلّ شيء هي مظاهرالتوحيد.

وعليه فحقيقة التوحيد لا يمكن الوصول إليها إلّا بسبيل معرفتهم، أعني معرفة الصفة التي هي حقيقتهم عليهم السلام وهي أسماؤه تعالى الحسنىٰ، التي قال الصادق وأمير المؤمنين عليهما السلام كما تقدم عن الكافي: «نحن والله الأسماء الحسنىٰ» وهي صفة محدثة لا تشبه صفة شيء من المخلوقات، وهي تلك المقامات، فمعرفة هذه الصفة هي معرفة الله، والطريق إليها أي إلىٰ معرفة الله، وحيث إن الأسماء الحسنىٰ له تعالىٰ هي صفته تعالىٰ كما في توحيد الصدوق والكافي.

وبهذا الإسناد عن محمد بن سنان قال: سألته عن الاسم ما هو؟ قال: صفة لموصوف.

وفيه بإسناده عن ابن سنان قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام هل كان الله عزوجل عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟ قال: نعم، قلت: يراها ويسمعها قال: ما كان محتاجاً إلىٰ ذلك؛ لأنه لم يكن يسألها ولا يطلب منها هو نفسه، ونفسه هو قدرته نافذة، فليس يحتاج أن تسمىٰ نفسه، ولكنه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها؛ لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف، فأول ما اختار لنفسه العلي العظيم؛ لأنه أعلىٰ الأشياء كلها، فمعناه الله واسمه العلي العظيم هو أول أسمائه علا علىٰ كل شيء.

فقوله عليه السلام: «صفة لموصوف» دلّ علىٰ أن الاسم صفة لمسمىٰ.

وقوله عليه السلام: «إذا لم يدع باسمه لم يعرف» دلّ علىٰ أن معرفة الله تعالىٰ بمعرفة تلك الأسماء، التي هي صفة لموصوف. فكونهم أسماءَه الحسنىٰ كما علمت يعني هم

صفاته، وكونهم لا فرق بينها وبينه إلّا أنهم عباده كما علمت، يعني أن تلك الصفات قائمة بذاته تعالىٰ يبين ذاته تعالىٰ كما أن من شأن الصفة بيان الموصوف.

فمعرفته تعالىٰ إنما هي دائماً في ظرف معرفة هذه الصفة.

وإليه أُشير في قوله عليه السلام: لا تعطيل لها في كل مكان في غيبتك وحضرتك وجميع تحولاتك، إذا عرفتها فقد عرفته.

وبعبارة أُخرىٰ أن قوله عليه السلام: «لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك» يعني لا فرق بينه وبينهم عليهم السلام إلّا أنهم عباده أي أنه تعالىٰ ظهر للعبد أي الامام بالعبد، وهذا أحد مصاديق قول أمير المؤمنين عليه السلام: «بل تجلىٰ لها بها»، ففي المقام أنه تعالىٰ تجلىٰ بهم لهم.

ومن المعلوم أنهم المظاهر لأول التجلي، وللتجلي الأعظم كما علمت وستعلم.

ومما يوضح لك هذا هو قولك: جاء زيد القائم، فإذا قلت: القائم، فهو صفة زيد، وهو ظهور زيد بالقيام وليس (أي القيام) هو زيداً، ولذا لم يستتر فيه ضميره، وإنما استتر فيه جهة فاعلية قيامه، وتلك الجهة قائمة بزيد قيام صدور، وقائمة في غيب قائم قيام ظهور، وقائم قائم بتلك الجهة الفاعلية قيام تحقق، حيث إنه بتلك الجهة قام ظهوراً يعني أن تلك الجهة لا تظهر إلّا في قائم، وقائم لا يتحقق إلّا بها؛ لأن تلك الجهة مبدء وجود القائم، وهي حركته أحدثها زيد بنفسها، وهي ليست زيداً وإنما هي حركة، فالقائم مثال زيد أي مبين مثال زيد في ظهوره بفعله، أي تلك الحركة، أي القيام وما أشبهه من العقود والتكلّم ونحوهما، فزيد مثلاً تعرفه مما وصف به نفسه، وهو ما ظهر لك من هذه الحركة أعني القيام ونحوه، الذي هو غير زيد وإنما هو مظهره.

إذا علمت هذا وتفطّنته فنقول: حقيقتهم عليهم السلام كالقيام، وظهوره تعالىٰ بتلك الحقيقة أي صفة القائم، وكما أنّ القائم هو المقام الذي يعرف زيداً به من عرف مثلاً أي لا يعرف زيداً إلّا به، فكذلك معرفته تعالىٰ إنما هي بهم أي بحقيقتهم القائمة به

تعالىٰ كما قال عليه السلام: «يعرفك بها من عرفك».

فحينئذ يكون المراد أنه سبحانه لا يعرف إلّا بتلك المقامات، وهي لا تتحقق إلّا بهم وفيهم كما أن القائم لا يتحقق إلّا بالقيام.

وهذا قول أمير المؤمنين عليه السلام كما تقدم: «لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا» فهم عليهم السلام أركان توحيده وآياته ومقاماته.

وإنما لا تعطيل لها بكلّ مكان؛ لأنه بعدما ملئت بهم السماء والأرض، فلازمه لا تعطيل لها في أي شيء، ولا أي مكان، ولا أي زمان، ولأنه وجه الله تعالىٰ الذي قال تعالىٰ: ﴿أينما تولّوا فثم وجه الله﴾ وقد وردت في ذيل هذه الآية الأحاديث الكثيرة علىٰ أنهم وجه الله تعالىٰ فراجع البحار والكافي، ولأن إثبات التوحيد لا يكون إلّا بالخلق وفي الخلق، إذ مع قطع النظر عن الخلق لا موضوع للإثبات.

وحينئذ حيث إنّ ذاته تعالىٰ تجل عن إدراك العقول لها، كما دلّ عليه كثير من الأحاديث.

كما قال موسىٰ بن جعفر عليه السلام فيما رواه الشيخ الطوسي رحمه الله في حديث طويل.. إلىٰ أن قال عليه السلام: «لأنهم صفوة الخلق اصطفاهم لنفسه؛ لأنه لا يرىٰ ولا يدرك ولا تعرف كيفيته ولا انيته، فهؤلاء الناطقون المبلغون عنه المتصرفون في أمره ونهيه، فبهم تظهر قدرته، ومنهم ترىٰ آياته ومعجزاته، وبهم ومنهم عبادة نفسه، وبهم يطاع أمره، ولولاهم ما عرف الله، ولا يدرىٰ كيف يعبد الرحمن، فالله يجري أمره كيف يشاء فيما يشاء، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» إنتهىٰ وسيجيء الحديث بتمامه فيما بعد فالعقول لا تدركه.

ولا توهم الأوهام؛ لأن العقول والأوهام إنما تدرك أنفسها، وتشير إلىٰ نظائرها كما أُشير إليها في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في النهج.

فحينئذ لا يعرف الله تعالىٰ في كلّ حال ومكان إلّا بمعرفتهم، التي عرفت حقيقتها، وأنها صفة قائمة به تعالىٰ، فصفتهم لا فرق بينها وبينه تعالىٰ في جهة

التعرف والتعريف والظهور في مقام صفاته تعالىٰ لا الذات المقدسة؛ لأنها بمعزل عن الذات القديم الأزلي الأبدي، لأن تلك الصفة التي هي حقيقتهم محدثة وصادرة عنه تعالىٰ، كما علمت أن هذا هو المستفاد من قوله ﷺ: «لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك».

وما ذكرنا من البيان هو المراد من قوله: «أما البيان فهو أن تعرف الله سبحانه ليس كمثله شيء فتعبده لا تشرك به شيئاً».

فإن قلت: لما كان حاصل معرفتهم أنه صفة محدثة بها يعرف الله، هذا مع أنه قال ﷺ في معرفة الله: أن تعرف الله سبحانه ليس كمثله شيء، وتلك الصفة محدثة مثلها شيء.

قلت: أولاً أنه تعالىٰ وصف نفسه بتلك المقامات، التي هي حقيقتهم الأسمائية الحسنائية وهي معرفة له تعالىٰ، فهي صفة لا تشبه شيئاً لساير صفات الخلق، وقوله ﷺ: تعبده لا تشرك به شيئاً هو المقصود من المعرفة.

وحاصله أنه لابد من عبادة ذات المعبود الأحد، التي غيّبها عن نفس تلك الصفات وعن الخلق كله، فلا يتوجه العابد العارف بهم ﷺ إلّا إلى الذات تعالىٰ وتقدس، مع أن العابد أيّاً ما كان لا يجد الذات ومع ذلك لا يفقدها حين لا يجدها، بل وجدها بتلك الصفة وفقدها بكنهها.

وهذا مقام السرّ أي الذات المقنع أي تلك الصفة، التي سترها عن كثير من الخلق، وهذا هو حق الحق أي هو المعبود تعالىٰ حينئذ، وهذا حقّ للحق الكائن بهم وهو تلك الصفة، وهو البيان أي ظهور الحق والتوحيد الحقيقي بهم وبصفاتهم.

ولعمري إن هذا المقام لهم حيث لا يجدون أنفسهم شيئاً، بل وجدوا الله ظاهراً في كل شيء، وقد جعل الله لهم كلّ شيء دكّاً، فهم صعق عند ذاته فانٍ عن أنفسهم بما لها من الحدّ، ففي ذلك المقام لا صوت ولا أثر إلّا صوته وأثره تعالىٰ وهو مقام أنا الحق، وإليه يشير ما في دعاء ليلة الخميس كما في منهاج العارفين ومعراج

العابدين[١] وفيه: «سبحان ربنا ولك الحمد. إلىٰ أن قال عليه السلام: والخلق مطيع لك، خاشع من خوفك، لا يُرىٰ فيه نور إلّا نورك، ولا يسمع فيه صوت إلّا صوتك، حقيق بما لا يحق إلّا لك» الدعاء. فمن يكون في ذلك المقام الذي لا يرىٰ فيه إلّا نوره وصوته تعالىٰ غير محمد وآله الطاهرين عليهم السلام.

وهذا المقام مصدر الرسالة، وحقيقة الولاية التي هي باطن النبوة فافهم ما تلوناه عليك، فإنه من مخزون العلم فلابد من أن يكتم إلّا عن أهله، والله الموفق للصواب والحمد لله رب العالمين.

وأما المقام الثاني أعني مقام المعاني فنقول وعليه التوكل: قوله عليه السلام في حديث جابر: «وأما المعاني فنحن معانيه ومظاهره فيكم، اخترعنا من نور ذاته، وفوض إلينا أمور عباده».

المعاني جمع المعنىٰ والمعنىٰ هو المقصود من شيء لفظاً كان أو غيره فمعناه حينئذ إنّا (أي الأئمة) المقصودون منه تعالىٰ وهذا له **معنيان**:

الأول: أن الله تعالىٰ إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب؛ لكي يصل الناس إلىٰ معرفة الأئمة، التي يترتب عليها معرفة الله تعالىٰ كما سيأتي توضيحه.

وإليه أُشير فيما رواه في الكافي في باب التسليم وفضل المسلمين بإسناده عن سدير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إني تركت مواليك مختلفين يتبرأ بعضهم من بعض قال: فقال: وما أنت وذاك إنما كلّف الناس ثلاثة: معرفة الأئمة والتسليم لهم فيما ورد عليهم والرد إليهم فيما اختلفوا فيه؟

فعلم من هذا الخبر أن التكليف إنما هو بمعرفتهم، بل دلت الأحاديث علىٰ أن العبادة بعناوينها إنما شرعت للوصول إلىٰ معرفتهم.

ففي مقدمة تفسير البرهان روىٰ الشيخ عن داود بن كثير قال: «قال أبو عبدالله عليه السلام: يا داود: نحن الصلٰوة في كتاب الله، ونحن الزكٰوة، ونحن الصيام، ونحن

---

١ ـ ص١٣٨.

الحجّ، ونحن الشهر الحرام، ونحن البلد الحرام، ونحن كعبة الله، ونحن قبلة الله، ونحن وجه الله قال تعالىٰ: **﴿فأينما تولّوا فثمّ وجه الله﴾** ونحن الآيات، ونحن البينات، إلىٰ أن قال عليه السلام: إن الله خلقنا فأكرم خلقنا فسمانا في كتابه وكنىٰ عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبّها إليه».

وفيه عن الاختصاص عن جابر الجعفي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: **لِمَ سمي يوم الجمعة يوم الجمعة؟** قال: فلست تخبرني جعلت فداك، قال: **أفلا أخبرك بتأويله الأعظم؟** قال: قلت: بلىٰ، إلىٰ أن قال عليه السلام ثم قال: يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلوة من يوم الجمعة أي يومكم هذا الذي جمعكم فيه، والصلوة أمير المؤمنين يعني بالصلوة أمير المؤمنين إلىٰ أن قال: ثم قال تعالىٰ: **﴿فإذا قضيت الصلوة﴾** إذا توفّي علي **﴿فانتشروا في الأرض﴾** يعني بالأرض الأوصياء الحديث.

وفي رواية سلمان عن علي عليه السلام أنه قال: قال الله عزوجل: **﴿واستعينوا بالصبر والصلوة وإنها لكبيرة إلّا على الخاشعين﴾** فالصبر رسول الله صلى الله عليه وآله والصلوة إقامة ولايتي.

وفي التفسير أيضاً عن الصادق عليه السلام في قوله تعالىٰ: **﴿حافظوا على الصلوات والصلوٰة الوسطىٰ وقوموا لله قانتين﴾** قال: الصلوات رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والوسطىٰ أمير المؤمنين وقوموا لله قانتين أي طائعين للأئمة عليهم السلام.

أقول: قد عبّر كثير من الأحاديث عن الأئمة عليهم السلام وعن النبي صلى الله عليه وآله بتلك الألفاظ من الصلوة والصيام ونحوهما.

فيعلم منه أن حقيقة تلك العناوين ذواتهم المقدسة، والوجه فيه ما ذكره بعض الأعلام[1] من أنه: لما كانت الصلوٰة كاملة في علي عليه السلام ولم يصدر كاملها إلّا منه عليه السلام ومن أمثاله كالنبي والأئمة عليهم السلام وقد ظهر عليه وعليهم آثارها فكأنه صلى الله عليه وآله وهم عليهم السلام

---

١ ـ وهو استاذ صاحب مقدمة تفسير البرهان ص٢١٧.

صاروا عينها.. الخ.

أقول: وذلك لأن حقيقة الصلٰوة هو التوجه التام والفناء في المعبود بالحق، وهذا لم يكن إلّا فيهم عليهم السلام وقد نقلوا آثار فنائهم عن أنفسهم وفي معبودهم حال الصلٰوة في كتب الأحاديث من تلك الغشية والهزة والغفلة عن غير الحق حتىٰ عن بدنهم عليهم السلام.

وله وجه آخر ذكر في المحكي عن البصائر عن الصادق عليه السلام حين سئل عليه السلام عن أُمور فأجابه عليه السلام وكان فيما سأله أن سأله أنهم يقولون: إن الصلٰوة ونحوها هو رجل، وإن المحرمات كالخمر والمعاصي هو رجل، فأجاب عليه السلام مفصلاً فإنه علىٰ تقدير هو كلام فاسد وعلىٰ تقدير هو كلام صحيح.

إلىٰ أن قال عليه السلام: «ثم إني أخبرك أن الدين وأصل الدين هو رجل، وذلك الرجل هو اليقين والإيمان وهو إمام أمته أو أهل زمانه، فمن عرفه عرف الله ودينه، ومَن أنكره أنكر الله ودينه، ومَن جهله جهل الله ودينه، ولا يعرف الله ودينه وحدوده وشرايعه بغير ذلك الإمام فذلك معنىٰ أن معرفة الرجال دين الله.. إلىٰ أن قال عليه السلام: وأخبرك أني لو قلت: إن الصلٰوة والزكٰوة وصوم شهر رمضان والحج والعمرة، والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشعر الحرام، والطهور والاغتسال من الجنابة وكلّ فريضة كان ذلك هو النبيّ، الذي جاء به من عند ربّه لصدقت؛ لأن ذلك كلّه إنما يعرف ذلك بالنبي، ولولا معرفة ذلك النبي والإيمان به والتسليم ما عرف ذلك، فهذا كلّه ذلك النبي وأصله وهو فرعه، وهو دعاني إليه ودلني عليه وعرّفنيه وأمرني به، وواجب عليّ له الطاعة فيما أمرني به ولا يسعني جهله، وكيف يسعني جهل من هو فيما بيني وبين الله، وكيف لا يكون ذلك معرفة الرجل وإنما هو الرجل، وإنما هو الذي جاء به عن الله وإنما أنكر الدين من أنكره.. إلىٰ أن قال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالىٰ إنما أحبّ أن يعرف بالرجال، وأن يطاع بطاعتهم، فجعلهم سبيله ووجهه الذي يؤتىٰ منه، لا يقبل الله من العباد غير ذلك لا يسأل عما يفعل وهم

يُسألون، فقال فيما أوجب من محبته لذلك الرجل **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾** الآية. فمن قال لك: إن هذه الفريضة كلّها إنما هي رجل، وهو يعرف حدّ ما يتكلم به فقد صدق. ومن قال: على الصفة التي ذكرت أنت بغير الطاعة، فلا يغني التمسك بالأصل بترك الفروع، كما لا تغني شهادة لا إله إلّا الله بترك شهادة أن محمداً رسول الله». الحديث.

فبين عليه السلام أن القول: إن الدين هو معرفة الرجال، فإذا حصلت لا تجب الأعمال بعد فهو باطل كما مثله عليه السلام. وأما إذا كان بالنحو الذي ذكره عليه السلام فهو حق.

وحاصل ما ذكره: أنه لا بد من معرفة الرجال، وأنه المقصود من الشرع، ولابد من العمل كما عملوا فإنّهم عليهم السلام حقيقة العمل والعبادة، فمعرفتهم والعمل بما أمروا يوجب الوصول إلىٰ معرفة الله كما ذكر في متن الحديث، فلا العمل بدون المعرفة يغنىٰ العامل، ولا المعرفة بدون العمل يكون ديناً وطاعة لله تعالىٰ.

والحاصل أن معرفتهم هو الأصل المقصود من الشرع، ولابد من العمل؛ لأنه به يتوصل إلىٰ ذلك، بل لا تكون درجة لأحد حتى النبيين في نبوّتهم إلّا علىٰ حدٍّ معرفتهم والإقرار بها.

ففي بصائر الدرجات في باب آخر في الولاية . للأئمة عليهم السلام بإسناده عن عبدالأعلىٰ قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ما نبيّ نبئ قط إلّا بمعرفة حقّنا وبفضلنا عمن سوانا.

وفي كتاب اللوامع النورانية[1] للسيد هاشم البحراني (رضوان الله عليه) بإسناده عن عمار الساباطي قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل: **﴿أفمن اتبع رضوان الله كمَن باء بسخطٍ من الله ومأواه جهنم وبئس المصير * هم درجات عند الله﴾** فقال: «الذين اتبعوا رضوان الله هم الأئمة عليهم السلام وهم والله يا عمار درجات للمؤمنين وبولايتهم ومعرفتهم إيانا، يضاعف الله لهم أعمالهم ويرفع لهم الدرجات العلىٰ».

---

١ ـ اللوامع النورانية ص٦٦.

وفيه بإسناده عن عمار بن مروان قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام الحديث بنحو ما مرّ مع زيادة.

وفي بصائر الدرجات[1] بإسناده عن حذيفة بن أسيد الغفّار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتىٰ عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومثّلوا له، فأمروا بطاعتهم وولايتهم» فدل قوله صلى الله عليه وآله علىٰ أن مقام النبوة لم يكمل في نبي إلّا بعد الإقرار بولايتهم وإطاعتهم.

وأما المعنى الثاني لقوله عليه السلام: «فنحن معانيه وبيانه» أنه قد تقدم قول الأمير والصادق عليهما السلام: «والله نحن الأسماء الحسنىٰ» وعلمت معنىٰ كونهم أسماء الله هو كونهم صفاته تعالىٰ.

في توحيد الصدوق ومعاني الأخبار بإسناده عن ابن سنان قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الاسم ما هو؟ فقال عليه السلام: «(فهو) صفة لموصوف».

فحينئذ قوله عليه السلام: «فنحن معانيه»، أي معاني الله وهو أي الله اسم للذات المستجمع لجميع الصفات الجلالية والجمالية فمعنىٰ الله تلك الأسماء ومعنى الأسماء هو الصفات، وعلمت فيما تقدم أنهم صفاته تعالىٰ المخلوقة المحدثة، التي بها يعرف الله تعالىٰ.

في توحيد الصدوق بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالىٰ خلق اسماً بالحروف، وهو عزوجل بالحروف غير منعوت، وباللفظ غير منطق إلىٰ أن قال عليه السلام: فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، وحجب واحداً منها وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة، التي أظهرت، فالظاهر هو الله تبارك وتعالىٰ» الحديث، وسيأتي تمامه في الشرح.

فقوله عليه السلام: فالظاهر هو الله تبارك وتعالىٰ بعد قوله: المخزون بهذه الأسماء الثلاثة التي أظهرت، يستفاد منه أن الله هو الاسم الجامع الظاهر، وظهوره عبارة عن

---

١ ـ في الجزء الثاني منه باب ما خصّ الله به الأئمة من آل محمد من ولاية الأنبياء لهم في الميثاق.

ظهور تلك الأسماء الثلاثة، التي أُظهرت فهي ظاهرة بالله وذكر بعده: «أن لتلك الأسماء الثلاثة أركاناً، ولكل ركن ثلاثين اسماً» إلىٰ آخر ما ذكر في الحديث، فعلم أن تلك الأسماء بأجمعها هو المعبّر عنها بالله فالمعنىٰ لله هو تلك الأسماء بأجمعها وهي معانيه، وحيث علمت أن حقيقة تلك الأسماء هم الأئمة عليهم السلام. فينتج أنهم عليهم السلام المعاني لله، ولما ذكرنا شرح يطول بيانه هنا فالأحسن أن نكلّه إلىٰ محلّه.

فحاصل ما ذكرنا هو أنهم عليهم السلام مظاهر علمه الذي وسع السموات والأرض، وحكمه علىٰ كلّ الخلق، ونعمه علىٰ جميع الخلائق، وخيره الذي منَّ به علىٰ الخلائق، وجنبه الذي لا يضام من التجأ إليه، وذمامه الذي لا يطاول ولا يحاول، ودرعه الحصينة، وحصنه المنيعة، ورحمته الواسعة، وقدرته الجامعة، وأياديه الجميلة، وعطاياه الجزيلة، ومواهبه العظيمة، ويده العالية، وعضده القوية، ولسانه الناطق وأُذنه السميعة، وحقّه الواجب علىٰ كلّ أحد، وما أشبه هذه الأسماء المذكورة في أسمائه تعالىٰ.

وقد علمت أن هذه المعاني صفات له تعالىٰ لابد من معرفتها، وهي معاني الله تعالىٰ قائمة به تعالىٰ، فهي بالنسبة إلىٰ ذاته تعالىٰ ليست شيئاً موجودة بنفسها فلا تحقق لها إلّا بالذات، وإنما يعتبر لها حقيقة، ويفرض لها تذوتاً بلحاظ آثارها وأعراضها.

وبعبارة أُخرىٰ: هي بالنسبة إلى الله تعالىٰ أسماء ومعان له تعالىٰ بنحو تقدم شرحُه، وبالنسبة إلىٰ آثارها في عالم الوجود أسماء أعيان وذوات قائمة علىٰ آثارها وأعراضها بما قبلت من امداداتها، ولا نعني بالذات والعين إلّا عينيتها وتذوتها بنحو يلاحظ باعتبار الآثار لا باعتبار ذاته تعالىٰ، فهم في مقام حقائق الأسماء الإلهية بأسرها واجدون، لاعلى المقامات التي هي موضع الرسالة، لأن تلك الحقائق والأسماء المشروحة في الجملة مطارح الإرسالات الإلهية أعني مواد الحياة الوجودية في عالم الخلق من الماء الالهي النازل من سماء الذات إلىٰ أرض الولاية

الكائنة فيهم، والنفس الرحماني الثانوي في إيجاد الشرعيات الوجودية.

وهذا هو الدلالات الأولىٰ الإلهية وهو حقيقة **﴿ن والقلم وما يسطرون﴾** والماء الذي جعل منه كلّ شيء حيّ والكتاب الأول وحقيقة **﴿مفاتح الغيب لا يعلمها إلّا هو ويعلم ما في البرّ والبحر وما تسقط من ورقة إلّا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين﴾** وهو أرض الجرز والزيت الذي يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار، وسيأتي إن شاء الله بيان هذه في مطاوي الشرح، فافهم واغتنم وخذ واعمل.

وأما المقام الثالث أي الأبواب فنقول وعليه التوكل: مقام الأبواب هو المقام المشار إليه أيضاً في قوله عليه السلام: «والباب المبتلىٰ به الناس» وسيأتي شرحه وهو أيضاً المشار إليه بقوله عليه السلام في الحديث المنقول في البصائر: «وباطن الظاهر» حيث إن المراد (والله العالم) من الظاهر هو مقام الإمام والإمامة كما سيجيء وباطن هذا هو مقام الأبواب وهو أيضاً أي مقام الأبواب سرّ لا يفيد إلّا سرّ في غيبه أعني حمولة الرب.

فحقيقة حمولة الرب المشار إليها سرّ لهذا السرّ الذي هو باطن الظاهر، وهذا السرّ يستفيد من ذلك السر وهو يفيده ويمده.

وحاصله أنه تقدم بيان كونهم الأسماء الحسنىٰ له تعالىٰ، بما لها من المعنىٰ السعي الشامل لجميع الموجودات بنحو تقدم تفصيله.

فالأسماء لها سعة في حدّ نفسها، وقد وسعت أركان كلّ شيء، فكلّ شيء من التكوين والتشريع والتكميل للنواقص لا محالة يكون مستمداً من حقائق تلك الأسماء، ولابد من جهة تكون واسطة بين حقيقة تلك الأسماء بما لها من السعة وبين تلك الموجودات الخارجية الكائنة في صراط الكمال كلّ علىٰ حسبه.

فتلك الجهة هي المعبر عنها بالباب الثابت لهم عليهم السلام فهم عليهم السلام من هذه الجهة في حدّ المشترك بين تلك الحقائق الأسمائية وبين الموجودات الخارجية مطلقاً.

وهذا المقام أي كونهم أبواباً من شؤون ولايتهم التكوينية والتشريعية كما لا يخفىٰ، وهي مقام السفارة الالهية والترجمان الإلهي في مقام التشريع، ومقام الإفاضة من عالم الإطلاق الأسمىٰ إلىٰ عالم الموجودات الخارجي التكويني في مقام التكوين.

وإليه يشير قوله عليه السلام في الزيارة المطلقة للحسين عليه السلام المذكورة بسند صحيح في كامل الزيارات: «إرادة الرب في مقادير أُموره، تهبط إليكم، وتصدر من بيوتكم».

فإن قوله: تصدر من بيوتكم إشارة إلىٰ مقام الأبواب كما لا يخفىٰ كما أن قوله: تهبط إليكم، إشارة إلىٰ مقام المعاني كما تقدم.

وبعبارة أُخرىٰ: هم باب الله إلى الخلق، فإن القوابل المهيّئة، والماهيات الامكانيه تكون حياتها في جميع ما لها من ربّها، وتقبّلها لتلك الفيوضات إنما هي بواسطتهم، حيث إنهم أبواب تلك، فهم باب الخلق من الله إليهم وهم إليه تعالىٰ، أي فكما أنهم أبواب نزول الرحمة العامة، إلىٰ القوابل كذلك هم الأبواب لصعود القوابل الكاملة إلىٰ مقام القرب منه تعالىٰ.

ولذا أمر الله تعالى الخلق بطاعتهم وامتثال أوامرهم قبل العمل، فبعد امتثالهم وإطاعتهم لما أمروا قبل الله أعمالهم لهذه الجهة والواسطة، ومن حيث إنهم توجهوا إليه تعالىٰ بهم فرفع الله أعمالهم. كما سيجيء بيانه أزيد من هذا في شرح قوله عليه السلام: «من أراد الله بدأ بكم، ومَن وحّده قبل عنكم، ومن قصده توجه بكم» وإليه أيضاً يشير ما ورد في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾ من أن المراد بالكلم الطيب والعمل الصالح هو الولاية هم عليهم السلام كما سيجيء إن شاء الله بيانه، وهم الأبواب له تعالىٰ أيضاً بواسطة أنهم حفظة شريعة الرب، وترجمان لمن دونهم لتلك الامدادات الإلهية الأسمائية الملقاة إليهم عليهم السلام منه تعالىٰ والحمد لله ربّ العالمين.

وأما المقام الرابع أي مقام الإمام والإمامة فنقول وعليه التوكل: إن الأئمة الاثني عشر عليهم السلام هم مقام الإمامة أي التقدم والترفع علىٰ كلّ أحد وكلّ موجود،

بحيث لا يقاس بهم الناس ولا أحد من الملائكة حتى المقربون.

وسيجيء عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: «ظاهري الإمامة، وباطني غيب لا يدرك» أي أن كلّ ما ظهر منّي فهو إمام بحيث لا يساويه في ذلك الموضوع أحد، كما سيجيء بيانه في شرح قوله عليه السلام: «آتاكم الله ما لم يؤتِ أحداً من العالمين».

والحاصل أنه لما كان الإمام عليه السلام بحسب الباطن والروحية فإن جميع المعارف والأحكام وحقائق الأسماء الحسنىٰ قائمة بنفسه الشريفة، فالإمام حافظ الدين في حكم وعلم وفهم وذكر وفكر وحقائق ومعارف، وحقيقة الولاية الإلهية فلا محالة تكون في الخلق حتىٰ الملائكة إماماً فوق كلّ أحد، فهو بهذا المعنىٰ موضع الرسالة، أي انتقل جميع حقائق الرسالة إليه كما علمت فيما سبق.

وقد تقدم حديث مفضل بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام في بيان ما للإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه أي الإمام (أي علي بن أبي طالب) مثل رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع الأمور ما عدا الرسالة.

ففي الكافي بإسناده عن ربعي قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: ما ينقم الناس منا فنحن والله شجرة النبوة وبيت الرحمة ومعدن العلم ومختلف الملائكة؟

وفيه بإسناده عن السكوني عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنا أهل البيت شجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرحمة ومعدن العلم.

وتقدم مثله مع زيادة حديث خثيمة عن أبي عبدالله عليه السلام.

وتقدم أيضاً حديث الرمانتين الدال علىٰ أن أمير المؤمنين عليه السلام شريك مع رسول الله صلى الله عليه وآله في العلم دون النبوة.

وفي الكافي بإسناده عن جماعة سمعوا أبا عبدالله عليه السلام يقول: إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض وما في الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون، قال: ثم مكث هنيئة فرأىٰ أن ذلك كبر علىٰ من سمعه منه، فقال: علمت ذلك من

كتاب الله تعالىٰ إن الله تعالىٰ يقول: ﴿**فيه تبيان كلّ شيء**﴾.

وروي عن الحسن بن سليمان الحلبي عن كتاب تأويل ما نزل من القرآن، وأبي عبدالله محمد بن العباس بن مروان بسنده إلىٰ عمران بن ميثم بن عباية حدثه: أنه كان عند أمير المؤمنين عليه السلام خامس خمسة هو أصغرهم يومئذ نسمع أمير المؤمنين عليه السلام يقول: حدثني أخي: أنه ختم ألف نبي، وأني ختمت ألف وصي، وأني كلفت ما لم يكلفوا، وأني لأعلم ألف كلمة ما يعلمها غيري وغير محمد صلى الله عليه وآله ما منها كلمة إلّا مفتاح ألف باب بعد ما تعلمون منها كلمة واحدة غير أنكم تقرأون منها آية واحدة في القرآن: ﴿**وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون**﴾ وما تدرون بها.

قال علي عليه السلام: «وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله، أخلاني وأقام عني نساءَه فلا يبقىٰ عندي غيره، وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي، لم يقم عني فاطمة (سلام الله عليها) ولا أحداً من بني، وكنت إذا سألته أجابني، وإذا سكت عنه وفنت مسائلي إبتدأني. فما نزلت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلّا أقرأنيها، وأملاها عليّ فكتبتها بخطي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها، وخاصّها وعامها، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله تعالىٰ، ولا علماً أملاه عليّ وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا.

وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهي كان أو يكون، ولا كتاب منزل علىٰ أحد قبله من طاعة أو معصية إلّا علمنيه، وحفظته فلم أنس حرفاً واحداً، ثم وضع يده علىٰ صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً». الحديث.

وهكذا غيرها من الأحاديث الدالة علىٰ أن العلم المنزل بأجمعه عندهم، وسيأتي في طي الشرح إن شاء الله ما يوضح هذا، والحمد لله ربّ العالمين.

قوله عليه السلام: ومختلف الملائكة.

أيّ محلّ ترددهم أي ذهابهم وإيابهم إليهم عليهم السلام بمعنىٰ أن نزول الملائكة إلى الأرض إنما هو ابتداء إليهم عليهم السلام ورجوعهم إلى السماء منهم من عندهم.

أقول: الكلام هنا يقع في مقامين:

المقام الأول: في بيان الوجه والعلة لاختلاف الملائكة إليهم.

والمقام الثاني: في بيان أنحاء نزول الملائكة.

أما الأول: فنقول وعليه التوكل: لا ريب في أن جميع الموجودات الأرضية والسماوية مخلوقون من أشعة أنوار وجودهم حتىٰ الملائكة، فوجود الكلّ فرع وجود الأصل، ولا شك في أن الفرع يتخذ وظائفه من الأصل، ومرجعه في جميع شؤونه إليه، حيث إن قوام وجوده به فلا محالة يرتبط في حالاته بأصله.

فالأئمة عليهم السلام مبدأ انبعاث الملائكة بأقسامها المدبّرات للأمور السماوية والأرضية بأنحائها.

توضيحه أنه لا ريب في اختلاف جهات قوابل الملائكة، واستمداداتهم منهم عليهم السلام في بدء خلقهم من أنوارهم عليهم السلام وأيضاً الملائكة مختلفون في تلقيهم الكمالات بأنحاء الاستمدادات المتنوعة من المعارف وساير العلوم، ومن أنحاء التحملات لتلك العلوم والقوىٰ للتأدية إلىٰ من شاء الله وإلىٰ ما شاء الله من أنواع الخلق.

إذ من المعلوم أن الملائكة في تلقي تلك الأمور مختلفون في الجهات والأفعال والمفعولات اختلافاً كبيراً عدد ذرّات الموجودات، فكلّ ملك يتحمل ـ بحسب قابليته وما يناسبه، وما هو جنسه أو نوعه أو شخصه ـ كلَّ ذلك الاختلاف.

والتباين والتمايز إنما هو منحصر علمها في جهتهم عليهم السلام وهم معلمو الملائكة في ذلك، ولذلك يكون اختلاف الملائكة بهذه الجهة والعلة إليهم عليهم السلام.

وتدل أحاديث كثيرة علىٰ أن الملائكة منبعثون من أنوارهم في عالم الأرواح

والأنوار: منها ما رواه المجلسي ﵀ في البحار من كتاب رياض الجنان عن أنس بن مالك قال: بينا رسول الله ﷺ صلىٰ صلٰوة الفجر، ثم استوىٰ في محرابه كالبدر في تمامه فقلنا: يا رسول الله إن رأيت تفسر لنا هذه الآية قوله تعالىٰ: ﴿**أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين**﴾.

فقال رسول الله ﷺ: أما النبيون فأنا، وأما الصديقون فعلي بن أبي طالب، وأما الشهداء فعمّي حمزة، وأما الصالحون فابنتي فاطمة وولداها الحسن والحسين. فنهض العباس من زاوية المسجد إلىٰ بين يديه ﷺ وقال: يا رسول الله ألستُ أنا وأنت وعلي وفاطمة والحسن والحسين من ينبوع واحد؟ قال ﷺ: وما وراء ذلك يا عماه؟ قال: لأنك لم تذكرني حين ذكرتهم، ولم تشرفني حين شرفتهم.

فقال رسول الله ﷺ: «أما قولك أنا وأنت وعلي وفاطمة والحسن والحسين من ينبوع واحد فصدقت، ولكن خلقنا الله نحن حيث لا سماء مبنية، ولا أرض مدحية، ولا عرض ولا جنة ولا نار، كنا نسبحه حين لا تسبيح، ونقدسه حين لا تقديس، فلما أراد الله بدء الصنعة فتق نوري، فخلق منه العرش، فنور العرش من نوري، ونوري من نور الله، وأنا أفضل من العرش.

ثم فتق نور ابن أبي طالب، فخلق منه الملائكة، فنور الملائكة من نور ابن أبي طالب، ونور ابن أبي طالب من نور الله، ونور ابن أبي طالب أفضل من نور الملائكة.

وفتق نور ابنتي فاطمة، فخلق منه السموات والأرض، فنور السموات والأرض من نور ابنتي فاطمة، ونور ابنتي فاطمة من نور الله، وفاطمة أفضل من السموات والأرض.

ثم فتق نور الحسن فخلق منه الشمس والقمر، فنور الشمس والقمر من نور الحسن، ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر.

ثم فتق نور الحسين فخلق منه الجنة والحور العين، فنور الجنة والحور العين من

نور الحسين، ونور الحسين من نور الله، والحسين أفضل من الجنة والحور العين.

ثم إن الله خلق الظلمة بالقدرة، فأرسلها في سحائب البصر، فقالت الملائكة: سبوح قدوس، ربنا مذ عرفنا هذه الأشباح ما رأينا سوءاً، فبحرمتهم إلّا كشفت ما نزل بنا، فهنالك خلق الله تعالىٰ قناديل الرحمة، وعلقها علىٰ سرادق العرش، فقالت: إلٰهنا لمن هذه الفضيلة وهذه الأنوار؟ فقال: هذا نور أَمتي فاطمة الزهراء، فلذلك سميت أمتي الزهراء؛ لأن السموات والأرضين بنورها ظهرت، وهي ابنة نبي وزوجة وصي وحجتي علىٰ خلقي، أشهدكم يا ملائكتي أني قد جعلت ثواب تسبيحكم وتقديسكم لهذه المرأة وشيعتها إلىٰ يوم القيٰمة».

فعند ذلك نهض العباس إلىٰ علي بن أبي طالب وقبّل ما بين عينيه، وقال: يا علي لقد جعلك الله حجة بالغة على العباد إلىٰ يوم القيٰمة.

فعلم من قوله ﷺ: ثم فتق نور ابن أبي طالب فخلق منه الملائكة.. الخ أن مبدأ انبعاث الملائكة، الذين هم حملة العرش وقوام العرش بهم، بما هم من الأصناف الكائنة في السموات والأرضين، والمربية لأمور قد وكّلوا بها، فجميع الملائكة بأقسامها منبعثة مخلوقة من نور علي بن أبي طالب عليه السلام.

وهذا يقتضي أن شؤونهم بأجمعها منقبسة ومنشعبة من نور علي بن أبي طالب عليه السلام فلهم ارتباط تكويني مع نوره عليه السلام نحو ارتباط الفرع بالأصل.

ونحو هذا الحديث أحاديث أُخر مثله في هذا المعنىٰ، وستأتي الاشارة إليها في طي المباحث الآتية إن شاء الله.

أما المقام الثاني: في بيان أقسام نزول الملائكة وهي كثيرة:

منها أنهم ينزلون إليهم لعرض أعمال العباد.

ففي بصائر الدرجات أحاديث كثيرة قريبة المضمون، دلّت علىٰ عرض الأعمال عليهم عليهم السلام فمنها: بإسناده عن حفص بن البختري عنه (أي عن أبي عبدالله) قال: «تعرض الأعمال يوم الخميس علىٰ رسول الله ﷺ وعلى الأئمة عليهم السلام» ومن

المعلوم أنما يعرضها عليهم الملائكة الحفظة.

ومن أقسام النزول أنهم يدخلون بيوتهم ويطأوون بسطهم ويخدمونهم عليهم السلام.

فعن الكافي بإسناده عن مسمع قال: كنت لا أزيد علىٰ أكلة بالليل والنهار، فربما استأذنت علىٰ أبي عبدالله عليه السلام وأجد المائدة قد رفعت لعلّي لا أراها بين يديه، فإذا دخلت دعا بها فأصيب معه من الطعام ولا أتأذّىٰ بذلك، وإذا عقبت بالطعام عند غيره لم أقدر علىٰ أن أقرّ، ولم أنم من النفخة، فشكوت ذلك إليه، وأخبرته بأني إذا أكلت عنده لم أتأذ به.

فقال: يا أبا سيّار إنك تأكل طعام قوم صالحين، تصافحهم الملائكة علىٰ فرشهم، قال: قلت: ويظهرون لكم؟ قال: ومسح يده علىٰ بعض صبيانه فقال: إنهم ألطف بصبياننا منا بهم.

وعن الرضا عليه السلام[1] عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيد من خلق الله عزوجل، وأنا خير من جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، وحملة العرش، وجميع ملائكة الله المقربين، وأنبياء الله المرسلين. وأنا صاحب الشفاعة والحوض الشريف. وأنا وعلي أبوا هذه الأمة، من عرفنا فقد عرف الله، ومن أنكرنا فقد أنكر الله. ومن علي عليه السلام سبطا نبيّ سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين، ومن ولد الحسين أئمة تسعة طاعتهم طاعتي، ومعصيتهم معصيتي، وتاسعهم قائمهم ومهديّهم، وإن الملائكة لخدّامنا وخدّام محبينا، الحديث.

ومنها: نزولهم عليهم في ليالي القدر وهي كثيرة.

منها: ما في بصائر الدرجات: حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسن بن العباس بن الجريش قال: عرضت هذا الكتاب علىٰ أبي جعفر عليه السلام فأقرّ به قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: قال علي عليه السلام في صبح أول ليلة القدر التي كانت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله: سلوني، فوالله لأخبرتكم بما يكون إلىٰ ثلاثمائة وستين يوماً من الذّر فما دونها فما

---

١ ـ نقلته عن الأنوار اللامعة للسيد عبدالله الشبّر رحمه الله.

فوقها، ثم لأخبرتكم بشيء من ذلك، لا بتكلّف ولا برأي ولا بادعاء في علم إلّا من علم الله وتعليمه، والله لا يسألني أهل التوراة ولا أهل الانجيل، ولا أهل الزبور ولا أهل الفرقان إلّا فرقت بين كلّ أهل كتاب بحكم ما في كتابهم.

قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام أرأيت ما تعلمونه في ليلة القدر، هل تمضي تلك السنة وبقي منه شيء لم تتكلموا به؟ قال: لا، والذي نفسي بيده لو أنه فيما علمنا في تلك الليلة أن أنصتوا لأعدائكم لنصتنا فالنصت أشد من الكلام.

وهناك أحاديث كثيرة في تفسير قوله تعالىٰ: **﴿تنزّل الملائكة والروح﴾** الآية، دلّت علىٰ نزول الملائكة والروح عليهم في تلك الليلة، فراجع.

ومنها: نزول الملائكة لزيارة قبورهم.

ففي كامل الزيارات بإسناده عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله وكّل بقبر الحسين عليه السلام أربعة آلاف ملك شعث غبر، يبكونه من طلوع الفجر إلىٰ زوال الشمس، فإذا زالت الشمس هبط أربعة آلاف، وصعد أربعة آلاف ملك، فلم يزل يبكونه حتىٰ يطلع الفجر، الحديث، ومثله فيه كثير[1].

وفيه أيضاً بإسناده عن داود الرقي قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، وإنه ينزل من السماء كلّ مساء سبعون ألف ملك، يطوفون بالبيت الحرام ليلتهم، حتىٰ إذا طلع الفجر انصرفوا إلىٰ قبر النبي صلى الله عليه وآله فيسلّمون عليه، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين عليه السلام فيسلّمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين عليه السلام فيسلّمون عليه، ثم يعرجون إلى السماء قبل أن تطلع الشمس. ثم تنزل ملائكة النهار سبعون ألف ملك، فذكر أنهم يعملون كملائكة الليل، ثم يعرجون إلى السماء قبل أن تغيب الشمس.

ومنها أن الملائكة تنزل عليهم وتحدثهم بالعلوم.

ففي بصائر الدرجات بإسناده عن زرارة قال: أرسل أبو جعفر عليه السلام الىٰ زرارة:

---

١ ـ كامل الزيارات باب ٢٧ ص ٨٣.

أعلم الحكم بن عيينة أن أوصياء علي محدّثون.

وفيه بإسناده عن صفوان بن يحيىٰ قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: كان جعفر عليه السلام يقول: لولا إنا نزداد لأنفدنا.

وفيه بإسناده عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك بلغني أن الله تبارك وتعالىٰ قد ناجا علياً، قال: أجل قد كان بينهما مناجات بالطائف نزل بينهما جبرئيل.

وفيه بإسناده عن جابر بن عبدالله قال: لما كان يوم الطائف ناجا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال أبو بكر وعمر: ناجاه (أي علياً) دوننا، فقال صلى الله عليه وآله: ما أنا أُناجي بل الله ناجاه.

وفيه بإسناده عن علي بن أعين، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأهل الطائف: لأبعثنّ إليكم رجلاً كنفسي يفتح الله به الخيبر، سيفه سوطه، فيشرف الناس، فلما أصبح ودعا علياً عليه السلام فقال: إذهب بالطائف، ثم أمر الله النبي أن يرحل إليها بعد أن رحل علي عليه السلام فلما صار إليها، كان علي علىٰ رأس الجبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أثبت، فسمعناه مثل صرير الزجل فقال: يا رسول الله ما هذا؟ قال: إن الله يناجي علياً عليه السلام.

ومنها: أنهم ينزلون إليهم لتعلم العلوم منهم عليهم السلام كما كانوا عليهم السلام معلميهم في عالم الأرواح.

فعن حبيب بن مظاهر رضي الله عنه أنه قال للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام: أي شيء كنتم قبل أن يخلق الله تعالىٰ آدم عليه السلام؟ قال عليه السلام: كنّا أشباح نور، ندور حول عرش الرحمن، فنعلم الملائكة التسبيح والتهليل والتحميد.

فعلم أن الملائكة علمت المعارف وكيفية التسبيح منهم عليهم السلام.

روى الصدوق بأسانيده عن عبدالسلام بن الصالح الهروي، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه عن آبائه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول

الله ﷺ: ما خلق الله خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه مني، قال علي عليه السلام: فقلت: يا رسول الله أفأنت أفضل أو جبرئيل؟ فقال ﷺ: يا علي إن الله تبارك وتعالىٰ فضل أنبيائه المرسلين علىٰ ملائكته المقربين، وفضّلني علىٰ جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك، وإن الملائكة لخدّامنا وخدّام محبينا يا علي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم، ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا.

يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حوّاء، ولا الجنة ولا النار، ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة، وقد سبقناهم إلىٰ معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه وتمجيده؛ لأنّ أول ما خلق الله عزوجل خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده، ثم خلق الملائكة، فلمّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا فسبحنا لتعلم الملائكة أنا خلق مخلوقون، وأنه منزّه عن صفاتنا، فسبحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا، فلما شاهدوا عظيم شأننا هللنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلّا الله وأنّا عبيد ولسنا بآلهة يجب أن نعبد معه أو دونه فقالوا: لا إله إلّا الله.

فلما شاهدوا كبرَ محلّنا كبرّنا لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن ينال عظيم المحل إلّا به.

فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من العز والقوة قلنا: لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، لتعلم الملائكة أن لا حول ولا قوة إلّا بالله، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا، وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا: الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالىٰ ذكره علينا من الحمد علىٰ نعمه فقالت الملائكة: الحمد لله، فبنا إهتدوا إلىٰ معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده.

ثم إن الله تبارك وتعالىٰ خلق آدم فأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عزوجل عبودية ولآدم عليه السلام إكراماً وطاعة؛

لكوننا في صلبه فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم عليه السلام كلهم أجمعون؟!الحديث.

فعلم من هذا الحديث أن النبي والأئمة عليهم السلام أفضل من جميع الملائكة، فحينئذ تكون الملائكة حاملين للوحي والالهامات من المبدإ إنما هو من أنوار حقائق آل محمد صلى الله عليه وآله فهم المعلمون للخلق أجمع؛ وذلك لأنهم عليهم السلام أبواب الفيض ومنبع الخير.

فهم أبوابه في جميع ذرّات الوجود في الصدور والورود، وسيجيء بيانه أوضح من هذا عن قريب. أقول: وسيأتي ما يدل علىٰ هذا في الشرح أيضاً.

وفي المحكي عن العلل بإسناده إلىٰ أبي خديجة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: مرّ بأبي رجل وهو يطوف، فضرب بيده علىٰ منكبه ثم قال: أسألك عن خصال ثلاث، لا يعرفهن غيرك وغير رجل آخر، فسكت عنه حتىٰ فرغ من طوافه، ثم دخل الحجر فصلىٰ ركعتين وأنا معه، فلما فرغ نادىٰ: أين هذا السائل؟ فجاء وجلس بين يديه فقال له: سل، فسأله عن مسائل، فلما أجيب قال: صدقت ومضىٰ، فقال أبي عليه السلام: هذا جبرئيل آتاكم يعلمكم معالم دينكم.

أقول: أي يعلمكم ذلك بسؤاله منه عليه السلام؛ ليبين بذلك المعالم لغيره أو يعلمكم أنه لابد لكم أن تسألوا منه عليه السلام كما سأل.

والحاصل: أن الملائكة تنزل إليهم عليهم السلام في جميع الأمور.

ففي الكافي بإسناده عن علي بن حمزة عن أبي الحسن عليه السلام قال: سمعته يقول ما من ملك يهبطه الله في أمر ما إلا بدأ بالإمام فعرض ذلك عليه، وإن مختلف الملائكة من عند الله تبارك وتعالىٰ إلىٰ صاحب هذا الأمر عليه السلام.

وفي الصحيفة في الصلاة على الملائكة قال عليه السلام: ورسلك من الملائكة إلىٰ أهل الأرض بمكروه ما ينزل من البلاء ومحبوب الرخاء، الدعاء.

فعلم أنه كما أن جدّهم (صلوات الله عليه وآله) كانت الملائكة تختلف إليه فهو مختلف الملائكة فهم عليهم السلام كذلك مختلف الملائكة، وأن ذلك المحل الكائن لجدهم هو

الكائن لهم بعده (صلى الله عليهم أجمعين) فهم الحفظة للعلوم والإلهامات الإلهية كما كان جدهم ﷺ كذلك فيحفظون المعارف والعلوم لهداية الخلق.

هذا وقد اشتهر في الأحاديث مجيء الملائكة وجبرئيل عندهم بصورة الإنسان، كما علمت من مجيئه عند أبي جعفر في حديث أبي خديجة، ومجيئه بصورة دحية الكلبي عند النبي ﷺ كما روته الخاصة والعامة.

وفي المحكي عن ابن أبي عمير، عن عمرو بن جميع، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان جبرئيل إذا أتى النبي ﷺ قعد بين يديه قعدة العبيد، وكان لا يدخل حتىٰ يستأذنه.

وروى الكليني في الصحيح عن أبي حمزة الثمالي قال: دخلت علىٰ علي بن الحسين فاحتبست في الدار ساعة، ثم دخلت البيت وهو يلتقط شيئاً، وأدخل يده فيما وراء الستر فناوله من كان في البيت.

فقلت: جعلت فداك هذا الذي أراك تلتقطه أي شيء هو؟ فقال: فضلة من زغب الملائكة أي صغار ريشهم نجمعه إذا دخلونا نجمعه سبحاً لأولادنا، فقلت: جعلت فداك وإنهم ليأتونكم؟ فقال: يا أبا حمزة إنهم ليزاحمونا علىٰ تكاتنا.

أقول: هنا كلام وإنكار وحاصله: أنه كيف يكون للملائكة ريشاً بحيث يلتقطون منه لأولادهم وماهم إلّا جسماً روحانياً من عالم الملكوت؟

قلت: نعم ولكنه لشدة تمركز قوىٰ الفعالة فيهم فهم يتشكلون بأشكال مختلفة قيل: سوى الكلب والخنزير، وذلك لأنهم روحانيون فلا تناسب بينهم وبين الكلب والخنزير المجردين عن الروحانية دون ساير الحيوانات.

وكيف كان فقد اشتهر تشكلهم بصورة الآدمي كما علمته من حديث مجيء جبرئيل بصورة دحية الكلبي وغيره.

ومما يدل علىٰ أنهم يتصورون بصور الطيور ما رواه في البحار عن كتاب إكمال الدين.. عن محمد العطار عن أبي علي الخيزراني عن جارية له كان أهداها لأبي

محمد عليه السلام إلىٰ أن قال: قال أبو علي: وسمعت هذه الجارية تذكر أنه لما ولد السيد رأت له نوراً ساطعاً قد ظهر منه وبلغ أُفق السماء، ورأت طيوراً بيضاء تهبط من السماء وتمسح أجنحتها علىٰ رأسه ووجهه وسائر جسده ثم تطير، فأخبرنا أبا محمد عليه السلام بذلك فضحك ثم قال: تلك ملائكة السماء نزلت لتبرك به وهي أنصاره إذا خرج، الحديث.

أقوله ومثله أيضاً مذكور في أبواب مواليد الأئمة عليهم السلام فيظهر منه أن الملائكة تتصور بصور الطيور.

وحينئذ فمن الممكن بل الواقع أن الملائكة يكون مجيئهم عندهم عليهم السلام علىٰ أقسام:

فمنها أنهم يجيئون عندهم بصورة الطيور، فحينئذ يلتقطون من زغبهم الملقاة على الأرض منهم لأولادهم عليهم السلام والحمد لله رب العالمين.

***قوله* عليه السلام: ومهبط الوحي.**

أقول: المهبط اسم مكان للهبوط بمعنى المحل.

وأما معنىٰ الوحي لغة وما يراد منه بلسان الشرع فـي مجمع البـيان: العرج الوحي بتشديد الياء السريع ومثله موت وحي مثل سريع لفظاً ومعنىٰ وقال: والوحاء والوحا (بالمد والقصر) السرعة وقوله: استوحيته أي استصرخته.

وعن القاموس: الوحي الاشارة والكتابة والمكتوب والرسالة والإلهام والكلام الخفي، وكلما ألقيته إلىٰ غيرك، إنتهىٰ.

قال الطريحي رحمه الله: والوحي مصدر وَحَى إليه يَحي من باب وعد، وأوحىٰ له (بالألف) مثله، وجمعه وحي، والأصل فعول مثل فلوس ثم غلب استعمال الوحي فيما يلقىٰ إلىٰ الأنبياء من عند الله.

أقول: قوله: والأصل فعول أي أن وحي أصله وحوي، ثم قلبت الواو ياء ثم

أُدغمت فيه وأخذ في معنى الوحي الاخفاء ولذا قيل: قوله تعالىٰ: ﴿وأوحىٰ ربك إلى النحل أن اتخذي﴾ أي ألهمها وقذف في قلبها وعلمها علىٰ وجه لا سبيل لأحد على الوقوف عليه.

وقيل: معنىٰ أوحىٰ أي أومَأ ورمز إليه، وقسم بعضهم الوحي إلىٰ وحي إلهام وإلىٰ وحي إعلام وفسر بالثاني قوله تعالىٰ: ﴿وأوحينا إلىٰ أُمّ موسىٰ﴾ أي أعلمناها يدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾.

وأصل الوحي في لغة العرب إعلام في خفاء ولذلك يسمى الإلهام وحياً.

أقول: قد علم مما ذكر أن الوحي هو الاعلام في خفاء، وله مصاديق فجميع ما ذكر إنما هو مصاديقه قد استعمل لفظ الوحي فيه بنحو الحقيقة، نعم حيث إنه مشترك معنوي لابد من القرينة.

ومما ذكرنا يظهر وجه النظر فيما عن المجمع في بعض كلامه كما لا يخفىٰ، هذا من حيث اللغة.

وأما بيانه من حيث استعماله في الشرع بالنسبة إلىٰ النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام وكذلك بالنسبة إلىٰ غيرهم فنقول:

قد نبه القرآن علىٰ أن حقائق الأشياء كلّها مسطورة في اللوح المحفوظ قال الله تعالىٰ: ﴿.. كتاب أحكمت آياته ثم فصّلت من لدن حكيم خبير﴾[1].

ومن هنالك يخرج إلىٰ الوجود، فالعلوم إنما تفيض من ذلك العالم علىٰ القلوب بأنحاء مختلفة بواسطة القلم العقلي الكاتب في ألواح النفوس قال تعالىٰ: ﴿أُولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾ وقال تعالىٰ: ﴿.. علّم بالقلم * علّم الإنسان ما لم يعلم﴾.

والقلب الانساني هو الصفحة الصالحة لأن تنتقش فيه العلوم كلها، فهي كمرآة مستعدة لأن تتجلىٰ فيها الحقائق الواقعية بالنسبة إلىٰ كلّ أمر.

نعم إن بعض النفوس خالية عن تلك الحقائق لأمور منها لنقصان ذاتي كقلب

---

١ ـ هود: ١.

الصبي، أو لكثرة المعاصي الموجبة لعروض الخبث عليه من أجل كثرة الشهوات، أو لاعراض القلب عن تلقي تلك المعارف من مواردها لأجل صرف همّه لتهيئة أسباب المعيشة المادية، أو لأجل الغور في الأعمال البدنية من دون تأمل في الحضرة الربوبية والحقائق الإلهية، فلا محالة لا ينكشف له إلّا ما هو متفكر فيه، وهذا كأغلب الزهاد المتوغلين في ظاهر الشريعة دون المقصود منها كما لا يخفىٰ، أو لوجود الحجاب فيما بينه وبين تلقي تلك المعارف وذلك الحجاب مثل الاعتقادات الحاصلة في الصباء عن تقليد، أو الحاصلة للأكابر بواسطة العلوم المادية أو الفلسفية من دون تطبيق لها مع الشرع فهذه الحجب المتلفقة تمنعه أن تنكشف في قلبه الحقائق.

ثم إن المعارف الملقاة في القلب المستعد إن كانت مع الاطلاع علىٰ السبب الموجب لها فيسمىٰ وحياً إلهياً ويختص به الأنبياء والرسل، حيث إن تلقي المعارف إنما يكون لهم من سبب معلوم، وهو تلقيها عنه تعالىٰ بلا واسطة كما كان لنبينا ﷺ كما سيجيء أو بسبب الملك كجبرئيل عليه السلام.

وأما غير هذه الصورة فالعلوم إما ضرورية تحصل بمجرد النظر إلىٰ مواردها وأما غير ضرورية. فهذه تارة تحصل بالاكتساب بطريق الاستدلال والتعلم فيسمىٰ اعتباراً واستبصاراً ويختص به العلماء والحكماء بأقسامها. وتارة تحصل بهجومه علىٰ القلب كأنه ألقىٰ فيه من حيث لا يدري، قال عليه السلام: هجم بهم العلم علىٰ حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين، الخبر، فهذا يسمىٰ إلهاماً. ومنه الحديث من قوله عليه السلام: «المؤمن ملهم»، وقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وما برح لله جلت آلاؤه في البرهة بعد البرهة، وفي أزمان الفترات رجال ناجاهم في فكرهم، وكلمهم في ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظة في الأسماع والأبصار والأفئدة».

ويسمىٰ نفثاً في الروع إن كان نكتاً في القلب، ويسمىٰ حديث الملك إن كان نقراً في السمع ويختص بهما الأولياء، قيل: ومعارف الأئمة عليهم السلام من هذا القسم، ولكن

فيه تأمل وسيأتي بيانه، ولما ذكر توضيح آخر في محله.

وقد يقال : في الفرق بين معارف الأنبياء والأولياء (أي الأئمة) وبين معارف العلماء ما حاصله: أنه لو فرض حوضان:

أحدهما: يجري فيه الماء من فوقه بواسطة أنهار مثلاً.

وثانيهما: فيه الماء لأجل اتصاله من تحته بالعين الغريزية المنفجرة تحته.

فالعلماء علمهم من طريق أنهار الحواس الظاهرية والباطنية الموجبة لاجراء العلم في القلب.

وأما الأنبياء والأئمة عليهم السلام فيفجر العلم لهم من ينبوع من داخل سويداء القلب باتصاله باللوح المحفوظ بلا واسطة، أو بواسطة المعطي لهم ذلك العلم من اللوح المحفوظ حسب اختلاف الأنبياء، كما لا يخفىٰ.

فأين هذا من الأول؟ فإن علم الأول يمكن نفاده لأجل سدّ باب الحواس بل بالخدشة فيه لأجل الالتباس بالهام الخناس كما لا يخفىٰ.

ومما ذكر علم أصل المطلب في نزول العلم من اللوح المحفوظ إلىٰ أرض القلوب في الجملة.

وأما بيان المراد من قوله عليه السلام: «ومهبط الوحي» فيتضح ببيان الفرق بين النبي والرسول والمحدث، أما الفرق بين الرسول والنبي فقد تقدم، وأما الفرق بينه وبين المحدث فنقول:

في الكافي، علي عن أبيه عن ابن مرازم قال: كتب الحسن بن العباس المعروفي إلى الرضا عليه السلام: جعلت فداك أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبي والامام؟

قال: فكتب أو قال: الفرق بين الرسول والنبي والامام أن الرسول الذي ينزل عليه جبرئيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي، وربما رأىٰ في منامه نحو رؤيا إبراهيم، والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم بسمع، والامام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص.

أقول: قوَله: ولم يسمع، كان المراد به أنه لم يجمع له بين الأمرين كما يجمع للرسول.

وفيه بإسناده عن مؤمن الطاق قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: **فمن النبي والمحدث؟** قال: .. إلىٰ أن قال عليه السلام: **وأما المحدث فهو الذي يحدث فيسمع ولا يعاين ولا يرىٰ في منامه.**

فعلم من هذا: أن المحدث يلقىٰ إليه الكلام بدون المعاينة كما كان للرسول صلى الله عليه وآله.

وتوضيحه: أن الوحي الذي أُنزل علىٰ محمد صلى الله عليه وآله هو أقصىٰ مراتب التوحيد، الذي هو جامع لتمام مراتبه، الذي هو مرآة للوحدة الإلهية لا لخصوص مرتبة من مراتبها ولذا قال تعالىٰ: **﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحىٰ إليّ أنما إلهكم إله واحد﴾** وقال تعالىٰ: **﴿إنما يوحىٰ إليّ أنما إلهكم إله واحد﴾**.

فالمراد بذلك الوحي حقيقة نبوته، التي هي حقيقة الاسم الأعظم الذي ألقاه إلىٰ قلبه الشريف كما أُشير في قوله عليه السلام: «اللّهمّ إني أسألك بالتجلي الأعظم».

فحقيقة الوحي هو ذلك التجلي الكلي الذي شمل جميع مراتب أسماء الله الحسنىٰ بحيث لا يشذ عنه شاذ، فقلبه الشريف وسع فيه ما سواه تعالىٰ، ولعله إليه يشير قوله صلى الله عليه وآله: «من أن أسماء جميع الخلق من أهل الجنة والنار يكون في كفي» في الحديث المروي عنه صلى الله عليه وآله.

كما في بصائر الدرجات بإسناده عن محمد بن عبدالله قال: **سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله الناس ثم رفع يده اليمنىٰ قابضاً علىٰ كفّه، قال: أتدرون ما في كفي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: فيها أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم وقبائلهم إلىٰ يوم القيٰمة، ثم رفع يده اليسرىٰ فقال: أيها الناس أتدرون ما في يدي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: فيها أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم إلىٰ يوم القيامة، ثم قال: حكم الله وعدل وحكم الله وعدل وحكم الله وعدل فريق في الجنة وفريق في السعير.**

ومن المعلوم أنه ما كان في كفيه المباركتين شيء، فإنما كنىٰ بذلك العمل علىٰ أن وجوده المقدس له من الإحاطة والسعة ما وسع جميع الخلق سعيدهم وشقيهم، وهو عالم بجميع أحوالهم وهو مسيطر عليهم وعارف بخصوصياتهم إلىٰ يوم القيامة.

ثم إنه بعدما علمت أن الوحي الحقيقي تجلى الجميع في قلب النبي ﷺ وعلمت أن ما ألقي فيه من العلم والمعارف وما تجلىٰ فيه من ربه تعالىٰ هو بتمامه وكماله انتقل إلىٰ أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام كما تقدمت الأحاديث الدالة عليه.

فحينئذ يظهر لك أن ما أُوتي محمد ﷺ من حقيقة الوحي ومراتبها أجمع هو طبعه الأُولي الذاتي منه تعالىٰ ﷺ بتمامه وكماله.

وما أُوتي إليهم عليهم السلام من مراتبه هو ما كان دونه بمرتبة يعني إذا تنزلت حقيقة الوحي عن طبعها الأُولي في قلب النبي حيث له النبوة فقط، فنزولها عن تلك المرتبة هي المرتبة التي أُوتيها آل محمد ﷺ.

فهم حينئذ مهبط الوحي بحقيقته، نعم في المرتبة المتأخرة عن مرتبة النبوة، وهذا معنىٰ ما دلّ علىٰ أن الوحي مختص بالرسول، وأنهم عليهم السلام قد أُوتوا ما أُوتي النبي مع اختصاص الوحي به دونهم فتأمل تعرف.

فحينئذ بأيّ معنىٰ فسّر الوحي لغة؟ يمكن أن يراد من قوله عليه السلام: «ومهبط الوحي»، المعنىٰ الحقيقي سواء فسّر بأنه عبارة عما يلقىٰ إلىٰ الأنبياء من عند الله تعالىٰ، أو ساير التعاريف الأُخر فإنهم عليهم السلام بتمام المعاني مهبط الوحي، نعم بواسطة النبي وفي مرتبة ثانية كما علمت.

ثم إنه لم يؤخذ في معنىٰ الوحي عدم الوساطة حتىٰ يكون إطلاقه عليهم عليهم السلام مجازاً كما لا يخفىٰ بل ثبت عمومه، وحينئذ نقول: كونهم مهبط الوحي يكون بمعان:

الأول: أنهم مهبطه بواسطة النبي ﷺ كما علمت.

الثاني: كونه كذلك باعتبار هبوطه علىٰ جدهم في بيوتهم.

فعن صاحب الديلم قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول وعنده أُناس من أهل الكوفة: عجباً للناس إنهم أخذوا علمهم كلّه عن رسول الله صلى الله عليه وآله فعلموا به واهتدوا، ويرون أن أهل بيته لم يأخذوا علمه ونحن أهل بيته وذريته!! في منازلنا ينزل الوحي، ومن عندنا خرج العلم إليهم أفيرون أنهم علموا وأهتدوا وجهلنا نحن وظللنا؟! إنّ هذا لمحال.

وفي الكافي بإسناده عن الحكم بن عيينة قال: لقي رجل الحسين بن علي عليه السلام بالثعلبية وهو يريد كربلاء فدخل عليه فسلّم عليه، فقال له الحسين عليه السلام: من أي البلاد أنت؟ قال: من أهل الكوفة، قال: أما والله يا أخا أهل الكوفة لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل من دارنا، ونزوله بالوحي علىٰ جدّي، يا أخا أهل الكوفة أفمستقي الناس العلم من عندنا فعلموا وجهلنا هذا ما لا يكون؟!

الثالث: أنهم مهبط الوحي باعتبار نزوله عليهم، وتحديث الملائكة لهم بغير الشرايع والأحكام كالمغيبات، أو الأعم منها في ليلة القدر وغيرها بأن يقال: إنّ الوحي التشريعي الحكمي مختص بالنبي صلى الله عليه وآله وأما في غيره فيعمّه صلى الله عليه وآله ويعمّهم عليهم السلام ولا ينافي هذا كمال الدين في زمن الرسول صلى الله عليه وآله إذ الكمال مختص بالأحكام.

وأماساير الأخبار حسب الحوادث فلا، إذ هذه لا ينافي كمال الدين كما لا يخفىٰ، فالحكم قد كمل في زمن الرسول وهم يحكمون بذلك، وأما ساير الأمور فهم فيها محدثون، كما دلّت عليه أخبار كونهم محدّثين وهي كثيرة كما لا يخفىٰ، ويدل علىٰ هذا مضافاً إلىٰ ما تقدم جملة من الأخبار.

فمنها ما رواه في الكافي بإسناده عن الكاظم عليه السلام قال: مبلغ علمنا علىٰ ثلاثة وجوه: ماض وغابر وحادث، فأمّا الماضي فمفسّر، وأما الغابر فمزبور وأما الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع، وهو أفضل علمنا ولا نبي بعد نبينا.

قوله عليه السلام: فأما الماضي فمفسّر، أي الذي فسّرناه وخرج منا إليكم وهو العلوم الحاصلة للشيعة والعلماء منهم عليهم السلام، قوله عليه السلام: وأما الغابر فمزبور، ففي المجمع: والغابر

الباقي يقال: غبر غبوراً من باب قعد (بقي) وقد يستعمل فيما مضىٰ فهو من الأضداد.

أقول: الغابر يستعمل في الماضي وبمعنى الباقي، ففي هذا الحديث يراد منه الباقي بقرينة مقابلته مع الماضي في صدر الحديث. فحينئذ قوله: وأما الغابر، أي العلم الباقي لنا في خزانة علمه تعالىٰ فهو مزبور ومكتوب في اللوح المحفوظ.

قوله: وأما الحادث (أي الذي يحدث لنا ويحدّثه.) فهو الذي نتلقاه إما بقذف في القلوب وإما بنقر في الأسماع وهذا يفسر قولهم: وأما المحدث فهو الذي يحدث فيسمع ولا يعاين، الحديث.

وأما قوله عليه السلام: وهو أفضل علمنا، فيراد منه ما رواه في الكافي بإسناده عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إن سليمان ورث داود، إن محمداً صلى الله عليه وآله ورث سليمان، وإن عندنا علم التوراة والانجيل والزبور وتبيان ما في الألواح، قال: قلت: إن هذا لهو العلم قال: ليس هذا هو العلم، إنّ العلم الذي يحدث يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة.

ومثله فيه ما عن ضريس الكناسي عنه عليه السلام فإن قوله عليه السلام: إن العلم الذي يحدث يوماً بعد يوم.. الخ يشار به الى قوله في الحديث عن الكاظم عليه السلام: وهو أفضل علمنا، فإنه علم يفيض من عند الله علىٰ قلب الامام عليه السلام قذفاً أو نقراً كما تقدم يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة فينكشف به من الحقائق بنحو تطمئن به القلوب، وتنشرح به ويتنور به المشاهدة والعيان، فهذا هو أفضل العلم الحاصل لهم منه تعالىٰ آناً فآناً.

ومما يدل علىٰ نزول الملائكة عليهم الأخبار الواردة في باب ليلة القدر فمنها:

ما في الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله تعالىٰ في ليلة القدر ﴿فيها يُفرق كلّ أمر حكيم﴾، يقول: ينزل فيها كل أمر حكيم والمحكم ليس بشيئين إنما هو شيء واحد، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف، فحكمه من حكم الله تعالىٰ ومن حكم بحكم فيه اختلاف فرأىٰ أنه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت، إنه لينزل في ليلة

القدر إلىٰ ولي الأمر، تفسير الأمور سنة سنة يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا، وفي أمر الناس بكذا وكذا، وإنه ليحدث لولي الأمر سوىٰ ذلك كلّ يوم علم الله الخاص والمكنون العجيب المخزون مثل ما ينزل في تلك الليلة من الأمر.

ثم قرأ: ﴿**ولو أنّما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم**﴾.

أقول: قوله عليه السلام: وإنه ليحدث لولي الأمر سوىٰ ذلك.. الخ، يشير به إلىٰ ما هو أفضل العلم لهم عليهم السلام علىٰ ما بيناه، فإنه عليه السلام عبر ذلك بعلم الله الخاص المكنون المخزون دون ما ينزل في ليلة القدر.

وفيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان علي عليه السلام كثيراً ما يقول: إجتمع التيمي والعدوي عند رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقرأ إنّا أنزلناه بتخشع وبكاء، فيقولان: ما أشدّ رقتك لهذه السورة؟!

فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: لما رأت عيني ووعا قلبي، ولما يرىٰ قلب هذا من بعدي.

فيقولان: وما الذي رأيت وما الذي يرىٰ؟ قال: فيكتب لهما في التراب ﴿**تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر**﴾، قال: ثم يقول: هل بقي شيء بعد قوله تعالىٰ: كل أمر؟ فيقولان: لا.

فيقول: هل تعلمان من المنزل إليه بذلك؟ فيقولان: أنت يا رسول الله؟ فيقول: نعم.

فيقول: هل تكون ليلة القدر من بعدي؟ فيقولان: نعم.

قال: فيقول: فهل ينزل ذلك الأمر فيها؟ فيقولان: نعم.

قال: فيقول: إلىٰ من؟ فيقولان: لا ندري، فيأخذ برأسي فيقول: إن لم تدريا فأدريا هو هذا من بعدي، قال: فإن كانا ليعرفان تلك الليلة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من شدة ما يداخلهما من الرهب.

أقول: المراد من التيمي والعدوي هو الأولان.

وفيه عن أبي جعفر ﷺ قال: يا معشر الشيعة خاصموا بسورة إنّا أنزلناه تفلحوا، فوالله إنها لحجة الله تعالىٰ على الخلق بعد رسول الله ﷺ وإنها لسيدة دينكم، وإنها لغاية ما علمنا.

يا معشر الشيعة خاصموا بحم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنّا منذرين، فإنها لولاة الأمر خاصة بعد رسول الله ﷺ الحديث.

ثم إنه بقي هنا أمران:

الأول: أنه بعدما كان النبي والأئمة ﷺ أفضل من الملائكة أجمع، وأنهم ﷺ معلموهم كما تقدم، فحينئذ ما معنىٰ تحديثهم ﷺ أو إرسال الوحي إليه ﷺ فهل هو إلّا من باب تعليم المتعلم لمعلمه وهو كما ترىٰ؟!

والثاني: أنه ورد أن جبرئيل ﷺ قال للنبي ﷺ عند موته: «هذا آخر نزولي إلىٰ الدنيا» الحديث.

وحينئذ فكيف التوفيق بينه وبين نزوله ونزول سائر الملائكة عليهم ﷺ؟ كما تقدم مفصلاً فنقول:

أما الأول: فحاصل الاشكال هو أنه لا ريب في أن المراد من المهبط هو المحل، الذي ينزل فيه شيء من المكان الذي هو أعلىٰ منه كما هو المتبادر، هذا مع أنه لا ريب في أنهم ﷺ أعلىٰ وأشرف من هذا الهابط وما هبط به، فلو كان علمه ﷺ وعلمهم ﷺ من الملائكة الهابطين بالوحي بالمعنىٰ المتقدم إليهم ﷺ فيلزم أن تكون الملائكة أعلم منهم وأشرف، مع أن الأمر بالعكس كما دلّت به الأحاديث الكثيرة المتقدمة، ثم هل هذا إلّا من باب تعليم المتعلم لمعلمه وهو كما ترىٰ من الوهن؟

ولكن يدفعه ما حاصله: أنه قد علمت من الأحاديث السابقة في معنى الولاية المطلقة الكائنة لهم. ومن الأحاديث الدالة علىٰ أنهم حقائق الأسماء الحسنىٰ لله تعالىٰ، وأن نورهم أول ما خلق الله، وأن جميع الموجودات مخلوقون من شعاع

أنوارهم من السماء والأرض والجنة وما يرىٰ وما لا يرىٰ، وعلمت أيضاً أن النبي ﷺ هو المجلىٰ بالتجلي الأعظم، الذي فيه ظهور جميع حقائق الموجودات، وعلمت أيضاً أن عندهم الاسم الأعظم بتمام مراتبه.

فحينئذ يستفاد من هذه أن جميع الملائكة حتىٰ جبرئيل وميكائيل وغيرهم من الملائكة المقربين إنما هم من شؤونهم عليهم السلام فهم محيطون بهم ولا عكس؛ وذلك لأن الأصل محيط بالفرع كما لا يخفىٰ.

فالملائكة بأجمعها بما لها من الأفعال المختلفة التي تقدمت الإشارة إلىٰ أقسامها إنما هي عوامل القدرة الكائنة والقائمة بحقيقتهم، فالملائكة الفعّالة والمدبّرة وسائرها من شؤون حقائقهم وآثارها.

فحينئذ معنىٰ نزول الوحي عليه ﷺ أو نزول الملائكة وتحديثهم لهم عليهم السلام هو ظهور الملائكة مع ما لها من الوحي والإلهام علىٰ حقائقهم وعقولهم ونفوسهم وظواهرهم، وفي كلّ مقام من هذه المهابط الأربعة ينزل فيه مما هو أعلىٰ منه إلىٰ ما هو أدنىٰ، أي يظهر شأن من حقيقتهم العالية إلىٰ شأن من حقيقتهم النازلة.

توضيحه: أن الشأن العالي لهم هو حقائقهم الأولية ثم المرتبة النازلة وهي عقولهم، ثم النازلة منها وهي نفوسهم، ثم المرتبة النازلة هي ظواهرهم المرتبة في عالم الوجود الظاهري الدنيوي.

فحينئذ معنىٰ نزول الوحي إليه ﷺ هو أنه ينزل من فعل الله المعبّر عنه بقوله: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ إلىٰ حقائقهم، أي إلىٰ حقيقة النبي ﷺ وتارة يكون بواسطة جبرئيل عليه السلام الذي هو شأن من شأنه ﷺ فيكون فعله تعالىٰ هو إظهار بعض حقيقته إلىٰ مرتبة نازلة منها وهي مرتبة العقل بواسطة جبرئيل.

وربما ينزل من عقولهم إلىٰ نفوسهم ومن نفوسهم إلىٰ ظاهرهم عليهم السلام وتكون المراتب الأخيرة في الإمام عليه السلام.

وبعبارة أُخرىٰ: ينزل في حقائقهم من فعل الله وفي عقولهم من الماء الأول أي

الخلق الأول (أي النور الأول) وينزل في نفوسهم من عقولهم، وينزل في ظواهرهم من نفوسهم بواسطة الملائكة التي تحدثهم عن نفوسهم، عن عقولهم عن حقائقهم، عن الماء، عن فعل الله سبحانه.

وبعبارة أُخرىٰ: أيضاً يتجلّىٰ منه تعالىٰ نوره في حقائقهم، وتتجلّىٰ حقائقهم في عقولهم، وتتجلّىٰ عقولهم في نفوسهم وتتجلّىٰ نفوسهم في ظواهرهم في الحالات والأفعال والأقوال الصادرة منهم (صلوات الله عليهم أجمعين وروحي لهم الفداء) فيعبّر حينئذ عن تلك التجليات وعن الحامل لها بجبرئيل وبالملك ونحوهما كما لا يخفىٰ.

فظهر أن جبرئيل ينزل الوحي منه تعالىٰ إليهم، أي يتجلّىٰ بعض شأنهم العالي لبعض شأنهم النازل، فالملك أو جبرئيل خادمهم في هذا الأمر، وهذه التجليات بأمر الله تعالىٰ.

ويكون كلّ من تلك الايحاآت والتجليات والإلهامات بإذنه تعالىٰ علىٰ حسب ما تقتضيه حكمته البالغة وعلمه النافذ، فهم عليهم السلام كلّهم أفضل من جميع الملائكة مطلقاً، والملائكة في الوحي وغيره مأمورون بأمرهم وبأمر الله، وهم الخدمة لهم عليهم السلام.

ويوضح لك هذا أن خواطرك التي ترد عليك بالتذكر والفهم والمعرفة حتىٰ تستفيد منها العلوم والفهم والتذكر، إنما يرد عليك من قلبك.

بيانه: أن حقيقتك هو روحك وقلبك، فهو مخزن لمعارفك، وأنحاء علومك ففيه مثلاً من علم المعارف والفقه والفلسفة والهيئة ونحو ذلك.

وأنت حينئذ إذا كنت في جماعة فلو سألك واحد عن الفلسفة، فترجع بقوة المفكرة إلى الذهن المجتمع فيه تلك الأمور، فتأخذ منه المطالب الفلسفية مثلاً، وهكذا بالنسبة إلىٰ ساير العلوم.

فأنت بالحقيقة لك القلب المجتمع فيه تلك العلوم، ثم في تطورات الحالات

الوجودية تحتاج إلىٰ ما في قلبك، فتستمد من بعض قواك؛ لدرك ما في خزينة قلبك فتفيده لغيرك.

هذا وقد حقق في محلّه أن الانسان الكامل هو العالم الكلي، الذي انطوىٰ فيه العالم الأكبر كما قال علي عليه السلام:

أتـزعم أنك جـرم صـغير   وفيك انطوى العالم الأكـبر

فإذا أمكـن في فـرد أن يكـون كـذلك، فـما ظـنك بـالنبي والأئمـة عليهم السلام فـإن حقيقتهم عليهم السلام هو اللوح المحفوظ المجتمع فيه جميع حقائق الأمور؟!

ولكن في موارد الاحتياجات الخارجية حسب تطورات الأمور يستمد النبي مثلاً أو الوصي من تلك الخزينة القلبية الحقيقية بواسطة الملك أو جـبرئيل، الذي هو بعض قواه وشؤونه فيلقيه إلىٰ الناس، فافهم واغتنم واكتمه إلّا عن أهله.

وأما الأمر الثاني: فحاصله: أنه قد ورد في الحديث: أن جبرئيل عليه السلام قال عند موت النبي صلى الله عليه وآله: «هذا آخر نزولي إلى الدنيا، والآن أصعد إلى السماء ولا أنزل أبداً».

هذا مع أنه تقدم أن الملائكة بل وجبرئيل عليه السلام كان ينزل إليهم كـما تـقدمت أحاديثه بل في الحديث: أن الملائكة كانت تقول بعضها لبعض عند موت النبي صلى الله عليه وآله: «هذا صاحبنا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مشيراً إلىٰ أمير المؤمنين».

وروي أيضاً: أن علياً عليه السلام كان يخطب في مسجد الكوفة فقال: «سلوني قبل أن تفقدوني، فأتاه رجل فقال: أخبرني أين جبرئيل الآن؟ فـرمق عليه السلام السـموات ثم رمق الأرضين والجهات فقال للسائل: أنت جبرئيل، فقال: صـدقت، فـعرج إلىٰ السماء والناس ينظرون إليه».

وتقدم أنه كانت تأتيهم الملائكة ويـقعدون عـلىٰ فـرشهم وعـلى مـتكآتهم، ويرونهم فكيف التوفيق بين هذين الأمرين؟ هذا، ولكن يجمع بينهما بما حاصله: أن نزول جبرئيل بالوحي التأسيسي على النبي صلى الله عليه وآله بحيث يسمع النبي ويرىٰ شخص

الملك، فحيث إن هذا من أعظم مظاهر الحقّ المتضمن لمعنى النبوة الذي يختص به ﷺ كما تقدم، فحينئذ هذا النحو من النزول الذي هو شأن النبوة لا تصلح إلّا للنبي ﷺ.

وإلىٰ هذا النحو من النزول يشير جبرئيل عليه السلام بقوله: «هذا آخر نزولي إلى الدنيا» أي هذا آخر نزولي بعنوان الايحاء منه تعالىٰ إلىّ النبي من حيث ظهور جهة النبوة له ﷺ.

وأما من غير هذه الجهة فلا ريب في أن جبرئيل حيث إنه حامل العرش والعلم فله شؤون من الأمر، فله نزول كثير في عالم الخلق خصوصاً علىٰ الامام، هذا وقد ورد في الحديث أنه قال ﷺ: إن جبرئيل ينزل بعد النبي عشر مرات، في كلّ مرتبة يرفع أمراً من الخلق كالرحم والأمانة مثلاً، فيعلم منه أن لجبرئيل أنحاء من النزول فالمنفي بقوله: هذا آخر نزولي إلى الدنيا هو القسم الذي ذكرناه من النزول بالوحي التأسيسي المتضمن لظهور معنى النبوة كما لا يخفىٰ.

فعلم أن قوله هذا لا ينافي نزوله ونزول ساير الملائكة عليهم السلام بل المستفاد من الأحاديث أن الامام (أعني أمير المؤمنين) كان في زمن النبي ﷺ أيضاً يسمع

كلام الوحي من جبرئيل حين ينزل عليه ﷺ وإن كان لا يرىٰ الشخص كما دل علىٰ هذا قوله ﷺ لعلي عليه السلام: إنك تسمع ما أسمع وترىٰ ما أرىٰ، وقوله ﷺ: وترىٰ ما أرىٰ، أي ترىٰ بواسطتي ما أرىٰ بالواسطة.

والحاصل: أن نزول الوحي الحقيقي الذي هو حقيقة النبوة مختص به ﷺ سواء كان بلا واسطة أحدٍ كما علمت سابقاً وستجيء الإشارة إليه، أو بواسطة جبرئيل.

وأما سائر أنحاء نزول الملك فيعمهم عليهم السلام فلا منافاة بين الأمرين.

ويمكن أن يكون معنىٰ قوله ﷺ (وترىٰ ما أرىٰ) أي أنت يا علي ترىٰ جبرئيل، وكيفية نزوله بالوحي عليّ لا عليك فيرىٰ علي عليه السلام جبرئيل وأنه كيف جاء بالوحي

له ﷺ مع أنه ليس نازلاً عليه ﷺ بل عليه ﷺ فيعطي هذا اختصاص نزول الوحي؛ لظهور حقيقة النبوة للنبي ﷺ كما تقدم آنفاً.

وبهذا البيان يظهر معنىٰ أنهم مهبط الوحي؛ لأن علياً ﷺ كان يرىٰ هبوط جبرئيل بالوحي علىٰ النبي علىٰ ما هو عليه.

وأما غيره من ساير الأئمة ﷺ فكونهم مهبط الوحي؛ لأنهم أمثاله ونفسه ﷺ كما دلّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾ ويشير إلىٰ مماثلتهم الحقيقية مع النبي ﷺ قوله تعالىٰ: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾.

في الحديث ما فسر هذا بما حاصله: إنه لما مات رسول الله ﷺ أتىٰ بعلي ﷺ وهو مثله، وحينئذ فالمراد من الآية المنسوخة هو النبي ﷺ والتي أتىٰ بها وهو مثلها هو علي ﷺ وكان علي ﷺ والحسن والحسين ﷺ إلى الحسن العسكري ﷺ فلما مات العسكري ﷺ أتىٰ بخير منه وهو القائم ﷺ لأنه ﷺ أفضل الثمانية كما روي عن النبي ﷺ إنه قال: تاسعهم قائمهم أعلمهم وأفضلهم.

فحينئذ فالآية المنسوخة هو من علي بن الحسين إلىٰ العسكري ﷺ ومن المأتي بها بخير منها هو القائم ﷺ.

ويمكن أن لا يراد من كلمة الخير معنىٰ الأفضلية، بل يراد منه الخير الكثير في نفسه لا الأفضل من قبله كما لا يخفىٰ. ولكن هذا خلاف ظاهر الآية لمكان عطف أو مثلها عليه فلابد من إرادة معنىٰ الأفضلية كما بين وجهه في التفسير كما تقدم.

قوله ﷺ: ومعدن الرحمة.

الكلام هنا يقع في أمور:

الأول: في بيان المعنى اللغوي فنقول: في المجمع: قوله تعالىٰ: ﴿جنات عدن﴾ أي جنات إقامة، يقال: عَدَن بالمكان عَدَناً وعُدُونا من باب ضرب وقعد إذا أقام به، ومنه سمّي المعدن كمجلس؛ لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء، ومركز شيء:

معدنه. والمعدن: مستقر الجوهر.

وفي الحديث كما في البحار[1] عن كتاب شهاب الأخبار قال النبي ﷺ: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة» والمعنىٰ: أن الناس يتفاوتون في مكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات، تفاوت المعادن، إنتهىٰ.

فحينئذ معنىٰ كونهم عليهم السلام معدن الرحمة أي مركزها ومحل إقامتها ومستقرها هو ذواتهم المقدسة.

وأما الرحمة، ففي المجمع: قوله تعالىٰ: الرحمن الرحيم، هما اسمان مشتقان من الرحمة، وهي في بني آدم عند العرب: رقّة القلب ثم عطفه، وفي الله: عطفه وبرّه ورزقه وإحسانه.

أقول: أصل الرحمة هو العطف وهو غير مسبوقة بالرقة في الله تعالىٰ؛ لاستحالة ذلك فيه تعالىٰ. وأما في غيره فلا يكون إلّا وهي مسبوقة بالرقة غالباً.

وكيف كان فأصلها العطف وهو لا يكون إلّا بشيء يكون أثره كالرزق والعطاء والعفو ونحوها، فما ذكر في اللغة من البرّ والرزق وغيرهما فإنما هو من آثارها ومظاهرها كما لا يخفىٰ.

فجميع موارد استعمال الرحمة في الخلق والخالق إنما هو بيان مصاديقها الناشئة من صفة العطف كما لا يخفىٰ.

الأمر الثاني: لا ريب في أن الرحمة ومشتقاتها، التي أطلقت عليه تعالىٰ، إنما هي بلحاظ أنها صفة من صفاته فهو الرحمن الرحيم.

وعلمت أن جميع أسمائه مرجعه إلىٰ أنها صفاته تعالىٰ، والصفات إذا لوحظت بالنسبة إليه تعالىٰ لها اعتبارات:

الأول: اعتبار أنها عين الذات كالعلم مثلاً، يعني أن ذاته المقدسة كافية بوحدتها عن كلّ ما هو أثر للعلم ذاتاً فهو عالم أي ليس يجهل، فنفي الجهل عن ذاته تعالىٰ

---

١ ـ البحار ج ٦١ ص ٦٥.

يستلزمه استقلال الذات بالعلم أي بآثار العلم. وإلىٰ هذا يشير ما في الدعاء من قوله ﷺ: «يا من يكفي من كلّ شيء، ولا يكفي منه شيء» أي إن ذاته المقدسة كافية لكل شيء بالذات.

والثاني: اعتبار الصفة بما أنها صفة ممتازة عن غيرها من ساير الصفات كالقدرة والوجود وغيرها، ففي هذا المقام تمتاز الصفات عن غيرها فهو عالم تتميز فيه الصفات بعضها عن بعض، فهي ملحوظة خارجة عن الذات فيعبرّ عنها حينئذ ببيان حقائقها.

والثالث: اعتبار ثبوت هذه الصفات الموضحة للذات المقدسة، فحينئذ يطلق عليها تقدست آلاؤه بلحاظ نفي أضدادها، حفظاً لمقام الوحدة الذاتية.

والرابع: اعتبار تحققها في عالم الموجودات وبلحاظ ظهورها في الموجودات، ووقوع معانيها علىٰ مظاهرها ومصاديقها الخارجية.

والخامس: اعتبار تلك الصفات في المصاديق الجزئية كالمرحوم والمعلوم والمقدور وأمثالها فهي مقام تشخّص كلّ نوع في جزئياتها.

فحينئذ نقول: هو الله الرحمن الرحيم، فاطلاق الرحمن والرحيم عليه يمكن بكلّ من هذه الاعتبارات، سوى الأخير وتوضيحه في محلّه.

فحينئذ نقول: قد علمت سابقاً أن الذوات المقدسة أعني محمداً وآله الطاهرين مظاهر لأسمائه الحسنىٰ، فحقيقة الرحمة في مشتقاتها تجري في الخلق بواسطتهم.

فالرحمة مثلاً بالاعتبار الأول مختصة به تعالىٰ، وبالاعتبار الخامس تكون في خصوص المصاديق الخارجية، وأما بساير الاعتبارات الثلاثة المتوسطة فهي قائمة بهم عليهم السلام أما الاعتبار الثاني (أي الأول من هذه الثلاثة) فهم عليهم السلام مظهر تلك الرحمة بما هي صفة له تعالىٰ وهم محلّها قال تعالىٰ: ﴿وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين﴾.

وأما الاعتبار الثالث فهم عليهم السلام رحمته تعالىٰ قائمة بذاته المقدسة، حيث إنهم عليهم السلام أسماؤه الحسنىٰ والوسيلة إليه تعالىٰ، فمعنىٰ أنهم أسماؤه أي صفاته كما تقدم مفصلاً.

وأما الاعتبار الرابع فحيث إنهم عليهم السلام هم الولاية التكوينية، فجميع التصرفات من الأسماء الحسنىٰ التي ملأت أركان كلّ شيء، يكون بواسطتهم وهم المتصرفون في الخلق بما منحهم الله من القدرة والصفات، التي منها أنهم عليهم السلام يرحمون العباد بإذنه تعالىٰ لما هم رحمته الواسعة، كما لا يخفىٰ.

وتقدم عن التوحيد ما دلّ علىٰ أن نزول الرحمة وساير البركات علىٰ الخلق إنما هي بواسطة الأوصياء عليهم السلام.

ثم لا ريب في أنه تعالىٰ ذو الرحمة أي يعطي كلّ ذي حقّ حقّه، قيل: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿الرحمن علىٰ العرش استوىٰ﴾ أي أنه سبحانه استوىٰ برحمانيته علىٰ العرش أي يعطي كلّ ذي حقّ حقّه.

والمراد من العرش جميع ما سواه، يعني أنه تعالىٰ يرحم ما سواه بأن يعطي كلّ ذي حقّ حقّه.

فهذه الآية معنىٰ كقوله تعالىٰ: ﴿أعطىٰ كلّ شيء خلقه ثم هدىٰ﴾ فالعرش أي ما سوىٰ الله تعالىٰ هو رحيم بهم.

فتارة يرحمهم بأن خلقهم فخلق كلّ موجود بما تقتضيه الحكمة الإلهية كمّاً وكيفاً فهو استوى على الخلق أي خلقهم بمقتضىٰ رحمته وحكمته.

وتارة يرحمهم أي يعطيهم الحياة، فمنه تعالىٰ حياة كلّ شيء حسب ما اقتضته رحمته وحكمته، وتمتاز الحياة عن الخلق بأن الخلق صرف الوجود والحياة وجود مع الأثر المترتب منه في عافية، أو أن الخلق عام والحياة خاص بلحاظ الآثار المترتبة عليه كما ينبغي.

وتارة يرحمهم بأن يرزقهم ما به قوام عيشهم في الحياة.

وتارة أيضاً يرحمهم بأن يميتهم أيضاً رحمة للكلّ، فبالموت يصل كلّ موجود إلىٰ ثمرة وجوده كما حقق في محلّه، خصوصاً بالنسبة إلىٰ المؤمنين فإنه لهم روح وريحان كما في الخبر.

فجميع هذه الأُصول الأربعة مظاهر رحمته، وهو تعالىٰ استوىٰ على الخلق برحمانيته الظاهرة في هذه الموارد.

وإليه يشير أيضاً قوله تعالى: ﴿ثم استوىٰ علىٰ العرش الرحمن فاسأل به خبيراً﴾ أي أنه تعالىٰ يربّيهم بهذه الأُصول الأربعة بمقتضىٰ رحمته وحكمته، فإن عرضت شبهة لأحد في تدبيره، فليسأل به تعالىٰ فإنه خبير بما فعل بهم عن رحمته وحكمته بحيث تدفع الشبهة.

ومثله أيضاً قوله تعالىٰ: ﴿ثم استوىٰ علىٰ العرش﴾ الرحمن يدبر الأمر.

ومنها: أنه تنقسم الرحمة منه تعالىٰ إلىٰ الرحمة الواسعة وإلىٰ الرحمة المكتوبة.

بيانه أنه قال في التوحيد: في معنىٰ الميم وروىٰ بعضهم ملك الله والله إله كلّ شيء،الرحمن بجميع خلقه والرحيم بالمؤمنين خاصة.

وفيه بإسناده عن صفوان بن يحيىٰ، عمّن حدثه، عن أبي عبدالله عليه السلام.. إلىٰ أن قال: قلت: الرحمن؟ قال: بجميع العالم، قلت: الرحيم؟ قال: بالمؤمنين خاصة وقال: تعالىٰ: ﴿ورحمتي وسعت كلّ شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكٰوة﴾[1].

فيستفاد منها أن الرحمة الواسعة هي وسعت كلّ شيء، وجميع الخلق من مؤمن وكافر وصالح وطالح وجماد ونبات وحيوان.

فهذه الرحمة هي الوجود، والوجود خير محض في نفسه كما حقّق في محلّه، ومن هذا الخير الفضل والعدل فيعمّ المؤمن والكافر.

وإليه يشير قوله تعالىٰ: ﴿ورحمتي وسعت كلّ شيء﴾ وقوله عليه السلام: قلت: الرحمن؟ قال: بجميع العالم، أو قوله عليه السلام: الرحمن بجميع خلقه، وسمي بالرحمة الواسعة لقوله تعالىٰ: ﴿وسعت كلّ شيء﴾ وهذه هي الرحمة الواسعة.

وأما الرحمة المكتوبة وهي الرحمة الخاصة المشار إليها بقوله تعالىٰ: ﴿فسأكتبها للذين يتقون﴾ الآية.

---

١ ـ الأعراف: ١٥٦.

بيانه: أن الموجودات كلّها موجودة ومنتعشة بالرحمة الإلهية، فهي واسعة لكلّ شيء في الدنيا.

ثم إذا كان المرحوم بها من أهل التقوىٰ فتكون الرحمة حينئذ له ثابتة ومكتوبة أي مثبتة، فالرحمة بالمؤمنين هي نفس الرّحمة الواسعة إلّا أنها بالتقوىٰ صارت ثابتة لموردها لا مستعارة، فغير المؤمن تؤخذ منه الرحمة فتسلب عنه فيصير إلىٰ العذاب الإلهي دون المتقي، فبهذا الاعتبار تسمىٰ الرحمة الثابتة والباقية الرحمة المكتوبة أو الخاصة بالمؤمنين.

ثم إنه يشير قوله تعالىٰ: ﴿**الرحمن**﴾ إلىٰ الرحمة الواسعة وقوله: ﴿**الرحيم**﴾ إلىٰ الرحمة المكتوبة كما لا يخفىٰ.

هذا ولكنّ الحقّ أن يقال: إن الظاهر في موارد ظهور الرحمة ثلاثة أمور:

الأول: الرقة وانكسار في قلب الراحم.

الثاني: عطف القلب نحو المرحوم.

الثالث: ترتب الآثار التي يقتضيها العطف علىٰ المرحوم.

فحقيقة الرحمة هو الأمر الثاني (أعني عطف القلب) دون الأول والثالث.

أما عدم كونه الأول (أعني رقة القلب) فلأن الرحم متعدّ بنفسه يقال: رحمته. والرقة القلبية لازمة غير متعدية فهي خارجة عن مفهوم الرحم كما لا يخفىٰ.

فقوله: رقّ قلبي، لازم إلا إذا عدّي بقوله: له، فحينئذ يشرب فيه معنىٰ رحمته، وإلّا فلاتعدّىٰ له إلىٰ غيره بأثر، نعم الرقة القلبية هي سبب للعطف القلبي.

وأما عدم كونه الثالث (أعني الآثار والأفعال المترتبة علىٰ المرحوم) فلأنه يقال: فلان رحيم القلب، ولا يقال: رحيم الفعل، فيعلم أنه لا يصح حمل الرحمة علىٰ الفعل واستنادها إليه.

فالرحمة هي من الصفات الباطنية دون الأفعال الخارجية بل هي منبعثة عنها وأثر لها.

فحينئذ نقول: الرحمة ومشتقاتها المطلقة عليه تعالىٰ إنما يراد منها المعنى الثاني (أي العطف والعطوفة) فهو رحيم أي ذو عطف علىٰ الخلق في ظرف ملاحظته تعالىٰ حاجتهم وضرّهم واحتياجهم فيعطف عليهم لإصلاح أمورهم.

فعليه فاطلاق الراحم عليه تعالى بنحو الحقيقة اللغوية لا بنحو المجاز، ضرورة أن توهم المجاز إنما هو بلحاظ أخذ الرقة في معنىٰ الرحم.

وقد علمت أنه توهم باطل فإنه ناشِئ من عدم تجريد أصل معنى الرحم من الأغشية اللازمة بحسب الموارد المستعملة في الخلق من الرقة والانكسار والأفعال ونحوها، وحيث إن هذه خارجة عن مفهوم الرحم بحسب اللغة كما علمت فإطلاقه عليه تعالى بما له من العطف يكون بنحو الحقيقة.

فإن قلت: بعد ما اشتهر من أن إطلاق اللفظ كالرحم والغضب مثلاً عليه تعالىٰ إنما يكون باعتبار الأثر والغاية وإلغاء المبادئ، التي تكون في الخلق المنفية عنه تعالىٰ، فحينئذ لا حاجة إلى التجشم بما ذكر من اختصاص معنىٰ الرحم بالعطف دون الرقة القلبية مثلاً، فإنه وإن فرض كونها كذلك لغة لا مانع من إطلاقه عليه باعتبار الغاية وإلغاء المبادئ.

قلت: لا حاجة إلىٰ إطلاق تلك الألفاظ عليه تعالىٰ بلحاظ الغاية والأثر دون المبادئ فراراً من استناد ما هو منزّه عنه إليه تعالىٰ، فإنه مضافاً إلىٰ أنه يلزم أن يكون أغلب الاطلاقات عليه تعالىٰ مجازاً وهو خلاف الأصل أنه بعد ما أمكن إطلاقها عليه بنحو الحقيقة بنحو تساعده اللغة والعرف بل والدليل كما علمت، فلا حاجة إلىٰ التجشم بما ذكر من كون الإطلاق بلحاظ الغاية وترك المبادئ كما لا يخفىٰ.

والوجه فيه أنّ لأفعال الله سبحانه مبادئ وجودية عينية موجودة في صقعها على التحقيق بنحو تكون تلك المبادئ العينية حقيقة معاني تلك الألفاظ التي يطلق عليه تعالىٰ.

فإطلاق الرحم والرضا والغضب وأشباهها ليس باعتبار تحقق الآثار والغايات فقط دون المبادئ بل بإعتبار مبادئ تلك الأفعال وهي الأصل لها، وهي التي تكون أسماء معنوية مخلوقة مبدءاً لتلك الأفعال مثلاً حقيقة الرحمة والرحم هو معنىٰ في نفسه الذي باعتباره تكون الرحمة للممكنات منه تعالىٰ، وهو حقيقة اسم الرحمة وهو اسم من أسمائه المخلوقة كما يدل عليه ما هو المشهور.

وأورده في المجمع عن النبي ﷺ: أن لله عزوجل مائة رحمة أنزل منها واحدة إلىٰ الأرض فقسمها بين خلقه فبها يتعاطفون ويتراحمون وأخّر تسعاً وتسعين يرحم بها عباده يوم القيٰمة.

فتلك الحقيقة المعبّر عنها بمائة رحمة هي العطوفة المخلوقة، التي هي مبدأ الرحم، والرحمة صفة لها وعنوانها.

فظهر أن إنكسار القلب ولو في الخلق سبب لظهور تلك الرحمة المنفصلة في القلب عن الانكسار القلبي فبوجوده يعطف علىٰ المرحوم.

وهذه كلّها هي الظاهرة في الآباء والأُمهات والأرحام وغيرهم بالنسبة إلىٰ الأولاد والأقرباء وغيرهم.

وكلما كان القلب أصفىٰ كان ظهور الرحمة بالنسبة إلى الخلق أتم كقلوب الأنبياء والأئمة والأولياء فضلاً عنه تعالىٰ، ولهذا أمرنا بالتخلق بأخلاق الله أي بتصفية القلوب لتظهر تلك الرحمات منا كثيراً.

وحيث إنه تعالىٰ مجرد عن شوائب النقص، فظهور الرحمة أي العطف منه تعالىٰ بملاحظة احتياج الخلق وفاقتهم يكون أكثر وأتم، فهو إذاً ذو الرحمة الواسعة خصوصاً إذا لوحظ فيه غناه الذاتي فيؤيد حينئذ في سعة رحمته قال تعالىٰ: **﴿وربّك الغني ذو الرحمة﴾**.

فبملاحظة العطوفة التي هي اسم من أسمائه وهو حقيقة معنىٰ الرحمة، فهو تعالىٰ ذو الرحمة فيرجع إطلاق الرحمن والرحيم عليه بلحاظ أنه ذو الرحمة، أي

خالق حقيقة معنىٰ الرحمة ومالكها التي بها يرحم عباده، فهو مبدِئ لها وجـاعلها، وحقيقة الرحمة قائمة به تعالىٰ قيام صدور ـ كالكلام بالنسبة إلىٰ الإنسان ـ لا قيام حلول كما في الخلق، فإن الإنسان يوصف بصفات بلحاظ حلول تلك الصفات فيه وأنّها تأخذ منه مأخذاً، وتتمكن فيه حلولاً كما لا يخفىٰ.

ومنه علم أن إطلاق الرحيم علىٰ الخلق ليس كنحو إطلاقه عليه تعالىٰ، فإنه في الخلق باعتبار كونه محلّاً للرحم ومظهر له.

بيانه أن المستفاد من قوله: فقسّمها بين خلقه فبها يتعاطفون.. الخ، أن الرحمة بما لها من المعنىٰ المتقدم منحصرة في حقّه تعالىٰ هو فاعلها علىٰ الإطلاق، وهو مالكها وخالقها.

وأما الخلق فقد قسم منها لهم كلّ علىٰ حسبه فهو ـ أي الخلق ـ مظاهر لتلك الرحمة، كلّ علىٰ حسبه، وهي مستعارة عندهم، وإلّا فبالحقيقة لا راحم إلّا هو كما ورد هذا المضمون في دعاء الجوشن وأن الرحمة المطلقة بما لها من المصاديق له تعالىٰ لا لغيره، بل الغير مظاهر رحمته، وهذا هو التوحيد بالنسبة إلىٰ هـذه الصـفة (أي الرحمة). وإليه يشير قوله عليه السلام في الصحيفة: «فلعلّ بعضهم برحمـتك يـرحمـني» أي يرحمني برحمتك الظاهرة فيه منك، لا من عنده ولا من عند غيره.

ولعلّه إليه يشير قوله تعالىٰ: **﴿كتب علىٰ نفسه الرحـمة﴾** أي جعلها لنفسه في مقام التكوين لا الوعد بها، وأيضاً يشير قوله: **﴿ورحـمتي وسـعت كـلّ شـيء﴾** وقوله عليه السلام: سبقت رحمـته غـضبه، وقـوله تـعالىٰ: **﴿وربكـم ذو رحـمة واسـعة﴾** وقوله عليه السلام: «وبرحمتك التي وسعت كلّ شيء» ونحوها مما دلّت علىٰ إضافة الرحمـة مطلقاً إليه تعالىٰ بحيث يفيد الحصر له تعالىٰ.

ثم إن حقيقة الرحمة ـ التي هي صفة مخلوقة له تعالىٰ، واسم من أسمائـه ـ قـد تنشعب منها شعبة في قلوب أوليائه من النبيين والأئمة عليهم السلام فأصلها قائم به تعالىٰ، وأشعتها منشعبة في قلوب أوليائه، فترىٰ قلوبهم مملوءة من الرحمة كلّ عـلىٰ قـدر

ظرفيّته، فأكمل القلوب رحمة قلوب محمد وآله الطاهرين، فإن قلوبهم مجلىٰ الأتم لشعاع نور الرحمة الإلهية بحيث قال الله تعالىٰ في حقّه: ﴿وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين﴾.

فجميع الموجودات في الدنيا والآخرة مرحومون بهذه الرحمة، وكذلك الأئمة عليهم السلام وسيجيء بيانه أزيد في شرح قوله عليه السلام: «والرحمة الموصولة».

وهم عليهم السلام بهذه الاعتبار معدن الرحمة أي محل إقامة حقيقة الرحمة بتحقق أشعة نور الرحمة الإلهية فيهم عليهم السلام فهذا اعتبار للرحمة من حيث هي هي، وباعتبار آثارها، وتارة يظهر في الموجودات خصوص آثارها دون حقيقة الرحمة من عطاء وجود ونحوه مما يحتاج إليه المرحوم.

فالأول: كما يرحم الأكابر من الأنبياء والأئمة عليهم السلام وساير الأولياء كلّ علىٰ حسبه، الضعفاء من المرحومين علىٰ اختلافهم.

والثاني: كالأرزاق والألطاف النازلة منه تعالىٰ للمخلوقين بغير واسطة إنسان ذي رحم، بل يكون مرحوماً منه تعالىٰ فيتحقق ما يحتاج إليه بدون راحم من الخلق، فالرحماء في الخلق إنما تكون رحمتهم منه تعالىٰ.

ثم إن الرحمة تارة تعتبر مطلقة مجردة عن التعلقات والاضافات كما يقال: فلان رحيم القلب في قبال قسيّ القلب، يعني أنه لو وجد مرحوماً لرحمه، وأُخرىٰ مضافة متعلقة بمتعلق خاص.

فالأول: يلاحظ فيه الرحمة بنفسها.

والثاني: يلاحظ بلحاظ انبساطها وشمولها.

وربما تطلق الرحمة علىٰ تلك الآثار الخارجية باعتبار ظهور الرحمة بها، فالثاني رحمة صورية والأول رحمة معنوية.

ثم إن الرحمة المعنوية تقتضي إعطاء الفضل لذوي الحاجة عند سؤالها بلسان

حالها أو قالها قال تعالىٰ: ﴿وآتاكم من كلّ ما سألتموه﴾[1].

ثم إن الموجودات مطلقاً من المؤمن وغيره، ومن ذوي العقول وغيرها لما أراد الله تعالىٰ إيجادها فهي بأجمعها بلسان حالها سألت منه تعالىٰ ما به وجودها وقوام أمرها، فهي بلحاظ الوجود لها قوس نزول وقوس صعود:

فالأول سيره من الحق إلىٰ آخر درجات الخلق المادي مطلقاً، فحينئذ أعطاه الله تعالىٰ جميع ما يحتاج إليه من رزق، ورفع المكاره، وإعطاء المنافع، وإصلاح الشأن، ففي هذا العطاء والرحمة يستوي المؤمن والكافر، وهكذا ساير الموجودات، إلّا أن الرحمة تكون بالنسبة إلى المؤمن بعنوان التفضل، وبالنسبة إلى الكافر بعنوان العدل وإتمام الحجة.

وربما تكون استدراجاً أو تذكيراً للنعمة؛ ليكون شاكراً لها، فهذه الرحمة هي الرحمة الواسعة الرحمانية، التي هي اسم خاص لصفة عامة كما عن الصادق عليه السلام وهذه الرحمة ليست اكتسابية بل هي ابتدائية منه تعالىٰ لجميع الخلق من الإنسان والحيوان والنبات كما لا يخفىٰ، وإنما كانت اسماً خاصاً به تعالىٰ إما لأجل أن وجوده العميم يقتضي لابتداء الوجود أن يعمّهم بالرحمة أجمع، وليس له مصداق سوىٰ الحق تعالىٰ فلا محالة يكون خاصاً مختصاً به تعالىٰ.

وأما لأجل أن هذه السمة الشاملة للكافر والمؤمن تكون اسماً لم يتسم به غيره تعالىٰ؛ لعدم الامكان الذاتي لغيره تعالىٰ بمثل هذه الرحمة المعبر عنها بقوله عليه السلام في الدعاء: «ورزقك مبسوط لمن عصاك وحلمك معترض لمن ناواك، عادتك الإحسان إلى المسيئين، وسبيلك الإبقاء على المعتدين، فليس في الخلق من يكون هكذا متصفاً بالرحمة إلىٰ من يحاربه ويعصيه ويسوءه ويعتدي عليه إلّا ذاته المقدسة.

نعم قد علمت أن أشعة هذه الرحمة الواسعة انبسطت علىٰ قلوب محمد وآله

---

١ ـ ابراهيم: ٣٤.

الطاهرين، فهم مظهر لهذه الرحمة الواسعة، فتراهم يرحمون قاتليهم والمعتدين عليهم عليهم السلام كما لا يخفىٰ؛ لكونهم عليهم السلام معدناً لهذه الرحمة الواسعة الإلهية، فهذا معنىٰ أنها اسم خاص.

وأما كونه صفة عامة لعموم متعلقها في الوجود فيشمل الجميع كما علمت، فقوله صفة عامة، أي شاملة للجميع كما لا يخفىٰ.

وعلىٰ أي حال فالرحمة الرحمانية في قوس النزول تعمّ الجميع؛ ولذا قالوا بشمولها في الدنيا لهم، ولكن في الدعاء عنهم عليهم السلام: «يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما» فيعطي أن الرحمة الواسعة تكون في الآخرة أيضاً، كما أن الرحمة المكتوبة والخاصة تكون في الدنيا أيضاً فبينهما عموم وخصوص من وجه.

ومورد الجميع أن المؤمن في الدنيا يكون مرحوماً بالرحمتين، وهذا لا ينافي اختصاص كون الرحمة الواسعة بالدنيا، لأن ذلك بلحاظ عموم المتعلق، ولا ينافي تحقق الرحمة الخاصة للمؤمن في الدنيا أيضاً كما أنه لا منافاة لتحقق الرحمة الواسعة للمؤمن في الآخرة أيضاً بجهتين فيهما.

فالرحمة الواسعة بلحاظ العدل والفضل العام يشملهما في الدنيا.

وأما المؤمن فتشمله الرحمة الخاصة بلحاظ إيمانه دون غيره، كما أنه في الآخرة يكون مشمولاً للرحمة الخاصة لايمانه ومع ذلك لا ينافي شمول الرحمة الواسعة له أيضاً.

والحاصل أن الرحمة واحدة فاختلاف الجهة في المرحوم صار سبباً لانقسامه إلىٰ قسمين خاصة وعامة، وحينئذ تشمل الرحمة لجهتها الموجودة مهما كانت في الدنيا أو الآخرة.

نعم الرحمة الواسعة لا تكون للكافر في الآخرة: لعدم تحقق جهته وهي الجهة الابتدائية في الوجود قبل إتمام الحجة، وأيضاً لا تشمله الرحمة الخاصة؛ لعدم إيمانه فتدبر تعرف.

وربما يقال بشمول الرحمة الواسعة للكافر في الآخرة أيضاً بلحاظ تخفيف العذاب عنه؛ لأجل ما صدر منه بعض الأفعال الحسنة بالنسبة إلىٰ المؤمنين في الدنيا، وحينئذ صحّ قوله عليه السلام: «يا رحمن الدنيا والآخرة» بلحاظ الكافر أيضاً كما علمت معنى ورحيمهما بلحاظ المؤمن في الدنيا أيضاً.

وأما الثاني أعني القوس الصعودي للخلق، وسيره إلى النشأة الآخرة وإلى الحقّ جلّ جلاله.

وبعبارة أُخرىٰ: سيره إلىٰ القرب منه تعالىٰ فهي رحمة مجازاتية، التي أُشير إليها في قوله تعالىٰ: **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾**[1] وقوله تعالىٰ: **﴿وأن ليس للإنسان إلّا ما سعىٰ * وأن سعيه سوف يرىٰ * ثم يُجزاه الجزاء الأوفىٰ﴾**[2] وهي متفاوتة علىٰ درجات السعداء، إذ هي مختصة بهم، نعم في الآخرة كما دلّ علىٰ ذلك به الحديث المتقدم من قوله: «رحيم بالمؤمنين خاصة».

وإذ علمت أن الرحمة الرحمانية أيضاً تكون لغير المؤمن في الآخرة لقوله عليه السلام يارحمن الدنيا والآخرة، فإن الرحمة في الآخرة للمؤمن هي الرحمة، الرحيمية فتحقق الرحمة الرحمانية في الآخرة لا محالة تكون لغير المؤمن، وهذا إنما يتصور بالنسبة إلىٰ تخفيف العذاب لهم أو لأمر آخر، والله العالم والحمد لله ربّ العالمين.

الأمر الثالث: في بيان كونهم معدن الرحمة والوجه فيه فنقول:

لا ريب في أن كونهم معدن الرحمة يلازم أن لا رحمة عامة ولا خاصة لأحد من الخلق إلّا أنه تنزل عليهم بسببهم حتىٰ الأمطار والأرزاق كما تقدمت الإشارة إليه.

ودلّ عليه: «لولاك لما خلقت الأفلاك» فالموجودات بما لها من القوابل المتفاوتة يقبل الرحمة بسببهم، ولولاهم عليهم السلام لساخت الأرض بأهلها.

---

١ ـ الزلزلة : ٧.

٢ ـ النجم : ٣٩ ـ ٤١.

في الكافي عن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: تبق الأرض بغير إمام؟ قال: لو بقيت بغير إمام لساخت.

وفيه بإسناده عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت له: أتبقىٰ الأرض بغير إمام قال: لا، قلت: فإنا نروي عن أبي عبدالله عليه السلام: أنها لا تبقىٰ بغير إمام إلّا أن يسخط الله علىٰ أهل الأرض أو علىٰ العباد، فقال: لا تبقىٰ، إذاً لساخت.

وفيه بإسناده عن أبي هراسة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو أن الامام رفع من الأرض ساعة، لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله.

فظهر أنهم عليهم السلام أولياء نعم الله والسبب لرحمة العباد، فهم معدن الرحمة بحيث منهم تنتشر الرحمة علىٰ الخلق والعباد، فلو لم يكن الحجّة لساخت الأرض بأهلها.

ثم إنه بعد ما علمت أن ذواتهم المقدسة مظهر لشعاع أنوار الرحمة الإلهية، فهذه المظهرية للرحمة الثابتة لهم، بحيث لهم الولاية في تصرفها في الخلق كيفما شاءُوا بإذنه تعالىٰ.

فحقيقة الرحمة فيهم تثبت لهم شؤوناً لولايتهم الرحمانية، وتلك الشؤون أُشير إليها في دعاء رجب المنقول عن الحجّة (صلوات الله وسلامه عليه) من قوله: «أعضاد وأشهاد ومناة وأذواد وحفظة وروّاد» الدعاء.

فهي شؤون ستة لابد من بيانها، إذ به يتحقق معنىٰ كونهم حقيقة معدن الرحمة، وتنشرح به حقيقة الرحمة الإلهية الكائنة فيهم عليهم السلام الصادرة باختيارهم، لرفع احتياجات الخلق بأجمعه، فنقول وعليه التوكل: يقع الكلام في ستة أنوار:

النور الأول: كونهم أعضاداً، قال الله تعالىٰ: ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلقَ أنفسهم وما كنتُ متخذَ المضلين عضداً﴾[1].

---

١ ـ الكهف : ٥١.

في البحار[1] عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر الثاني، فذكرت اختلاف الشيعة فقال: إن الله لم يزل فرداً متفرداً في وحدانيته، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف ألف دهر، ثم خلق الأشياء وأشهدهم خلقها، وأجرىٰ عليها طاعتهم، وجعل فيهم منه ما شاء، وفوّض أمر الأشياء إليهم، فهم قائمون مقامه، يحللون ماشاءوا ويحرمون ماشاءوا، ولا يفعلون إلّا ماشاء الله، فهذه الديانة التي من تقدمها غرق، ومن تأخر عنها محق، خذها يا محمد فإنها من مخزون العلم ومكنونه.

قوله: أشهدهم خلقها، إلىٰ قوله: فهم قائمون مقامه، ظاهر في أنهم عليهم السلام شهدوا كيفية الخلقة، وأشهدهم الله علىٰ ذلك، فهم فيما فوّض إليهم من أمر الأشياء قائمون مقامه تعالىٰ.

وقوله: وجعل فيهم منه ما شاء، يشير بالموصول إلىٰ أمر عظيم وهو بواقعه منشأ للتفويض المذكور، والقيام مقامه، وهذا معنىٰ أنهم أعضاد أي أعوان كما فسّر به في اللغة، فإنه تعالىٰ كأنه جعلهم عوناً له حيث أقامهم مقامه، وحقيقته ترجع إلىٰ أنهم أسماؤه الحسنىٰ واسمه الأعظم.

ومن المعلوم أنه تعالىٰ يفعل ما يفعل بأسمائه كما حقق في محلّه، وفي أذن الدخول للمشاهد المشرفة: «والحمد لله الذي منّ علينا بحكام يقومون مقامه» لو كان حاضراً في المكان فهم قائمون مقامه، فهم عون له في العلم.والقدرة وساير الصفات، بمعنىٰ أنهم مظهر لتلك الصفات الإلهية في الخلق كما مرّ مراراً.

والحاصل: أنه تعالىٰ أشهدهم خلق السماوات والأرض، وخلق من أسكنهما، وخلق الانس والملائكة وساير ما برأ وذَرأ، وما أحدث من جماد ونبات وحيوان، واتخذهم الله أعضاداً لخلقه؛ لأنهم عليهم السلام الهادون وهو تعالىٰ اتخذ الهادين عضداً المفهوم من قوله: ﴿وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾.

---

١ ـ بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٥.

وهذا نحو ما قلنا في قوله تعالىٰ: **﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾**[1] كما تقدم من أنه يدل علىٰ أن السمٰوات والأرض بكت على الحسين عليه السلام فراجع.

وفي تفسير نور الثقلين في تفسير هذه الآية المباركة عن محمد بن مروان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أعزّ الله الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب فقال: يا محمد قد والله قال ذلك (وكان أشدّ عليّ من ضرب العنق) ثم أقبل عليّ فقال: هل تدري ما أنزل الله يا محمد؟ قلت: أنت أعلم جعلت فداك، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في دار الأرقم فقال: اللّهمّ أعزّ الاسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب، فأنزل الله تعالىٰ **﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾**.

أقول: نزول الآية الشريفة بعد قوله صلى الله عليه وآله ما قال، يدل علىٰ أنه تعالىٰ: لم يكن ليتخذ المضلين عضداً لخلقه ولدينه؛ لأنه ما أشهدهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم.

فيدل علىٰ أنه لابدّ من أن يكون المتخذ عضداً للدين من أشهده الله خلق السموات والأرض وخلق نفسه، والرجلان ليسا كذلك بل هما من المضلين كما هو صريح الآية بلحاظ التطبيق عليهما حين النزول.

وحيث علمت أن الائمة عليهم السلام هم الذين أشهدهم الله خلق السموات والأرض.. إلىٰ آخر ما في حديث محمد بن سنان رحمه الله فهم عليهم السلام من المتخَذين عضداً الدين والخلق كما لا يخفىٰ.

وقوله: وكان أشد عليّ من ضرب العنق، من كلام محمد بن مروان (رضوان الله عليه، وحشره الله مع محمد وآله).

أقول: إن بعض العلماء من العامة ذكروا قوله صلى الله عليه وآله: أعز الله الإسلام بعمر فقط،

---

١ ـ الدخان: ٢٩.

ولم يذكروا بقية الحديث من ذكره ﷺ أبا جهل مع عمر ونزول الآية، ليعلم أنهما بمعزل عن أن يعزّ الإسلام بهما.

وإنما قال ﷺ ذلك لما علمه من نزول الآية، وأنه يظهر للأمة عدم قابلية عمر لأن يعزّ به الإسلام، فالحديث دال علىٰ ذمه بعدما ذكروه للمدح، ولكنهم خانوا في الحديث كما لا يخفىٰ.

النور الثاني: كونهم عليهم السلام أشهاداً، فنقول وعليه التوكل:

في الكافي بإسناده عن العاجلي قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالىٰ: **﴿وكذلك جعلناكم أمّةً وسطاً لتكونوا شهداء علىٰ الناس﴾** فقال: نحن الأمّة الوسطىٰ، ونحن شهداء الله علىٰ خلقه وحججه في أرضه، قلت: قول الله تعالىٰ: **﴿ملّة أبيكم إبراهيم﴾** قال: إيانا عنا خاصة، هو سمّاكم المسلمين من قبل في الكتب التي مضت وفي هذا القرآن، ليكون الرسول عليكم شهيداً، فرسول الله الشهيد علينا مما بلغنا عن الله تعالىٰ ونحن الشهداء علىٰ الناس، فمن صدق صدقناه يوم القيٰمة ومن كذب كذبناه يوم القيٰمة.

وفي بصائر الدرجات بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالىٰ: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء علىٰ الناس﴾** قال: نحن الشهداء على الناس بما عندهم من الحلال والحرام وما ضيّعوا منه. ومثله غيره من الأحاديث.

وفيه بإسناده عن سُليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ الله طهّرنا وعصمنا وجعلنا شهداء علىٰ خلقه وحجته في أرضه، وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا.

فظهر من هذه الأحاديث أنهم عليهم السلام شهداء الله علىٰ خلقه يشهدون أعمالهم وأحوالهم وأقوالهم، وجميع حركاتهم وسكناتهم، لا يغيب عنهم شيء من ذلك كما يشير إليه قوله تعالىٰ: **﴿وقل اعملوا فسيرىٰ الله عملَكم ورسولهُ والمؤمنون﴾** الآية.

فني الكافي بإسناده عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالىٰ: ﴿اعملوا فسيرىٰ الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ قال: هم الأئمة.

وفيه بإسناده عن عبدالله بن الزّيات وكان مكيناً عند الرضا عليه السلام قال: قلت للرضا عليه السلام: أدع الله لي ولأهل بيتي، فقال: أولست أفعل؟ والله إن أعمالكم لتعرض عليّ في كل يوم وليلة، قال: فاستعظمت ذلك، فقال لي: أما تقرأ كتاب الله تعالىٰ: ﴿وقل اعملوا فسيرىٰ الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ هو والله علي بن أبي طالب عليه السلام؟.

وفيه بإسناده عن سماعة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: مالكم تسؤون رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له رجل: كيف نسوءُه؟ فقال: أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه فإذا فيها معصية ساءه ذلك؟ فلا تسؤوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسرّوه.

وعن كتاب عيون الأخبار أن الرضا عليه السلام سأله بعض من حضر من الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة في مجلس المأمون:

فقال: يابن رسول الله بأي شيء تصح الامامة لمدعيها؟ قال: بالنصّ والدليل.

قال له: فدلالة الامام فيما هي؟ قال: في العلم واستجابة الدعوة.

قال: فما وجه إخباركم بما يكون؟ قال: ذلك بعهد معهود إلينا من رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فما وجه إخباركم بما في قلوب الناس؟ قال له: أما بلغك قول رسول الله صلى الله عليه وآله: إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله؟ قال: بلىٰ.

قال: فما من مؤمن إلّا وله فراسة؛ لينظر بنور الله علىٰ قدر إيمانه ومبلغ استبصاره وعلمه، وقد جمع الله للأئمة منّا ما فرقه في جميع المؤمنين، وقال عزوجل في محكم آياته: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسّمين﴾ فأول المتوسّمين رسول الله ثم أمير المؤمنين من بعده ثم الحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين عليهم السلام إلىٰ يوم القيامة.

قال: فنظر المأمون فقال: يا أبا الحسن زدنا مما جعل الله لكم أهل البيت، فقال

الرضا عليه السلام: إن الله تبارك وتعالىٰ قد أيّدنا بروح منه مقدسة مطهرة ليست بملك لم تكن مع أحد ممن مضىٰ إلّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهي مع الأئمة منّا تسدد هم وتوفّقهم، وهي عمود من نور بيننا وبين الله عزوجل. الخبر.

وقد تقدم أيضاً في معنى الروح في قوله تعالىٰ: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾[1] ما يدل علىٰ أن الروح هو نور طرف منه إلىٰ الله وطرف في أُذن الإمام عليه السلام، وتقدم أيضاً أنه خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل.

وحاصل الكلام: أن كونهم شهداء على الخلق أن لهم الشهادة، وهي بواسطة روح القدس، وهو المراد به بالعقل الأول عند الحكماء، وفي لسان الشرع بالقلم، وهو عقل محمد صلى الله عليه وآله وعقل الأئمة عليهم السلام وهو بالأصالة في النبي صلى الله عليه وآله وينتقل فيهم عليهم السلام كصورة الوجه المنتقلة في مرآة من أُخرىٰ مقابلة لها كما لا يخفىٰ.

ثم إنه بقي أمران:

الأمر الأول: في معنىٰ كون الروح لم يكن مع من مضىٰ غير محمد صلى الله عليه وآله، ومعنىٰ قوله: «وليس كلما طلب وجد» هذا مع أنه ورد أن روح القدس كان في ساير الأنبياء أيضاً.

فنقول: أما قوله: ليس كلما طلب وجد، فمعناه أنه ليس يحصل لأحد بمجرد التوجه إليه، بل لا يكون حصوله إلّا بمشية من الله وإرادة وقضاء وإذن وأجل وكتاب، وهذا أمر يشترك فيه جميع الخلق بالنسبة إلىٰ ما لهم وما عليهم إلّا أنه هو أمر منحه الله لنا دون أحد من خلقه، وذلك لأن كلّ أمر صار موجوداً بالفعل حتماً فإنما هو بحكم الله.

وأما ما ورد من كونه مع ساير الأنبياء، فإنما المراد منه كونه معهم بوجه من وجوهه لا بتمامه وكماله، وأما المرتبة الكاملة فتختص بمحمد وآله الأئمة الاثني عشر (عليه وعليهم السلام).

---

١ ـ الشورىٰ: ٥٢.

وإليه يشير قوله: هو خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، فإنه يدل علىٰ أن الروح له مراتب مرتبة منها هو من جبرئيل وميكائيل، وهو كان مع ساير الأنبياء، ومرتبة أعظم منهما هو كان مع النبي ﷺ خاصة.

ولذا عبّر عنه بالتجلي الأعظم من بين ساير التجليات التي كانت لساير الأنبياء كما لا يخفىٰ.

الأمر الثاني: هو أنه قال الرضا عليه السلام: إن الله تبارك وتعالىٰ قد أيّدنا بروح منه مقدسة مطهرة ليست بملك الخ.

هذا مع أنه دلّت أحاديث علىٰ أن تلك الروح هو ملك فما وجه التوفيق؟

فنقول: جوابه أن الملك مأخوذ من الملكوت، وهو فوق الملك وفوقها كلّها الجبروت، فحينئذ **الملك** ما بيده زمام الملك (بالضم) وهو باطن كلّ شيء، الذي به قوامه وتصرفه، وهو في كلّ شيء بحسبه، فالملائكة كلّهم فوق الملك بإذنه تعالىٰ وهو المصطلح في السنة الأحاديث .

وقد يطلق ويراد منه معناه اللغوي (أي العام) أي معنىٰ الذي هو فوق الملك الكلي فقوله عليه السلام: «ليست بملك» أي بالملائكة المعروفة، الذين هم فوق الملك بالتصرف بإذن الله.

وأما ما ورد من أنه ملك كما سيأتي، فيراد منه أنه الذي يكون فوق جميع الملك حتىٰ الملائكة، فهو باطن الكلّ ومحيط بالكلّ وملك الملائكة، ومتصرف في الكلّ بنحو الكلية التامة.

ولهذا الكلام بيان آخر لعلّه سيجيء في طي الشرح إن شاء الله تعالىٰ.

فظهر من جميع ما ذكر أنهم يشهدون جميع ما في العالم بذلك النور، وهو الروح القدس العظيم بأمر الله تعالىٰ بحيث لا يشذّ عنهم شاذ.

ففي مشارق الأنوار للشيخ البرسي (رضوان الله عليه) قال أمير المؤمنين عليه السلام لطارق بن هشام.. إلىٰ أن قال عليه السلام: علم الأنبياء في علمهم، وسرّ الأوصياء في

سرّهم، وعزّ الأولياء في عزّهم كالقطرة في البحر، والذرة في القفر، والسموات والأرض عند الإمام كيده من راحته، يعرف ظاهرها من باطنها، ويعلم برّها من فاجرها، ورطبها ويابسها؛ لأن الله علّم نبيّه علم ما كان وما يكون، وورث ذلك السرّ المصون الأوصياء المنتجبون، ومَن أنكر ذلك فهو شقي ملعون يلعنه الله ويلعنه اللاعنون، الحديث. وسيأتي في الشرح ما يوضح هذا بأكثر مما علمت إن شاء الله.

النور الثالث: كونهم عليهم السلام مناةً.

يقال: مَنَا يَمْنُو مَنْواً (الرجل بكذا) ابتلاه واختبره، فالرجل مَمْنُوّ بكذا. المنا: كيلٌ أو ميزانٌ يساوي رطلين. مثنّاه مَنَوَانِ ومَنَيَانِ جمعه أَمْنَاء وأَمْنٍ ومُنِيٌّ يقال له أيضاً: المَناة (كذا في المنجد).

فالمناة حينئذ بمعنى الكيل والميزان إذا قرأ بفتح الميم.

وفي أقرب الموارد: مناه الله يمنيه منياً (واوي) قدّره فهو مان أي المقدر وفيه يقال: منى الله لك الخير، وما تدري ما يُمنى لك.

أقول: الماني المقدر (بالكسر) أي ما تدري ما يقدر لك المقدر الخير.

وفيه: مناه الله به ابتلاه به وأصابه مناه (اختبره).

قيل: المناة (بضم الميم) جمع مان أي المقدر (بالفتح) كما علمت.

وحينئذ فمعنىٰ كونهم مناة (بالفتح) أي هم الميزان والكيل، لتميز الحقّ من الباطل، و (بالضم) علىٰ أن يكون جمعاً لمان فمعناه هم عليهم السلام الذين قدّرهم علىٰ أمر، قيل: أي أعطاهم القدرة ووضعهم في منازلهم المخصوصة.

وإذا كان مصدره مىناً فالفعل المنسبك منه قد يكون بمعنىٰ قدره كما علمت. وقد يكون بمعنىٰ ابتلاه وأصابه مناه واختبره، فالمان المشتق منه يكون بمعنىٰ المبتلىٰ به والمختبر والمصاب بمناه كما لا يخفىٰ.

فإذا كان جمعه مناة (بالضم) بهذا المعنىٰ فهم عليهم السلام المبتلون والمختبرون.

فمعنى المبتلون بهم مضاه: أنهم الذين ابتلى الله الخلق بهم، ومعنىٰ المختبر أي هم

الممتحنون عند الله حيث امتحنهم.

وكيف كان فمعنىٰ كونهم عليهم السلام مناة أي هم الكيل أو الميزان؛ لتمييز الحق من الباطل، أو هم الممتحنون أو الممتحن بهم الناس:

أما الأول: فمعناه أن بهم يقدر الأشياء الموجودة كلّها من حيث الحدود والمقادير كماً وكيفاً، ومن حيث الأين والمتىٰ والوضع والرتبة والمكان، والأُذن والكتاب والنسب، والإضافات في جميع الأمور في الأسباب والمسببات، فإن جميع ذلك لها قدر تعيّنه بهم عليهم السلام وهم العالمون بمقداره بما قدّرهم الله.

وإلى الجمع يشير قوله تعالىٰ: **﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلّا هو ويعلم ما في البرّ والبحر وما تسقط من ورقة إلّا يعلمها ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين﴾**[1].

وفي تفسير نور الثقلين عن احتجاج الطبرسي رحمه الله، عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل: .. وقال لصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام: قل كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب، وقال الله عزوجل: **﴿ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين﴾** وعلم هذا الكتاب عنده فقدر الأمور وميزانها عندهم بل هم الميزان والقدر، فبهم تقدر الأشياء وتوزن وتحدد. وسيجيء إن شاء الله توضيحه في طي الشرح.

فلأجل كونهم الميزان والقدر يمتحنون الخلق، فيستنطقون الطبايع بما انطوت، والسرائر بما أضمرت، والحقائق بما أسرت، وسيجيء (في قوله عليه السلام: وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم) إن أمور الخلق متعلق بهم عليهم السلام

وأما كونهم المبتلىٰ (بالفتح) فهم الذين امتحنهم الله تعالىٰ، وأظهر ذلك للخلق، فهم أول الممتحنين في عالم الذر وفي الدنيا وسيجيء بيانه إن شاء الله.

وأما كونهم عليهم السلام المبتلىٰ بهم (أي المبتلى بهم الناس) أي جعلوا محنة وسبباً

---

١ ـ الانعام: ٥٩.

لامتحان الخلق من الأنبياء والملائكة والمؤمنين والناس أجمعين، بل وجميع الموجودات من النباتات والجمادات والمياه والأشجار وساير أنواع الخلق، كلّ ذلك بواسطة عرض ولايتهم عليهم السلام علىٰ جميع الخلق بأصنافها، فجميع الخلق مبتلون بهم (أي يمتحنون) بعرض ولايتهم عليهم السلام عليهم.

وسيأتي أن ولايتهم فرضت على الأنبياء فمن قبلها صار من المرسلين، ومَن تأمّل فيها عاقبه الله تعالىٰ حتىٰ رجع إلىٰ الإقرار بها كما ورد ذلك في حقّ أيوب وموسىٰ ويونس عليهم السلام وفي حقّ الملائكة أيضاً كفطرس وغيره.

وهنا كلام وحاصله: أنه كيف يمكن امتحان الملائكة أو الأنبياء بهم عليهم السلام ؟ ثم كيف يمكن تصور الخلاف في حقّ الملائكة والأنبياء بالنسبة إلىٰ قبول الولاية لهم وعدمه؟

فنقول: إن الامتحان والابتلاء هو الاختبار بالتكليف الشاق بأن يؤمر الشخص أو ينبّه بما لا يعرف حقيقته بعقله بل ربما يعرف عدم حقيقته بدركه، كما قد يعرض ذلك لكثير من المتكلفين المتفلسفين كما لا يخفىٰ.

وقد يظهر له من التكليف احتمالاً وتوجيهاً لا ينبغي أن يصغى إليه، فيلقىٰ ذلك التكليف الشاق الذي هو فوق طاقة دركه إمتحاناً له، فربما يقبل ذلك تسليماً منه لأمر الله، وربما يتأمل في ذلك وليس تأمله معصية بل ترك للأُولىٰ.

إذ الأولىٰ في حقّهم التسليم، فيحسب هذا الترك معصية كما قيل أو روىٰ: «أن حسنات الأبرار سيّئات المقربين» فهذا في نفسه لا يكون معصية، بل ربما عدّ عند الضعيف الحسنة، فمع ذلك يعدّ بالنسبة إلىٰ هذا المقرب، أو الذي كان أولىٰ به القبول معصية وتركاً للأُولىٰ.

فمن هذه الجهة ظهر التفاوت بينهم، وإليه يشير قوله تعالىٰ: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم علىٰ بعض﴾.

ففي بصائر الدرجات بإسناده عن سدير الصيرفي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن

أمركم هذا عرض على الملائكة فلم يقرّبه إلّا المقربون، وعرض على الأنبياء فلم يقرّبه إلّا المرسلون، وعرض على المؤمنين فلم يقرّبه إلّا الممتحنون.

وفيه بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله عرض ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فقبلها الملائكة وأباها ملكٌ يقال له فطرس فكسر الله جناحه فلما ولد الحسين بن علي عليه السلام.. إلىٰ أن قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لفطرس: أتفعل؟ قال: نعم، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ولايه أمير المؤمنين فقبلها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: شأنك بالمهد فتمسح به وتمرّغ فيه، الحديث.

وفيه بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل: **﴿ولقد عهدنا إلىٰ آدم من قبل فنِسي ولم نجد له عزماً﴾** قال: عهد الله في محمد والأئمة من بعده فترك.، ولم يكن له عزم فيهم أنهم هكذا.

وإنما يسمىٰ أولو العزم بـ(أولو العزم) لأنه عهد اليهم في محمد والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته فأجمع عزمهم أن ذلك كذلك والاقرار به.

وفي المحكي عن علي عليه السلام إنه قال: لما كان عند الانبعاث للنطق فشكّ أيوب عليه السلام وبكىٰ وقال: هذا خطب جليل وأمر جسيم، قال الله عزوجل: يا أيوب أتشكّ في صورة أنا أقمته؟ إنّي ابتليت آدم بالبلاء، فوهبته له بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين فأنت تقول: خطب جليل وأمر جسيم، فوعزتي لأذيقنّك من عذابي أو تتوب إلي بالطاعة لأمير المؤمنين، ثم أدركه السعادة بي.

وستأتي أحاديث أُخر في شرح قوله عليه السلام: وبولايتكم تقبل الطاعة المفترضة.

فعلم مما ذكر ومما سيأتي: أن الامتحان للأنبياء والملائكة إنما هو بهم عليهم السلام أي بعرض ولايتهم عليهم، فمن قبلها من الأنبياء صار من المرسلين، ومن الملائكة صار من المقرّبين، ومن المؤمنين صار من الممتحنين، ومن ساير الموجودات كما سيأتي. فصارت الآثار المرغوبة والحسنة مترتبة عليها، فالأنبياء والملائكة كلّفوا بذلك، وامتحنوا بذلك فافترقوا قسمين كما علمت، وأخذوا بواسطة ردّهم ذلك أو التأمل

منهم في ذلك بأن صاروا غير أولي العزم أو غير المرسل أو غير الممتحن جزاءً لهم، فإن المتوقع فيهم منه تعالىٰ لقربهم إليه أن يسلّموا، فلما قصروا بهذا المعنىٰ المتقدم صاروا متخلفين كما لا يخفىٰ، وسيأتي توضيحه إن شاء الله.

فظهر أن المراد من الخلاف هو ترك الأولىٰ والامتحان ،هو بعرض الولاية عليهم، ثم إن أثر هذا الامتحان يظهر للكلّ في القيامة.

ففي الحديث ما ملخصه أن في الصراط عقبات كوودة لا يجوزها بسهولة إلّا محمد وآله، وأما ساير الخلق فلهم فيها عثرات مختلفة:

فمنها: عثرات عظيمة مهلكة لا تقبل التلافي كما في غير المعصومين المقصرين في الطاعة، والمرتكبين للكبائر المودّية إلىٰ الشرك.

ومنها: عثرات مهلكة قابلة للتلافي كأهل الولاية، والمبتلين بالمعاصي غير المؤدّية إلىٰ الشرك.

ومنها: عثرات أهل العصمة من الأنبياء وهي عثرات في حقّهم خاصة، وأما في حقّ الناس فلا يلتفت المولىٰ سبحانه إليها إذا صدرت منهم. وهذا بخلاف ما لو صدرت من الأنبياء فإنهم حينئذ يعاقبون عليها، ويجمع الكلّ في العثرات التقصير في ولايتهم كلّ علىٰ حسبه.

فظهر أنهم عليهم السلام المبتلىٰ بهم وهم المبتلون، وإليه يشير قوله تعالىٰ: ﴿وإن كنّا لمبتلين﴾[1] والله العالم بحقائق الأمور.

النور الرابع: كونهم عليهم السلام أذواداً.

أقول: في المجمع: قوله تعالىٰ: ﴿ووجد من دونهم امرأتين تذودان﴾، أي تطردان ويكفان عنهما، إلىٰ أن قال: ورجل ذائد أي حامي الحقيقه دفّاع ومنه الذادة الحماة، انتهىٰ.

أقول: سيأتي شرحه إن شاء الله في قوله عليه السلام: الذادة الحماة، وأما إجماله فهو

---

١ ـ المؤمنون: ٣٠.

بمعنيين:

الأول: أنه جمع ذائد بمعنىٰ حامي الحقيقة، أي أنهم عليهم السلام حماة الحقيقة (أي المعارف الإلهية علماً وعملاً ومصداقاً) فهم الحامون لها في الخلق، فأي حقيقة تكون محفوظة فإنما هي محفوظة بهم.

والحاصل: أنهم عليهم السلام يذودون أولياءَهم عن الشرور وأعداءَهم عن الخير.

ولعلّ إليه يشير أيضاً حديث أبي الطفيل عامر بن واصلة، قال: قلت: يا أمير المؤمنين أخبرني عن حوض النبي صلى الله عليه وآله في الدنيا أم في الآخرة؟ قال عليه السلام بل في الدنيا، قلت: فمن الذائد عليه؟ قال: أنا بيدي فليردنه أوليائي وليصرفن عنه أعدائي.

وفي رواية: ولأوردنّه أوليائي ولاصرفن عنه أعدائي، فورود الأولياء الحوض في الدنيا، وصرف الأعداء عنه فيها لعلّه كناية عن ورود أوليائهم في زمان الرجعة في نعم الدنيا والمعارف دون أعدائهم فإنهم يضيق عليهم في الرجعة، ولعلّه سيجيء إن شاء الله توضيحه في طي الشرح.

والثاني: بمعنى الطرد والكف بمعنىٰ أنهم عليهم السلام الذائدون أعداءَهم عن الحوض في يوم القيامة.

ففي البحار[١] عن أمالي الشيخ، بإسناده عن أبي حرب بن أبي أسود الدؤلي عن أبيه قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: والله لأذودن بيدي هاتين القصيرتين عن حوض رسول الله صلى الله عليه وآله أعداءَنا وليردنّه أحبّاؤنا.

وفيه[٢] عن كتاب أعلام الدين للديلمي من كتاب الحسين بن سعيد بإسناده عن أبي أيوب الأنصاري قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سئل عن الحوض، فقال: أما إذا سألتموني عن الحوض فإنّي سأخبركم عنه، إن الله تعالىٰ أكرمني به دون الأنبياء، وأنه ما بين ايله إلىٰ صنعاء، يسيل فيه خليجان من الماء، ماؤهما

---

١ ـ البحار ج٨ ص٢٠.

٢ ـ أعلام الدين ج٨ ص٢٨.

أبيض من اللبن، وأحلىٰ من العسل، بطحاؤهما مسك اذفر، حصباؤهما الدّر والياقوت، شرط مشروط من ربّي، لا يُردهما إلّا الصحيحة نيّاتهم، النقيّة قلوبهم، الذين يعطون ما عليهم في يسر، ولا يأخذون ما هم في عسر، المسلمون للوصي من بعدي، يذود من ليس من شيعته كما يذود الرجل الجمل الأجرب عن إبله.

فهم عليهم السلام الذائدون أعداءَهم عن الحوض يوم القيامة، كما دلّ عليه ما تقدم وكثير من أخبار الحوض كما لا يخفىٰ.

النور الخامس: كونهم عليهم السلام **حفظةً.**

حفظة جمع حافظ أي أنهم الحافظون لأعمال العباد ولأحوالهم:

أما الأول: فيدل عليه أخبار عرض الأعمال عليهم، وأحاديث أنهم الشهداء علىٰ الخلق، وقد تقدم شطر منها.

ومن المعلوم أنهم عليهم السلام يشهدون على الأعمال يوم القيامة ما كانوا حافظين لها.

وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿**هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ إنا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون**﴾[1] وفي النهج: «وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين الدفتين، لا ينطق بلسان، ولابدّ له من ترجمان، وإنما ينطق عنه الرجال» فيعلم من هذا الخبر أن الناطق بالقرآن هو الرجال وهم الأئمة عليهم السلام كما لا يخفىٰ.

وفي بصائر الدرجات بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الأعمال تعرض علىٰ الله في كلّ خميس، فإذا كان الهلال أجلّت، وإذا كان النصف من شعبان عرضت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام ثم ينسخ في الذكر الحكيم».

فيعلم من هذا أن الأعمال في حيطة الرسول والوصي (صلىٰ الله عليهما وآلهما) ثم منهما ينسخ في الذكر الحكيم.

والحاصل: أنهم عليهم السلام الحافظون لحقيقة أعمال العباد، وهي في حيطتهم للإشهاد عليهم ولهم يوم القيامة.

---

١ ـ الجاثية : ٢٩.

وأما الثاني: أي أنّهم حافظون لأحوال العباد ولحدودهم بيانه: أنه قد تقدم أنهم عليهم السلام مناة، أي أنّ بهم يقدر الأشياء الموجودة من حيث الحدود والمقادير كمّاً وكيفاً، ومن ساير الجهات المتقدمة، فهم الحافظون لهم ولأحوالهم بشؤونها، وهذا الشأن الذي لهم هو تأويل قوله تعالىٰ: ﴿**إن كلُّ نفس لمّا عليها حافظ**﴾[1] أي الملائكة كما في تفسير علي بن إبراهيم، وتأويل قوله تعالىٰ: ﴿**له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله**﴾[2].

فني تفسير نور الثقلين وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله، يقول: بأمر الله من أن يقع في ركى[3] أو يقع عليه حائط، أو يصيبه شيء حتىٰ إذا جاء القدر خلّوا بينه وبينه، يدفعونه إلىٰ المقادير، وهما ملكان يحفظانه بالليل، وملكان بالنهار يتعاقبانه، فالملائكة هم الحفظة من هذه الأمور إلىٰ أن يجيئه القدر.

ومن المعلوم كما تقدم أن الملائكة تحفظ عنهم أعمال العباد، وتكتبها في كتب المكلفين، وهؤلاء الملائكة غير الحافظين لأعمال العباد وعرضها عليهم عليهم السلام فإن حفظ العمل شأن، وعرضه عليهم شأن آخر كما لا يخفىٰ.

وأيضاً أنهم عليهم السلام يبعثون بأمر الله ملائكة يحفظون كلّ نسمة فلا يأتيه حجر أو صائب أو وقع من الشاهق إلّا وتحفظه الملائكة عنها حتىٰ يأتي أمر الله من القدر، فيرد قدره علىٰ قلب الولي من آل محمد صلى الله عليه وآله فيأمر الملائكة الحفظة عن أمر الله تعالىٰ أن يكفوا عن الحفظ والدفاع فيكفوا فيصيبه القدر، فالملائكة تحفظ عنهم بأمرهم وعنهم عليهم السلام مقدرات الأسباب حتىٰ يظهر وقت الإصابة والقدر فيجري القدر.

---

١ ـ الطارق : ٤.

٢ ـ الرعد : ١١.

٣ ـ جمع الركية وهي البئر.

وإلىٰ جميع ذلك أُشير ما في الزيارة المطلقة للحسين عليه السلام كما في كامل الزيارات من قوله عليه السلام: «إرادة الرب في مقادير أموره، تهبط إليكم، وتصدر من بيوتكم، والصادر عما فصل به من أحكام العباد» الزيارة فإنها ظاهرة في ثبوت هذا الشأن لهم، وأن المقادير في الخلق تصدر من بيوتهم عليهم السلام باستخدام الملائكة لذلك. وسيأتي توضيحه في طيّ الشرح إن شاء الله تعالىٰ، والله العالم.

النور السادس: هو كونهم روّاداً، فنقول:

في المجمع: والروّاد جمع رائد، مثل زائر وزوار، وأصل الرائد الذي يتقدّم القومَ يُبصر لهم الكلاء ومساقط الغيث إلىٰ أن قال: ومنه «الحمىٰ رائد الموت» لشدتها علىٰ التشبيه، أي رسوله الذي يتقدم.

فحينئذ كونهم عليهم السلام روّاداً أي لهم مقام التقدم في جميع الأمور في تدبير الخلق، يقودون الخلق بوضع أسباب التيسير لهم، وتقديرها بأمر الله حتىٰ يصل كلّ واحد من الخلق إلىٰ مقر أعماله من سعادة وشقاوه، فيقدمون السعيد بما له عندهم من الخيرات حتىٰ يضعوه في مقام سعادته، ويسوقون الشقي بما له مما كسبت يداه حتىٰ يضعوه في دار أعماله ومقام شقاوته.

وهذا المقام لهم عليهم السلام شأن من شؤون ولايتهم التكوينية، التي تقدم توضيحها. وسيجيء في طي الشروح الآتية توضيحه إن شاء الله.

إذا علمت ما ذكرنا من بيان الأنوار الستة، وأنها من شؤون الرحمة الثابتة لهم والكائنة فيهم بإذن الله تعالىٰ، وهذه صفات الرحمن الظاهرة فيهم فهم عليهم السلام مظاهرها، والله تعالىٰ ظهر بهذه الرحمة، واستوىٰ علىٰ العرش بها حيث أظهرها فيهم، وظهورها فيهم عليهم السلام إنما هي بتلك الأمور والأنوار الستة وما شابهها والله الموفق للصواب، والحمد لله رب العالمين.

قوله عليه السلام: وخزّان العلم.

أقول: خزّان (كرمّان) جمع خازن فهم عليهم السلام بحقيقتهم خزّان علمه وبيانه في ضمن أمور:

الأمر الأول: أنّ خازن من خزن المال أي أحرزه والحرز (بالكسر) الموضع الحصين، فمعناه حينئذ انهم عليهم السلام هم الموضع الحصين لحرز العلم وتحصنه بهم، بحيث لا يصدر منهم شيء من العلم إلّا بإذنه تعالىٰ، بل لهم من العلم ما يختص بهم كما علمته من حديث أبي الصامت في صعوبة علمهم حيث قال: قلت: فمن يحتمله؟ قال: نحن، فهم الحفظة لعلمه تعالىٰ بما جعلهم الله حصناً وحرزاً وخزينة لعلمه، فحينئذ تكون الإضافة إلىٰ العلم من باب إضافة الظرف إلى المظروف كخزينة الماء مثلاً.

فهم خزائن علمه أي ولاة خزائن علم الله تعالى. وسيأتي في معنىٰ علمهم بما يوضح أنهم مظهر عين علم الله تعالىٰ، وأيضاً معناه أنهم مفاتيح تلك الخزائن كما ورد في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾، الآية.

ففي الكافي بإسناده عن أبي ربيع الشامي قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿وما تسقط من ورقة إلّا يعلمها ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين﴾ فقال: الورقة السقط، والحبّة الولد، وظلمات الأرض الأرحام، والرطب ما يحيى من الناس، واليابس ما يقبض، وكلّ ذلك في إمام مبين، الحديث.

وعن تفسير العياشي عن الحسين بن خلف قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله: ﴿وماتسقط من ورقة﴾، إلىٰ أن قال: قلت: في كتاب مبين؟ قال: في إمام مبين.

وعن احتجاج الطبرسي عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل وفيه: قال لصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿قل كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم

الكتاب﴾ وقال الله عزوجل: ﴿ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين﴾، وعلم هذا الكتاب عنده. الحديث.

فدلّت هذه الأحاديث علىٰ أنهم خزانة علم الله.

وفي التوحيد والمعاني والمجالس عن الصادق عليه السلام: «لما صعد موسىٰ إلىٰ الطور فنادىٰ ربّه قال: يا ربّ أرني خزائنك، قال: يا موسىٰ إنما خزانتي إذا أردت شيئاً أن أقول له كن فيكون».

أقول: هذا الحديث إذا أضيف إلىٰ قولهم عليهم السلام: «إنّهم محال مشية الله»، ينتج أنهم عليهم السلام مفاتح الخزائن.

بيانه: أن قوله تعالىٰ: إنما خزانتي إذا أردت شيئاً.. الخ، معناه أن الخزانة التي له تعالىٰ هي مشيته وإرادته.

وقوله عليه السلام: «قلوبنا أوعية لمشية الله» كما سيجيء، يعني نحن تلك المشية الإلهية أي مفتاحه الذي به التصرف في الأشياء لا أنهم عين المشية أو أنهم مختارون فيها مستقلاً.

كيف وقد قالوا: وما نشاء إلّا أن يشاء الله، هذا بيان أنهم خزان العلم من حيث الإحاطة والتصرف والواجدية له.

الأمر الثاني: اعلم أن العلم مصدر علمه (كسمعه) علماً، أي عرفه.

قال في المجمع: العلم اليقين: الذي لا يدخله الاحتمال، هذا هو الأصل فيه لغة وشرعاً وعرفاً، وكثيراً ما يطلق على الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان يقيناً أو ظناً.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فإن علمتموهنّ مؤمنات﴾[1] قال المفسر: أراد الظن المتاخم للعلم لا العلم حقيقة، فإنه غير ممكن، وعبّر عن الظن بالعلم إيذاناً بأنه كهو في

---

١ ـ الممتحنة: ١٠.

وجوب العلم (العمل ظ) به.. إلىٰ أن قال: وجاء العلم بمعنى المعرفة كما جاءت بمعناه؛ لاشتراكهما في كون كلّ منهما مسبوقاً بالجهل.. إلىٰ أن قال: وإذا كان العلم بمعنى اليقين تعدى إلى المفعولين، وإذا كان بمعنى المعرفة تعدى الىٰ واحد، إنتهىٰ.

أقول: إن العلم قد يراد منه المعنى الآلي والمراد به حينئذ ما كان تعرّف المعلوم وتميّزه به، وحينئذ له إطلاقات ثلاثة:

● إطلاقه على الملكة كقولهم علم الفقه أي ملكة تعرف بها الفقه.

● إطلاقه علىٰ اعمال تلك الملكة من التعليم والتعلم بالمدارسة والمباحثة.

● إطلاقه علىٰ نفس المسائل العلمية المثبة في كتب الفقه، فيقال: كتب علم الفقه مثلاً، فحينئذ يراد من لفظ العلم نفس المسائل المدوّنة.

وهذه الإطلاقات الثلاثة كما ترىٰ هو أمر آلي لا حدثي، ولا الصور الحاصلة الحاضرة في النفس بحيث لو لم يحضرها كان جاهلاً، بل في هذه الموارد هو عالم بهذا المعنىٰ وإن لم تحضره الصور القائمة بالنفس كما لا يخفىٰ.

وقد يراد منه المعنى الاسمي الحدثي الحاصل للإنسان، والذي هو قائم بالنفس، بحيث إذا توجه إليه كان وإلا فلا، وهذا هو المعبّر عنه بالعلم الحصولي الكسبي للناس.

فجميع مراتب العلماء في العلوم الرسمية الحاصلة لهم إنما هي حصولي كسبي وهو معلول الدليل والقياسات المنطقية بأقسامها، وفيه الحق والباطل والخطأ والاصابة.

ثم إن العلم قد يطلق عليه تعالىٰ مع ماله من المشتقات كعلم ويعلم وعليم وعالم وعلّام، وقد يطلق ويراد منه العلم الذي أعطاه الله لمحمد وآله ﷺ فنقول:

أما الأول: ففي الكافي بإسناده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لم يزل الله تعالىٰ ربنا، والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم

منه على المعلوم، والسمع على المسموع والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور، الحديث.

وفيه بإسناده عن محمد عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: كان الله ولا شيء غيره، ولم يزل عالماً بما يكون فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه.

وفي توحيد الصدوق بإسناده عن منصور الصيقل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله علم لا جهل فيه، حياة لا موت فيه، نور لا ظلمة فيه، ونظيره أحاديث أُخر فيه.

وحينئذ معنىٰ كونه عالماً أن انكشاف الأشياء حاصل له تعالىٰ بذاته من ذاته قبل خلقها وبعد خلقها، بل هذا العلم عين ذاته كما قال عليه السلام: «والعلم ذاته ولا معلوم» فذاته علامة.

نعم العلم من صفاته الذاتية التي لها إضافة إلى الغير لا كالحياة حيث إنها صفة ذاتية غير مضافة إلىٰ الغير، فالعلم هو ذاته تعالىٰ وإضافته إلىٰ الغير متأخرة.

والحاصل: أن العلم بها ذاتي له تعالىٰ في الأزل بكلياتها وجزئياتها، كلّ في وقته وبحسب مرتبته وعلىٰ ما هو عليه فيما لا يزال فأزلاً وأبداً ذاته علامة لها.

ثم إنه لما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه علىٰ المعلوم، أي حصلت تلك الاضافة أي حصول المعلوم المتعلق بعلمه تعالىٰ بحيث لا يشذّ منه شاذ. فالعلم له تعالىٰ أزلي أبدي، وظرف حصول المعلوم بحكمته وقدرته وعلمه متأخر يقع العلم الذاتي عليه حين تحققه خارجاً، قال الله تعالىٰ: ﴿**ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**﴾.

وهاهنا كلام حاصله: أن علمه تعالىٰ ـ وإن كان عبارة عن انكشاف الأشياء لديه انكشافاً تاماً حضوريّاً ـ ولكن كيف يتصور انكشاف الجزئيات بحدودها لديه تعالىٰ؛ لأن هذا يستلزم أن تكون الذات المقدسة موجباً للحوادث تعالىٰ عن ذلك علواً كبيراً، فإن الجزئي قبل وجوده لم يكن موجوداً ولا معلوماً له تعالىٰ، وبعد وجوده يكون معلوماً له تعالىٰ، فيحدث العلم به حين وجوده، فهو مستلزم

لعروض الحدوث له تعالىٰ عن ذلك؟

وحاصل الجواب إنا نمنع أنه لا يكون معلوماً له تعالىٰ قبل وجوده، كيف وقد علمت قوله عليه السلام: «فعلمه به قبل كونه» كعلمه به بعد كونه فالحادث هو وقوع الإضافة علىٰ الموجود الجزئي حين ما وجد، أي وقوع العلم عليه يكون حين وجوده.

ومعناه أن العلم ذاتي له تعالىٰ لا تغيّر فيه، وإنما الحدوث متعلق بمتعلق العلم وهو وجود زيد مثلاً، فتأخر المعلوم وجوداً لا يوجب تأخر العلم به، فإن الممكنات فيما سواه بأجمعها تدريجي الحصول حيث إن أغلبها زماني أو مكاني.

ومحصّل الكلام أن ذاته تعالىٰ لا جهل فيه، بل هو بذاته علم ونور كلّه كما علمت، فجميع الخلق بالنسبة إليه سواء في كونه متعلقاً لعلمه سابقها ولاحقها، فهو تعالىٰ أزلاً وأبداً عالم بوجود زيد في زمان كذا.

فكونه معلوماً له تعالىٰ إنما هو في زمان كذا، ومكشوفاً له تعالىٰ في زمان كذا أزلاً وأبداً، فلا تأثير له في ذاته تعالىٰ ليجعلها معرضاً للحدوث كما لا يخفىٰ.

ولهذا البحث مجال للكلام في شرح علمه تعالىٰ وساير صفاته، والفرق بين صفات الذات وصفات الفعل مذكور في محلّه في علم الكلام، والله الهادي إلىٰ الصواب.

وأما الثاني: أعني العلم الذي أعطاه الله لمحمد وآله صلى الله عليه وآله فبيانه في ضمن أمرين:

الأمر الأول: في بيان أن العلم المعطى لأحد فيما سوىٰ الله فهو كلّه عندهم عليهم السلام وهذا ثابت بالآيات والأحاديث قال الله تعالىٰ: ﴿**ويقول الذين كفروا لستَ مرسلاً قل كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب**﴾[1].

فعن أُصول الكافي بإسناده عن بريد بن معاوية قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: ﴿**قل كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾ قال: إيّانا عنى وعلي

---

١ ـ الرعد: ٤٣.

أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي ﷺ» ومثله كثير من طرق العامة والخاصة، وقال تعالىٰ: ﴿وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين﴾.

ففي المعاني عن الباقر عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين، قام أبو بكر وعمر من مجلسهما فقالا: يا رسول الله هو التوراة؟ قال: لا، قالا: فهو الانجيل؟ قال: لا، قالا: فهو القرآن؟ قال: لا، قال: فأقبل أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال رسول الله ﷺ: هو هذا إنه الإمام الذي أحصىٰ الله تبارك وتعالىٰ فيه علم كلّ شيء.

وفي بصائر الدرجات بإسناده عن سورة بن كليب قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: والله إنا لخزّان الله في سمائه وأرضه لا علىٰ ذهب ولا علىٰ فضة إلّا علىٰ علمه.

وفيه بإسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن منا لخزنة الله في الأرض، وخزنته في السماء، لسنا بخزّان علىٰ ذهب وفضّة.

وفيه بإسناده عنه، عن علي بن الحسين عليه السلام مثله.

وفيه بإسناده عنه عن أبي جعفر عليه السلام مثله بزيادة قوله: وإن منا لحملة العرش يوم القيامة.

وفيه بإسناده عن سدير قال: قلت: جعلت فداك ما أنتم؟ قال: نحن خزّان الله علىٰ علم الله، نحن تراجمة وحي الله، نحن الحجة البالغة علىٰ من دون السماء وفوق الأرض.

وفيه بإسناده عن عبدالله بن أبي يعفور قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يابن أبي يعفور إن الله واحد متوحد بالوحدانية متفرد بأمره، فخلق خلقاً فقدّرهم لذلك الأمر فنحن هم، يابن أبي يعفور فنحن حجج الله في عباده، وخزّانه علىٰ علمه، والقائمون بذلك.

وفيه بإسناده عن علي بن جعفر عن أخيه قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إن الله خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا، فجعلنا خزانة في سمٰواته وأرضه

ولولانا ما عرف الله.

وفيه بإسناده عن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: نحن خزّان الله في الدنيا والآخرة، وشيعتنا خزاننا، ولولانا ما عرف الله.

وقد تقدم حديث الرمانتين الدال علىٰ أن علياً عليه السلام شريك في العلم مع النبيّ صلى الله عليه وآله وبعض الأحاديث الأُخر من أنهم عليهم السلام يزدادون في ليالي الجمعة من العلم وإلّا نفد ما عندهم، ومن حديث إن العلم ما يحدث ساعة بعد ساعة، ومن أحاديث ليلة القدر الوارد في تفسير سورة إنّا أنزلناه في ليلة القدر.

وقد تقدم ذلك كلّه فإنها صريحة مع الآيات في أنهم عليهم السلام كرسول الله صلى الله عليه وآله مورد العلم وخزينته.

وفي الكافي بإسناده عن عمر بن أبان قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن العلم الذي نزل مع آدم لم يرفع، وما مات عالم فذهب علمه.

وتقدم قول أبي جعفر عليه السلام من أن رسول الله صلى الله عليه وآله صيّر ذلك كلّه (أي العلم) إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام.

وفيه بإسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سأله عن قول الله تعالىٰ: ﴿**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر**﴾ ما الزبور وما الذكر؟ قال الذكر عند الله، والزبور الذي أنزل علىٰ داود، وكلّ كتاب منزل فهو عند أهل العلم ونحن هم.

وفيه بإسناده عن حريس قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن لله علمين علماً مبذولاً وعلماً مكفوفاً، فأما المبذول فإنه ليس من شيء يعلمه الملائكة والرسل إلّا نحن نعلمه، وأما المكفوف فهو الذي عند الله تعالىٰ في أمّ الكتاب إذا خرج نفد. وفيه مثله عنهم عليهم السلام.

وكيف كان: الأخبار في هذا الموضوع كثيرة دلّت علىٰ أنهم عليهم السلام العالمون بجميع العلوم السابقة واللاحقة إلىٰ الآخر، سوىٰ ما استأثره الله تعالىٰ لنفسه كما تقدمت الاشارة إليه في بيان معنىٰ أنهم خزّان العلم.

فالعلم في قوله ﷺ: «وخزّان علمه» يراد منه جنس العلم فهو بكلّه عندهم وهم خزنته، والحمد لله رب العالمين.

الأمر الثاني: في بيان كيفية هذا العلم الثابت لهم عليهم السلام وبيان أقسامه في الجملة، وسيأتي تفصيله في شرح قوله عليه السلام: «وارتضاكم لغيبه» فنقول:

في الكافي بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمة من بعده عليهم السلام.

وفيه بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿**بل هو آيات بينات في صدور الذين أُوتو العلم**﴾ قال: هم الأئمة عليهم السلام.

وفيه بإسناده عن جماعة سمعوا أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّي لأعلم ما في السموات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون.

قال: ثم مكث هنيئة فرأىٰ أن ذلك كبر علىٰ من سمعه منه فقال: علمت ذلك من كتاب الله تعالىٰ، إن الله تعالىٰ يقول: ﴿**فيه تبيان كلّ شيء**﴾[1].

وفي بصائر الدرجات بإسناده عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الرجس هو الشك، ولا نشك في ربّنا أبداً.

وفي غاية المرام للسيد البحراني رحمه الله عن ابن بابويه بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً**﴾ قال: الرجس هو الشك.

وفيه بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن علم العالم؟ فقال لي: يا جابر إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح، روح القدس، روح الإيمان، روح الحياة، روح القوة وروح الشهوة، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلىٰ ما تحت الثرىٰ.

---

١ ـ هذه ليست آية وإنما الآية هي ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء﴾ ويبدو أنّ ما حصل اشتباه من الراوي. النحل: ٨٩.

ثم قال: يا جابر إن هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان، إلّا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب.

هذا وقد تقدم حديث مفضل بن عمر ﷺ عن الصادق ﷺ عند ذكر بعض ما خصهم الله تعالىٰ به قال له المفضل: هل بذلك شاهد من كتاب الله تعالىٰ؟ قال: نعم يا مفضل قوله تعالىٰ: **﴿وله من في السموات والأرض ومَن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يُسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾** إلىٰ قوله: **﴿ولا يشفعون إلّا لمن ارتضىٰ وهم من خشيته مُشفقون﴾** ويحك يا مفضل، أتعلمون أن ما في السموات هم الملائكة، ومن في الأرض هم الجن والبشر، وكلّ ذي حركة؟ فنحن الذين كنا عنده، ولا كون قبلنا، ولا حدوث سماء، ولا أرض، ولا ملك، ولا نبيّ، ولا رسول، الحديث.

هذا وسيجيء في بيان قوله ﷺ: خلقكم الله أنواراً، الأحاديث التي دلّت علىٰ أنه تعالىٰ حين خلقهم أنواراً قبل خلق كلّ شيء فحمّلهم علمه ودينه.

أقول: هذه جملة من الأحاديث لها جهات من الكلام، ولكننا نقلناها لأجل دلالتها علىٰ كيفية علمهم وشموله للكلّ.

وحاصله: أن العلم له الجهة المرائية والآلية والانكشاف كما علمت، فهو بهذه الحيثية مظهر للمعلوم عند العالم، بحيث يكون العلم مرآةً له، والمعلوم مشهوداً ومكشوفاً لديه.

فحينئذ لا ينظر إلى العلم بالاستقلال، بل النظر مقصور في المشهود والمعلوم، ويعبّر عن هذا بعلم اليقين وهو انكشاف الواقع والمعلوم عنده.

ومن المعلوم أن انكشاف الواقع حقيقة كما هو عليه إنما يكون في صورة عدم حجاب موجب للشك والريب والاشتباه للعالم.

فحينئذ نقول: قد علم من الأحاديث المتقدمة أن الحقائق القرآنية وواقعها في صدور الذين أذهب الله عنهم الرجس (الشك) فمن ذهاب الشك عنهم يعلم أنه لا

حجاب بينهم وبين الواقع من جميع المعارف الإلهية والأمور بأسرها، حيث إن فيهم الروح الذي هو أعظم من جبرئيل وميكائيل، الذي هو عمود من نور كما علمت، وأنه به يرون ما دون العرش إلىٰ ما تحت الثرىٰ، فلا حجاب بينهم وبين الله تعالىٰ وبين انكشاف الأمور.

وهذا معنىٰ ما قاله الصادق عليه السلام في معنىٰ ومن عنده من قوله عليه السلام: ونحن الذي كنا عنده، الحديث، فلهم المقام المعبّر عنه بمقام عند الله ولا يشاركهم فيه أحد.

فظهر أن علمهم حضوري أي لأجل كونهم عند الله، لا خفاء لهم في شيء، وليس هذا كسبياً لما سيجيء من قول الرضا عليه السلام في أوصاف الإمام: كلّ ذلك بلا طلب ولا اكتساب.

هذا بيان إجمالي لجامع علمهم، وهنا كلام في بيان أقسام علمهم فنقول:

في تفسير نور الثقلين عن روضة الواعظين للمفيد رحمه الله: روىٰ جعفر جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليهم السلام انّه قال: «في العرش تمثال جميع ما خلق الله من البرّ والبحر، قال: وهذا تأويل قوله تعالى: **﴿وان من شيء إلّا عندنا خزائنه﴾** هذا وقد قال الله تعالى: **﴿ولا يحيطون بشيءٍ من علمه إلّا بما شاء﴾**.

فنقول أوّلاً: انّه ليس المراد بهذا العلم الذي لا يحيطون بشيء منه إلّا بما شاء هو الذات القديم تبارك وتعالى؛ لأنّ الاستثناء منه لا معنىٰ له إذ لا يحيط أحد بذاته المقدّسة القديمة كما لا يخفىٰ، بل المراد أمران:

الأوّل: انّ العلم الذي علّمه لغيره وهو ما أعطاه لمحمّد وآله عليهم السلام كما تقدّم ثمّ انّ ما أحاطوا به من العلم حسب ما شاء الله تعالىٰ علىٰ قسمين:

- قسم تكون الإحاطة به إحاطة عيان وشهود بوجوده.
- وقسم تكون الإحاطة به إحاطة اخبار.

وحينئذٍ نقول: قد علمت أنّهم عليهم السلام علموا بروح القدس ما دون العرش إلىٰ ما تحت الثرىٰ فنقول: قوله تعالى: **﴿وان من شيء إلّا عندنا خزائنه﴾** قد علمت أنّ

الخزائن هو تمثال جميع ما خلق الله من البرّ والبحر في العرش، وحينئذٍ كونهم عالمين بما دون العرش إلىٰ ما تحت الثرىٰ بروح القدس يكون علىٰ ثلاثة أقسام:

الأوّل: انّهم عليهم السلام مفاتحه، حيث علمت انّ جميع ما دلّت عليه الآية يكون في امام مبين فحينئذٍ عالمون به، أي: هم مفاتح الاستفاضة وبهم يفيض الله العلم.

الثاني: انّهم عليهم السلام ولاة ذلك العلم والمقدّرون له كما علمت في بيان كونهم مناة وهم أُولو الوساطة في قوام العلم والفيض والمتعلّم والمستفيض.

الثالث: انّ العرش هو بنفسه قلب النبي والأئمّة عليه وعليهم السلام، فهم خزنته كما علمت من الأحاديث السابقة.

وهذا العلم الكائن لهم هو العلم الحادث لهم وهو علىٰ قسمين:

الأوّل: هو العلم بالممكنات المقدورة وهذا علىٰ قسمين: قسم غير مكوّن بعد وهو الممكنات قبل أن تكسىٰ حلّة الوجود في جميع مراتب الوجود، فهذا القسم لم يكن مشاءه إلّا في امكانها ـ أي انّه ممكن الوجود ذاتاً ـ وهذا القسم لا يكون علمهم عليهم السلام به واحاطتهم به إلّا احاطة امكان ـ أي يمكن الوجود ـ لأنّه حينئذٍ مشاء مشية امكان لا مشية وجود فلا يحيطون به احاطة وجود فأثر هذا العلم هو الاخبار به.

وقسم مقدور مكوّن وهذا يحيطون به احاطة وجود وعيان لأنّه مشاء بنفسه وهم عليهم السلام محالّ ذلك العلم.

ثمّ انّ المكوّن في عالم الوجود علىٰ قسمين: مشروط ومنجز.

أمّا الأوّل: فهم عليهم السلام يحيطون به لأنّه مشاء هكذا، أي مع الشرط، وأمّا علمهم بالشرط فقيل: يكون علمهم بنحو إحاطة الاخبار لا إحاطة العيان، وبعد وجود الشرط يكون علمهم به بنحو العلم والإحاطة العياني والشهودي.

وأمّا الثاني: فهم عليهم السلام يحيطون به إحاطة وجود وعيان كما تقدّم.

ثمّ انّ ما كان يحيطون به قسمان:

▣ قسم كان وهم يحيطون به انّه كان هذا بـالنسبة إلىٰ أصـل وجـوده، وأمّـا بالنسبة إلىٰ انّه مستمرّ أم منقطع فلا يحيطون به إلّا احاطة اخبار.

▣ وقسم لم يكن بعد عن الممكنات المقدورة فهذا يحيطون به احاطة اخبار لا احاطة وجود وعيان، هذا كلّه بالنسبة إلى الممكنات المقدّرة أي مـا يمكـن تـعلّق القدرة بها، وأمّا الممكنات الغير المقدورة له تعالى فربّما يقال بأنّه محال إذ لا مـعنىٰ للممكن إلّا ما كان متعلّقاً لقدرته تعالى وإلّا فهو من الممتنعات وجوده كـشريك الباري كما لا يخفىٰ.

هذا في القسم الأوّل، **والثاني**: من المراد في قوله تعالى: **﴿ولا يحيطون بشـيء من علمه﴾** انّ الممكن وإن كان نبيّاً أو الأئمّة عليهم السلام فهو فقير ذاتاً ومعنى الفقر الذاتي انّه دائماً يحتاج إلىٰ إفاضة الوجود من الغني بالذات إليه آناً فآناً فكـلّ آن يكـون وجوده ووجود الفيض المفاض عليه غير السابق عليه كما حقّق في محلّه.

وحينئذٍ نقول: انّ ما أحاطوا به وعلموه لم يكن إلّا بتعليم الله تعالى لهم آناً فآناً أي: انّه لم يكن تعليمه تعالى لهم عليهم السلام انّه أعلمهم ورفع يده عنهم بحيث يكونون غير محتاجين إليه تعالى ـ تعالى الله عن إمكان استغناء شيء عنه علوّاً كبيراً ـ بـل مـا علموه إنّما هو بتعليم الله لهم عليهم السلام في لحظة.

ومعنىٰ ذلك انّه إذا علموا انّ غداً تطلع الشمس ـ إن شاء الله ـ ما ملكوا من هذا العلم شيئاً إلّا لحظة علمهم بذلك وفي ذلك الآن وحينما علموا لا قبلها ولا بـعدها، وأمّا العلم بطلوعها قبلاً أو بعداً.

والحاصل في غير ذلك الآن واللحظة فهو بتعليم جديد مـن الله تـعالى، فـإنّ المحتاج والفقير الذاتي دائماً هو كذلك، فكما أنّ أصل حدوث الفيض فيه يحتاج إلىٰ إفاضة من الغني بالذات فكذلك بقاؤه آناً فآناً.

وذلك التعليم الدائم القائم حين يكون في اللحظات هو مصداق ما شاء الله أن يحيطوا بعلمه، وهذا هو الذي ملكوه من العلم، وهذا جار في جميع أنحاء علومهم،

وهذا أحد معنى قوله عليه السلام كما تقدّم: إنّما العلم ما يحدث ساعة بعد ساعة، أي لحظة بعد لحظة، بتعليمه الدائم القائم، وهذا أيضاً أحد معاني قوله عليه السلام: «إنّ لهم في كلّ ليلة جمعة علماً مستفاداً وإلّا لنفد ما عندهم، هذه واغتنم والله العالم والموفّق للصواب، فهم عليهم السلام خزائن العلم بهذين المعنيين للعلم.

هذا ما ذكره بعض الأكابر وفيه من الكلام ما لا يخفىٰ.

أقول: أمّا القسم الأوّل: فهو في الحقيقة تقسيم للمعلوم كما لا يخفىٰ.

وأمّا القسم الثاني: فهو بيان كيفية علمهم بالأُمور مطلقاً الحاصل لهم منه تعالىٰ.

فأقسام علمهم إنّما هو بأقسام معلوماتهم التي منحهم الله تعالى إيّاها وقد تقدّم بعضها من العلم الغابر والماضي والمزبور فراجع، وسيجيء إن شاء الله في بيان قوله عليه السلام: «وارتضاكم لغيبه» بيان سائر الأقسام فانتظر والحمد لله ربّ العالمين.

قوله عليه السلام: ومنتهى الحلم.

أقول: منتهى الشيء هو غايته التي ليس وراءَها ذكر منه، في المجمع: الحليم الذي لم يعاجل بالعقوبة، وفيه: الحلم: العقل والتؤدة وضبط النفس عن هيجان الغضب، والجمع أحلام وحلوم.

وفي البحار: قال الراغب: الحلم: ضبط النفس عن هيجان الغضب.

وقيل: الحلم: الأناة والتثبّت في الأمور، وهو يحصل من الاعتدال في القوة الغضبية، ويمنع النفس من الانفعال عن الواردة المكروهة المؤذية، ومن آثاره عدم جزع النفس عند الأمور الهائلة، وعدم طيشها في المؤاخذة، وعدم صدور حركات غير منتظمة منها، وعدم إظهار المزية علىٰ الغير، وعدم التهاون في حفظ ما يجب حفظه شرعاً وعقلاً، إنتهىٰ.

أقول: المراد منه هنا الحلم بمعنىٰ ضبط النفس، الذي هو من مكارم الأخلاق، لا

بمعنى العقل بقرينة قوله عليه السلام فيما بعد: وأُولي النهىٰ، وسيجيء بيانه أنه بمعنى العقل، وهذه الصفة من صفاته تعالىٰ وهو فيه تعالىٰ بمعنى المهلة.

وفي التوحيد: الحليم معناه أنه حليم عمّن عصاه، لا يعجل عليهم بالعقوبة وكيف كان، فهو يكون في الإنسان بمعنىٰ عدم المسارعة إلى المعاقبة، وضبط النفس عنها مع القدرة للعلم بالعواقب، فيؤخر العقوبة إما لكرم النفس فينتج العفو والتجاوز والمسامحة، قال الله تعالىٰ: ﴿**والعافين عن الناس والله يُحب المحسنين**﴾ فجعلهم الله أهل محبّته، وإما للعلم بعدم الفوت وذلك هو الأناة وعدم الاستعجال.

وإليه يشير قوله عليه السلام في الدعاء: «وإنما يعجل من يخاف الفوت» وأيضاً هو حينئذ التؤدة بمعنى التأني، والتثبت في الأمور، بترك المبادرة والاستعجال بدون الروية، فثمرة هذا هو العلم بالأصلح كما لا يخفىٰ.

وقد يكون الحلم لأجل أن يكون سبباً لنيل الانتقام بنحو أبلغ، وإليه يشير قوله تعالىٰ: ﴿**قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون**﴾[١] فأمر الله نبيّه أن يأمر المؤمنين بعدم الانتقام من المجرمين؛ ليكون الله تعالىٰ هو المنتقم لهم منهم، والله أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلاً.

وهذا يكون خاص للمؤمنين العالمين بأنّ الله هو المنتقم لهم من الأعداء.

هذا وفي تحف العقول فيما أجاب النبي صلى الله عليه وآله لشمعون بن لاوي بن يهودا من حواري عيسىٰ عليه السلام حين سأله عن العقل، إلىٰ أن قال صلى الله عليه وآله: فتشعب من العقل الحلم، ومن الحلم العلم، ومن العلم الرشد، إلىٰ أن قال صلى الله عليه وآله: فأما الحلم فمنه ركوب الجميل وصحبة الأبرار، ورفع من الضعة، ورفع من الخساسة، وتشهّي الخير، ويقرّب صاحبه من معالي الدرجات، والعفو والمهل والمعروف والصمت، فهذا ما تشعب للعاقل بحلمه، الحديث بطوله.

أقول: الحلم من شعب العقل، وما بعده من الخصال، التي ذكرها صلى الله عليه وآله تشعبت

---

١ ـ الجاثية: ١٤.

من الحلم، ولكلّ من هذه الصفات المنشعبة من الحلم مراتب كمّاً وكيفاً، ومظاهر في الأشخاص على اختلافهم.

قوله عليه السلام: ومن الحلم العلم، يشير إلىٰ ما قلنا من أن الحلم بمعنى التؤده يثمر العلم بالأصلح، وهو المشار إليه بقوله عليه السلام: ومن العلم الرشد، أي الأصلح في الأجر، قوله: والعفو والمهل:

أما **الأول**: فهو الحلم لكرم النفس الموجب للعفو.

وأما **الثاني**: فهو الحلم الحاصل للعلم. بعدم الفوت المنتج للمهل كما تقدم.

أقول: قوله عليه السلام: ومنتهى الحلم، يشير إلىٰ أنهم عليهم السلام قد بلغوا الغاية في الحلم، بحيث ليس ما وراء حلمهم ذكر للحلم، حيث إنهم عليهم السلام قاموا في الخلق بجميع مراتب هذه الخصال علىٰ أعلىٰ حدود الممكن منها، فهم منتهى الحلم.

والوجه فيه أنه قد علمت من قوله عليه السلام: إن الحلم وما تشعب منه من الصفات، إنما هو من آثار العقل، وسيجيء في شرح قوله: «وأُولي النهىٰ» أنهم عليهم السلام ذو العقل الكامل، فلا محالة يتكوّن منه الحلم وماله من الشعب.

وفي الحديث: «إنه تعالىٰ لم يكمله (أي العقل) إلّا فيمن يحبه» ولا ريب من أن النبيّ والأئمة وفاطمة الزهراء (صلوات الله عليهم أجمعين) أهل محبته بكمال المحبة، كما سيجيء بيانه في قوله عليه السلام: والتامين في محبة الله، فهم أصل العقل الكامل، فالحلم له أصل في الباطن، وفرع في الظاهر، وهم عليهم السلام منتهىٰ طرفيه.

ثم إنه يعجبني ذكر بعض الأحاديث في بيان حلمهم عليهم السلام وفي بيان فضيلة الحلم فنقول:

أما الأول: ففي الكافي[1] بإسناده عن معتب قال: كان أبو الحسن موسىٰ عليه السلام في حائط له يصرم، فنظرت إلىٰ غلام له قد أخذ كارة من تمر، فرمىٰ بها وراء الحائط، فأتيته فأخذته وذهبت به إليه، فقلت له: جعلت فداك، إني وجدت هذا وهذه

---

١ ـ الكافي ج ٢ ص ١٠٨.

الكارة، فقال للغلام: فلان، قال: لبيك قال: أتجوع؟ قال: لا ياسيدي، قال: فلأي شيء أخذت هذه؟ قال: اشتهيت ذلك، قال: اذهب فهي لك وقال: خلّوا عنه.

أقول: الصرم الجزّ الكارة مقدار معلوم من الطعام.

وفيه[١] بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتىٰ باليهودية التي سمت الشاة للنبي صلى الله عليه وآله فقال لها: ما حملك علىٰ ما صنعت؟ فقالت: قلت: إن كان نبياً لم يضرّه، وإن كان ملكاً أرحت الناس منه، قال: فعفا رسول الله صلى الله عليه وآله عنها.

وفيه[٢] بإسناده عن حفص بن أبي عائشة قال: بعث أبو عبدالله عليه السلام غلاماً في حاجة فأبطأ، فخرج أبو عبدالله عليه السلام علىٰ أثره لما أبطأ فوجده نائماً، فجلس عند رأسه يروّحه حتىٰ انتبه، فلما انتبه قال له أبو عبدالله عليه السلام: يا فلان والله ما ذلك لك تنام الليل والنهار، لك الليل ولنا منك النهار.

وعن أمالي الصدوق[٣]، بإسناده عن عبدالله بن محمد اليماني، قال: سمعت عبدالرزاق يقول: جعلت جارية لعلي بن الحسين عليه السلام تسكب الماء عليه، وهو يتوضأ للصلٰوة، فسقط الإبريق من يد الجارية علىٰ وجهه فشجّه، فرفع علي بن الحسين عليه السلام رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله عزوجل يقول: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ فقال لها: قد كظمت غيظي، قالت: ﴿والعافين عن الناس﴾ قال لها: قد عفا الله عنك، قالت: ﴿والله يُحب المحسنين﴾ قال: إذهبي فأنت حرّة.

وفيه أيضاً[٤] بإسناده عن زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنا أهل بيت مروتنا العفو عمّن ظلمنا.

---

١ ـ الكافي ج٢ ص١١٨.
٢ ـ الكافي ج٢ ص١١٢.
٣ ـ أمالي الصدوق ص١٢١.
٤ ـ أمالي الصدوق ص١٧٣.

أقول: ونحو هذه كثير فيما ورد من محاسن أخلاقهم (صلوات الله عليهم).

أما الثاني: أعني في بيان فضيلة الحلم.

ففي الكافي[١] بإسناده عن حمران بن أعين قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة: تعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلم إذا جهل عليك.

وفي الخصال بإسناده عن سليمان بن جعفر الجعفري، عن أبيه عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن جدّه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما جمع شيء إلىٰ شيء أفضل من حلم إلىٰ علم.

وفي الكافي[٢] بإسناده عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: الندامة علىٰ العفو أفضل وأيسر من الندامة علىٰ العقوبة.

وفيه[٣] بإسناده عن محمد بن عبدالله قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: لا يكون الرجل عابداً حتىٰ يكون حليماً، وإن الرجل كان إذا تعبّد في بني إسرائيل، لم يعد عابداً حتىٰ يصمت قبل ذلك عشر سنين.

وفيه[٤] بإسناده عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: إنه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه.

وفيه[٥] بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عزوجل يحب الحيي الحليم.

وفيه[٦] رفعه إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أعزّ الله بجهل قطّ، ولا أذلّ بحلم قط.

---

١ ـ الكافي ج٢ ص١٠٧.

٢ ـ الكافي ج٢ ص١٠٨.

٣ ـ الكافي ج٢ ص١١١.

٤ و٥ و٦ و٧ ـ الكافي ج٢ ص١١٢.

وفيه[1] رفعه قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: كفىٰ بالحلم ناصراً، وقال: إذا لم تكن حليماً فتحلم.

وفيه[2] بإسناده عن زيد الشحّام، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها، فإن عظيم الأجر لمن عظيم البلاء، وما أحبّ قوماً إلّا ابتلاهم.

وفيه[3] بإسناده عن عمار بن مروان، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: إصبر على أعداء النعم، فإنك لن تكافئ من عصا الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه.

وفيه[4] بإسناده عن ثابت مولىٰ آل حريز، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كظم الغيظ من العدو في دولاتهم تقية حزم لِمن اخذ به وتحرّز عن التعرض للبلاء في الدنيا، ومعاندة الأعداء في دولاتهم ومماظتهم في غير تقية ترك أمر الله، فجاملوا الناس يسمن ذلك لكم عندهم، ولا تعادوهم فتحملوهم علىٰ رقابكم فتذلوا.

أقول: المماظة المشاورة والمنازعة.

وعن تفسير القمي: ﴿.. وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾[5] قال أبو جعفر عليه السلام من كظم غيظاً وهو يقدر علىٰ إمضائه حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيٰمة، ومَن ملك نفسه إذا رغب وإذا رهب وإذا غضب حرم الله جسده علىٰ النار.

وعن الخصال[6] بإسناد عن الثمالي، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: وددت أنّي افتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض ساعدي النزق وقلّة الكتمان.

وفيه[7] بإسناده عن، عبدالله بن سنان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ثلاث من كنّ فيه زوّجه الله من الحور العين كيف ما شاءها، كظم الغيظ، والصبر على السيوف لله

---

٢ ـ الكافي ج٢ ص١٠٩.
٣ ـ المصدر نفسه.
٤ ـ المصدر نفسه.
٥ ـ الشورىٰ : ٣٧.
٦ ـ الخصال ج١ ص٢٤.
٧ ـ الخصال ج١ ص٤٣.

عزوجل، ورجل أشرف علىٰ مال حرام فتركه لله عزوجل.

وعن كتاب العدد في طي خبر: طلب المنصور (لعنه الله) الصادق عليه السلام ومعاتبة له ـ والخبر طويل ـ فقال عليه السلام في جوابه: حدثني أبي عن أبيه عن جدّه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: ينادي مناد يوم القيامة من بطنان العرش: ألا فليقم كلّ من أجره عليّ، فلا يقوم إلّا مِن عفا عن أخيه، الحديث.

انتهى الجزء الأوّل ويليه الجزء الثاني مبدوءًا بـ«وأُصول الكرم»

فهرس الموضوعات